الجمهوريـــة الجزائرية الديمقراطية الشعبيـــة

وزارة التعليـم العالـــي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر– باتنة

كليـــة العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين

نيابة العمادة لما بعد التخرج

والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

اختيارات الإمام الطبري في معاني الغريب

من خلال تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن

– دراسة تفسيرية لغوية –

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم

تخصص: الكتاب والسنة.

* إعـداد الطالب:

– عباس منصر

* إشراف الأستاذ الدكتور:

– منصور كافي

لجنــة المنـاقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
نورة بن حسن	أستاذ	جامعة باتنة1	رئيسا
منصور كافي	أستاذ	جامعة باتنة1	مشرفا ومقررا
عيسى بوعكاز	أستاذ	جامعة باتنة 1	عضوا
نواري سعودي	أستاذ	جامعة سطيف 2	عضوا
قدور سلاط	أستاذ محاضر أ	جامعة تبسة	عضوا
عبد القادر شكيمة	أستاذ محاضر أ	جامعة الوادي	عضوا

الموسم الجامعي : 1439 هـ -1440 هـ/ 2018م - 2019 م .

بسم الله الرحمن الرحيم

حَدِيثُ النِّيَّاتِ .

عَنْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ

رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ

وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ

فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا

يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ .

رواه البخاري في صحيحه .

الإهداء

إلى ينابيع الرّحمة والحنان ، أُمّي الحنون، وأبي الغالي

إلى زوجتي العفيفة خُلّة روحي، ومَسرّة فؤادي

إلى أبنائي الأعزاء قرّات عيني وثمرات جَناني

إلى من تربّيتُ معهم في سقف بيت واحد أشِقّائي وإخِواني

إلى كل من علّمني حرفا وأسْدى إليَّ نصحا في يوْمي وأَمسي

إلى كل هؤلاء:

أهدي هذا العمل المتواضع.

راجيا من المولى العفو والقبول.

أبو عبدِ اللهِ عباسُ بن علي منصر.

شكر وتقدير

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، ولك الحمد يا الله على ما يسّرت، ولك الشكر على ما وفقتَ.

فبتوفيق من الله عز وجل وإعانته أنجزت هذا البحث، فله الحمد والشكر والثناء الحسن في الأولى والآخرة. فاللّهم اجعل هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم، نافعا لي وللمسلمين في العاجل والآجل، وانفعني به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم.

ثم أسدي خالص الشكر الجليل وفائق الاحترام والتبجيل إلى أستاذي الفاضل المشرف على هذا البحث فضيلة الأستاذ الدكتور: **منصور كافي** - حفظه الله تعالى- حيث تفضل بالإشراف على هذا العمل؛ فقد أفادني بتوجيهاته السديدة وإرشاداته القيمة، ومنحني من وقته الثمين؛ فجزاه الله عني خير الجزاء، وأجزل له المثوبة في الدنيا والآخرة.

كما أتقدّم بالشكر الجزيل إلى السادة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة -الموّقرة - على تفضلهم بقَبول مناقشة هذه المذكرة، وعلى صبرهم في قراءتها وتكرّمهم بإبداء ملاحظاتهم القيّمة التي من شأنها أن تزيد البحث تنقيحًا وإثراءً.

كما يسّرني في الختام أن أشكر كلية العلوم الإسلامية بجامعة باتنة **1**- صرح المعرفة والهداية الشامخ، ومعقل العلم والمعرفة – ممثلة في عميدها، وأساتذتها، وموظفيها على سعيها الحثيث في دفع عجلة العلم الشرعي في هذا الوطن العزيز.

الباحث عباس منصر

مقدمـــــة

الحمد لله الذي أكرمنا بشريعته، وخصنا بأحكام ملّته، أرسل إلينا أفضل رسله، وخاطبنا بأعظم كتبه، وجعلنا خير أمة أُخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة إخلاص وتوحيد، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وصفيّه خليله، أفضل من أظلت السماء وأقلّت البيد، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أولى النصر والتأييد، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم البعث والتأبيد. ثم أما بعدُ:

فإنّ الله تبارك وتعالى أنزل كتابه الكريم بلسان عربي مبين، وأودع فيه من الأسرار اللغوية والنّكات المعنوية ما لا يسأم ناظر من التّفحص فيه، ولا يشبع عالم من النّهل منه، إنّه معجزة الرسول ﷺ الخالدة التي تحدّى الله بها فصحاء العرب قاطبة على فصاحة لغتهم وسلامة مَنْطقهم وقوة قرائحهم.

وكان من الطبيعي أنْ لا يجد هؤلاء الذين خاطبهم الله زمن التنزيل عناء في فهم لغة القرآن وتذوّق دلالات ألفاظه وفهم معاني تراكيبه؛ لأن ألسنتهم صافية لم تشبها عجمة بعدُ، ولم يُعكّر صفوها دخيل قط، إلى أن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وخالط العرب من ليس من جنسهم، ولُحن في القول وحُرّف المعنى ودخل الدّخيل واستحال اللسان أنْ يكون عربيّا خالصا، ألْهَم الله طائفة من أهل النّظر فصرفوا طرفا من عنايتهم لصيانة لغة القرآن الكريم وصوْن معاني ألفاظه وحفظ أسرار تراكيبه، فظهرت المؤلفات في غريب القرآن منذ مطلع القرن الهجري الثاني واستمرّت هذه الحركة النشطة في التأليف إلى قرون متأخرة، وكان من أهم هؤلاء الذين ألّفوا في هذا الغرض : أبو عبيدة والفراء وأبو عبيد وخلق كثير...الخ، وتزامن مع ظهور التأليف في غريب القرآن حركة نشطة أخرى تهدف إلى حفظ متن اللغة العربية الأصيلة في مادّتها اللغوية الخام، وذلك في شكل معاجم وقواميس تحفظ لغة العرب من الضياع والاندثار من جهة، وتصونها من خطر ممازجة لغات سامية أخرى فتُذهب برونَقها وجمالها من جهة ثانية، ولعل من أبرز رواد فن صناعة المعاجم العربية صاحب أوّل معجم عربي على الإطلاق: الخليل بن أحمد الفراهيدي ومن تبعه من علماء هذا الشأن.

ولوجود هذا التوازي وهذا التزامن بين حركة التدوين لحفظ لغة القرآن الكريم في شكل مؤلفات الغريب مع حركة التدوين لصيانة متن اللغة العربية من العجمة واللّحن في شكل المعاجم العربية، وللعلاقة الوطيدة بين غريب القرآن وغريب اللغة، اخترت قضية الغريب لأدرسها دراسة لغوية تفسيرية، واخترت تفسير الطبري، كونه وعاء حوى جهود من سبقه من علماء الغريب إضافة إلى أقوال أئمة السلف والمفسرين الذين سبقوه، فهو يمثّل مظهرا من مظاهر هذا التزامن وهذا التمازج بين غريب القرآن وغريب اللغة.

ولأنّه رحمه الله قريب من عصر الرواية اللغوية (بل إنّه واحد من رُوّاتها) وعاصر فترة ظهور المعاجم اللغوية، وإذا ما اختلفت الأقوال في تفسير الكلمة القرآنية وتعدّدت المعاني في معنى اللّفظة الفرقانية، حتّم هذا سلوك منهجٍ في الاختيار ومسلك في الترجيح؛ لذلك اخترت موضوع الغريب كظاهرة قرآنية وقضية لغوية لأطبّقها في شكل دراسة تفسيرية لغوية على تفسير الطبري وقصرت نظري فيها على اختياراته وطرق ترجيحه إذا ما تعدّدت معاني الكلمات القرآنية الغريبة، وسمّيت هذا البحث: **اختيارات الإمام الطبري في معاني الغريب من خلال تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن دراسة تفسيرية لغوية.**

إشكالية البحث:

والإشكالية المطروحة في هذا البحث: ما يلاحظ على مكانة ابن جرير الطبري بين المفسرين قاطبة قديما وحديثا، حتى قال السيوطي عن تفسيره:" إنّه أجّل التفاسير وأعظمها فإنّه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض..."، وقال عنه أبو عمر الزاهد: " قابلت كتاب الطبري في التفسير من أولّه إلى آخره فما وجدت فيه حرفا خطأً في نحو أو لغة"، وقال عنه الأستاذ أحمد أمين في كتابه ضحى الإسلام:" تفسير ابن جرير الطبري جمع فيه كثيرا من مجموعات التفاسير التي سبقته وفاضل بين رواياتها واختار أمْثلها "، ولقرب الإمام الطبري من عصر رواية اللغة ونقلها من أفواه الأعراب الفصحاء إلى بطون القواميس والمعاجم، ولتعدّد أوجه معاني الكلمات القرآنية التي يصطلح عليها علماء القرآن بالغريب (القرآن حمّالٌ ذو وجوه كثيرة).

فالسؤال الرئيس الذي يطرح نفسه أمام الباحث في هذا الموضوع: ما هي المسوّغات التي بنى عليها الإمام الطبري اختياراته في الغريب ؟، وما هي مسالكه في الترجيح بين أقوال المفسرين واللغويين في معاني الكلمات والتراكيب القرآنية ؟.

وأما **الأسئلة الفرعية**: ما هي القواعد التي سار عليها في تفسير الغريب ؟، وما هي السمات التي ميّزت التفسير اللّغوي عنده ؟، خاصّة وأنّه عاصر زمن التّأصيل والتقعيد في هذه القضية اللّغوية التّفسيرية.

ثم ما أثر اختيارات الطبري في الغريب ومنهجه في الاختيار عل شخصيته التفسيرية؟، وما مدى تأثيرها على موقفه من اللغويين والمفسرين الذين سبقوه؟، وما تأثيرها في آرائه العقيدية والفقهية وكذا موقفه من توجيه القراءات؟.

أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث من خلال:

- كونه يجلي النظر في قضية الغريب بشقيْها اللغوي والتفسيري، وهذا لضرورية علم الغريب فيمن يتصدى للتفسير، بل إنه أحد وسائل استمداد علم التفسير.
- لأن البحث يدرس التفسير اللغوي عند الإمام الطبري، والإمام الطبري هو بمثابة واصلة العقد بين من سبقه من أئمة التفسير واللغة من جهة، ومن جاء بعده من المفسرين المتعاقبين من جهة ثانية.
- كون الإمام الطبري أول مفسّر وصل إلينا تفسيره، جمع بين شتات مواد الغريب المبثوثة في مصنفات الغريب واللغة، وبين أقوال الصحابة والتابعين في معاني القرآن، فهو أول من جمع بين التفسير بالمأثور والتفسير باللغة في عصر التدوين.
- البحث يطرق قضية لغوية تفسيرية هامة، وهي الاختيار في معاني الغريب، وهذه مسألة تُبرز خصوصية لغة القرآن، وتُبيّن فضل كلام الله على سائر الكلام.

دوافع اختيار الموضوع: دفعني لاختيار هذا البحث: أسباب ذاتية، وأخرى موضوعية.

أما الأسباب الذاتية فتتمثل في:

- رغبتي الشديدة في الاستفادة من جامع البيان في علوم القرآن والتفسير عموما، وفي جانب اختيارات الطبري المتعلقة بالغريب خصوصا.
- شغفي الشديد بأصول التفسير اللغوي وقواعده، فدراسة اختيارات الطبري في الغريب كفيلة بتحقيق هذه الرغبة في نفسي.
- رغبتي في المساهمة في إثراء مكتبة الدراسات القرآنية بدراسة علمية جادة، متمثلة في اخيارات الطبري في معاني الغريب.
- رغبتي الشديدة في الوقوف على أهم المعالم والأصول والقواعد التي رسمت منهج الطبري في اختياراته في معاني الغريب، خاصة وأنه عاصر فترة رواية اللغة ونقلها من ألسنة الأعراب إلى بطون الكتب، إضافة إلى ما وضعه علماء الرواية من شروط وضوابط لقبول المعنى العربي الأصيل، فدراسة اختيارات الطبري في الغريب كفيلة بالوقوف على هذه الأصول والقواعد .

وأما الأسباب الموضوعية فتتمثل في:

- تركيز الدراسات والبحوث التي تناولت تفسير الطبري على إبراز منهجه العام في التفسير وإغفال النّظر عن دراسة الغريب كظاهرة قرآنية لغوية وإفرادها بدراسة تخصصية تبرز أهم المعالم والسّمات والأصول التي سار عليها الطبري في اختياراته في الغريب.
- تزامن ظهور حركة التأليف في غريب القرآن مع ظهور المعاجم اللغوية لحفظ غريب اللغة، ولأنّ الطبري أول من كتب في التفسير وأول من اعتنى بالغريب بناحيتيْه التفسيرية واللّغوية، وللتعدّد أوجه ومعاني الكلمة القرآنية الواحدة؛ كان لابد أن يسلك الطبري منهجا في الاختيار، هو حريٌ بالمعرفة والإظهار.

- على أنّ الطبري صاحب مهارات لغوية تبدو واضحة جليّة لمن يقرأ تفسيره من أوله إلى آخره، وله موقف من اختلاف أقوال المفسرين في الغريب حين يؤلف بينها برباط لغوي يجمعها يزيد معانيها توكيدا وتثبيتا، فإفراد اختيارات الطبري في الغريب بالبحث والدّرس يجلي النظر عن كثير من هذه القضايا المتعلقة بالتفسير اللّغوي.

الدراسات السابقة:

في حدود اطلاعي على فهارس الرسائل الجامعية في الجامعات الوطنية، وبعض كليات الدراسات القرآنية بالعالم الإسلامي، لم أعثر على دراسة لاختيارات الطبري في معاني الغريب بهذا العنوان وهذه الإشكالية وهذه الأهداف المتوخاة من الدراسة، وفي أثناء جمعي لمادة البحث، وقفت على بعض الدراسات الأكاديمية التي أفدتُ منها في بعض جزئيات الدراسة، وهذا تفصيل ذلك:

- **غريب القرآن عند الإمام الطبري في تفسيره دراسة نظرية تطبيقية موازنة**: للباحث عبد الله بن عواد الجهني، وهي رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة أم القرى سنة 2011م، ولم يتسن لي الحصول على هذه الدراسة التي تعتبر دراسة سابقة بامتياز بسبب الحصانة الإلكترونية على أنظمة البحث للرسائل الجامعية في بلاد الحجاز، وفشلت محاولاتي في مراسلة بعض الأساتذة وطلاب العلم بهدف الحصول على نسخة منها، ولكن تمكنت من الحصول على مقدمتها وفهرس موضوعاتها، مما شكل لي تصورا عن محتواها أفادني في التقسيمات والعناوين ليس إلاّ.
- **دراسة الطبري للمعنى**: للدكتور محمد المالكي المغربي، وهو مطبوع اطلعتُ عليه وعلى مضمونه الواسع الذي شمل المعنى من زاوية الأسلوب والأغراض والمادة المعجمية...الخ، واستفدتُ من هذا الكتاب في بعض جزئيات البحث، وإن كانت زاوية عملي غير زاوية دراسة المالكي.
- **منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح: للدكتور حسين بن علي الحربي**، طبع سنة 2008م، اطلعتُ عليه، وهو كتيب لطيف يقع في 160 صفحة، ويعتبر محاولة جادة من

الشيخ الحربي، واستفدتُ منه كثيرا في بعض مسالك الاختيار وقواعده، وتعمدت خلافه في الأمثلة التطبيقية حتى أبرأ إلى الله من كل انتحالٍ علمي.

إضافة إلى عديد الدراسات المنجزة حول تفسير الطبري، والتي يصعب حصرها والإحاطة بها، وقد وقفتُ على كثير منها، ولكلّ منها زاوية بحث غير زاوية عملي، وهي مثبتة في ثبت المصادر والمراجع في نهاية الدراسة، فمن أراد الاطلاع عليها فليفعل موفّقا إن شاء الله.

خطة البحث: قسمت خطة البحث إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة، وهذا بيان ذلك سردا:

فأما المقدمة: فقد حوت العناصر الأكاديمية المعروفة للبحث العلمي، وأما الفصل الأول: فكان حول عناية الإمام الطبري بغريب القرآن، وقسّمته إلى ثلاثة مباحث: مبحث حول الإمام الطبري مفسرا، فيه ترجمتُ للطبري وبيّنتُ قيمة تفسيره عند العلماء، ومبحث حول غريب القرآن حتى عصر الإمام الطبري، وفيه عرّفت الغريب، وبيّنتُ الغريب في مراحله التاريخية حتى عصر الطبري، وتكلمت عن عناية الطبري بالاختيار في معاني الغريب، ومبحث بيّنتُ فيه أهم ما ميّز تفسير الغريب عند الطبري من ملامح وخصائص وميزات، وأما الفصل الثاني: فكان حول مصادر الإمام الطبري في تفسير الغريب، وقسّمته إلى أربعة مباحث: المبحث الأول: حول تفسير الغريب بأحسن طرق التفسير (بالقرآن – بالسنة – بأقوال السلف) والمبحث الثاني: كان حول تفسير الغريب بالإجماع، والمبحث الثالث: حول تفسير الغريب بكلام العرب، وأما المبحث الرابع: فكان حول اعتماد الطبري على من ألّف قبله في الغريب، وأما الفصل الثالث: فكان حول قواعد تفسير الغريب عند الإمام الطبري، قسمته إلى ثلاثة مباحث، المبحث الأول: حول القواعد المتعلقة بالمفردة القرآنية، والمبحث الثاني: حول القواعد المتعلقة بالتراكيب القرآنية، والمبحث الثالث: حول القواعد المتعلقة بالسياق القرآني، وأما الفصل الرابع: فكان حول اختيارات الإمام الطبري في معاني الغريب، قسمته إلى أربعة مباحث: المبحث الأول: حول الاختيارات المستندة إلى أصول التفسير، والمبحث الثاني: حول الاختيارات المستندة إلى قواعد التفسير اللغوي، والمبحث الثالث: حول الاختيارات المستندة إلى السياق، والمبحث الرابع: حول الاختيارات المستندة إلى قرائن أخرى، وأما الفصل الخامس : فكان حول أثر اختيارات الطبري في الغريب على شخصيته التفسيرية،

وقسمته إلى أربعة مباحث: المبحث الأول: حول أثر اختياراته في الغريب على آرائه النقدية، والمبحث الثاني: حول أثر اختياراته في الغريب في حكمه على الروايات والرواة، والمبحث الثالث: حول أثر اختياراته في الغريب على تفسيره الفقهي، والمبحث الرابع: حول أثر اختياراته في الغريب على موقفه من القراءات، وأما الخاتمة: فقد ضمّنتها أهم النتائج المحققة، وبعض التوصيات المستشرَفة.

المنهج المتبع في البحث: لإنجاز هذه البحث اتّبعتُ جملة من المناهج المساعدة ألخصها فيما يلي:

- **المنهج الاستقرائي التحليلي**: المناسب لتتبع أغلب اختيارات الإمام الطبري، والوقوف على مسوّغات الاختيار عنده عليه رحمة الله. وتحليل هذه الاختيارات للوقوف على القواعد والقرائن والأصول التي بنى عليها الطبري اختياراته.
- **المنهج الوصفي**: والذي مكنني من الوصول إلى معرفة سمات تفسير الغريب عند الطبري، ووصف أثر اختياراته في الغريب على بعض الجوانب في شخصيته التفسيرية.
- **المنهج الانتقائي**: وعلى منواله قمتُ بانتقاء النماذج التطبيقية المناسبة في المسألة المستشهدِ لها من جامع البيان، وهذا مسلك مهّم في الجانب التطبيقي للدراسة، فلو ادعى أحد أنه يحيط بكل ما حوى جامع البيان من أمثلة في المسألة الواحدة لكان مدّعيا في ادّعائه والله، وهذا راجع إلى لغة الطبري وطريقة عرضه وأسلوبه وطبيعة تفسيره، وحرصتُ على التنويع في الأمثلة من أغلب الأجزاء القرآنية إثباتا للاستقراء الأغلبي لجامع البيان.

طريقتي في إنجاز البحث: لإنجاز هذا البحث اتّبعتُ بعض الخطوات، أذكرها فيما يلي:

- حرصتُ على رسم الآيات بالرسم العثماني برواية ورش عن نافع، وتخريجها في متن البحث حتى لا تثقل الهوامش بآيات كثيرة.
- قمتُ بتخريج الأحاديث والآثار الواردة في الدراسة، واستفدتُ كثيرا من تخريجات الشيخ محمود شاكر عليه رحمة الله، وهذا في الجزء المحقق إلى غاية سورة إبراهيم، أما الجزء غير المحقق

من جامع البيان، فاستعنتُ في تخريج آثاره ببعض كتب التخريج خاصة تفسير الدر المنثور للسيوطي.

- لم أترجم للأعلام المعروفين من عامة المفسرين وأئمة السلف والخلف والشعراء المشهورين في الجاهلية وصدر الإسلام، كونهم أشهر من أن يعرّفوا، واكتفيتُ بالترجمة لبعض الشعراء ولأصحاب الكُنى والأعلام المغمورة اليوم في أوساط الباحثين والنُخب.
- أما الأبيات الشعرية الواردة في البحث، فاعتمدتُ عدم عزوها إلى القواميس وكتب اللغة وخزانات الأدب، وهذا كونها مأخوذة من موسوعة لغوية وأدبية مؤلفة في أواخر القرن الثالث الهجري، فمن العبث أن تعزوها إلى مؤلفات جاءت بعد جامع البيان.
- قَدَّمْتُ بتلخيص بين يديْ أغلب الأمثلة؛ لأن هذه الطريقة تناسب التعامل مع الأمثلة المستخرجة من جامع البيان، ولأن عرض الطبري للأقوال والمعاني قد يكثر عددا، وقد تتداخل بعض الأقوال، ويكون مدار الاختيار على معنيين أو ثلاثة في أغلب الأحيان، لذلك قمتُ بهذا التلخيص كي أضبط اختياراته المعنوية في الغريب.
- لم أتطرق إلى الجوانب النحوية والبلاغية، لأن هذا بحث مستقل عن الغريب، إلاّ ما له علاقة مباشرة باستعمالات العرب للمفردات والتراكيب.
- حدود عملي متعلقة بالاختيارات حيث تتعدد المعاني في معنى المفردة، وليس البحث استقصائيا للمنهج اللغوي العام للإمام الطبري.
- سعيتُ جهدي إلى الاستقراء الأغلبي لاختيارات الطبري في الغريب، وإثباتا لذلك قمتُ بتنويع النماذج التطبيقية الواردة في المتن لتستوفي أكبر عدد ممكن من الأجزاء والمجلدات، وقمت بالإحالة على بعض النماذج الأخرى، لأنه يعسر عليّ إيراد كلّ ما جمعتُ في المسألة من نماذج.
- اعتمدتُ نسختين لجامع البيان: الأولى: طبعة دار ابن حزم الصادرة سنة 2013م والتي أملك منها نسخة خاصة، وعليها مدار الإحالات في النماذج التطبيقية (وقد ميّزتها بكتابة الجزء القرآني برمز جز) والثانية: طبعة مؤسسة الرسالة الأولى بتحقيق الشيخ محمود شاكر رحمه الله، والتي صدرت سنة 2000م، واستفدتُ من تعليقات الشيخ وتخريجاته في الجزء المحقق.

- ختمتُ الدراسة بفهارس كاشفة عن محتوى البحث.

أهم المصادر والمراجع:

تمت الاستعانة بجملة من المراجع والمصادر المتنوعة على اختلاف أبواب العلم المنتمية إليها: فمن التفاسير إضافة إلى جامع البيان، تفسير ابن أبي حاتم، وتفسير ابن كثير، والقرطبي، والدرّ المنثور، والشوكاني، والقاسمي، والتحرير والتنوير...الخ، ومن كتب علوم القرآن: الإتقان والبرهان، ومن كتب أصول التفسير وقواعده: كتاب عبد الرحمن العك، وقواعد التفسير لعثمان السبت، ومقدمة شيخ الإسلام، ومن كتب الغريب: معاني القرآن للفراء، ومجاز القرآن لأبي عبيدة، وغريب القرآن وتأويل مشكل القرآن كلاهما لابن قتيبة، ومن المعاجم والقواميس: اللسان، والقاموس، وتهذيب اللغة، الصحاح، مقاييس اللغة، وجمهرة اللغة، ومن الدراسات الأكاديمية حول تفسير الطبري: شرح مقدمة تفسير الطبري لمساعد الطيار، ومنهج ابن جرير الطبري في الترجيح للحربي، ودراسة الطبري للمعنى للمالكي...الخ، إضافة إلى كتب التخريج والمتون الحديثية كالصحيحين ومسند الإمام أحمد، وغيرها من المصادر والمراجع الأخرى المثبتة في فهرسها الخاص.

الصعوبات: ولقد اعترتني جملة من العقبات والصعوبات الخاصة بالموضوع، أذكر منها:

- قد يتجاذب المثال التطبيقي الواحد أكثر من عنصر، فيكون مثالا صالحا للاستشهاد في أكثر من موضع، وذلك كونه يؤصل لقاعدة، وفي نفس الوقت فيه اختيار، وفيه نقد وتعقّب، وفيه سمة بارزة لتفسير الغريب عند الطبري، وفيه أثر من آثار اختياراته، مما يصعب على الباحث مهمة توظيف مثل هذه الأمثلة في موضعها، ولكن سعيتُ جهدي وسدّدت وقاربتُ وراعيتُ الموازنة في الفصول، والله من وراء القصد.
- صعوبة لغة الطبري وأسلوب عرضه للمادة التفسيرية، وكثرة الاستطرادات والتساؤلات والافتراضات، الأمر الذي صعّب عليّ النقل الحرفي للأمثلة محل الشاهد، وهذا ما جعلني أكثر من الاقتباسات والتصرف في الإحالات.

وحسبي أن سعيتُ جهدي، وحاولتُ أن أخرج هذا البحث بفصوله الخمسة في أحسن شكل، وأوفر مضمون، وأدق عرض، فما كان فيه من صواب، فمن الْهامات الإله الوهاب، وما كان فيه من خطأ أو سهو أو زلل فمن الشيطان الطريد عن الباب، ويعفو الله عن كثير، وأقول لك يا ناظرا في هذا العمل الذي يعتريه النقص والتقصير، متمثّلا ببيت العالم الشهير:

وإن تجد عيبا فسدّ الخللا *** جلّ من لا عيب فيه وعلا

هذا وبالله التوفيق، ومنه نستمدّ العون والقوة، وصلّى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأشرع الآن في المقصود بعون الملك المعبود، فإلى الفصل الأول الموسوم بـ (عناية الإمام الطبري بغريب القرآن).

الفصل الأول:

عناية الإمام الطبري بغريب القرآن.

- المبحث الأول: الإمام الطبري مفسّرا

- المبحث الثاني: غريب القرآن حتى عصر الإمام الطبري

- المبحث الثالث: سمات تفسير الغريب عند الإمام الطبري.

في هذا الفصل الأول من الدراسة سأبيّن عناية الإمام الطبري بغريب القرآن، وإنما اخترتُ له هذا العنوان، كي يدلّ عما يحوي من مباحث ضمنتُها بيان مغاليق عنوان الدراسة ومصطلحاته (الطبري – الغريب – الاختيار – سمات تفسير الغريب) فكانت المباحث المنضوية تحت هذا الفصل: الإمام الطبري مفسرا – غريب القرآن حتى عصر الإمام الطبري – سمات تفسير الغريب عند الإمام الطبري، فإلى المبحث الأول من هذا الفصل:

المبحث الأول: الإمام الطبري مفسرا.

قبل تناول اختيارات الإمام الطبري في معاني الغريب، يُحسن من الناحية المنهجية أن نعرّف بالإمام الطبري أولا، ونبيّن قيمة تفسيره عند المتقدمين والأئمة المتعاقبين.

والأمر الذي ينبغي أن أنوّه به، أن أبا جعفر الطبري أشهر من أن يُعرف، وأكبر من أن تُكتب عنه صفحات معدودات توطئة لهذا العمل الأكاديمي، فلقد ترجم له عشرات الباحثين إنْ لم نقل المئات ممن درسوا تفسيره من إحدى زوايا البحث المختلفة، ولقد رجعت إلى أكثر من عشرة مصادر ترجمت للإمام الطبري ترجمة وافية، واختصرت هذه الترجمة من هذه المصادر، ولا يكاد يوجد هذا الاختصار بهذا الأسلوب في دراسة أكاديمية عن الإمام الطبري، وحسبي أن سعيْتُ جهدي كي لا أكرّر عمل غيري، والله وحده من وراء القصد.

المطلب الأول: اسمه ومولده ونشأته.

الفرع الأول: اسمه ومولده.

هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، الآملي مولدا، الطبري نشأة، البغدادي منزلا[1]، واتفق المترجمون على اسمه واسم أبيه، واختلفوا في اسم جدّه، وأكثرهم على أنه يزيد، وبعضهم يقول: بل هم كثير. وكان الطبري إذا سئل عن اسمه ونسبه يقول: اسمي محمد بن جرير، فيقول له السائل: زدنا في

[1] ينظر ترجمة ابن جرير في: معجم الأدباء: ياقوت الحموي، تح: إحسان عباس، ط:1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دت، 2441/6-2442، وطبقات المفسرين: الداوودي، تح: لجنة من الباحثين، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ - 1983م، 110/2-113، طبقات الشافعية: لابن القاضي شهبة، تح: الحافظ عبد العليم خان، ط:1، عالم الكتب، بيروت، 1407هـ، 100/1-101.

النسب؟، فيرفض ويتمثل بقول الشاعر[1]:

قد رفع العَجَّاجُ ذكري فادْعُني *** باسمي إذا الأنساب طالت يكفِني[2]

ويكنى بأبي جعفر، ولم يكن له ولد اسمه جعفر؛ لأنه لم يتزوج قط، وقد صرّح بذلك بقوله: فأنا لا ولد لي، وما حللتُ سراويلي على حرام ولا حلال قط[3].

وكان مولد الإمام أبي جعفر في أواخر سنة أربع وعشرين ومائتين، أو في أوائل سنة خمس وعشرين ومائتين على خلاف في ذلك كما ذكر صاحب معجم الأدباء[4].

الفرع الثاني: نشأته.

نشأ الإمام الطبري بمسقط رأسه ببلدة آمل بإقليم طبرستان[5]، فحفظ القرآن وهو ابن سبعٍ، يقول أبو جعفر عن نفسه: حفظت القرآن ولي سبع سنين، وصليتُ بالناس وأنا ابن ثماني سنين، وكتبتُ الحديث وأنا ابن تسع سنين، ورأى لي أبي في النوم أنني بين يدي رسول الله ﷺ، وكان معي مخلاة

---

[1] البيت لرؤبة بن العجاج كما في غريب الحديث: ابن قتيبة الدينوري، تح: عبد الله الجبوري، ط:1، مطبعة العاني: بغداد، 1397هـ، 462/2، ينظر غريب الحديث: الخطابي، تح: عبد الكريم إبراهيم، دط، دار الفكر، دمشق، 1402هـ – 1982م، 382/1، تهذيب اللغة: أبو منصور الأزهري، تح: محمد عوض مرعب، ط:1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م، 282/8.

[2] معجم الأدباء: ياقوت الحموي، 2445/6.

[3] المصدر نفسه: 2449/6.

[4] المصر نفسه: 2445/6

[5] إقليم طبرستان: أرض واسعة عالية الجبال كثير الأشجار وافرة المياه، من بلاد ما وراء النهر مما يحاذي أرض الفرس شرقا نحو الشمال، من مدنها جرجان وآمل البلدة التي ولد بها شيخنا الطبري، ينظر: معجم البلدان: ياقوت الحموي، ط:2، دار صادر، بيروت، 1995م، 13/4.

مملوءة حجارة وأنا أرمي بين يديه، فقال له المعبّر: إنه إن يكبر نصح في دينه وذبّ عن شريعته، فحرص أبي على معونتي على طلب العلم وأنا حينئذ صبيّ صغير[1].

فكانت هذه الرؤيا الصالحة التي رآها والد الطبري موجّها له على مزيد من الاهتمام به، ومحفزا على مساعدته في طلب العلم منذ صغره وحتى بعدما شبّ؛ ويذكر الحافظ الذهبي في ترجمته لابن جرير أنه قال: " أَبطأَتْ عَنِّي نفقَةُ وَالدِي، وَاضطُرِرْتُ إِلَى أَنْ فتقتُ كُمَّيْ قَمِيصي فَبِعْتُهُمَا "[2]. فهذه شهادة تدل على أن والده كان سندا له على الطلب، يكفيه مؤونة العيش والنفقة، وأن أبا جعفر لا همّ له إلا العلم في عزيمة قوية وهمّة عالية.

المطلب الثاني: رحلاته العلمية وشيوخه وتلامذته.

ذكر صاحب الفهرست[3] يحكي عن أبي جعفر: " أدرك الأسانيد العالية بمصر والشام والعراق والكوفة والبصرة والرّي[4] وكان متفننا في جميع العلوم: علم القرآن والنحو والشعر واللغة والفقه، كثير الحفظ "[5].

"[5].

يظهر من خلال هذا الكلام أن الطبري كثير الترحال في الطلب، لم يترك مصرا إلا نزل به وروى عمن فيه من العلماء، حتى عدّ له الإمام الذهبي في سيره اثنان وأربعين شيخا وقال : "وأمما سواهم"[6]،

---

[1] معجم الأدباء: 2446/6.

[2] سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي، تح: شعيب الأرناؤوط، ط:3، مؤسسة الرسالة، 1405هـ – 1985م، 277/14.

[3] كتاب الفهرست من أقدم كتب التراجم، وهو لصاحبه محمد بن إسحاق أبو الفرج المعروف بابن النديم البغدادي المعتزلي الشيعي، وكانت وفاته سنة 385هـ، ينظر: لسان الميزان: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تح: عبد الفتاح أبو غدة، ط:1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 2002م، 140/9.

[4] حاضرة علمية من أمهات البلدان، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخا، مرّ بها ياقوت وقد خربها التتار، ورأى جبلا مشرفا يطل عليها، كانت تقاس عمارتها وحضارتها ببغداد، فتحها عمرو بن زيد الطائي في خلافة عمر ﷺ سنة 20هـ، ينظر: معجم البلدان: 118/3.

[5] الفهرست: ابن النديم، تح: إبراهيم رمضان، ط:2، دار المعرفة، بيروت، 1417هـ – 1997م، ص287.

[6] سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي، 269/14.

وسأذكر بعضهم في هذه الترجمة الموجزة، مبيّنا خلاصة حالهم من تقريب التهذيب، حتى لا يثقل الهامش بالتراجم:

- يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة الصّدفيّ، أبو موسى المصري، ثقة من العاشرة، مات سنة 264هـ[1].
- هارون بن إسحاق بن محمد بن مالك الهمْداني، أبو القاسم الكوفيّ، صدوق من العاشرة، مات سنة 258هـ[2].
- محمد بن المثنى بن عبيد العَنَزيّ ، أبو موسى البصري المعروف بالزّمِن، ثقة ثبت من العاشرة، مات سنة 252هـ[3].
- محمد بن العلاء بن كريب الهمْداني الكوفي، ثقة حافظ من العاشرة، مات سنة 247هـ[4].
- أحمد بن منيع بن عبد الرحمن، أبو جعفر البغوي الأصمّ، ثقة حافظ من العاشرة، مات سنة244هـ[5].
- محمد بن عبد الأعلى الصنعاني البصري، ثقة من العاشرة، مات سنة 245هـ[6].
- هناد بن السري بن مصعب التميمي، أبو السّري الكوفي، ثقة من العاشرة، مات سنة 243هـ[7].
- العباس بن الوليد بن مزْيَد العذري البيروتي، صدوق عابد من الحادية عشرة، مات سنة 270هـ[8].

---

[1] تقريب التهذيب: ابن حجر العسقلاني، تح: صلاح الدين بن عبد الموجود، ط:1، دار ابن رجب، المنصورة، 1425هـ – 2004م، رقم (7907) ص569.

[2] المصدر نفسه: رقم (7221) ص524.

[3] المصدر: نفسه: رقم (6264) ص459.

[4] المصدر نفسه: رقم (6204) ص456.

[5] المصدر نفسه: رقم (114) ص40.

[6] المصدر نفسه: رقم (6060) ص446.

[7] المصدر نفسه: رقم (7320) ص531.

[8] المصدر نفسه: رقم (3192) ص245.

وذكر الإمام الذهبي بعض من روى عنه وقال بعدها: وخلق كثير[1]، وسأقتصر على ذكر من له شهرة بتآليفه التي بلغت الآفاق، وهما حافظا الإسلام:

- سليمان بن أحمد بن أيوب اللّخميّ الشاميّ، أبو القاسم الطبرانيّ، الإمام الحافظ الثقة، صاحب المعاجم الثلاثة، مات سنة 360هـ[2].
- عبد الله بن عَدِيّ، أبو أحمد الإمام الحافظ الناقد العالم بالرجال، صاحب كتاب (الكامل في ضعفاء الرجال) مات سنة 365هـ[3].

المطلب الثالث: مذهبه وعقيدته.

الفرع الأول: مذهبه الفقهي.

أما مذهبه الفقهي: فقد كان في بداية أمره شافعيا، وقال عن نفسه: " أظهرت مذهب الشافعي، واقتديتُ به ببغداد عشر سنين "[4].

ولما كانت همة الطبري عالية لم يرض بمذهب الشافعي تقليدا، وإنما دعاه نشاطه العلمي إلى أخذ الفقه المالكي والحنفي والظاهري[5]، ولما وعى هذه المذاهب الفقهية المتنوعة دعته قريحته إلى المقارنة بينها والترجيح، بل وإلى الاجتهاد، حتى ليُعده بعض المترجمين مجتهدا مطلقا لا يقلّد أحدا حتى صار له مذهب مستقل يعرف بالمذهب الجريري، والذي لم يُكتب له الانتشار والذيوع واندثر بعد القرن الرابع

---

[1] ينظر سير أعلام النبلاء: 269/14.
[2] المصدر نفسه: 119/16.
[3] المصدر نفسه: 154/16.
[4] طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين السبكي، تح: محمود محمد الطناحي، ط:2، دار هجر، القاهرة، 1413هـ، 127/3. وينظر، طبقات الشافعيين: إسماعيل بن كثير، تح: أحمد عمر هاشم، دط، مكتبة الثقافة الدينية، 1413هـ – 1993م، 224.
[5] ذكر ابن النديم: أن أبا جعفر قرأ الفقه على داود، وأخذ فقه مالك عن يونس بن عبد الأعلى، وأخذ فقه أهل العراق عن أبي مقاتل بالرّي. ينظر الفهرست: 287.

الهجري[1]. ولعل أكبر دليل على انفراده بمذهب فقهي مستقل ما حواه تفسيره من آراء فقهية، وجهود ملموسة في تفسير آيات الأحكام، ولعلي أشير إلى بعضها حين أنتهي إلى ذكر الفصل الأخير من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

الفرع الثاني: عقيدته.

وأما عقيدته: فأبو جعفر إمام من أهل السنة والجماعة، بل هو قطب من أقطابها، وتفسيره الحافل في البلدان، والسائرة به الركبان، والمتلقّى عند جمهور الأئمة بالقبول والرضوان، خير دليل على صحة اعتقاد الإمام صاحب الترجمة، ولأدلّ على ذلك إقراره عقيدة السلف في باب الأسماء والصفات، ولا يفوّت فرصة في تفسيره إلا ويُفنّد التأويل والتجسيم والنفي...الخ، وأثبت الشفاعة لأهل الكبائر من أمة النبي ﷺ، وردّ على المعتزلة افتراءاتهم في خلق أفعال العباد وإنكار الرؤية، وهذا الكلام مثبت في كتب التراجم بإجماع أصحابها على جلالة الإمام الطبري وسلامة معتقده، ولعلي أشير إلى بعض الأمثلة عن مسائل العقيدة من تفسيره، حين الوصول إلى أثر اختياراته في الغريب على آرائه النقدية.

المطلب الرابع: آثاره العلمية وثناء أهل العلم عليه.

الفرع الأول: آثاره العلمية:

أما آثاره العلمية المتمثلة في مؤلفاته، فقد عقد الدكتور محمد الزحيلي فصلا لذلك في كتابه الموسوم ((الإمام الطبري شيخ المفسرين وعمدة المؤرخين ومقدَّم الفقهاء والمحدثين)) وذكر أنه جمع له قرابة الثلاثين مصنفا من المصادر التي ترجمت له، وأشار إلى عدم وصول أغلب تراث الطبري إلينا، والذي

---

[1] ينظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: برهان الدين ابن فرحون، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دط، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، دت، 61/1.

وصل إلينا وصل منقوصا، ولم يطبع من جهوده وأعماله إلا تفسيره وتاريخه وبعض الرسائل المختصرة. وسأورد في هذه الترجمة الموجزة بعض مؤلفاته مستندا في ذلك إلى ما جمعه الدكتور الزحيلي[1]:

أولا: أحاديث غدير خمّ: ذكره ابن كثير في البداية والنهاية.

ثانيا: اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام: وهو كتاب في الفقه، ولم يصل إلينا منه إلا جزء واحد، وطبع الجزء الموجود باسم (اختلاف الفقهاء).

ثالثا: بسيط القول في أحكام شرائع الإسلام: وهو في تاريخ الفقه الإسلامي ورجاله وأبوابه.

رابعا: لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام: وقد أحال عشرات المرات في تفسيره على هذا المؤلف الفقهي، والذي يمثل خلاصة مذهبه الفقهي، لم يصل إلينا منه شيء فضاع على المتأخرين تراث الطبري الفقهي والأصولي.

خامسا: الخفيف في أحكام شرائع الإسلام: وهو مختصر من كتابه اللطيف، ذكره ياقوت الحموي في معجم الأدباء.

سادسا: صريح السنة: وهي رسالة صغيرة بين فيها الطبري مذهبه عقيدته، وسماها بعضهم (شرح السنة) وهي مطبوعة.

سابعا: الرد على ذي الأسفار: وهو كتاب في علم الخلاف للرد على داود الظاهري[2]، شيخ الإمام الطبري، لم يتمّه الطبري بسبب وفاة داود عليه رحمة الله، ولم يصل إلينا الجزء المؤلف منه.

---

[1] ينظر: الإمام الطبري – شيخ المفسرين وعمدة المؤرخين ومقدّم الفقهاء والمحدثين – صاحب المذهب الجريري: محمد الزحيلي، ط:2، دار القلم، دمشق، 1420هـ – 1999م، ص50-53.

[2] هو داود بن علي بن خلف، أبو سليمان الظاهري البغدادي، الإمام البحر الحافظ العلامة، المعروف بالأصبهاني، رئيس أهل الظاهر، وإليه تنسب الطائفة الظاهرية، رأس في الخلاف، من أوعية العلم في القرن الثالث الهجري، مات سنة 270هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء: 13/97-108.

ثامنا: تاريخ الرسل والأنبياء والملوك والخلفاء: ذكر فيه الطبري تاريخ العالم من لدن آدم عليه السلام إلى عصره، وسماه بعض المتأخرين (تاريخ الأمم والملوك) وهو مطبوع يعتبر من كتب التراث الإسلامي.

تاسعا: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: وهو تفسيره المشهور محل هذه الدراسة اللغوية التفسيرية، مطبوع عدة طبعات وبعدة تحقيقات، ولعل أجل تلك التحقيقات ما قام به الشيخ محمود شاكر عليه رحمة الله. وأودّ التنبيه هنا إلى أن الطبعة المعتمدة في هذا البحث - والتي أحيل عليها الأمثلة التطبيقية - هي طبعة دار ابن جزم المعتمدة أساسا على تعليقات الشيخ محمود شاكر والتي صدرت سنة 1434هـ - 2013م.

الفرع الثاني: ثناء أهل العلم عليه.

وشيخنا الطبري عليه من الله سحائب الرحمات ونفعنا بعلمه المبثوث في هذه المؤلفات، عرف علماء عصره ومن جاء بعدهم قدره، وأثنوا عليه بما هو أهل له:

قال الخطيب البغدادي عنه: " وكان أحد أئمة العلماء يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله. وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظا لكتاب الله، عارفا بالقراءات بصيرا بالمعاني، فقيها في أحكام القرآن، عالما بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها، عارفا بأقوال الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الخالفين في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام، عارفا بأيام الناس وأخبارهم "[1].

---

[1] تاريخ بغداد: أبو بكر الخطيب البغدادي، تح: بشار عواد معروف، ط:1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1422هـ – 2002م، 548/2.

وقال عنه ابن خلكان: " كان إماما في فنون كثيرة منها: التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك، وله مصنفات مليحة في فنون عديدة تدل على سعة علمه وغزارة فضله، وكان من الأئمة المجتهدين، لم يقلد أحدا "[1].

وقال الإمام الذهبي: " الإمام العلم الفرد الحافظ، أبو جعفر الطبري أحد الأعلام وصاحب التصانيف "[2].

وقال عنه أيضا: " كَانَ ثِقَة، صَادِقاً، حَافِظاً، رَأْساً فِي التَّفْسِير، إِمَاماً فِي الفقه، وَالإِجماع وَالاخْتِلاَف، عَلاَّمة فِي التَّارِيْخ وَأَيَّام النَّاس، عَارِفاً بِالقِرَاءات وَبَاللُّغَة، وَغير ذلك "[3].

المطلب الخامس: محنته ووفاته.

تعرض الإمام الطبري في آخر حياته ببغداد إلى ابتلاء عظيم من بعض جهلة الحنابلة، حملهم التعصّب المقيت والتحجّر البغيض إلى رمي الإمام الهمام بالرفض تارة وبالإلحاد تارة أخرى، حتى إنهم منعوه من الرواية والجلوس لتحديث تلاميذه الذين يفدون عليه من مختلف الأمصار لعلو إسناده وكثرة روايـــــته وترحاله، وهذا بشهادة الحافظ ابن خزيمة حين سأل الحسين بن علي النيسابوري[4] بعد رجوعه من بغداد إلى نيسابور: هل كتبت عَن محمد بن جرير؟ فقال: لَا. قَالَ: ولِمَ؟، قال: لأنّه كَانَ لَا يظهر.

---

[1] وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: شمس الدين أحمد بن خلكان، تح: إحسان عباس، ط:1، دار صادر، بيروت، دت، 191/4.

[2] تذكرة الحفاظ: شمس الدين الذهبي، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ – 1998م، 201/2.

[3] سير أعلام النبلاء: 270/14.

[4] وهو حُسينَك بفتح النون (وهذا لقب ترخيم لا أعلم من لقبه به)، واسمه الحسين بن علي التميمي النيسابوري، تربّى في حجر ابن خزيمة، وروى عنه الحاكم النيسابوري في مستدركه، قال عنه الذهبي: الإمام الحافظ الأنبل القدوة، مات سنة 375هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء 408/16، طبقات الشافعية الكبرى: 274/3.

وكانت الحنابلة تمنعُ من الدخول عليه. فقال (ابن خزيمة): بئس ما فعلت، ليتك لم تكتب عَن كلّ من كتبت عنهم، وسمعت منه "[1].

وقال ابن كثير: " وَنَسَبه بعض الرّعاع من عوام الحنابلة إِلَى الرَّفْضِ، وَمِنَ الْجَهَلَةِ مَنْ رَمَاهُ بِالْإِلْحَادِ، وَحَاشَاهُ مِنْ هَذَا وَمِنْ ذَاكَ أَيْضًا. بَلْ كَانَ أَحَدَ أَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ فِي الْعِلْمِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، وَإِنَّمَا تَقَلَّدُوا ذَلِكَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ[2] حَيْثُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيهِ وَيَرْمِيهِ بِالْعَظَائِمِ وَيَرْمِيهِ بِالرَّفْضِ "[3].

وَقَدْ كَانَتْ وَفَاتُهُ وَقْتَ الْمَغْرِبِ مِنْ عَشِيَّةِ يَوْمِ الْأَحَدِ لِيَوْمَيْنِ بَقِيَا مِنْ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ عَشْرٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ. وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ بِخَمْسٍ أَوْ سِتٍّ سِنِينَ وَفِي شَعْرِ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ سَوَادٌ كَثِيرٌ، وَدُفِنَ فِي دَارِهِ بسبب فتنة الحنابلة الذين منعوا من دفنه نهارا، وَلَمَّا تُوُفِّيَ اجْتَمَعَ النَّاسُ مِنْ سَائِرِ الْبَلَدِ وَصَلَّوْا عَلَيْهِ بِدَارِهِ وَدُفِنَ بِهَا، وَمَكَثَ النَّاسُ يَتَرَدَّدُونَ إِلَى قَبْرِهِ شُهُورًا يُصَلُّونَ عَلَيْهِ، رحمَهُ اللَّهُ "[4].

رحم الله أبا جعفر وأسكنه فسيح جناته، وجعل محنته التي ابتُليَ بها في ميزان حسناته، ونفعنا بعلمه المودع في مؤلفاته... آمين.

المطلب السادس: قيمة تفسيره عند العلماء.

تظهر قيمة تفسير الطبري من خلال كلام أئمة اللغة وعلماء التفسير فيه:

---

[1] ينظر القصة بتمامها: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين الذهبي، تح: عمر عبد السلام التدمري، ط:2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1413هـ – 1993م، 281/23، وينظر: تاريخ بغداد: 548/2.

[2] العلامة البارع ذو الفنون، صاحب الآداب والشعر والفرائض والفقه، أبو بكر محمد بن داود بن علي الظاهري، أخذ عن أبيه داود وورث مكانه في الإفتاء، وبسبب ما كان بين الطبري ووالده من مناظرات وسجالات علمية ورثها الابن بعد موت أبيه، ولم يعش إلا ثلاث وأربعين سنة، ومات سنة 297هـ، وعاش الطبري بعده ثلاثة عشر سنة، كلها محنة وبلاء بسبب تأليب صاحب الترجمة لعوام الحنابلة والظاهرية ضده، ولولا أن كلام الأقران يطوى ولا يروى لذكرتُ طرفا مما اختلفوا حوله من مسائل، ولكنه التقليد والتعصب اللذان وأدا مؤلفات أبي جعفر، بسبب حصاره في بيته ومنعه من إملاء مؤلفاته ونشر مروياته، ففات على الأمة الانتفاع بتلك النفائس والدرر. ينظر في ترجمة ابن داود: سير أعلام النبلاء: 109/13-110.

[3] البداية والنهاية: إسماعيل بن كثير، تح: عبد بن عبد المحسن التركي، ط:1، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، 1418هـ – 1997م، 849/14.

[4] المصدر نفسه: 848/14-849، بتصرف يسير.

قال عنه أبو عمر الزاهد[1]: " قابلت كتاب الطبري في التفسير من أوله إلى آخره، فما وجدتُ فيه حرفا واحدا خطأً في نحو ولا لغة "[2].

وقال أبو بكر ابن خزيمة[3] وقد استعار تفسير الطبري من أحد رفقائه وردّه إليه بعد سنتين: " قد نظرتُ فيه من أوله إلى آخره، وما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير "[4].

وقال عند تلميذه الفرغاني[5]: " فتمّ من كتبه كتاب تفسير القرآن... لو ادّعى عالم أن يصنّف منه عشرة كتب، كل كتاب منها يحتوي على علم مفرد عجيب مستقصى[6]، لفعل "[7].

---

[1] محمد بن عبد الواحد، أبو عمر الزاهد اللغوي، غلام ثعلب اللغوي الشهير، لم يُرى أحفظ منه قط وقد أملى ثلاثين ألف ورقة من حفظه، وثقه أهل الحديث، مات ببغداد سنة 345هـ. ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دط، المكتبة العصرية، صيدا، دت، 1/164-166.

[2] معجم الأدباء: ياقوت الحموي، 6/2453.

[3] محمد بن إسحاق، أبو بكر بن خزيمة، إمام الأئمة وحافظ السنن والآثار، صاحب كتاب (الصحيح) روى عنه البخاري ومسلم في غير صحيحيهما، وأدرك الطبري ومات بعده بسنة (311هـ) ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد بن العماد الحنبلي، تح: محمود الأرناؤوط، ط:1، دار ابن كثير، دمشق، 1406هـ – 1986م، 4/57.

[4] ينظر: تاريخ بغداد: 2/548، وسير أعلام النبلاء: 14/273.

[5] عبد الله بن أحمد بن جعفر، أبو محمد الفرغاني، الأمير العالم، حدّث بدمشق عن ابن جرير، وروى عنه الدارقطني وغيره، مات سنة362هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء: 16/133.

[6] وهذا من أعاجيب التوقعات، بل أحسب هذا من كرامات الفرغاني، ولا عجب فالإمام الفرغاني عارف بأسرار وكنوز جامع البيان، وما الدراسات الأكاديمية المتأخرة والكتب المؤلفة حول تفسير الطبري خير دليل على هذا الكلام، هذا فضلا عن تأثر المفسرين به، وكم ترك السابق للاحق، ولا زال هناك مجال للنظر في جامع البيان، ولعل الله ﷻ يكتب لمن سيأتي مستقبلا فيستخرج دررا وفوائد لم يُسبق إليها.

[7] تاريخ دمشق: علي بن الحسن الحافظ بن عساكر، تح: عمرو بن غرامة العمروي، دط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1415هـ – 1995م، 16/196.

وقال الخطيب البغدادي عن جامع البيان أثناء سرده لبعض مؤلفات ابن جرير: " وكتاب في التفسير لم يُصنّف أحد مثله "[1].

وقال ابن عطية في مقدمة تفسيره، وهو يسرد جهود من سبقه في التفسير: " ثم إن محمد بن جرير الطبري رحمه الله جمع على الناس أشتات التفسير، وقرب البعيد وشفى في الإسناد "[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وَأَما التفَاسِير التي فِي أَيدِي النَّاسِ فَأَصحها تَفْسِيرُ محمد بن جَرير الطبري، فَإِنَّهُ يَذْكُرُ مَقَالَاتِ السَّلَفِ بِالأَسَانِيدِ الثَّابِتَةِ وَلَيْسَ فِيهِ بِدْعَة وَلَا يَنْقُل عَن الْمُتهَمِين "[3].

وقال صاحب الإتقان، بعدما تكلم عن طبقات المفسرين: " فإن قلتَ: أي التفاسير ترشد إليه، وتأمر الناظر أن يعوّل عليه؟، قلتُ: تفسير الإمام أبي جعفر بن جرير الطبري، الذي أجمع العلماء المعتبرون على أنه لم يؤلف في التفسير مثله "[4].

هذه بعض مقالات علماء الأمة في تفسير الطبري حتى نستبين القيمة العلمية والتراثية لهذا السّفر العظيم، والمقام ليس مقام استيعاب وجمع لأقوالهم في جامع البيان، وإلا فمقدمات أصحاب التفاسير لا تخلو من إشارات فيها استحسان لصنيع أبي جعفر في تفسيره، وبيان فضله عمن جاء بعده، ولكن هذا اختصار تقتضيه التوطئة لتناول اختيارات الإمام الطبري في معاني الغريب، والله من وراء القصد.

---

[1] تاريخ بغداد: 550/2.

[2] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ، 42/1.

[3] مجموع الفتاوى: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تح: عبد الرحمن بن محمد بن القاسم، دط، مجمع الملك الفهد لطباعة المصحف، المصحف، المدينة المنورة، 1416هـ - 1995م، 385/13.

[4] الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي، تح: فواز أحمد زمرلي،ط:3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1419هـ، 476/2.

المبحث الثاني: غريب القرآن حتى عصر الإمام الطبري.

حتى نتناول اختيارات الإمام الطبري في معاني الغريب، يحتم علينا المنهج العلمي السليم، والتسلسل المنطقي للطرح المنهجي أن نعرف بمصطلحات الدراسة: الغريب – التفسير اللغوي – الاختيار، وما يتعلق بهذه المصطلحات من أمور ينبغي مراعاتها بين يدي هذه الدراسة.

المطلب الأول: تعريف الغريب.

الفرع الأول: الغريب لغة.

قال ابن منظور[1]: " الغريب الغامض من الكلام ، وكلمة غريبة وقد غربت فهي غامضة "[2].

والغربة : البعد عن الوطن ، يقال : غربت الدّار . ومن هذا الباب غروب الشمس ، كأنّه بعدها عن وجه الأرض[3].

فالغريب في لغة العرب يطلق على معنيين : الغموض . والبعد ، لذا يقول الإمام حمد بن محمد الخطابي البستي[4] : " الغريب من الكلام يقال به على وجهين : أحدهما أن يراد به أنّه بعيد المعنى غامضه ، لا

---

[1] هو محمد بن مكرم بن على جمال الدين بن منظور ، الإمام اللغوي الحجة ، مصريّ المولد والوفاة ، عرف بلسان العرب أشهر المعاجم اللغوية ، مات سنة 711هـ . أنظر الأعلام: خير الدين الزركلي، ط:15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، 108/7، وانظر: الدرر الكامنة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تح: محمد عبد المعيد ضان، ط:2، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، 1372هـ – 1972م، 107/2.

[2] لسان العرب : ابن منظور، مادة (غرب) ط:3، دار صادر، بيروت، 1414هـ، 640/1.

[3] معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس القزويني، مادة(غرب) تح: عبد السلام محمد هارون، ط:1، دار الفكر، بيروت، 1399هـ – 1979م، 421/4.

[4] هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستي الخطّابي ، الإمام العلاّمة الحافظ اللغوي ، أخذ الفقه على مذهب الشافعي له تصانيف منها : غريب الحديث . وشرح الأسماء الحسنى، مات سنة 388هـ، انظر سير أعلام النبلاء : للذّهبي 23/17-28.

يتناوله الفهم إلاّ عن بعد ومعاناة فكر ، والوجه الآخر : أن يراد به كلام من بعدت به الدّار من شواذّ قبائل العرب ، فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغربناها "[1].

وبنظر الأستاذ سمير مجذوب[2] أنّ المعنى الأخير هو المقصود بالقول غريب القرآن . وهذا غير مسلّم؛ لأنه جعل الغريب عبارة عن لغات القبائل المختلفة وهذا سبب من أسباب الغرابة وليس هذا كل الغريب ، وأهمل بذلك غرابة المعنى مع اتحاد مدلول الكلمة في لغات العرب . بل إنّ هذا هو السبب المباشر للغرابة ؛ لأن القرآن الكريم نزل بلغة أهل الحجاز في الغالب[3].

وقال أبو حيّان: " لغات القرآن العزيز على قسمين : قسم يكاد يشترك في معناه عامة المستعربة وخاصّتهم كمدلول السماء والأرض وفوق وتحت ، وقسم يختص بمعرفته من له اطّلاع وتبحر في اللغة العربية وهو الذي صنّف أكثر الناس فيه وسمّوه غريب القرآن "[4]. وقال الرّافعي: " في القرآن ألفاظ اصطلح العلماء على تسميتها بالغرائب؛ وليس المراد بغرابتها أنّها منكرة أو نافرة أو شاذة، فإنّ القرآن منزّه عن هذا جميعه، وإنّما اللفظة الغريبة هاهنا التي تكون حسنة مستغربة في التّأويل بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس "[5].

فالمقصود بالغريب إذن : غرابة المعنى وغموض المدلول بحيث يكون المعنى بعيدا لا يصل إليه إلاّ من له اطّلاع ومعرفة بلغة العرب.

الفرع الثاني: الغريب في اصطلاح علماء القرآن.

---

[1] نقلا عن كشف الظنون : لحاجي خليفة، دط، دار الفكر، بيروت، 1402هـ، 1203/2.

[2] محقق كتاب تحفة الأريب لأبي حيان، ستأتي الإحالة عليه بعدُ.

[3] انظر: البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي، تح: أبو الفضل الدمياطي، ط:1، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ – 2006م، ص204. وانظر: الصاحبي في فقه اللغة: أحمد بن فارس، ط:1، مكتبة المعارف، بيروت، 1414هـ، ص61.

[4] تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب : أبو حيان الأندلسي، تح: سمير مجذوب،ط:1، المكتب الإسلامي،1403هـ، ص40.

[5] تاريخ آداب العرب : للرّافعي، ت:محمد سعيد العريان، دار الكتاب العربي، بيروت، 1394هـ، 71/2.

قال الزّركشي في البرهان : " هو علم يبحث في المدلول ... وهو يتصيّد المعاني من السّياق ؛ لأنّ مدلولات الألفاظ خاصّة "[1].

وقال السّيوطي في الإتقان عند شرحه لحديث أبي هريرة ﷺ يرفعه " أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه "[2] قال : " المراد بإعرابه معرفة معاني ألفاظه وليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة "[3].

الفرع الثالث: تعريف التفسير اللغوي.

على أنّ هذا المصطلح كمركب إضافي لم يكن دارجا في عرف علماء التفسير القدامى ولا عند أئمة اللغة وأصحاب المعاجم المهتمين بالمصطلحات والتعريفات، ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الإمام الطبري كذلك لم يخرج عن هذا الإلف، فاستعمل كلمتيْ التفسير – واللغة منفردتين، ولم يضفْهما إلى بعضهما في موضع من تفسيره.

ولا أعرف أحدا سبق الدكتور مساعد الطيار في استعمال هذا المصطلح وبيان معناه؛ إذ يعرفه بقوله: " هو بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب والاستشهاد لذلك بما وصلنا من أشعارهم وأساليبهم وأوجه خطاباتهم التي نزل بها القرآن"[4].

المطلب الثاني: غريب القرآن قبل عصر الإمام الطبري.

بعث الله تعالى نبيّه محمد ﷺ، وأنزل عليه القرآن بلسان قومه حجة له عليهم، فلم يكن الصحابة رضوان الله عليهم يجدون عناء في فهم معاني القرآن - حتى وإن أقررنا وجود بعض الإشكال والغموض عندهم لبعض الكلمات – لكن سرعان ما يزول ذلك ببيان الرسول ﷺ، وذلك لسلامة لغتهم، وصفاء منطقهم، ومشاهدتهم القرائن التي تعتبر روافد لمعرفة معاني التنزيل.

---

[1] البرهان في علوم القرآن: ص204.

[2] أخرجه ابن أبي شيبة في مصنّفه، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في إعراب القرآن، 150/4، وكذلك الحاكم في المستدرك، باب: تفسير سورة الشعراء، 313/6 ، والبيهقي في الشعب، باب: أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه، 306/5، وأبو يعلى الموصلي في مسنده، باب: أعربوا القرآن، 309/4.

[3] ينظر الإتقان: 372/1.

[4] التفسير اللغوي للقرآن الكريم: مساعد الطيار، ط:1، دار ابن الجوزي، الرياض، 1422هـ، ص38-39.

نقل صاحب كشف الظنون[1] عن الحافظ ابن الأثير قوله: " واستمر عصره، إلى حين وفاته عليه الصلاة السلام، وجاء عصر الصحابة جاريا على هذا النمط، فكان لسان العربي عندهم صحيحا، لا يتداخله الخلل، إلى أن فتحت الأمصار، وخالط العرب غير جنسهم، فامتزجت الألسن، ونشأ بينهم الأولاد، فتعلموا من اللسان العربي ما لا بد لهم في الخطاب، وتركوا ما عداه، وتمادت الأيام إلى أن انقرض عصر الصحابة. وجاء التابعون: فسلكوا سبيلهم، فما انقضى زمانهم إلا واللسان العربي قد استحال أعجميا. فلما أعضل الداء، ألهم الله سبحانه وتعالى جماعة من أهل المعارف، أن انصرفوا إلى هذا الشأن طرفا من عنايتهم، فشرعوا فيه حراسة لهذا العلم الشريف "[2].

من خلال كلام الحافظ ابن الأثير، نستطيع أن نقسم المراحل التي مر بها غريب القرآن إلى عصر الإمام الطبري إلى ثلاث مراحل: الغريب في حياة الرسول ﷺ – الغريب في عصر الصحابة ﷺ والتابعين لهم بإحسان – الغريب في عصر التدوين.

الفرع الأول: الغريب في حياة الرسول ﷺ.

لا يشك أحد في أن النبي ﷺ قد بلّغ وبيّن، بلّغ ما أمره الله بتبليغه، وبيّن ما أمره الله بتشريعه، ويدخل في ذلك: بيان معاني ما استغلق من ألفاظ القرآن الكريم، وما غمض من غريب كلماته[3].

وقد ختم الإمام السيوطي كتابه الإتقان بمبحث التفسير المرفوع إلى النبي ﷺ، فذكر في قرابة مئة صفحة[4] الأحاديث المصرح برفعها والتي حوت بيان لمعاني كلمات وتراكيب القرآن، ويعتبر هذا

---

[1] الكلام لمصطفى بن عبد الله المعروف بحاجي خليفة صاحب كتاب (كشف الظنون) وقد لخصه من كتاب ابن الأثير (النهاية في غريب الحديث والأثر) ووقفتُ على كلام ابن الأثير في مقدمة كتابه، فألفيتُ الإمام حاجي خليفة حذف الاستطرادات واختصر الإطنابات، فكان كلامه على تصرفه فيه مستوفيا المقصود فجزاه الله خيرا.

[2] كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله المعروف بحاجي خليفة، دط، دار إحياء التراث، بيروت، 1941م، 1207/2، وينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين ابن الأثر، تح: طاهر أحمد الزاوي – محمد محمود الطناحي، دط، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ – 1979م، 5/1.

[3] ينظر: غريب القرآن في عصر الرسول ﷺ والصحابة والتبعين: عبد العال سالم مكرم، ط:1، علم الكتب، القاهرة، 143هـ – 2009م، ص77.

[4] ينظر الإتقان في علوم القرآن: 477/2–571.

التفسير النبوي اللبنة الأولى لتفسير غريب القرآن، والذي عليه المعول فيما يذهب إليه المفسرون من اختيارات[1].

الفرع الثاني: الغريب في زمن الصحابة ﷺ والتابعين لهم بإحسان.

وبعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، احتكم الصحابة في فهم ألفاظ القرآن إلى لغة العرب؛ ولكونهم عربا أقحاحا يعرفون منطق العرب وسنن كلامهم، لم يكابدوا عناء في الرجوع للغة العرب من أجل الاستشهاد لمعاني غريب القرآن[2].

ويشهد لمسلك تفسير الصحابة للغريب بما عرفوه من لغة العرب، ما أخرجه الإمام السيوطي بسنده إلى ابن عباس في إجاباته عن مسائل نافع بن الأزرق[3]، فكان نافع يسأل عن معنى الكلمة من القرآن ويُجيب ابن عباس ويستشهد لمعنى ما يقول من شعر العرب المحتج به، فذكر نحو مئتيْ سؤال واستشهد ابن عباس بنحو مئتيْ بيتٍ[4]، كل هذا يدل على علم الصحابة عموما بمعاني غريب القرآن، وعلم ابن عباس خصوصا به.

وجاء التابعون، فورثوا علم الصحابة بغريب القرآن، فبرع الإمام مجاهد بمكة، والحسن البصري وقتادة بالبصرة، والشعبي بالكوفة، وابن زيد بالمدينة، فكان هؤلاء رواد علماء الغريب من التابعين، ويظهر ذلك جليا في أقوالهم المروية في كتب التفسير بالمأثور[5].

---

[1] ينظر: فتح القدير الجامع بين فنيْ الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي الشوكاني، تح: عبد الرحمن عميرة، ط:3، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، 1426هـ – 2005م، 70/1.

[2] ينظر مقدمة تحقيق: غريب القرآن: مصطفى بن حنفي الذهبي، تح: عادل السيد الزعبي، ط:1، دار اليقين للنشر والتوزيع، المنصورة، 1428هـ – 2007م، ص20، بتصرف يسير.

[3] نافع بن الأزرق الحروري، رأس الخوارج، وإليه تنسب فرقة الأزارقة، خرج في آخر خلافة يزيد بن معاوية، وأثخن القتل بأهل البصرة من الصبيان والنساء، وقتل في جمادى الآخرة سنة 65هـ، ينظر: لسان الميزان: ابن حجر، 246/8.

[4] ينظر الإتقان في علوم القرآن: 389/1-417.

[5] ينظر: تفسير التابعين عرض ودراسة مقارنة: محمد الخضيري، دط، دار الوطن، الرياض، دت، ص681-688.

وذكر الزركشي عن مجاهد قال: " لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله؛ إذا لم يكن عالما بلغات العرب "[1].

وكمثال على علم السلف بالغريب عموما، وعلم التابعين على وجه الخصوص به والاحتكام إلى اللغة في معانيه، ما رواه ابن جرير في معنى الطلح في سورة الواقعة، حيث ذكر عن أئمة السلف أنهم فسروه بالموز، ولم يبيّن أحد من السلف وجه هذا التفسير اللغوي غير ابن زيد[2]، حيث لما سئل عن الآية قال: " الله أعلم، إلا أن أهل اليمن يسمون الموز الطلح "[3]. وقد زعم صاحب مجاز القرآن أن العرب لا تعرف الطلح بمعنى الموز؛ وإنما هو عندهم نبات كثير الشوك[4]، ولا نسلم لأبي عبيدة بهذا، فقد نقل هذا المعنى أحد رواة اللغة الثقات وهو ابن زيد، ولعل هذا من المعاني التي أخذها أصحاب الغريب والمعاجم من أئمة السلف، وليس لهم في ذلك سند سواهم[5].

الفرع الثالث: الغريب في عصر التدوين.

بعد انقضاء طبقة التابعين، واتساع رقعة الدولة الإسلامية بالفتوحات، ومخالطة العرب أجناسا أخرى كالروم والفرس والنبط والبربر، دخلت العجمة لغة العرب، فقيّض الله علماء أجلاء لحراسة لغة القرآن، فانبرؤا للتأليف في الغريب، وهذا سرد لأغلب من ألف في الغريب من علماء تلك القرون، ذاكرا تواريخ وفياتهم في المتن، كونهم من المشهورين بين طلاب العلم، وحتى لا يثقل الهامش بكثرة التراجم.

---

[1] البرهان في علوم القرآن: ص205.

[2] هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني، قال عنه الذهبي: صاحب قرآن وتفسير وجمع تفسيرا في مجلد وكتابا في الناسخ والمنسوخ، توفيّ سنة 182هـ. انظر: السير: للذهبي، 349/8.

[3] جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري، دط، دار ابن حزم، بيروت، 1434هـ – 2013م، مج13/ جز27/ ص223.

[4] مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى، تح: محمد فؤاد سزكين، ط:1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1381هـ، 250/2.

[5] ينظر: معاني القرآن: أحمد بن محمد أبو جعفر النحاس، تح: محمد علي الصابوني، دط، منشورات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1409هـ، 402/4. وانظر التفسير اللغوي: ص564-569.

وأول من نسب إليه تأليف من أعيان القرن الثاني الهجري، الإمام زيد بن علي بن الحسين المعروف بزين العابدين (ت122هـ) وكان شاعرا مفوّها، وأبان بن تغلب بن رباح البكري (ت141هـ) وعلي بن حمزة الكسائي القارئ (ت189هـ) وأبو فيد مؤرج السدوسي (ت195هـ).

وجاء القرن الثالث الهجري، وكان أغزر القرون خصوبة في التأليف في الغريب، فألف فيه يحيى بن المبارك اليزيدي (ت202هـ) والنضر بن شميل الإمام اللغوي الحجة (ت203هـ) وأبو علي قطرب تلميذ سيبويه (ت206هـ) ويحي بن زياد الفراء الكوفي صاحب معاني القرآن (ت207هـ) وأبو عبيدة معمر بن المثنى صاحب مجاز القرآن (ت210هـ) والأصمعي (ت210هـ) وأبو عمرو الشيباني (ت210هـ) والأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة صاحب معاني القرآن (ت215هـ) وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ) وابن قتيبة الدينوري صاحب تفسير غريب القرآن (ت286هـ)[1].

وهؤلاء الأئمة كلهم قبل الإمام الطبري – وإن عاصر بعضهم – ويعتبرون جميعا من مصادر الطبري في الغريب واللغة، وهم المعنيون إذا أطلق بقوله: قال أهل العلم بلغة العرب أو ما شابه ذلك من العبارات التي لا يسند فيها القول لقائله، وهذا صنيعه في أغلب تفسيره. وربما عبّر بالمدرسة التي ينتمي إليها الإمام، فيقول: قال أهل البصرة أو قال أهل الكوفة[2].

ثم تأتي طبقة الإمام الطبري، وأول هؤلاء المفضل بن سلمة (ت308هـ) وابن دريد اللغوي (ت321هـ) ونفطويه الإمام الحجة (ت323هـ) ومحمد بن عزيز السجستاني صاحب نزهة القلوب (ت330هـ) وأبو عمر الزاهد الراوي الحافظ (ت345هـ).

وهؤلاء عاصروا الطبري في حياته وهم من أقرانه – وإن كان الطبري يكبر بعضهم – وإنما دعاني إلى اعتبارهم من طبقة الإمام الطبري كونه عليه رحمة الله عاش عشر سنين في القرن الرابع الهجري.

---

[1] قال الشيخ حسين الحربي: إن أغلب كتب الغريب هذه مفقودة، يضاف إلى ذلك عدم تصريح الطبري بمصدر النقل أو إبهام القائل، مما يصعب من مهمة الدارسين لمنهج الإمام الطبري اللغوي والتفسيري. ينظر: منهج الإمام بن جرير الطبري في الترجيح: حسين بن علي الحربي، ط:1، دار الجنادرية للنشر والتوزيع، عمان، 1429هـ – 2008م، ص13.

[2] المرجع نفسه: ص13-14.

ثم توالت القرون وكثرت التصانيف في الغريب حتى قال السيوطي: " أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصوْن "[1].

وإنما توقفت عن سرد المؤلفات المتوالية عبر القرون، كونها خارجة عن نطاق البحث، واكتفيتُ بمن سبق الإمام الطبري كي أظهر مدى تأثر الطبري بمن سبقه[2]، وأما من جاء بعده فهذا حدُّ بحث آخر قام به الشيخ عبد الله بن عواد الجهني في رسالته الموسومة ((غريب القرآن عند الإمام الطبري في تفسيره دراسة نظرية تطبيقية موازنة))[3] فقد قام الشيخ بمحاولة إبراز مدى تأثير الطبري فيمن جاء بعده من علماء الغريب والتفسير.

المطلب الثالث: عناية الإمام الطبري بالاختيار في معاني الغريب.

رسم الإمام الطبري منهجه التفسيري اللغوي القائم أساسا على الاختيار بين المعاني والترجيح بين الأقوال؛ حيث قال في مقدمة تفسيره: " ونحن في شرح تأويله، وبيان ما فيه من معانيه منشئون ـ إن شاء الله ـ ذلك، كتابًا مستوعِبًا لكل ما بالناس إليه الحاجة من علمه جامعًا، ومن سائر الكتب غيره في ذلك كافيًا. ومخبرون في كل ذلك بما انتهى إلينا من اتفاق الحجة فيما اتفقت عليه منه، واختلافها فيما اختلفت فيه منهُ. ومُبيِّنو عِلَل كل مذهب من مذاهبهم، ومُوَضِّحو الصحيح لدينا من ذلك، بأوجز ما أمكن من الإيجاز في ذلك، وأخصر ما أمكن من الاختصار فيه "[4].

فالقول المجمع عليه بين الحجة من أهل التأويل لا محيد عنه عنده، وأما في حال اختلافهم وتباين آرائهم في معاني القرآن عموما والغريب خصوصا، أعمل الطبري فكره وأدخل قرائنه ومرجحاته، وناقش الأقوال والمعاني واختار ما رآه أنسب وأجدر بمقصود الله من كلامه، وقبل أن نبيّن ألفاظ الاختيار عند الطبري ومراتبه، لا بأس أن نعرف أولا الاختيار لغة واصطلاحا، ونبيّن علاقته بالترجيح.

---

[1] الإتقان: 370/1.

[2] ولعلي أفصل ذلك أكثر إذا انتهيتُ إلى مصادره من كتب الغريب، وذلك في الفصل الموالي، ينظر ص 123 وما بعدها.

[3] لم أقف على هذه الرسالة بكاملها، وإنما قرأت مقدمتها وملخصها وفهرس موضوعاتها، فتشكل عندي تصور عن محتواها، وسعيتُ جهدي للحصول عليها ولكن دون جدوى.

[4] جامع البيان: 7/1.

الفرع الأول: تعريف الاختيار لغة واصطلاحا.

أولاً: لغةً.

قال في معجم مقاييس اللغة: " الخاء والياء والراء، أصله العطف والميل، فالخير خلاف الشرّ؛ لأن كل واحد يميل إليه ويعطف على صاحبه "[1].

وقال في الصحاح: " الاختيار: الاصطفاء... وخيّرته بين الشيئين، أي فوضتُ إليه الخيار "[2].

وقال في اللسان: " خار الشيء واختاره: انتقاه "[3].

وقال في القاموس: " خار الله لك في الأمر: جعل لك فيه الخير "[4].

فالمعنى اللغوي للاختيار يدور حول: الميل إلى خير الأشياء، وانتقاء واصطفاء أحسنها.

ثانيا: اصطلاحا.

عرف بعدة تعاريف في كتب المصطلحات:

فقال في الفروق اللغوية: " الاختيار: إرادة الشيء بدلا من غيره... وأصل الاختيار: الخير، فالمختار هو المريد لخير الشيئين "[5].

---

[1] معجم مقاييس اللغة: 232/2.

[2] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط:4، دار العلم للملايين، بيروت، 1407هـ – 1986م، 652/2.

[3] لسان العرب: 265/4.

[4] القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تح: محمد نعيم العرقسوسي، ط:8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1426هـ – 2005م، 389/1.

[5] الفروق اللغوية: الحسن أبو هلال العسكري، تح: بيت الله بيات، ط:1، مؤسسة النشر الإسلامي، بيروت، 1412هـ، 28.

وقال في الكليات: " الاختيار: الإرادة، مع ملاحظة ما للطرف الآخر، كأن المختار ينظر إلى أحد الطرفين ويميل إلى أحدهما "[1].

والاختيار عند الفقهاء: ترجيح الشيء، وتخصيصه وتقديمه على غيره[2].

وأما الاختيار في التفسير عموما: فهو الميل إلى أحد الأقوال في تفسير الآية، مع تصحيح جميع الأقوال[3].

أما الاختيار في معاني الغريب: فهو ميل المفسر إلى معنى من المعاني لقرينة من القرائن أو مسوّغ من المسوغات، مع ملاحظة أن باقي المعاني قد تصح من وجهة نظر أخرى[4].

ثالثا: الفرق بين الاختيار والترجيح[5].

بناء على ما سبق، يمكن استنتاج الفرق بين الترجيح والاختيار:

---

[1] الكليات: أيوب بن موسى أبو البقاء الكفوري، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، ط:2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ – 1998م، 62.

[2] التعريفات الفقهية: محمد عميم الإحسان، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ – 2003م، 20.

[3] ينظر: منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح: حسين الحربي، 57.

[4] وهذا ما يفسر اختلاف المفسرين في المعنى المختار لبعض كلمات القرآن، ينظر على سبيل المثال تعقبات الشوكاني لمن سبقه من أئمة التفسير، ومنهم ابن جرير والواحدي والماوردي والزمخشري والرازي: فتح القدير: 186/1، 308، 173/3، 401/4، 561/5، 623.... الخ.

[5] على أن متأخري المفسرين يستخدمون هذين المصطلحين كالمترادفين، فيقول أحدهم: وهذا اختيار فلان، أو: ورجح فلان هذا، وبعد تتبعي لصنيع الإمام الطبري في اختياراته في الغريب، أرى أن يعبّر بالترجيح في التعامل مع أقوال المفسرين؛ لأن فيها الشاذ والخارج عن الإجماع، أما الاختيار: فأرى أن يخصص بالمذاهب اللغوية والفقهية المعتبرة، وضابط الاعتبار مهم؛ كون غير المعتبر لا يدخل في حيز الاختيار.

فالترجيح يعني: رجحان الطرف الآخر، من قول أو مذهب أو معنىً، فيشمل رد الأقوال الضعيفة والشاذة والمنكرة، أما الاختيار فلا يعني هذا، فالمختار لقول أو معنى ليس يهمل باقي الأقوال أو المعاني، وإنما يقدّمها ويراها الأولى بالصواب[1].

فبينهما عموم وخصوص، فكلّ اختيار ترجيح، وليس العكس؛ لأن الاختيار أخص والترجيح أعم لما بيّنتُ من العلة. وهذا المعنى للاختيار ظاهر في صنيع الإمام الطبري، حال ميله إلى الأولى بالصواب في معاني الغريب، وهذا المفهوم من معنى كلامه عليه رحمة الله[2].

الفرع الثاني: ألفاظ الاختيار عند الإمام الطبري.

على أن ألفاظ الاختيار في معاني الغريب عند الإمام الطبري متشعبة ومتكررة، بل لا تكاد تخلو آية من أحد هذه الألفاظ، وبعد تتبع اختيارات الإمام الطبري في معاني الغريب، حصرتُ ألفاظ اختياراته اللغوية فيما يلي[3]:

أولا: التصريح بتصويب أو تصحيح أحد الأقوال، أو بكونه أولى بالصواب[4].

- والصواب من القول في ذلك...
- وذلك هو الصواب عندنا...
- أقرب وأشبه الأقوال بالصواب...

---

[1] ينظر: منهج الإمام بن جرير الطبري في الترجيح: للحربي، ص58، بتصرف يسير.

[2] المرجع نفسه: ص58، بتصرف.

[3] استفدتُ من جهد الشيخ حسين الحربي في تقسيمه لألفاظ الترجيح عند الطبري، حيث توسع فيها وذكر ألفاظا زائدة عن حدود عملي، وقابلتُ هذه الألفاظ المستفادة من جهد الشيخ على ما جمعته من ألفاظ اختيارات الطبري اللغوية في الغريب، فحصرتُ هذه الألفاظ في العناصر المبيّنة، وسأحيل على بعض الأمثلة من جامع البيان مقيّدا ذلك بالطبعة المعتمدة في البحث.
ينظر: منهج الإمام بن جرير الطبري في الترجيح: للحربي، ص61-65.

[4] ينظر على سبيل المثال: جامع البيان: مج1/ جز1/ ص152، ص254، ص422، مج2/ جز2/ ص101، 174، مج4/ جز6/ ص132، ص285، ص475.... ولا تكاد تخلو آية من هذه العبارة.

- وأولى الأقوال في ذلك بالصحة...
- وأولى الأقوال في ذلك بالصواب...

ثانيا: وصف المعنى المختار بكونه الأغلب في معنى اللفظ، أو الظاهر أو المعروف من معنى الخطاب[1].

- وهذا هو الأغلب في معنى اللفظ...
- الأغلب من ظاهر المعنى...
- وظاهر دلالة اللفظ...
- الأظهر من ظاهر الكلام...
- الأولى بظاهر التنزيل...

ثالثا: التصريح باختيار أحد الأقوال، أو بكونه أحبّ الأقوال إليه[2].

- وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك...
- والذي نقول به في ذلك...
- وهذا القول أحبّ إليّ...
- وهذا القول أعجب إليّ...

رابعا: وصف القول بأنه أشبه بمعنى الآية، أو أشبه بمذاهب العربية[3].

---

[1] ينظر على سبيل المثال: جامع البيان: مج3/ جز3/ ص88، ص346، مج7/ جز12/ ص46، ص107، مج11/ جز20/ ص85، ص179.... والأمثلة على هذه الصيغة لا تُحصى.

[2] ينظر على سبيل المثال: جامع البيان: مج2/ جز2/ ص195، ص309، مج3/ جز4/ ص102، مج8/ جز14/ ص192... وهناك أمثلة أخرى على هذه العبارة ترد في فصول البحث.

[3] ينظر على سبيل المثال: جامع البيان: مج4/ جز5/ ص349، ص374، جز6/ ص69، مج15/ جز30/ ص11.... وتأتي أمثلة أخرى في ثنايا فصول الدراسة.

- وهذا أشبه بمعنى الآية...
- وهذا أشبه الأقوال بما دلّ عليه ظاهر التنزيل...
- وهذا أشبه بمذاهب العربية...

خامسا: وصف أحد الأقوال بكونه له وجها معروفا أو مذهبا صحيحا، أو بكونه غير بعيد من الصواب، وإن كان غيره أولى منه بتفسير الآية[1].

- وهذا القول وإن كان مذهبا يحتمله الكلام...
- وهذا وإن كان وجها له مخرج...
- قول غير بعيد من الحق...
- وهذا قول غير مدفوع صحته...

سادسا: وصف القول بأنه مخالف لظاهر كتاب الله، أو لإجماع الحجة من أهل التأويل، أو للغة العرب[2].

- فلا صواب لغة أصابوا...
- وهذا قول لقول جميع أهل التأويل مخالف...
- قول لمعاني كلام العرب مخالف...

سابعا: وصف القول بأنه لا معنى له، أو لا وجه له[3].

---

[1] ينظر على سبيل المثال: جامع البيان: مج1/ جز1/ ص142، مج2/ جز2/ ص422، مج3/ جز3/ ص17، ص270، مج7/ جز12/ ص59، ص92...وتأتي أمثلة أخرى في ثنايا البحث.

[2] ينظر على سبيل المثال: جامع البيان: مج1/ جز1/ ص164، ص177، ص192، مج7/ جز12/ ص258... وأمثلة أخرى تأتي في ثنايا هذه الدراسة.

[3] ينظر على سبيل المثال: جامع البيان: مج7/ جز12/ ص245، ص250، ص256، ص247، مج2/ جز2/ ص629... وتأتي أمثلة أخرى كثيرة عن هذه العبارة في صفحات البحث.

- وهذا القول لا معنى له...
- وذلك ما لا وجه له يفهم في لغة أحد من العرب...
- ليس لهذا القول معنى مفهوم...

ثامنا: التصريح بعدم اختيار القول، أو بكون غيره أولى بالصواب منه[1].

- وهذا القول وإن كان له وجه، فليس بالقول المختار...
- وهذا تأويلٌ، غيره من التأويل أولى عندي بالصواب..

تاسعا: تصدير القول بـ "زعم" الدالة على تضعيف المعنى، واختيار المعنى الآخر[2].

- وقد زعم بعض أهل البصرة...
- وقد زعم بعض من لا علم له بلغة العرب...
- وقد زعم بعض من لا علم له بتأويل السلف....

الفرع الثالث: مراتب الاختيار عند الإمام الطبري.

والمقصود بهذا العنصر كيفية تعامل الإمام الطبري مع الغريب في حال تعدد معناه، أو بعبارة أخرى صنيع الإمام الطبري في الاختيار إذا تعددت معاني الغريب.

وبعد استقرائي لاختيارات الإمام الطبري في معاني الغريب، وجدت سلوكه في التعامل مع الغريب لا يخرج عن هذه المراتب:

---

[1] ينظر على سبيل المثال: جامع البيان: مج1/ جز1/ ص180، مج8/ جز13/ ص69، ص114، مج13/ جز27/ ص53... وأمثلة أخرى تأتي في ثنايا الدراسة.

[2] ينظر على سبيل المثال لا الحصر جامع البيان: مج1/ جز1/ ص163، مج4/ جز5/ ص248، مج7/ جز12/ ص53، مج15/ جز30/ ص18... وأمثلة أخرى لا تحصى تأتي في ثنايا صفحات البحث.

أولا: التوقّف في معنى الغريب[1].

فعند قوله تعالى ﴿ وَلاَ تَطْرُدِ ٱلذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ [الأنعام:53] ذكر ثلاثة معان للدعاء في هذا الموضع، الأول: إقامة الصلوات الخمس، والثاني: ذكر الله تعالى، والثالث: دعاؤهم كان بتعلّم القرآن وقراءته، والرابع: دعاؤهم كان بعبادتهم الله بوجه عام، ثم توقف في اختيار المعنى المراد من الدعاء فقال: " والدعاء لله يكون بذكره وتمجيده والثناء عليه قولا وكلامًا، وقد يكون بالعمل له بالجوارح الأعمالَ التي كان عليهم فرضُها، وغيرُها من النوافل التي ترضي عن العامل له عابدَه بما هو عامل له. وقد يجوز أن يكون القوم كانوا جامعين هذه المعاني كلها، فوصفهم الله بذلك بأنهم يدعونه بالغداة والعشي... ولا قول أولى بذلك بالصحة، من وصف القوم بما وصفهم الله به: من أنهم كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشي، فيعمُّون بالصفة التي وصفهم بها ربهم، ولا يخصُّون منها بشيء دون شيء "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ أَوَ لاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِے كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً اَوْ مَرَّتَيْنِ ﴾ ؟[التوبة:127] ذكر اختلاف المفسرين في فتنة المنافقين مرة أو مرتين، وما المقصود بذلك، فقال بعضهم: ذلك اختبار الله إياهم بالقحط والشدة، وقال آخرون: بل معناه أنهم يختبرون بالغزو والجهاد، وقال فريق آخر: بل ذلك افتتانهم بالأكاذيب والأراجيف التي يبثها المشركون، ثم توقّف الطبري في ذلك فقال: " وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: إن الله عجَّب عبادَه المؤمنين من هؤلاء المنافقين، ووبَّخ المنافقين في أنفسهم بقلّة تذكرهم، وسوء تنبههم لمواعظ الله التي يعظهم بها.... ولا خبر يوجب صحةَ بعض ذلك دون بعض، من الوجه الذي يجب التسليم له. ولا قول في ذلك أولى بالصواب من التسليم لظاهر قول الله "[3].

---

[1] توخيا للاختصار نحيل على مواطن أخرى توقف فيها الطبري لعدم وجود حجة أو عدم وضوح وجه الاختيار، ينظر نماذج أخرى من جامع البيان: مج1/ جز1/ ص414، ص587، ص720، مج2/ جز2/ ص814، مج5/ جز7/ ص7، مج6/ جز9/ ص53، مج7/ جز12/ ص221، ص258، مج9/ جز15/ ص163.

[2] المصدر نفسه: مج5/ جز7/ ص258، بتصرف.

[3] المصدر نفسه: مج7/ جز11/ ص97، بتصرف.

وعند قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ [يوسف:24] ذكر الطبري أقوال السلف في معنى البرهان في هذا الموضع، فقال بعضهم: سمع صوتا ينهاه عن الخطيئة، وقال آخرون: رأى صورة يعقوب عليه السلام يتوعده، وقال آخرون: سمع وعيد الله لمن زنا، وقال فريق آخر: بل رأى تمثال الملك، ثم قال الطبري متوقفا في معنى ذلك: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله جل ثناؤه أخبر عن همِّ يوسف وامرأة العزيز كل واحد منهما بصاحبه، لولا أن رأى يوسف برهان ربه، وذلك آيةٌ من الله زجرته عن ركوب ما همَّ به يوسف من الفاحشة، وجائز أن تكون تلك الآية صورة يعقوب، وجائز أن تكون صورة الملك، وجائز أن يكون الوعيد في الآيات التي ذكرها الله في القرآن على الزنا، ولا حجة للعذر قاطعة بأيِّ ذلك كان من أيٍّ. والصواب أن يقال في ذلك ما قاله الله تبارك وتعالى، والإيمان به، وترك ما عدا ذلك إلى عالمه "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد:8] ذكر أربعة معاني للهاد في هذا الموضع، الأول: الله، والثاني: نبيّ، الثالث: قائد يقودهم، الرابع: داعٍ يدعوهم، ثم قال متوقفا: " وقد بينت معنى الهداية، وأنه الإمام المتبع الذي يقدُم القوم. فإذ كان ذلك كذلك، فجائز أن يكون ذلك هو الله الذي يهدي خلَقه ويتَّبع خلقُه هداه ويأتمون بأمره ونهيه. وجائز أن يكون نَبِيَّ الله الذي تأتمُّ به أمته. وجائز أن يكون إمامًا من الأئمة يُؤْتَم به، ويتّبع منهاجَه وطريقته أصحابُه. وجائزٌ أن يكون داعيًا من الدعاة إلى خيرٍ أو شرٍّ. وإذ كان ذلك كذلك، فلا قول أولى في ذلك بالصواب من أن يقال كما قال جل ثناؤه: إن محمدًا هو المنذر من أرسل إليه بالإنذار، وإن لكل قوم هاديًا يهديهم فيتّبعونه ويأتُّون به "[2].

ثانيا: ذكر المعاني المُحتَمَلة في الغريب والسكوت عنها وعدم الاختيار[3].

[1] المصدر السابق: مج7/ جز12/ ص239.

[2] المصدر نفسه: مج8/ جز13/ ص139.

[3] للاستزادة من نماذج سكوت الطبري بعد إيراده المعاني المحتملة في الغريب، ينظر جامع البيان: مج3/ جز3/ ص429-432، مج6/ جز10/ ص147، مج8/ جز13/ ص47، ص186-190، ص319، جز14/ ص17.

وهذا إذا لم يتضح له وجهه بخبر يقطع العذر أو قرينة تدل على المراد إذا تعددت المعاني في الغريب.

وعند قوله تعالى ﴿ وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ ﴾ [آل عمران:118] ذكر معنيين لكلمة (عنتّم) وسكت ولم يقل شيئا حيث قال: " واختلفوا في تأويل قوله: (ودّوا ما عنِتُّم) فقال بعضهم معناه: ودوا ما ضللتم عن دينكم... وقال آخرون: معناه: ودوا ما شُقّ عليكم في دينكم "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَيَاتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ ﴾ [آل عمران:125] ذكر معنيين للفور، ثم ذكر أصل استعمالها لغة وسكت ولم يختر أحدهما على الآخر فقال: " وأما قوله: ويأتوكم من فورهم هذا، فإنّ أهل التأويل اختلفوا فيه. فقال بعضهم: معنى قوله: من فورهم هذا: من وجههم هذا... وقال آخرون: معنى ذلك: من غضبهم هذا... وأصل الفوْر: ابتداء الأمر يؤخذ فيه، ثم يوصل بآخر، يقال منه: فارت القدرُ فهي تفور فورًا وفورانًا: إذا ابتدأ ما فيها بالغليان ثم اتصل. ومضيت إلى فلان من فوْري ذلك: يراد به: من وجهي الذي ابتدأت فيه "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء:77] ذكر معنيين لقوله (بروج مشيّدة) وسكت ولم يعلق عليهما، فقال: " واختلف أهل التأويل في معنى قوله: (ولو كنتم في بروج مشيدة): فقال بعضهم: يعنى به: قصور مُحصنة... وقال آخرون: معنى ذلك: قصورٌ بأعيانها في السماء "[3].

وعند قوله تعالى ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكاً ﴾ [المائدة:22] ذكر ثلاثة معاني لمعنى الملوك في هذا الموضع وسكت، فقال: " قيل: إنما قال ذلك لهم موسى؛ لأنه لم يكن في ذلك الزمان أحدٌ سواهم يخدُمه أحد من بني آدم... وقال آخرون: كل من ملك بيتًا وخادمًا وامرأةً، فهو ملك كائنًا من كان من الناس... وقال آخرون: إنما عنى بقوله: ((وجعلكم ملوكًا)) أنهم يملكون أنفُسَهم وأهلِيهم وأموالهم "[4].

---

[1] المصدر السابق: مج3/ جز4/ ص80، بتصرف.

[2] المصدر نفسه: مج3/ جز4/ ص102-103، بتصرف.

[3] المصدر نفسه: مج4/ جز5/ ص226-227، بتصرف.

[4] المصدر نفسه: مج4/ جز6/ ص219-221، بتصرف.

وعند قوله تعالى ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ [الأنعام:112] أورد قراءة جمهور القراء في حرف (قُبُلا) بضم القاف والباء، وذكر لها ثلاثة معاني من حيث اللغة، وسكت ولم يبيّن أوْلاها بالاختيار، بل بيّن أن كل واحد من هذه المعاني قد قال به بعض أهل التأويل وأسند القول إليهم في ذلك، حيث قال: " وإذا قرئ كذلك كان له من التأويل ثلاثة أوجه: أحدها أن يكون القُبُل جمع قبيل، كالرُّغُف التي هي جمع رغيف، والقُضُب التي هي جمع قضيب، ويكون القُبُل: الضمناء والكفلاء... والوجه الآخر: أن يكون القُبُل بمعنى المقابلة والمواجهة، من قول القائل: أتيتُك قُبُلا لا دُبُرًا، إذا أتاه من قبل وجهه. والوجه الثالث: أن يكون معناه: وحشرنا عليهم كل شيء قبيلةً قبيلةً، صنفًا صنفًا، وجماعةً جماعةً، فيكون القُبُل حينئذ جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة، فيكون القبل جمع الجمع. وبكل ذلك قد قالت جماعة من أهل التأويل "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة:29] ذكر اختلاف السلف في معنى الصغار في هذا الموضع، وسكت ولم يختر أو يعلق على هذه المعاني، حيث قال: " واختلف أهل التأويل في معنى الصغار الذي عناه الله في هذا الموضع. فقال بعضهم: أن يعطيها وهو قائمٌ، والآخذ جالسٌ... وقال آخرون: معنى قوله: ((حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)): عن أنفسهم، بأيديهم يمشون بها، وهم كارهون...، وقال آخرون: إعطاؤهم إياها، هو الصغار "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف:50] ذكر احتمالين في معنى الربّ في هذا الموضع، وسكت ولم يختر حيث قال: " وقوله: ((إن ربي بكيدهن عليم)) يقول: إن الله تعالى ذكره ذو علم بصنيعهن وأفعالهن التي فعلن بي ويفعلن بغيري من الناس، لا يخفى عليه ذلك كله، وهو من وراء جزائهن على ذلك. وقيل: إن معنى ذلك: إن سيدي إطفير العزيز، زوج المرأة التي راودتني عن نفسي، ذو علم ببراءتي مما قرفتني به من السوء "[3].

---

[1] المصدر السابق: مج5/ جز8/ ص6، بتصرف.
[2] المصدر نفسه: مج6/ جز10/ ص139، بتصرف.
[3] المصدر نفسه: مج7/ جز12/ ص293-294.

وعند قوله تعالى ﴿ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ [الرعد:11] ذكر معنيين لكلمة السارب وسكت، حيث قال: " يقول: وظاهر بالنهار في ضوئه، لا يخفى عليه شيء من ذلك. سواء عنده سِرُّ خلقه وعلانيتهم؛ لأنه لا يستترّ عنده شيء ولا يخفى. يقال منه: سَرَبَ يَسْرَبُ سُرُوبًا: إذا ظهر، كما قال قيس بن الخطيم[1]:

أَنَّى سَرَيْتِ وَكُنْتِ غَيْرَ سَرُوبِ *** وَتُقَرِّبُ الأَحْلامُ غَيْرَ قَرِيب

يقول: كيف سريت بالليل على بُعْد هذا الطريق، ولم تكوني تبرُزين وتظهرين؟ وكان بعضهم يقول: هو السَّالك في سَرْبه: أي في مذهبه ومكانه "[2].

وعند قوله تعالى ﴿وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ﴾ [طه:100] ذكر معنيين لوصف المجرمين بزُرق، وسكت عنهما فقال: " يقول تعالى ذكره: ونسوق أهل الكفر بالله يومئذ إلى موقف القيامة زرقا، فقيل: عنى بالزرق في هذا الموضع: ما يظهر في أعينهم من شدة العطش الذي يكون بهم عند الحشر لرأي العين من الزرق، وقيل: أريد بذلك أنهم يحشرون عميا، كالذي قال الله ((وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا)) [الإسراء:97] "[3].

ثالثا: المرتبة الثالثة: إعمال كل المعاني المحتمَلة في معنى الغريب.

وهذا صنيع الإمام الطبري مع اختلاف السلف في معاني الغريب، إذ يعبر المفسرون من المتقدمين بتعابير متقاربة، فيقارب الإمام الطبري بينها ويُرجعها إلى أصل واحد، وهذه أمثلة على ذلك[4]:

---

[1] قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي، أبو يزيد شاعر الأوس وأحد صناديدها في الجاهلية، أدرك الإسلام وتريّث في قبوله إلى أن قتل قبل أن يدخل فيه سنة 2 قبل الهجرة. ينظر: الأعلام: خير الدين الزركلي، ط:15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، 205/5.

[2] جامع البيان: مج8/ جز13/ ص145.

[3] المصدر نفسه: مج9/ جز16/ ص263.

[4] توخيا للاختصار نحيل على نماذج أخرى من جامع البيان قارب فيها الإمام الطبري بين كل المعاني وأعمل جميعها، ينظر: جامع البيان: **مج1**/ جز1/ ص470، **مج2**/ جز2/ ص420، 756، 811، **مج3**/ جز3/ ص116-118، ص128، ص247، **مج4**/ جز5/ ص177، ص183، ص425، جز6/ ص5-9، **مج9**/ جز16/ ص215.

فعند قوله تعالى ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ [البقرة:167] أرجع معنى الخطوة إلى حقيقة بُعْد ما بين قدميْ الماشي، ثم ذكر عن مفسري السلف عدة معاني للخطوات الشيطان، أحدها بمعنى الخطايا، والثاني بمعنى الطاعة، والثالث: بمعنى النذور في المعاصي، ثم قال مُعلقا على هذه المعاني ومُعملا جميعها : " وهذه الأقوال التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه في تأويل قوله: (خطوات الشيطان) قريبٌ معنى بعضها من بعض. لأن كل قائلٍ منهم قولا في ذلك، فإنه أشار إلى نَهي اتباع الشيطان في آثاره وأعماله. غيرَ أن حقيقة تأويل الكلمة هو ما بينت، من أنها (بعد ما بين قَدميه) ثم تستعمل في جميع آثاره وطُرقه "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ﴾ [البقرة:218] ذكر عن السلف عدة معاني في (لأعنتكم) أحدها: لأحرجكم، والآخر: لجهدكم، والثالث: لحرم عليكم مخالطة ما اليتيم ،ثم قال معملا جميع المعاني: " وهذه الأقوال التي ذكرناها عمن ذكرت عنه، وإن اختلفت ألفاظ قائليها فيها، فإنها متقارباتُ المعاني. لأن من حُرِّم عليه شيء فقد ضُيِّق عليه في ذلك الشيء، ومن ضُيق عليه في شيء فقد أحْرِج فيه، ومن أحرج في شيء أو ضيِّق عليه فيه فقد جُهِد. وكل ذلك عائد إلى المعنى الذي وصفت من أن معناه: الشدة والمشقة. ولذلك قيل: عَنِت فلانٌ: إذا شق عليه الأمر وجهده، فهو يعنَتُ عَنَتًا، كما قال تعالى ذكره: (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) [سورة التوبة: 128] يعني ما شق عليكم وآذاكم وجَهدكم، ومنه قوله تعالى ذكره: (ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ) [سورة النساء: 25] فهذا إذا عَنِت العانِت. فإن صيَّره غيره كذلك، قيل: أعنته فلانٌ في كذا: إذا جهده وألزمه أمرًا جهده القيام به... فكذلك قوله:" لأعنتكم" معناه: لأوجب لكم العنَت بتحريمه عليكم ما يُجْهدكم ويحرجكم "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ ﴾ [البقرة:255] ذكر عن السلف عدة معاني للطاغوت، الأول: بمعنى الشيطان، والثاني: الساحر، والثالث: الكاهن، ثم أرجع هذه المعاني إلى معنىً واحد وأصل واحد فقال: " والصواب من القول عندي في الطاغوت: أنه كل ذي طغيان على الله، فعُبد من دونه،

---

[1] المصدر السابق: مج2/ جز2/ ص103.

[2] المصدر نفسه: مج2/ جز2/ ص497، بتصرف يسير.

إما بقهر منه لمن عبده، وإما بطاعةٍ ممن عبده له، وإنسانا كان ذلك المعبود، أو شيطانا، أو وثنا، أو صنما، أو كائنا ما كان من شيء... وأرى أن أصل الطاغوت: الطَّغَوُوت، من قول القائل: طغا فلان يطغو: إذا عدا قدره، فتجاوز حده "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ [آل عمران:113] ذكر اختلاف المفسرين في معنى (قائمة) فقال بعضهم: قائمة: عادلة، وقال آخرون: قائمة على كتاب الله وما أمر فيه، وقال آخرون: معنى ذلك مطيعة، ثم أعمل كل المعاني المنقولة عن السلف، وإن كان ميله لاختيار المعنى الثاني المنسوب لابن عباس وقتادة واضحا، ولكن يظهر توظيفه كل المعاني الواردة في تلخيصه للمعنى حيث قال: " وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك، ما قاله ابن عباس وقتادة ومن قال بقولهما على ما روينا عنهم، وإن كان سائر الأقوال الأخَر متقاربة المعنى من معنى ما قاله ابن عباس وقتادة في ذلك. وذلك أن معنى قوله: قائمة: مستقيمة على الهدى وكتاب الله وفرائضه وشرائع دينه، والعدلُ والطاعةُ وغير ذلك من أسباب الخير، من صفة أهل الاستقامة على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء:170] ذكر أربعة معاني للروح في هذا الموضع، الأول: حياة منه، وذلك أن الجسد لا حياة فيه إلا بالروح، والثاني: روح من الله خلقها فصوّرها ثم أرسلها إلى مريم، والثالث: رحمة من الله؛ إذ جعله الله رحمة لمن اتّبعه، والرابع: معنى الروح هنا جبريل عليه السلام، وهو من أرسله الله إلى مريم حينما حملت بعيسى عليه السلام، ثم قال الطبري معملا كل هذه المعاني: " ولكل هذه الأقوال وجه ومذهب غير بعيد من الصواب "[3].

---

[1] المصدر السابق: مج3/ جز3/ ص27، بتصرف يسير.
[2] المصدر نفسه: مج3/ جز4/ ص70.
[3] المصدر نفسه: مج4/ جز6/ ص49، بتصرف.

رابعا: ذكر المعنى المختار صدرا في أول الكلام وإيراد باقي المعاني والسكوت عنها.

فيفهم من هذا أن الطبري يميل إلى اختيار المعنى المذكور أولاً في صدر الكلام عن التركيب القرآني محل البيان وإن لم يصرح بالاختيار، وقد يصرح فيقول: وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وقد يذكر مسوّغ الاختيار وقد لا يذكر.

وكمثال على ذلك حين فسر الإصر في قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْراً ﴾ [البقرة:285] بالعهد صدرا في الكلام عن معنى هذا التركيب، ثم أورد المعاني الأخرى مسندة إلى قائليها دون التصريح بالاختيار ودون التعليق عليها فقال: " يعني بالإصر: العهد، كما قال جل ثناؤه: (قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي) [آل عمران: 81] وإنما عنى بقوله: (وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا) ولا تحمل علينا عهدا فنعجز عن القيام به ولا نستطيعه (كما حملته على الذين من قبلنا) يعني: على اليهود والنصارى الذين كلفوا أعمالا وأخذت عهودهم ومواثيقهم على القيام بها، فلم يقوموا بها فعوجلوا بالعقوبة... وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل... وقال آخرون: معنى ذلك: ولا تحمل علينا ذنوبًا وإثمًا، كما حملت ذلك على من قبلنا من الأمم، فتمسخنا قردةً وخنازير كما مسختهم... وقال آخرون: معنى الإصر بكسر الألف: الثِّقْل "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ اِلاَّ رَمْزاً ﴾ [آل عمران:41] ذكر الغالب من معاني الرمز في كلام العرب، وهو الإيماء بالشفتين، ثم أورد قولين عن السلف في معنى الرمز المذكور في الآية، أحدهما: التحريك بالشفتين، والآخر: الإيماء بالإشارة، وسكت ولم يعلق، فيفهم أنه اختار المعنى الأول للرمز وهو الغالب المستفيض من استعمال العرب لهذه الكلمة، فقال عليه رحمة الله: "وأما (الرّمز) فإنّ الأغلب من معانيه عند العرب: الإيماءُ بالشفتين، وقد يستعمل في الإيماء بالحاجبين

---

[1] المصدر السابق: مج3/ جز3/ ص203-205، بتصرف يسير.

والعينين أحيانًا، وذلك غير كثير فيهم. وقد يقال للخفي من الكلام الذي هو مثلُ الهمس بخفض الصّوت: الرمز، ومنه قول جُؤيّة بن عائذ[1]:

وَكَانَ تَكَلُّمُ الأَبْطَالِ رَمْزًا *** وَهَمْهَمَةً لَهُمْ مِثْلَ الهَدِيرِ

... وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عنى الله ﷻ به في إخباره عن زكريا من قوله: (آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزًا) وأيّ معاني (الرمز) عنى بذلك؟، فقال بعضهم: عنى بذلك: آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا تحريكًا بالشفتين، من غير أن ترمز بلسانك الكلام.... وقال آخرون: بل عنى الله بذلك: الإيماء والإشارة "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ﴾ [آل عمران:167] ذكر معنى هذه العبارة التي قالها المسلمون لأهل النفاق، ثم ذكر اختلاف السلف في معنى (ادفعوا) فقال: " يعني تعالى ذكره بذلك عبدَ الله بن أبيّ ابن سلول المنافق وأصحابه، الذين رجعوا عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه، حين سار نبي الله ﷺ إلى المشركين بأحد لقتالهم، فقال لهم المسلمون: تعالوا قاتلوا المشركين معنا، أو ادفعوا بتكثيركم سوادنا... واختلفوا في تأويل قوله (أو ادفعوا) فقال بعضهم: معناه: أو كثِّروا، فإنكم إذا كثرتم دفعتم القوم... وقال آخرون: معنى ذلك: أو رابطوا إن لم تقاتلوا "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ﴾ [الأعراف:150] بيّن معنى الأسف صدرا دون التصريح بالاختيار، وأعقبه بمعنى آخر دون التعليق، حيث قال: " والأسف: شدة الغضب، والتغيظ به على من أغضبه، كما... قال أبو الدرداء: قول الله: ((غضبان أسفًا)) قال: الأسف: منزلة وراء الغضب أشدُّ من ذلك، وتفسير ذلك في كتاب الله: ذهب إلى قومه غضبان،

---

[1] جؤية بن عائذ النصري اليربوعي، شاعر مخضرم أسلم وليست له صحبة، وشعره محشو بالغريب والغامض، ينظر: الأعلام: 70/3.

[2] جامع البيان: مج3/ جز3/ ص334-336، بتصرف يسير.

[3] المصدر نفسه: مج3/ جز4/ ص210-211، بتصرف يسير.

وذهب أسفًا... وقال الحسن والسدي: أسفا: حزينا... وقال ابن عباس: الأسف على وجهين: الغضب والحزن "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ﴾ [يونس:71] ذكر معنى الغمّة دون التصريح بالاختيار، ثم أورد معنيين آخرين ولم يعلق حيث قال: " يقول: ثم لا يكن أمركم عليكم ملتبسًا مشكلا مبهمًا. من قولهم: غُمَّ على الناس الهلال، وذلك إذا أشكل عليهم فلم يتبيَّنوه، ومنه قول العجاج :

بَلْ لَوْ شَهِدْتِ النَّاسَ إِذْ تُكُمُّوا *** بِغُمَّةٍ لَوْ لَمْ تُفَرَّجْ غُمُّوا

وقيل: إن ذلك من الغَم؛ لأن الصدر يضيق به، ولا يتبين صاحبه لأمره مَصدرًا يَصْدُرُه يتفرَّج عليه ما بقلبه، ومنه قول خنساء:

وَذِي كُرْبَةٍ رَاخَى ابْنُ عَمْرٍو خِنَاقَه *** وَغُمَّتَهُ عَنْ وَجْهِهِ فَتَجَلَّتِ

وكان قتادة يقول في ذلك... معناه: لا يكبر عليكم أمركم "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ ﴾ [إبراهيم:18-19] ذكر معنى الوراء في هذا الموضع ثم أورد أقوال أئمة اللغة وسكت، حيث قال: " يقول عزّ ذكره: ((من ورائه)) من أمام كل جَبار ((جهنم)) يَرِدُونها. ووراء في هذا الموضع، يعني أمام، كما يقال: إن الموت مِنْ ورائك، أي قُدّامك، وكما قال الشاعر:

أَتُوعِدُنِي وَرَاءَ بَنِي رِيَاحٍ *** كَذَبْتَ لَتَقْصُرَنَّ يَدَاكَ دُونِي

يعني: وراء بني رياح: قدَّام بني رياح وأمَامهم. وكان بعض نحويِّي أهل البَصرة يقول: إنما يعني بقوله: ((من ورائه)) أي من أمامه؛ لأنه وراءَ ما هو فيه، كما يقول لك: وكلّ هذا من ورائك: أي سيأتي عليك، وهو من وراء ما أنت فيه؛ لأن ما أنت فيه قد كان قبل ذلك وهو من ورائه. وقال: ((وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا)) [الكهف: 79] من هذا المعنى، أي كان وراء ما هم فيه أمامهم.

---

[1] المصدر السابق: مج6/ جز9/ ص81، بتصرف يسير.

[2] المصدر نفسه: مج7/ جز11/ ص177، بتصرف يسير.

وكان بعض نحويي أهل الكوفة يقول: أكثر ما يجوزُ هذا في الأوقات؛ لأن الوقت يمرُّ عليك، فيصير خلفك إذا جزته، وكذلك ((كَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ)) لأنهم يجوزونه فيصير وراءهم. وكان بعضهم يقول: هو من حروف الأضداد، يعني وراء يكون قُدَّامًا وخلفًا "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ [مريم:9] صدّر معنى (سويا) وكونه من وصف زكرياء، وذكر احتمال تعلقه بالأيام وسكت الطبري ولم يعلق حيث قال: " يقول جلّ ثناؤه: علامتك لذلك، ودليلك عليه أن لا تكلم الناس ثلاث ليال وأنت سويّ صحيح، لا علة بك من خرس ولا مرض يمنعك من الكلام. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل... وقال آخرون: السويّ من صفة الأيام، قالوا: ومعنى الكلام: قال: آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال متتابعات "[2].

خامسا: التصريح بالاختيار بعد ذكر كلّ المعاني[3].

وهذه المرتبة هي حدّ البحث في هذا الموضوع، وهي صميمه ولبّه، بل لا تخلو آية من ترجيح أو اختيار في مجال من مجالات الحقل التفسيري، وسأقصر نظري عن الاختيار اللغوية في الغريب، بمعنى آخر أن اختيارات ابن جرير النحوية والبلاغية خارجة عن نطاق بحثي، ومحلها دراسات أخرى مستقلة، وما ننوه عليه في هذا التمهيد أن اختيارات الطبري في أبواب العلم كثيرة ومتنوعة، بعضها درس وبعضها ما زال ينتظر الطرق والإقدام، ولعلي أشير إلى بعض التوصيات في هذه النقطة حين الوصول إلى خاتمة البحث إن شاء الله تعالى.

وبعدما تعرفنا على اهتمام الطبري بالاختيار في معاني الغريب، ووقفنا على ألفاظ اختياراته ومراتبها، نعرج إلى بيان سمات تفسير الغريب عند الإمام الطبري.

---

[1] المصدر السابق: مج8/ جز13/ ص244.

[2] المصدر نفسه: مج9/ جز16/ ص74، بتصرف.

[3] وذلك باستعمال إحدى صيغ الاختيار المبيّنة، ولا أذكر أمثلة هنا، كون هذه الرسالة في مجمل محتواها تمثيل عن هذه المرتبة. وما نحن بصدده هو التوطئة لتناول اختيارات ابن جرير في معاني الغريب.

المبحث الثالث: سمات تفسير الغريب عند الإمام الطبري.

وسبيل الوقوف على هذه السمات والملامح التي ميّزت التفسير اللغوي عند الإمام الطبري هو الاستقراء الدقيق لتفسيره، وتتبع تعامله مع غريب القرآن، وتجدر الإشارة إلى أن هذه السمات لم نعتبر فيها الجوانب النحوية والتوجيهات الإعرابية في لغة الإمام الطبري؛ لأن هذا بحث مستقل قام به عديد الباحثين في المشرق والمغرب، ولأن اهتمامات بحثي في معاني المفردات وقفت على جملة من السمات ميّزت التفسير اللغوي للإمام الطبري نجملها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: اشتراطه عدم خروج التفسير اللغوي عن أقوال الصحابة والتابعين[1].

وقد أشار الإمام الطبري إلى هذا الشرط في خطبة تفسيره حين قال في معرض كلامه عن ضوابط صحة التفسير اللغوي للقرآن الكريم: " وأصحُّهم برهانًا فيما ترجَم وبيّن من ذلك ممّا كان مُدركًا علمُه من جهة اللسان: إمّا بالشواهد من أشعارهم السائرة، وإمّا من منطقهم ولغاتهم المستفيضة المعروفة، كائنًا من كان ذلك المتأوِّل والمفسِّر، بعد أن لا يكون خارجًا تأويلُه وتفسيره ما تأوّل وفسر من ذلك، عن أقوال السلف من الصحابة والأئمة، والخلف من التابعين وعلماء الأمة "[2].

وقد أعمل هذا الشرط أيّما إعمال في تعامله مع غريب القرآن، وبيان موقفه من آراء المفسرين قبله، فعند قوله تبارك وتعالى ﴿ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ ان كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [البقرة:30] بين أن معنى هذا التركيب على قول ابن عباس وابن مسعود وقتادة رضي الله عنهم: إن كنتم تعلمون لمَ أجعل في الأرض خليفة، أو: إن كنتم صادقين في قيلكم أن بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء، ثم ذكر قولا أسنده لبعض نحاة البصرة – أحسبه أبا عبيدة – أن معنى الآية: أنبئوني إن كنتم صادقين كما يقول الرجل للرجل: أنبئني بهذا إن كنت تعلم، وهو يعلم أنه لا يعلم؛ يريد أنه جاهل، ثم قال

---

[1] للاستزادة من النماذج التطبيقية على هذا الشرط الذي وضعه الطبري لتفسير الغريب، ينظر جامع البيان: مج7/ جز12/ ص231، مج9/ جز16/ ص194.

[2] المصدر نفسه: مج1/ جز1/ ص51.

مضعّفا هذا القول بالنظر في اللغة وإعمالا لهذا الشرط فقال: " ولا شك أن معنى قوله: (إن كنتم صادقين) إنما هو: إن كنتم صادقين، إمّا في قولكم، وإما في فعلكم. لأن الصّدق في كلام العرب، إنما هو صدق في الخبر لا في العلم. وذلك أنه غير معقول في لغة من اللغات أن يقال: صدَق الرجل بمعنى علم... هذا مع خروج هذا القول – الذي حكيناه عن صاحبه – من أقوال جميع المتقدمين والمتأخرين من أهل التأويل والتفسير "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمۚ ﴾ [المائدة:68] بيّن معنى هذا التركيب عند جمهور المفسرين من السلف، وأنّ معناه: ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لأنزل الله عليهم من السماء قطْرها فأنبتت لهم به الأرض حبّها نباتها وثمارها، وردّ أن يكون التركيب بمعنى التوسعة باعتبار هذا الشرط فقال: " وكان بعضهم يقول[2]: إنما أريد بقوله: ((لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم)): التَّوْسِعَة، كما يقول القائل: هو في خير من قَرْنه إلى قدمه. وتأويل أهل التأويل بخلاف ما ذكرنا من هذا القول، وكفى بذلك شهيدًا على فساده "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ ثُمَّ يَاتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ اُ۬لنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ [يوسف:49] فسر يعصرون بظاهر اللفظ، فنقل عن غير واحد من السلف تفسيرهم إياه بـ: يعصرون العنب والدهن والسمسم، ورد قول أبي عبيدة الذي حكى قوله من غير تصريح، حين فسّر يعصرون بـ: ينْجون، وداعي ردّ هذا المعنى حتى وإن كان له وجه في اللغة خروجه عن تفسير السلف، قال الطبري في ذلك: " وكان بعض من لا علم له بأقوال السلف من أهل التأويل، ممن يفسر القرآن برأيه على مَذهب كلام العرب، يوجه معنى قوله: ((وفيه يعصرون)) إلى: وفيه ينجون من الجدب والقحط بالغيث، ويزعم أنه

---

[1] المصدر السابق: مج1/ جز1/ ص289، بتصرف يسير.

[2] هذا قول الفراء، والإمام الطبري يكني كثيرا عن الأئمة الذين سبقوه، ينظر: معاني القرآن: الفراء، تح: أحمد يوسف النجاتي وزملاؤه، ط:1، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، دت، 1/ 315.

[3] جامع البيان: مج4/ جز6/ ص394.

من العَصَر والعُصْرَة التي بمعنى المنجاة[1]، من قول أبي زبيد الطائي[2]:

صَادِيًا يَسْتَغِيثُ غَيْرَ مُغَاثٍ *** وَلَقَدْ كَانَ عُصْرَةَ المَنْجُودِ

أي المقهور. ومن قول لبيد:

فَبَاتَ وَأَسْرَى الْقَوْمُ آخِرَ لَيْلِهِمْ *** وَمَا كَانَ وَقّافًا بِغَيْرِ مُعَصَّرِ

وذلك تأويل يكفي من الشهادة على خطئه خلافه قول جميع أهل العلم من الصحابة والتابعين "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴾ [طه:62] حكم على تفسير ابن زيد للطريقة: بالسنة بالشذوذ كونه خرج عن تفسير جمهور أهل العلم من الصحابة والتابعين، حيث قال: " يقول: ويغلبا على ساداتكم وأشرافكم، يقال: هو طريقة قومه ونظورة قومه، ونظيرتهم: إذا كان سيدهم وشريفهم والمنظور إليه، يقال ذلك للواحد والجمع، وربما جمعوا، فقالوا: هؤلاء طرائق قومهم، ومنه قول الله تبارك وتعالى ((كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا)) [الجن:11]... وقال آخرون: معنى ذلك، ويغيرا سنتكم ودينكم الذي أنتم عليه، من قولهم: فلان حسن الطريقة... قال أبو جعفر: وهذا القول الذي قاله ابن زيد في قوله ((وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى)) وإن كان قولا له وجه يحتمله الكلام، فإن تأويل أهل التأويل خلافه، فلا أستجيز لذلك القول به "[4].

---

[1] ينظر مجاز القرآن: 313/1.

[2] حرملة بن المنذر، شاعر مخضرم معمّر عاش مائة وخمسين سنة، وأدرك الإسلام واختلف في إسلامه، مات سنة 35هـ، ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: 195/2، وينظر: الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ، 136/7.

[3] جامع البيان: مج7/ جز12/ ص291.

[4] المصدر نفسه: مج9/ جز16/ ص230، بتصرف.

المطلب الثاني: اشتراطه رجحان تفسير الغريب بالمشهور المستفيض من كلام العرب[1].

وقد أشار إلى هذا أيضا في مقدمة تفسيره، وكلامه منقول في العنصر السابق، وكمثال على هذه السمة التي ميّزت التفسير اللغوي للإمام الطبري، فعند قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ ﴾ [البقرة:61] قال في شرح (النصارى): " والنصارى جمع، واحدهم نصْران، كما واحد السَّكارى سكران، وواحد النَّشاوى نشوان. وكذلك جمع كل نعت كان واحده على فعلان، فإن جمعه على فعالى؛ إلاّ أن المستفيض من كلام العرب في واحد النصارى نصرانيّ "[2].

المطلب الثالث: رجوعه إلى أصل الوضع العربي للكلمة الغريبة[3].

كثيرا ما يرجع الطبري إلى الأصل الاشتقاقي للكلمة الغريبة ليخرج منه برأي يختاره في معنى تلك الكلمة، ولا تخلو لفظة قرآنية من وُجود أصل اشتقاقي ، ومعرفته تزيد المفسّر عمقا في معرفة دلالة الألفاظ ومعرفة مناسبة تفسيرات المفسرين لأصل هذا اللّفظ[4]، بل ويورد مع أصل الوضع العربي للكلمة استعمالات العرب لها حتى يعطي صورة كاملة عن إطلاقات الكلمة عند العرب، والأمثلة التي سأذكرها توضّح هذا بجلاء وسأُحيل على المواضع الأخرى في الهامش[5].

---

[1] اشتهر الطبري بهذه السمة التي رسمت منهجه اللغوي في تفسير القرآن، ويعتبر أول من أشار إلى هذا الأصل في التفسير اللغوي، ولا تكاد تخلو سورة من إشارة إلى هذه القاعدة، لذلك اكتفيتُ بذكر مثال واحد اختصارا، وتأتي أمثلة أخرى متداخلة مع هذا العنصر في ثنايا فصول هذه الدراسة.

[2] جامع البيان: مج1/ جز1/ ص418.

[3] يُعتبر الاعتناءُ بالأصل الاشتقاقي للّفظة من المسائل المهمّة لمن يدرس التّفسير لحاجته الماسة لدقّة توجيه التّفسيرات التي تُفسرُ بها اللّفظة القرآنية . انظر: مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير : للدكتور مساعد الطّيار، ط:1، دار المحدّث، الرياض، 1425هـ ، ص172 .

[4] المرجع نفسه : ص172 .

[5] طلبا للاختصار ينظر جامع البيان: مج2/ جز2/ ص243، ص639، مج4/ جز5/ ص422، مج5/ جز7/ ص268، مج7/ جز12/ ص282، مج8/ جز13/ ص135، مج9/ جز16/ ص269.

فعند قوله تعالى ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ﴾ [البقرة:57] قال في أصل وضع الغفر: " وأصل الغفر: التغطية والستر، فكل ساتر شيئا فهو غافره. ومن ذلك قيل للبيضة من الحديد التي تتخذ جُنة للرأس: مغفر؛ لأنها تغطي الرأس وتجنه. ومثله غمد السيف، وهو ما تغمده فيواريه. ولذلك قيل لزئبر الثوب: غفرة، لتغطيته الثوب، وحوله بين الناظر والنظر إليه. ومنه قول أوس بن حجر[1]:

فلا أعتِبُ ابن العم إن كان جاهلا *** وأغفر عنه الجهل إن كان أجْهَلَا

يعني بقوله: وأغفر عنه الجهل: أستر عليه جهله بحلمي عنه "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ [البقرة:142] قال في أصل المرتد على عقبيْه: " وأصل المرتد على عقبيه: هو: المنقلب على عقبيه، الراجع مستدبرًا في الطريق الذي قد كان قطعه منصرفًا عنه. فقيل ذلك لكل راجع عن أمر كان فيه، من دين أو خير. ومن ذلك قوله: ((فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا)) [سورة الكهف: 64] بمعنى: رَجعا في الطريق الذي كانا سَلكاه، وإنما قيل للمرتد: مرتد: لرجوعه عن دينه وملته التي كان عليها. وإنما قيل: رجع عَلى عقبيه: لرجوعه دُبُرًا على عَقبه، إلى الوجه الذي كان فيه بِدءُ سيره قبل مَرْجعه عنه. فيجعل ذلك مثلا لكل تارك أمرًا وآخذٍ آخرَ غيره، إذا انصرف عما كان فيه، إلى الذي كان له تاركًا فأخذه. فقيل: ارتد فلان على عَقِبه، وانقلب على عَقبيه "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾ [آل عمران:134] أرجع كظم الغيظ إلى أصل وضعه العربي مستنبطا معناه المذكور هنا فقال: " وقوله: والكاظمين الغيظ: يعني: والجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه. يقال منه: كظم فلان غيظه: إذا تجرَّعه، فحفظ نفسه من أن تمضي ما هي قادرةٌ على إمضائه، باستمكانها ممن غاظها، وانتصارها ممن ظلمها. وأصل ذلك من كظم القربة، يقال منه:

---

[1] أوس بن حجر بن مالك التميمي، شاعر تميم في الجاهلية، قال عنه الأصمعي: أوس أشعر من زهير، لم يدرك الإسلام، ومات سنة 2 قبل الهجرة. ينظر: الأعلام: 31/2.

[2] جامع البيان: مج1/ جز1/ ص398.

[3] المصدر نفسه: مج1/ جز2/ ص22.

كظمتُ القربة: إذا ملأتها ماء. وفلان كظيمٌ ومكظومٌ: إذا كان ممتلئًا غمًّا وحزنًا. ومنه قول الله ﷻ ((وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ)) [سورة يوسف: 84] يعني: ممتلئ من الحزن. ومنه قيل لمجاري المياه: الكظائم: لامتلائها بالماء. ومنه قيل: أخذت بكَظَمِه: يعني: بمجاري نفسه "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾ [النساء:10] قال في معنى (سيصلون): " وأما قوله: (وسيصلون سعيرًا) فإنه مأخوذ من الصَّلا والصلا: الاصطلاء بالنار، وذلك التسخن بها، كما قال الفرزدق:

وَقَاتَلَ كَلْبُ الْحَيِّ عَنْ نَارِ أَهْلِهِ *** لِيَرْبِضَ فِيهَا وَالصَّلا مُتَكَنَّفُ

...ثم استعمل ذلك في كل من باشر بيده أمرًا من الأمور، من حرب أو قتال أو خصومة أو غير ذلك، كما قال الشاعر:

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللهُ *** وَإِنِّي بِحَرِّهَا الْيَوْمَ صَالِي

فجعل ما باشر من شدة الحرب وأذى القتال، بمنزلة مباشرة أذى النار وحرِّها "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الأعراف:149] رجع إلى أصل الاستعمال العربي لهذا التركيب فقال: " يعني تعالى ذكره بقوله: ((ولما سقط في أيديهم)): ولما ندم الذين عبدوا العجل الذي وصف جل ثناؤه صفته، عند رجوع موسى إليهم، واستسلموا لموسى وحكمه فيهم. وكذلك تقول العرب لكل نادم على أمر فات منه أو سلف، وعاجز عن شيء: قد سُقِط في يديه وأسقط، لغتان فصيحتان، وأصله من الاستئسار، وذلك أن يضرب الرجلُ الرجلَ أو يصرعه، فيرمي به من يديه إلى الأرض ليأسره، فيكتفه. فالمرميّ به مسقوط في يدي الساقط به. فقيل لكل عاجز عن شيء، وضارع لعجزه، متندِّمٍ على ما قاله: سقط في يديه وأسقط "[3].

---

[1] المصدر السابق: مج3/ جز4/ ص118-119.
[2] المصدر نفسه: مج3/ جز4/ ص344، بتصرف.
[3] المصدر نفسه: مج6/ جز9/ ص80.

وعند قوله تعالى ﴿وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا﴾ [النحل:80] ذكر أصل وضع العرب لكلمة أثاث فقال: " وأنا أرى أصل الأثاث: اجتماع بعض المتاع إلى بعض حتى يكثر كالشعر الأثيث، وهو الكثير الملتف، يقال منه: أثّ شعر فلان يَئِثّ أثًّا: إذا كثر والْتفّ واجتمع "[1].

المطلب الرابع: عنايته باختلاف لغات العرب في الغريب[2].

فعند قوله تعالى ﴿ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾ [البقرة:59] قال في بيان اختلاف العرب في (عثا): " وأصل (العَثَا) شدة الإفساد، بل هو أشد الإفساد. يقال منه: عَثِيَ فلان في الأرض: إذا تجاوز في الإفساد إلى غايته، يعثى عثًا مقصور، وللجماعة: هم يعثوْن. وفيه لغتان أخريان، إحداهما: (عثا يعثو عُثُوّا). ومن قرأها بهذه اللغة، فإنه ينبغي له أن يضم الثاء من (يعثو)... ومن نطق بهذه اللغة مخبرا عن نفسه قال: عثوت أعثو، ومن نطق باللغة الأولى قال: عَثِيت أَعْثَى. والأخرى منهما: عاث يعيث عيثا وعُيوثا وعيثانا، كل ذلك بمعنى واحد. ومن العيث قول رؤبة بن العجاج:

وعاث فينا مُستحلٌّ عائثُ *** مُصَدِّق أو تاجر مُقاعِثُ

يعني بقوله: عاث فينا: أفسد فينا "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة:142] قال في بيان اختلاف العرب في (رؤوف) وبأي الوجوه جاءت قراءتها: " وفي (الرؤوف) لغات. إحداها (رَؤُف) على مثال (فَعُل)، كما قال الوليد بن عقبة[4]:

وَشرُّ الطالِبِينَ وَلا تَكُنْهُ *** بقَاتِلِ عَمِّه، الرَّؤُفُ الرَّحِيم

---

[1] المصدر السابق: مج8/ جز14/ ص188.

[2] ينظر نماذج أخرى لعناية الإمام الطبري باختلاف لغات العرب في الغريب، جامع البيان: مج9/ جز15/ ص209، ص220.

[3] المصدر السابق: مج1/ جز1/ ص406، بتصرف يسير.

[4] الوليد بن عقبة بن أبي معيط القرشي، من مسلمة عام الفتح، وكان شاعرا كريما، وقد ولاه عثمان على الكوفة، واعتزل الفتنة بين علي ومعاوية، ومات بالرقة ولم أعثر له على تاريخ وفاة. ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة: علي بن أبي الكرم بن الأثير، تح: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ – 1994م، 422/5.

وهي قراءة عامة قراء أهل الكوفة. والأخرى (رَؤوف) على مثال (فعول) وهي قراءة عامة قراء المدينة، و (رَئِف)، وهي لغة غطفان، على مثال (فَعِل) مثل حَذِر. و (رَأْف) على مثال (فَعْل) بجزم العين، وهي لغةٌ لبني أسد.

والقراءة على أحد الوجهين الأوَّلين "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ [البقرة:237] قال في بيان اختلاف العرب في كلمة (رجالا): " والرجال: جمع راجل ورَجِل، وأما أهل الحجاز فإنهم يقولون لواحد الرجال: رجُل، مسموع منهم: مشى فلان إلى بيت الله حافيا رجُلا، وقد سُمع من بعض أحياء العرب في واحدهم رجْلان، كما قال بعض بني عقيل:

عليَّ إذا أبصرتُ ليلى بخلوة *** أنَ ازدار بيت الله رجْلان حافيا

فمن قال رجْلان للذكر، قال للأنثى رَجْلى، وجاز في جمع المذكر والمؤنث فيه أن يقال: أتى القوم رُجالى ورَجالى مثل كُسالى وكَسالى"[2].

وعند قوله تعالى ﴿ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ ﴾ [البقرة:272] قال مبيّنا اختلاف لهجات العرب في كلمة (سيما): " يعني بذلك جل ثناؤه: تعرفهم يا محمد بسيماهم، يعني بعلامتهم وآثارهم، من قول الله عز وجل: (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) [سورة الفتح: 29] هذه لغة قريش. ومن العرب من يقول: بسيمائهم فيمدها.

وأما ثقيف وبعض أسَدٍ، فإنهم يقولون: بسيميائهم، ومن ذلك قول الشاعر:

غُلامٌ رَمَاهُ اللهُ بالحُسْنِ يَافِعًا *** لَهُ سِيمِيَاءٌ لا تَشُقُّ عَلَى البَصَرْ "[3].

---

[1] المصدر السابق: مج2/ جز2/ ص28.

[2] المصدر نفسه: مج2/ جز2/ ص758-759.

[3] المصدر نفسه: مج3/ جز3/ ص127.

وعند قوله تعالى ﴿ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ [النساء:107] أشار إلى معنى التبييت بلغة طيّ فقال: " وقد حكى عن بعض الطائيين أن التبييت في لغتهم: التبديل، وأنشد للأسود بن عامر بن جُوَين الطائي[1] في معاتبة رجل:

وَبَيَّتَّ قَوْلِي عَبْدَ الْمَلِيكِ *** قاتلَكَ اللهُ عَبْدًا كَنُودًا

بمعنى: بدَّلت قولي "[2].

وعند قوله تعالى ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف:110] بيّن اختلاف لهجات قبائل العرب في همز (أرجه) فقال: " والإرجاء في كلام العرب: التأخير. يقال منه: أرجيت هذا الأمر وأرجأته: إذا أخرته. ومنه قول الله تعالى: ((تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ)) [الأحزاب: 51] بمعنى تؤخر، فالهمز من كلام بعض قبائل قيس، يقولون: أرجأت هذا الأمر، وترك الهمز من لغة تميم وأسد، يقولون: أرجيته "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ اَلذِينَ يَلْمِزُونَ اَلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ اَلْمُومِنِينَ فِي اِلصَّدَقَٰتِ وَالذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾ [التوبة:80] ذكر اختلاف العرب في ضم وفتح الجيم من (جُهد) فقال: " وأما الجهد، فإن للعرب فيه لغتين. يقال: أعطاني من جُهْده، بضم الجيم، وذلك فيما ذكر لغة أهل الحجاز، ومن جَهْدِه بفتح الجيم، وذلك لغة نجد... وأما أهل العلم بكلام العرب من رواة الشعر وأهل العربية، فإنهم يزعمون أنها مفتوحة ومضمومة بمعنى واحد، وإنما اختلاف ذلك لاختلاف اللغة فيه، كما اختلفت لغاتهم في الوَجْد والوُجْد بالضم والفتح "[4].

---

[1] الأسود بن عامر بن جوين الطائي، أبو عامر بن جوين الطائي، الذي نزل به امرؤ القيس، وكان شاعرا مشهورا، أدرك الجاهلية وشهد بعض الفتوح في زمن عمر، ومات بعد سنة ثلاثين. ينظر: الإصابة: 340/1.

[2] جامع البيان: مج4/ جز5/ ص350.

[3] المصدر نفسه: مج6/ جز9/ ص23.

[4] المصدر نفسه: مج6/ جز10/ ص248.

وعند قوله تعالى ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الرعد:40] بين أن للعرب لغتين في (يمحو) فقال: " وأما المحو: فإن للعرب فيه لغتين: فأما مُضَر فإنها تقول: محوت الكتَابَ أمحُوه محْوًا وبه التنزيل ،ومحوته أمْحَاه محْوًا. وذُكِر عن بعض قبائل ربيعة: أنها تقول: محَيْتُ أمْحَى "[1].

وعند قوله تعالى ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ ﴾ [النحل:37] قال مبيّنا نزول القرآن على لغة أهل الحجاز في كسر راء (تحرِص) في الاستقبال: " وفي قوله ((إِنْ تَحْرِصْ)) لغتان: فمن العرب من يقول: حرَص يحرَص بفتح الراء في فعَل وكسرها في يفعل، وحرِص يحرَص بكسر الراء في فعِل وفتحها في يفعَل، والقراءة على الفتح في الماضي، والكسر في المستقبل، وهي لغة أهل الحجاز "[2].

المطلب الخامس: اهتمامه بفقه معاني الكلمات الغريبة واستعمالات العرب لها.

وذلك حين تتغيّر الحركة ويبقى رسم الكلمة نفسها، والإمام الطبري فارسٌ في هذا المضمار، يهتم بفقه معاني الكلمات الغريبة، ولا يفوّت فرصة ذلك إلاّ ويبيّنه، فيقف على استعمالات العرب للكلمة للخلوص إلى معناها[3].

فعند قوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ ﴾ [البقرة:214] قال في معنى الكُرْه: " والكره بالضم: هو ما حمل الرجلُ نفسه عليه من غير إكراه أحد إياه عليه، والكَرْهُ بفتح الكاف: هو ما حمله غيره، فأدخله عليه كرهًا... وقد كان بعض أهل العربية يقول: الكُره والكَره لغتان بمعنى واحد، مثل: الغُسْل والغَسْل، والضُّعف والضَّعف ، والرُّهبُ والرَّهب. وقال بعضهم: الكُره بضم الكاف اسم والكَره بفتحها مصدر "[4].

---

[1] المصدر السابق: مج8/ جز13/ ص216.

[2] المصدر نفسه: مج8/ جز14/ ص132.

[3] ينبغي جمع لغة الإمام الطبري في شكل معجم لغريب القرآن مستخرجا من تفسيره، ولعلي أوصي بهذا في خاتمة البحث إن شاء الله تعالى. ينظر نماذج أخرى من هذه العناية، جامع البيان: مج3/ جز4/ ص33، مج6/ جز10/ ص168، مج8/ جز14/ ص153.

[4] المصدر نفسه: مج2/ جز2/ ص458.

وعند قوله تعالى ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة:233] قال في معنى (أكننْتم): " يقال منه: أكن فلان هذا الأمر في نفسه، فهو يكنه إكنانًا، وكنهَ: إذا ستره، يكنه كنًّا وكُنونا، وجلس في الكِنِّ، ولم يسمع كَنَنْتُهُ في نفسي، وإنما يقال: كَنَنْتُهُ في البيت أو في الأرض: إذا خبأته فيه، ومنه قوله تعالى ذكره: (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ) [سورة الصافات: 49] ، أي مخبوء، ومنه قول الشاعر:

ثلاث من ثلاث قداميات *** من اللائي تَكُنُّ من الصقيع

وتكن بالتاء، وهو أجود، من يكن. ويقال: أكنته ثيابه من البرد وأكنه البيت من الريح "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ [الأنعام:26] بيّن معنى الوَقر والوِقر في لغة العرب فقال: " يقول تعالى ذكره: وجعل في آذانهم ثِقلا وصممًا عن فهم ما تتلو عليهم، والإصغاء لما تدعوهم إليه. والعرب تفتح الواو من الوَقْر في الأذن، وهو الثقل فيها وتكسرها في الحمل فتقول: هو وِقْرُ الدابة. ويقال من الحمل: أوقرْتُ الدَّابة فهي مُوقَرة" ومن السمع: وَقَرْتُ سمعه فهو موقور، ومنه قول الشاعر:

وَلِي هَامَةٌ قَدْ وَقَّرَ الضَّرْبُ سَمْعَهَا

وقد ذكر سماعًا منهم: وُقِرَتْ أذنه: إذا ثقلت فهي موقورة وأوقرتِ النخلةُ، فهي مُوقِر كما قيل: امرأة طامث، وحائض؛ لأنه لا حظّ فيه للمذكر. فإذا أريد أن الله أوقرها، قيل مُوقَرةٌ "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ [الأنعام:94] تكلم في معنى الهَون والهُون بالفتح والضم، فقال عليه رحمة الله: " والعرب إذا أرادت بالهُون معنى الهوان ضمت الهاء، وإذا أرادت به الرفق والدَّعة وخفة المؤونة فتحت الهاء، فقالوا: هو قليل هَوْن المؤونة، ومنه قول الله: ((الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا)) [سورة الفرقان: 63] يعني: بالرفق والسكينة والوقار، ومنه قول جندل بن المثنَّى الطُّهويّ[3]:

---

[1] المصدر السابق: مج2/ جز2/ ص690.

[2] المصدر نفسه: مج5/ جز7/ ص215.

[3] جندل بن المثنى الطهوي من تميم، شاعر راجز، ينسب لجدته طهية، مات سنة 90هـ، ينظر: الأعلام: 140/2.

وَنَقْضَ أَيَّامٍ نَقَضْنَ أَسْرَهُ *** هَوْنًا وَأَلْقَى كُلُّ شَيْخٍ فَخرَهُ

... وقد حكي فتح الهاء في ذلك بمعنى الهوان، واستشهدوا على ذلك ببيت عامر بن جُوَين[1]:

يُهِينُ النفُوسَ، وَهَوْنُ النُّفُو *** سِ عِنْدَ الكَرِيهَةِ أَغْلَى لَهَا

والمعروف من كلامهم، ضمُّ الهاء منه إذا كان بمعنى الهوان والذل، كما قال ذو الإصبع العدواني[2]:

اذْهَبْ إلَيْكَ فَمَا أُمِّي بِرَاعِيَةٍ *** تَرْعَى الْمَخَاضَ وَلا أُغْضِي عَلَى الهُونِ

يعني: على الهوان وإذا كان بمعنى الرفق، ففتْحُها "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ ﴾ [الأعراف:39] تكلم في معنى السَّم والسُّم جمعا وإفرادا فقال: " يقول جل ثناؤه: ولا يدخل هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها، الجنة التي أعدّها الله لأوليائه المؤمنين أبدًا، كما لا يلج الجمل في سمِّ الخياط أبدًا، وذلك ثقب الإبرة. وكل ثقب في عين أو أنف أو غير ذلك، فإن العرب تسميه سَمًّا وتجمعه سمومًا. والسِّمام في جمع السَّم القاتل أشهر وأفصح من السُموم. وهو في جمع السَّم الذي هو بمعنى الثقب أفصح. وكلاهما في العرب مستفيض. وقد يقال لواحد السموم التي هي الثقوب سَمٌّ وسُمٌّ بفتح السين وضمها، ومن السَّم الذي بمعنى الثقب قول الفرزدق:

فَنَفَّسْتُ عَنْ سَمَّيْهِ حَتَّى تَنَفَّسَا *** وَقُلْتُ لَهُ لا تَخْشَ شَيْئًا وَرَائِيَا

يعني بسَمَّيْه، ثُقبَيْ أنفه "[4].

وعند قوله تعالى ﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف:44] تكلم في معنى العِوج والعَوج بالكسر والفتح فقال: " والعرب تقول للميل في الدِّين والطريق: عِوَج بكسر العين، وفي ميل الرجل

---

[1] لم أعثر له على ترجمة، وسبقت ترجمة ابنه الأسود الشاعر المخضرم ص48.

[2] حرثان بن حارثة بن محرث العدواني، أحد الشعراء والحكماء الجاهليين، لقب بذي الإصبع؛ لأن أفعى أصابت إبهام رجله فقطعها، ينظر: المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء: الحسن بن بشر الآمدي، تح: الدكتور كرنكو، ط:1، دار الجيل، بيروت، 1411هـ – 1991م، ص149.

[3] جامع البيان: مج5/ جز7/ ص344-345، بتصرف.

[4] المصدر نفسه: مج5/ جز8/ ص227.

على الشيء والعطف عليه: عاجَ إليه يَعُوج عِيَاجًا وعَوَجًا وعِوَجًا، بالكسر من العين والفتح، كما قال الشاعر:

قِفَا نَسْأَلْ مَنَازِلَ آلِ لَيْلى *** عَلَى عِوَجٍ إِلَيْهَا وَانْثِنَاءِ

ذكر الفراء أن أبا الجرّاح أنشده إياه بكسر العين من عِوج، فأما ما كان خلقة في الإنسان، فإنه يقال فيه: عَوَج ساقه بفتح العين "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا ﴾ [التوبة:121] فرق بين النيل والتناول فقال: " وأما النيل، فهو مصدر من قول القائل: نالني ينالني، ونلت الشيء فهو مَنيل. وذلك إذا كنت تناله بيدك، وليس من التناول. وذلك أن التناول من النوال، يقال منه: نُلْتُ له، أنول له: من العطيّة "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ بِيسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴾ [هود:99] تكلم في معنى الرَّفد والرِّفد فقال: " وأصل الرفد: العون، يقال منه: رَفَد فلانٌ فلانًا عند الأمير يَرفِده رِفْدًا بكسر الراء، وإذا فتحت فهو السَّقي في القدح العظيم، والرَّفد: القدحُ الضخم، ومنه قول الأعشى:

رُبَّ رَفْدٍ هَرَقْتَهُ ذَلِكَ الْيَوْ *** مَ وَأَسْرَى مِنْ مَعْشَرٍ أَقْتَالِ

ويقال: رَفد فلان حائطه، وذلك إذا أسنده بخشبة، لئلا يسقط. والرَّفد بفتح الراء المصدر. يقال منه: رَفَده يَرفِده رَفْدًا، والرِّفْد: اسم الشيء الذي يُعطاه الإنسان، وهو المرْفَد "[3].

---

[1] المصدر السابق: مج5/ جز8/ ص239.
[2] المصدر نفسه: مج7/ جز11/ ص86.
[3] المصدر نفسه: مج7/ جز12/ ص138.

المطلب السادس: إجمال الإمام الطبري معنى الكلمة أو التركيب القرآني من المرويات التفسيرية.

والإمام الطبري يُصدّر تفسيره للآية القرآنية أو الآيات بذكر معنى الكلمات أو التراكيب ملخَّصا من المرويات التفسيرية المسندة إلى قائليها من الصحابة والتابعين، ثم يتبع ذلك بالقول: وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. وهذه العبارة الأخيرة تُنبئ بتلخيصه المعنى من جملة تلك الروايات[1].

ويتميّز تلخيص الطبري لمعاني الغريب بأسلوب ولغة لا تكاد توجد في كتب الغريب ومعاجم اللغة على اختلاف مدارسها ومناهجها.

فعند قوله تعالى ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة:227] ذكر المعنى الإجمالي لهذا التركيب، ثم بيّن موافقته لمعنى الروايات عن السلف ثم سردها فقال رحمه الله: " يعني تعالى ذكره بذلك: تلك معالم فصوله، بينَ ما أحل لكم، وما حرم عليكم أيها الناس، فلا تعتدوا ما أحل لكم من الأمور التي بينها وفصلها لكم من الحلال، إلى ما حرم عليكم، فتجاوزوا طاعته إلى معصيته... وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وإن خالفت ألفاظ تأويلهم ألفاظ تأويلنا، غير أن معنى ما قالوا في ذلك يرجع إلى معنى ما قلنا فيه "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ [آل عمران:117] لخّص معنى الصرّ من مجموع المرويات المسندة إلى السلف، وهذا بلغة راقية مخالفة ألفاظ السلف في تفسيرهم لهذه الكلمة فقال: " وأما الصر: فإنه شدة البرد، وذلك بعُصُوف من الشمال في إعصار الطَّلّ والأنداء، في صبيحة مُعْتمة بعقب ليلة مصحية، كما... قال عكرمة: برد شديد... وقال ابن عباس: برد شديد وزمهرير... وقال ابن زيد: ريح باردة أهلكت حرثهم "[3].

---

[1] بالإضافة إلى النماذج المذكورة في المتن، نحيل على مواضع أخرى يلخص فيها الطبري المعنى مما يسنده من مرويات، ينظر جامع البيان: مج3/ جز3/ ص97، جز4/ ص133، ص137، مج5/ جز7/ ص102، مج9/ جز15/ ص306.

[2] المصدر نفسه: مج2/ جز2/ ص628-629، بتصرف يسير.

[3] المصدر نفسه: مج3/ جز4/ ص76-77، بتصرف.

وعند قوله تعالى ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ ﴾ [الأعراف:169] بين معنى هذه الآية ملخصا لمعناها من تفسيرات السلف بعبارات تغاير تأويلاتهم مع الاتفاق في المضمون، حيث قال: " معناه: فتبدَّل من بعدهم بَدَل سوء، ورثوا كتاب الله فَعُلِّموه، وضيعوا العمل به، فخالفوا حكمه، يُرْشَون في حكم الله، فيأخذون الرشوة فيه من عَرَض هذا العاجل الأدنى... ويقولون إذا فعلوا ذلك: إن الله سيغفر لنا ذنوبنا، تمنِّيًا على الله الأباطيل، كما قال جل ثناؤه فيهم: ((فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ)) [البقرة: 79] ((وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه)) يقول: وإن شرع لهم ذنبٌ حرامٌ مثله من الرشوة بعد ذلك أخذوه واستحلوه ولم يرتدعوا عنه. يخبر جل ثناؤه عنهم أنهم أهل إصرار على ذنُوبهم، وليسوا بأهل إنابة ولا تَوْبة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل وإن اختلفت عنه عباراتهم "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ ﴾ [الرعد:4] لخّص معنى هذا التركيب من أقوال السلف المسندة فقال: " يقول تعالى ذكره: وفي الأرض مع القطع المختلفات المعاني منها، بالملوحة والعذوبة، والخبث والطيب، مع تجاورها وتقارب بعضها من بعض، بساتين من أعناب وزرع ونخيلٍ أيضًا، متقاربةٌ في الخلقة مختلفة في الطعوم والألوان، مع اجتماع جميعها على شرب واحد. فمن طيّبٍ طعمُه منها حسنٍ منظره طيبةٍ رائحته، ومن حامضٍ طعمه ولا رائحة له. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل[2] "[3].

---

[1] المصدر السابق: مج6/ جز9/ ص132، بتصرف يسير.

[2] ساق الطبري روايتين مسندتين إلى كل من: سعيد بن جبير ومجاهد، تبين أن الإمام الطبري لخّص هذا المعنى من كلتا الروايتين، وزاد ألفاظا لم ترد في الروايتين، مما يُظهر أن الطبري ينفرد ببيان معان في الغريب لم يشر إليها من سبقه من الأئمة.

[3] المصدر نفسه: مج8/ جز13/ ص124-125.

المطلب السابع: تميّز الإمام الطبري بمعجم لغوي للغريب[1].

ويظهر هذا لمن يطالع تفسير الطبري ويطيل النظر فيه، فلا يفوّت فرصة بيان معنى كلمة غريبة إلاّ ويغوص في اشتقاقاتها واستعمالاتها عند العرب على اختلاف لهجاتهم، تذكيرا وتأنيثا وجمعا وإفرادا، ومن شدة اهتمام الطبري بذلك تظن نفسك تطالع معجما لغويا وليس تفسيرا للقرآن؛ إذ يقول الشيخ محمود شاكر في مقدمة تحقيقه على تفسير ابن جرير وهو يبيّن سبب وضعه فهرسا لألفاظ اللغة في نهاية كل جزء: " وأفردت فهرسًا ثانيًا لألفاظ اللغة؛ لأنه كثير الإحالة على ما مضى في كتابه، وليكون هذا الفهرس مرجعًا لكل اللُّغَة التي رواها الطبري، وكثير منها ممّا لم يرد في المعاجم، أو جاء بيانه عن معانيها أجودَ من بيان أصحاب المعاجم. وهو فهرسٌ لاَ بُدَّ أن يتم عند كُلّ جزء، حتى لاَ يسقط عليّ شيءٌ من لغة الطبري "[2].

على أن الإمام الطبري ينفرد بلغة فريدة مرْوية ومسموعة عن العرب، تكاد لا تجدها حتى في المعاجم اللغوية على اختلاف مدارسها ومناهجها، فعند قوله تعالى ﴿وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام:114] بيّن معنى الاقتراف فقال: " يقول تعالى ذكره: وليكتسبوا من الأعمال ما هم مكتسبون. حُكي عن العرب سماعًا منها: خرج يقترف لأهله، بمعنى يكسب لهم. ومنه قيل: قارف فلان هذا الأمر: إذا واقعه وعمله. وكان بعضهم يقول: هو التهمة والادعاء. يقال للرجل: أنت قَرَفْتَني: أي اتهمتني. ويقال: بئسما اقترفتَ لنفسك، وقال رؤبة:

أَعْيَا اقْتِرَافُ الكَذِبِ المَقْرُوفِ *** تَقْوَى التَّقِي وعِفَّةَ العَفِيفِ "[3].

---

[1] للاستزادة من النماذج التطبيقية على قاموس الإمام الطبري للغريب، ينظر كلامه في لغة (حرض) مج8/ جز13/ ص55، ينظر لغة (صرخ) ص250، لغة (جنّب) ص285، لغة (سلك وأسلك) جز14/ ص15، لغة (سرح – مرح) ص102، لغة (شطط) مج9/ جز15/ ص255، لغة (وبق) ص323، لغة (عتى) جز16/ ص71، لغة (فرط) ص215.

[2] ينظر: مقدمة تحقيق الشيخ محمود شاكر، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر الطبري، تح: محمود شاكر، ط:1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ – 2000م، مج1/ ص18.

[3] المصدر نفسه: مج5/ جز8/ ص13.

وعند قوله تعالى ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ ﴾ [الأنعام:144] تكلم في لغة الضأن والمعز فقال: " والضأن: جمع لا واحد له من لفظه، وقد يجمع الضأن الضَّئين والضِّئين"، مثل الشَّعير والشِّعير، كما يجمع العبد على عَبيد، وعِبيد. وأما الواحد من ذكوره فضائن، والأنثى ضائنة، وجمع الضائنة: ضوائن. وكذلك المعز جمع على غير واحد، وكذلك المعزى، وأما الماعز، فجمعه مواعز "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ ﴾ [الأعراف:17] تكلم في معنى المذؤوم والمدحور فأحسن، حيث قال: " والذأْم: العيب. يقال منه: ذأمَه يذأمه ذأمًا فهو مذؤوم، ويتركون الهمز فيقولون: ذِمْته أذيمه ذيمًا وذامًا، والذأم والذيم، أبلغ في العيب من الذمّ، وقد أنشد بعضهم هذا البيت:

صَحِبْتُكَ إِذْ عَيْنِي عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ *** فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَّعْتُ نَفْسِي أَذِيمُهَا

وأكثر الرواة على إنشاده ألومها. وأما المدحور: فهو المقْصَى، يقال: دحره يدحَرُه دَحْرًا ودُحُورًا: إذا أقصاه وأخرجه، ومنه قولهم: ادحَرْ عنكَ الشيطان "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ﴾ [الأعراف:25] تكلم في معنى كلمة الريش فقال: " والرياش في كلام العرب، الأثاث، وما ظهر من الثياب من المتاع مما يلبس أو يُحْشى من فراش أو دِثَار. والريش: إنما هو المتاع والأموال عندهم. وربما استعملوه في الثياب والكسوة دون سائر المال. يقولون: أعطاه سرجًا بريشه ورَحْلا بريشه، أي بكسوته وجهازه. ويقولون: إنه لحسن ريش الثياب، وقد يستعمل الرياش في الخصب ورَفاهة العيش "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ ﴾ [الأعراف:171] تكلم في معنى النتق فأحسن، حيث قال: " واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى قوله: ((نتقنا)) فقال بعض البصريين معنى نتقنا: رفعنا، واستشهد بقول العجاج:

---

[1] المصدر السابق: مج5/ جز8/ ص89.
[2] المصدر نفسه: مج5/ جز8/ ص177.
[3] المصدر نفسه مج5/ جز8/ ص188.

يَنْتُقُ أَقْتَادَ الشَّلِيلِ نَتْقَا

... وقال آخر: معناه في هذا الموضع: رفعناه. وقال: قالوا: نَتَقَني السَّيرُ: حرَّكني. وقال: قالوا: ما نَتَق برجْلِه لا يركُض، والنتق: نتق الدابة صاحبها حين تعدُو به وتتعبه حتى يربو، فذلك النَّتق والنتوق، ونتقتني الدَّابة ونتقت المرأة تنْتُق نُتوقًا: كثر ولدها. وقال بعض الكوفيين: ((نتقنا الجبل)): عَلَّقنا الجبل فوقهم فرفعناه، ننتقه نتقًا، وامرأة مِنْتاق: كثيرة الولد، قال: وسمعت أخذ الجراب فنتق ما فيه: إذا نثر ما فيه "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة:55] تكلم في لغة (زهق) فقال: " وأما قوله: ((وتزهق أنفسهم وهم كافرون)) فإنه يعني وتخرج أنفسهم، فيموتوا على كفرهم بالله، وجحودهم نبوّةَ نبيّ الله محمد ﷺ. يقال منه: زَهَقَت نفس فلان، وزَهِقَت، فمن قال: زَهَقَت قال: تَزْهَق، ومن قال: زَهِقت، قال: تزهِق[2] زهوقًا، ومنه قيل: زَهَق فلان بين أيدي القوم يَزْهَق زُهُوقا: إذا سبقهم فتقدمهم. ويقال: زهق الباطل: إذا ذهب ودرس "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ ﴾ [هود:71] تكلم في معنى البعل ولغته فقال: " والبعل في هذا الموضع: الزوج، وسمي بذلك؛ لأنه قيم أمرها، كما سموا مالك الشيء بعله، وكما قالوا للنخل التي تستغني بماء السماء عن سقي ماء الأنهار والعيون البعل؛ لأن مالك الشيء القيم به، والنخل البعل بماء السمَاء حياتُه "[4].

وعند قوله تعالى ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [يوسف:86] تكلم في معنى البثّ ، وبيّن رأيه فيه من حيث اللغة فقال: " ويعني بقوله: ((إنما أشكو بثي)): ما أشكو هَمّي وحزني إلا إلى الله...

---

[1] المصدر السابق: مج6/ جز9/ ص138، بتصرف.

[2] قال الشيخ محمود شاكر معلقا على كسر الهاء في مضارع تزهَق: أصحاب اللغة لم يذكروا في مضارعه إلا فتح الهاء، أما الأخرى فلا أدري ما تكون، ولا أجد لها عندي وجهًا، فتركتها على حالها لم أضبطها. ينظر تحقيقه على جامع البيان: مج14/ ص297 بتصرف.

[3] المصدر نفسه: مج6/ جز10/ ص193.

[4] المصدر نفسه: مج7/ جز12/ ص96.

وقيل: إن البثّ: أشد الحزن[1]، وهو عندي من: بَثّ الحديث، وإنما يراد منه: إنما أشكو خبري الذي أنا فيه من الهمّ، وأبثُّ حديثي وحزني إلى الله "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ﴾ [الرعد:7] تكلم في معنى المثلات فقال: " والمثلات: العقوبات المنكّلات، والواحدة منها: مَثُلة بفتح الميم وضم الثاء، ثم تجمع مَثُلات كما واحدة الصَّدُقَات صَدُقَة، ثم تجمع صَدُقَات. وذكر أن تميمًا من بين العرب تضم الميم والثاء جميعًا من المثُلات، فالواحدة على لغتهم منها: مُثْلة، ثم تجمع مُثُلات، مثل غُرْفة وغُرُفات، والفعل منه: مَثَلْت به أَمْثُلُ مَثْلا بفتح الميم وتسكين الثاء، فإذا أردت أنك أقصصته من غيره، قلت: أمثلته من صاحبه أُمْثِلُه إمْثالا وذلك إذا أقصصته منه "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴾ [إبراهيم:51] مع أنه اختار معنى الأصفاد: الأغلال والسلاسل، إلاّ أنه لم يهمل معناها بمعنى العطاء، وجاء بشواهد على هذا المعنى الغير مراد في هذا الموضع، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على ثراء معجم الغريب عند الإمام الطبري، حيث قال: " يقول: مقرنة أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأصفاد، وهي الوثاق من غلّ وسلسلة، واحدها: صَفَد، يقال منه: صفدته في الصَّفَد صَفْدا وصِفادا، والصفاد: القيد، ومنه قول عمرو بن كلثوم:

فَآبُوا بالنِّهابِ وبالسَّبايا *** وأُبْنا بالمُلُوكِ مُصَفَّدِينا

ومن جعل الواحد من ذلك صِفادا جمعه: صُفُدا لا أصفادا، وأما من العطاء، فإنه يقال منه: أصفدتُهُ إصفادا، كما قال الأعشى:

تَضَيَّفْتُهُ يَوْما فأَكْرَمَ مَجْلِسِي *** وأصْفَدَنِي عِنْدَ الزَّمانَةِ قائِدَا

وقد قيل في العطاء أيضا: صَفَدَنِي صَفْدا، كما قال النابغة الذبياني:

---

[1] كلام أبو عبيدة، كما في مجاز القرآن: مج1/ ص317.
[2] جامع البيان: مج8/ جز13/ ص58، بتصرف.
[3] المصدر نفسه: مج8/ جز13/ ص134.

هَذَا الثَّنَاءُ فإنْ تَسْمَعْ لِقَائِلِهِ *** فَمَا عَرَضْتُ أَبَيْتَ اللَّعْنَ بالصَّفَدِ "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ ﴾ [النحل:14] تكلم في لغة المخر فقال: " والمخْر في كلام العرب: صوت هبوب الريح، إذا اشتدّ هبوبها، وهو في هذا الموضع: صوت جري السفينة بالريح إذا عصفت وشقها الماء حينئذ بصدرها، يقال منه: مَخَرَت السفينة تمخر مخرا ومخورا، وهي ماخرة، ويقال: امتخرت الريح وتمخرتها: إذا نظرتَ من أين هبوبها وتسمَّعت صوت هبوبها، ومنه قول واصل مولى ابن عيينة. كان يقال: إذا أراد أحدكم البول فليتمخر الريح، يريد بذلك: لينظر من أين مجراها وهبوبها ليستدبرها فلا تُرجع عليه البول وتردّه عليه "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِباً ﴾ [النحل:52] بيّن أن معنى الواصب: الثابت الدائم، وبيّن أن من معانيه الإعياء والملل – وإن لم يكن هذا المعنى مرادا في هذا الموضع – حيث قال: " يقول جلّ ثناؤه: وله الطاعة والإخلاص دائما ثابتا واجبا، يقال منه: وَصَبَ الدِّينُ يَصِبُ وُصُوبا ووَصْبا كما قال الدِّيلِيّ[3]:

لا أبْتَغِي الحَمْدَ القَلِيلَ بَقاؤُهُ *** يَوْما بِذَمّ الدَّهْرِ أجْمَعَ وَاصِبا

ومنه قول الله ((وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ)) ، وقول حسان:

غَيَّرَتْهُ الرِّيحُ تَسْفِي بِهِ *** وهَزِيمٌ رَعْدُهُ وَاصِبٌ

فأما من الألم، فإنما يقال: وصب الرجل يوصب وَصَبا، وذلك إذا أعيا وملّ، ومنه قول الشاعر:

لا يغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أيْنٍ ولا وَصَبٍ *** ولا يعَضُّ على شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ "[4].

---

[1] المصدر السابق: مج8/ جز13/ ص318.

[2] المصدر نفسه: مج8/ جز14/ ص114.

[3] ظالم بن عمرو بن سفيان، أبو الأسود الدّيلي، كان رأس الناس في النحو، ومن أعلام الشيعة، وعدّه الجاحظ من الشعراء والظرفاء والبخلاء، وكان أعرجا، ولقي ابن عباس ودارت بينهما سجالات، ينظر: البرصان والعرجان والعميان: عمرو بن بحر الجاحظ، ط:1، دار الجيل، بيروت، 1410هـ، ص437.

[4] جامع البيان: مج8/ جز14/ ص147.

وعند قوله تعالى ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُوراً ﴾ [الإسراء:102] تكلم في لغة (ثبر) فقال: " والعرب تقول: ما ثبّرك عن هذا الأمر: أي ما منعك منه، وما صدّك عنه؟ وثبره الله فهو يُثْبره ويَثبُره لغتان، ورجل مثبور: محبوس عن الخيرات هالك، ومنه قول الشاعر:

إذْ أُجارِي الشَّيطانَ في سَنَنِ الغَيِّ *** وَمنْ مالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٍۖ ﴾ [طه:60] قال في معنى الإسحات: " وللعرب فيه لغتان: سحت، وأسحت، وسحت أكثر من أسحت، يقال منه: سحت الدهر، وأسحت مال فلان: إذا أهلكه فهو يسحته سحتا، وأسحته يسحته إسحاتا، ومن الإسحات قول الفرزدق:

وَعَضُّ زَمانٍ يا بنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ *** مِنَ المالِ إلا مُسْحَتا أوْ مُجَلَّفُ

ويُروى: إلا مسحت أو مجلف "[2].

المطلب الثامن: جمعه في تفسير الغريب بين أقوال أهل اللغة وأقوال أئمة السلف.

والإمام الطبري سبق في تفسير الغريب إلى الجمع بين الرواية عن أهل اللغة والرواية عن المفسرين من السلف، وتبعه في هذا المفسرون الذين جاءوا من بعده. وقد أشار إلى هذا في غير ما موضع:

فعند تفسيره لقوله تعالى ﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٍ ﴾ [هود:68] بين معنى الحنيذ لغة بالنقل عن أئمة البصرة والكوفة، ثم بيّن معناه نقلا عن أئمة السلف من الصحابة التابعين، ثم جمع بينهما، حيث قال: " وقد اختلف أهل العربية في معناه، فقال بعض أهل البصرة منهم معنى المحنوذ: المشويّ، قال: ويقال منه: حَنَذْتُ فرسي: بمعنى سخَّنته وعرَّقته. واستشهد لقوله ذلك ببيت الراجز:

ورَهِبَا مِنْ حَنْذِهِ أَنْ يَهْرَجَا

وقال آخر منهم: حنذ فرسه: أي أضمره، وقال: قالوا حَنَذه يحنِذُه حَنْذًا: أي: عرَّقه. وقال بعض أهل الكوفة: كل ما انشوى في الأرض، إذا خَدَدت له فيه، فدفنته وغممته، فهو الحنيذ والمحنوذ. قال: والخيل تُحْنَذ: إذا ألقيت عليها الجلال بعضُها على بعض لتعرق... وأما أهل التأويل، فإنهم قالوا في

---

[1] المصدر السابق: مج9/ جز15/ ص214.

[2] المصدر نفسه: مج9/ جز16/ ص225.

معناه ما أنا ذاكره: ... فقال ابن عباس: حنيذ: نضيج... وقال قتادة مثل قول ابن عباس... وقال شمر بن عطية: ((فجاء بعجل حنيذ)) قال: المشويّ الذي يقطر... وقال الضحاك: ((بعجل حنيذ)) الذي أنضج بالحجارة.... قال أبو جعفر: وهذه الأقوال التي ذكرناها عن أهل العربية وأهل التفسير متقاربات المعاني بعضها من بعض "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ [إبراهيم:36] تكلم في معنى هذا التركيب، ورأي الطبري مزيج بين قول أئمة اللغة من مدرستي البصرة والكوفة وبين قولَيْ مجاهد وركانة بن هاشم[2]، حيث قال: " وأعطاكم... من كل شيء سألتموه، ورغبتم إليه شيئا، وحذف الشيء الثاني اكتفاء بما التي أضيفت إليها كلّ، وإنما جاز حذفه؛ لأن من تُبعِّض ما بعدها، فكفت بدلالتها على التبعيض من المفعول، فلذلك جاز حذفه، ومثله قوله تعالى: ((وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ)) يعني به: وأوتيت من كل شيء في زمانها شيئا، وقد قيل: إن ذلك إنما قيل على التكثير، نحو قول القائل: فلان يعلم كل شيء، وأتاه كل الناس، وهو يعني بعضهم، وكذلك قوله ((فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ)). وقيل أيضا: إنه ليس شيء إلا وقد سأله بعض الناس، فقيل ((وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ)) أي قد أتى بعضكم منه شيئا، وأتى آخر شيئا مما قد سأله. وهذا قول بعض نحويّي أهل البصرة. وكان بعض نحويّي أهل الكوفة يقول: معناه: وآتاكم من كلّ ما سألتموه لو سألتموه، كأنه قيل: وآتاكم من كلّ سؤلكم، وقال: ألا ترى أنك تقول للرجل، لم يسألك شيئا: والله لأعطينك سُؤْلك ما بلغت مسألتك، وإن لم يسأل. فأما أهل التأويل، فإنهم اختلفوا في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: وآتاكم من كلّ ما رغبتم إليه

---

[1] المصدر السابق: مج7/ جز12/ ص86-88، بتصرف.

[2] هو رُكانة بن يزيد بن هاشم القرشي، ذكره البخاري في تاريخه، وذكر قصة مُصارعته للنبي ﷺ وصرْع النبي له، وذلك قبل إسلامه، قال ابن عبد البرّ: كان من مسلمة الفتح، وكان أشد الناس، وروى بعض الأحاديث للنبي ﷺ، ومات في أول خلافة معاوية رضي الله عنه وأرضاه، ينظر: التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل البخاري، دط، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، دت، مج3/ ص337-338، وينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لابن عبد البرّ، تح: محمد علي البجاوي، ط:1، دار الجيل، بيروت، دت، مج2/ ص507.

فيه (وهذا قول مسند إلى مجاهد)... وقال آخرون: بل معنى ذلك: وآتاكم من كل الذي سألتموه والذي لم تسألوه (وهذا القول مسند إلى رُكانة بن هاشم) "[1].

وبعد التعريف بالطبري – ولو بإيجاز – وبيان قيمة تفسيره عند المفسرين، وتوضيح وشرح مصطلحات الدراسة (الغريب – الاختيار – التفسير اللغوي – سماته عند الطبري – ألفاظ الاختيار – مراتب الاختيار) ينبغي تبيين مصادر الطبري في تفسير الغريب، وهذا هو عنوان الفصل الثاني.

[1] المصدر السابق: مج8/ جز13/ ص282-284، بتصرف.

الفصل الثاني: مصادر الإمام الطبري في تفسير الغريب.

- المبحث الأول: تفسير الغريب بأحسن طرق التفسير (القرآن – أقوال الرسول – أقوال السلف)
- المبحث الثاني: تفسير الغريب بإجماع الحجّة.
- المبحث الثالث: تفسير الغريب بكلام العرب (شعر – سماع – قياس)
- المبحث الرابع: اعتماده على من سبقه من أئمة الغريب.

سنتناول في هذا الفصل استمداد تفسير الغريب عند الإمام الطبري، أو بعبارة أخرى مراجعه في بيان معاني غريب القرآن؛ إذ تبيّن من خلال استقراء تفسيره للغريب أنه يرجع في بيان معاني الغريب إلى تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة ثم بأقوال السلف (أحسن طرق بيان معاني القرآن) كما لوحظ اعتماده على الإجماع وكذا كلام العرب، واعتمد أيضا على كتب الغريب المؤلفة قبله، وتفصيل ذلك في المباحث الموالية:

المبحث الأول: تفسير الغريب بأحسن طرق التفسير (القرآن – أقوال الرسول – أقوال السلف)

المطلب الأول: تفسير الغريب بالقرآن.

فأعلى درجات تفسير الغريب : هي تفسيره بالقرآن ، وذلك يكون بتفسير كلمة بكلمة واضحة في موضع آخر ، أو بيان معنى تركيب بتركيب آخر أكثر وضوحا منه . وهذه الصّناعة التفسيرية لابد من توفرها في المفسّر ، فيجب أنّ تفسّر الكلمات الغريبة مجتمعة ليخلص إلى المعنى المراد[1].

والإمام الطبري يفسر غريب القرآن (مفردات وتراكيب) بنظائره في مواطن أخرى من القرآن الكريم، وهذا من أعلى مراتب التفسير كما أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى ذلك في مقدمته[2].

الفرع الأول: تفسير الكلمة الغريبة بالقرآن.

وذلك في تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ [البقرة:123] فسّر إتمام إبراهيم عليه السلام الكلمات بالوفاء المذكور في سورة النجم فقال: " يعني جلّ ثناؤه بقوله (فأتمّهنّ) فأتمّ إبراهيم الكلمات، وإتمامه إياهنّ: إكماله إياهن بالقيام لله بم أوجب عليه فيهن، وهو الوفاء الذي قال الله جل ثناؤه: (وإبراهيم الذي وفّى) [النجم:37] يعني: وفّى بما عهد إليه بالكلمات "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ [آل عمران:38] قال في معنى الذرّية: " وأما الذرية: فإنها جمع، وقد تكون في معنى الواحد، وهي في هذا الموضع الواحد. وذلك أنّ الله عز وجل قال في موضع آخر، مخبرًا عن دعاء زكريا: (فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا) [سورة مريم: 5] ، ولم يقل: أولياء فدلّ على أنه سأل واحدًا "[4].

---

[1] ينظر: المقدمة في أصول التفسير : لابن تيمية، تح: فواز أحمد زمرلي، ط:2، دار ابن حزم، بيروت، 1418هـ، ص41.

[2] حكى شيخ الإسلام الإجماع: على أنّ من أراد تفسير القرآن الكريم : طلبه أولا من القرآن نفسه ، فما أجمل منه في مكان فسّر في موضع آخر ، وما اختصر منه في مكان بسط في موضع آخر، ينظر: المصدر نفسه: ص84.

[3] جامع البيان: مج1/ جز1/ ص693.

[4] المصدر نفسه: مج3/ جز3/ ص320.

وعند قوله تعالى ﴿ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾ [النساء:10] رأى أن السعير صفة من صفات جهنم مستندا إلى الآية التي في سورة التكوير فقال: " وأما السعير: فإنه شدة حر جهنم، ومنه قيل: استعرت الحرب: إذا اشتدت، وإنما هو مَسعور، ثم صرف إلى سعير، كما قيل: كفّ خَضِيب، ولِحية دهين، وإنما هي مخضوبة، صرفت إلى فعيل. فتأويل الكلام إذًا: وسيصلون نارًا مسعَّرة، أي: موقودة مشعلة شديدًا حرُّها. وإنما قلنا إنّ ذلك كذلك؛ لأن الله جل ثناؤه قال، ((وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ)) [سورة التكوير: 12] ، فوصفها بأنها مسعورة. ثم أخبر جل ثناؤه أن أكلة أموال اليتامى يصلونها وهي كذلك. فالسعير إذًا في هذا الموضع، صفة للجحيم على ما وصفنا "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ فَاحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً ﴾ [الرعد:19] فسّر كلمة رابيا بنظيرتها في سورتي فصلت والحج فقال: " وعنى بقوله: رابيًا: عاليًا منتفخًا، من قولهم: رَبَا الشيء يَرْبُو رُبُوًّا فهو رابٍ، ومنه قيل للنَّشْز من الأرض كهيئة الأكمة: رابية، ومنه قول الله تعالى: ((اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ)) [الحج:5 – فصلت:39] "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً ﴾ [الإسراء:29] فسّر الحسر بمعنى القطع والكلّ واستشهد بالآية التي في سورة تبارك، فقال: " وأصله من قولهم للدابة التي قد سير عليها حتى انقَطَع سيرها، وكلّت ورزحت من السير، بأنه حَسِير. يقال منه: حَسَرْت الدابة فأنا أحسِرُها، وأحسُرها حَسْرا، وذلك إذا أنضيته بالسير، وحَسَرته بالمسألة: إذا سألته فألحفت، وحَسَرَ البصرُ فهو يَحْسِر، وذلك إذا بلغ أقصى المنظر فكَلّ. ومنه قوله عزّ وجلّ: ((يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ)) وكذلك ذلك في كلّ شيء كَلَّ وأزحف حتى يَضْنَى "[3].

---

[1] المصدر السابق: مج3/ مج4/ ص344.
[2] المصدر نفسه: مج8/ جز13/ ص174.
[3] المصدر نفسه: مج9/ جز15/ ص98.

الفرع الثاني: تفسير تركيب قرآني بالقرآن.

وذلك حين استشهد للمؤخر الذي حقه التقديم في سورة الفاتحة عند قوله ﴿ أَلرَّحْمَٰنِ أَلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة:2] إذ التقدير: الحمد لله الرحمن الرحيم ربّ العالمين، بما في فاتحة سورة الكهف ﴿ أَلْحَمْدُ لِلهِ أَلذِے أَنزَلَ عَلَيٰ عَبْدِهِ أَلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجاَ قَيِّماً ﴾ [الكهف:1 – 2] إذ تقديره: الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيّما ولم يجعل له عوجا [1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ أَللَّهُ بِهِۦٓ أَنْ يُّوصَلَ ﴾ [البقرة:26] قال أبو جعفر: " والذي رغب الله في وصله وذمّ على قطعه في هذه الآية: الرحم، وقد بيّن ذلك في كتابه فقال تعالى ﴿ فَهَلْ عَسِيتُمُۥٓ إِن تَوَلَّيْتُمُۥٓ أَن تُفْسِدُواْ فِے اِ۬لَارْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمُۥٓ ﴾ [محمد:23] "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِے بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ اِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة:30] فسّر هذا التركيب بتركيب قرآني يماثله في المعنى فقال: " وهذا الفعل من الله جل ثناؤه بملائكته الذين قالوا له: (أتجعل فيها من يفسد فيها) من جهة عتابه جل ذكره إياهم نظيرُ قوله جل جلاله لنبيه نوح صلوات الله عليه إذ قال: (رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ) [سورة هود: 45] فكذلك الملائكة سألت ربها أن تكون خُلفاءه في الأرض ليسبّحوه ويقدسوه فيها، إذ كان ذرية من أخبرهم أنه جاعلُه في الأرض خليفةً، يفسدون فيها ويسفكون الدماء... فلما اتضح لهم موضع خطأ قيلهم، وبدت لهم هَفوة زَلتهم، أنابوا إلى الله بالتوبة فقالوا: (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا) فسارعوا الرجعة من الهفوة، وبادروا الإنابة من الزلة، كما قال نوح – حين عوتب في مَسألته فقيل له: لا تسألَنِّ ما ليس لك به علم "[3].

وعن قوله تعالى ﴿ اُوْلَٰٓئِكَ مَا يَاكُلُونَ فِے بُطُونِهِمُۥٓ إِلاَّ أَلنَّارَ ﴾ [البقرة:173] استشهد لمعنى هذا التركيب بالتركيب الذي في سورة النساء فقال: " يعني تعالى ذكره بقوله: (أولئك): هؤلاء الذين

---

[1] ينظر جامع البيان: مج1/ جز1/ ص82.

[2] المصدر نفسه: مج1/ جز1/ ص242.

[3] المصدر نفسه: مج1/ جز1/ ص288.

يكتمون ما أنزل الله من الكتاب في شأن محمد ﷺ بالخسيس من الرِّشوة يُعطَوْنها، فيحرِّفون لذلك آيات الله ويغيِّرون معانيها، ما يأكلون في بطونهم: بأكلهم ما أكلوا من الرُّشى على ذلك والجعالة، وما أخذوا عليه من الأجر إلا النار يعني: إلا ما يوردهم النار ويُصْليهموها، كما قال تعالى ذكره: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) [سورة النساء: 10] معناه: ما يأكلون في بطونهم إلا ما يوردهم النار بأكلهم. فاستغنى بذكر النار وفهم السامعين معنى الكلام، عن ذكر ما يوردهم، أو يدخلهم "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ ﴾ [آل عمران:159] بين هذا التركيب بالتركيب الذي في سورة التوبة فقال: " وأما قوله: ((ولو كنت فظًّا غليظ القلب لانفضوا من حولك)) فإنه يعني بالفظ: الجافي، وبغليظ القلب: قاسي القلب، غير ذي رحمة ولا رأفة. وكذلك كانت صفته ﷺ كما وصفه الله به: ((بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)) [سورة التوبة: 128] "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [النساء:119] فسر هذا التركيب بتراكيب أخرى مماثلة له من سورتي الأنفال وإبراهيم فقال رحمه الله: " قوله ((وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا)) يقول: وما يعد الشيطان أولياءَه الذين اتخذوه وليًّا من دون الله إلا غرورًا يعني: إلا باطلا، وإنما جعل عِدَته إياهم جل ثناؤه ما وعدهم غرورًا؛ لأنهم كانوا يحسبون أنهم في اتخاذهم إياه وليًّا على حقيقةٍ من عِدَاته الكذب وأمانيه الباطلة، حتى إذا حصحص الحق، وصاروا إلى الحاجة إليه، قال لهم عدوّ الله: ((إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ)) [سورة إبراهيم: 22] وكما قال للمشركين ببدر، وقد زيَّن لهم أعمالهم: ((لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ)) وحصحص الحقّ، وعاين جدّ الأمر

---

[1] المصدر السابق: مج1/ جز2/ ص119.

[2] المصدر نفسه: مج3/ جز4/ ص190، بتصرف يسير.

ونزول عذاب الله بحزبه : ((نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ)) [سورة الأنفال: 48] فصارت عِدَاته، عدُوَّ الله إياهم عند حاجتهم إليه غرورًا ((كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ)) [سورة النور: 39] "[1].

المطلب الثاني: تفسير الغريب بأقوال الرسول ﷺ[2].

السنة شارحة للقرآن وموضّحة له ، فينبغي طلب غريب القرآن في السنّة إذا لم يوجد ما يوضّحه من القرآن ، لذلك يقول عليه الصلاة والسلام : " ألا إني أتيت القرآن ومثله معه "[3]، فلزم بذلك الرجوع إلى أقواله وسنته، مع الاحتراز من الضعيف والموضوع فإنه كثير في كتب التفسير ، وإذا ثبت التفسير النبوي فحسبك به لا يلتفت إلى غيره[4]. هذا إذا كان قول النبي ﷺ نصا صريحا في التفسير، وإذا لم يكن كذلك، فقول النبي الثابت مقدم على غيره من كلام العرب في الاستشهاد على معاني القرآن؛ لأنه أحاط بمنطق العرب ولغاتها على اختلافها، يقول الرافعي وهو يذكر تأثير النبي ﷺ في لغة العرب مع أنه قرشي: " ومع أنه قرشي، كان لا بدّ أن يكون ﷺ محيطا بفروق تلك اللغات، مستوعبا لها على أتم ما تكون الإحاطة والاستيعاب، كأنه في كل لغة من أهلها، بل أفصحَ أهلها... حتى قال عنه عليّ

---

[1] المصدر السابق: مج4/ جز5/ ص368.

[2] توخيا للاختصار نحيل على نماذج أخرى فسر فيها الطبري مفردات القرآن وتراكيبه بأقوال الرسول ﷺ، ينظر جامع البيان: مج3/ جز3/ ص308، مج4/ جز5/ ص429، مج6/ جز10/ ص211، مج7/ جز12/ ص97.

[3] أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم: (17174) من حديث المقداد بن معد يكرب، ينظر: المسند: أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرناؤوط وجماعة، ط:1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421هـ - 2001م، 410/28.

[4] ينظر: المقدمة في أصول التفسير: ص85.

رضي الله عنه: ما سمعت كلمة غريبة من العرب إلاّ وسمعتها من الرسول ﷺ، وسمعته يقول: (مات حتف أنفه وما سمعتها من عربي قبله[1] "[2].

والإمام الطبري عالم بالسنن والآثار، ومطلع على أقوال الرسول ﷺ بأسانيدها وطرقها، فإذا صح عنده الحديث والأثر عنه النبي ﷺ تعيّن المصير إليه، وعدم مجاوزته إلى غيره. وهذه أمثلة على ذلك:

فعند قوله تعالى ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة:7] فسر رحمه الله المغضوب عليهم والضالين بما رواه عدي بن حاتم عن الرسول ﷺ أنه قال: " المغضوب عليهم: اليهود، والضالون: النصارى[3] "[4].

وعند قوله تعالى ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴾ [البقرة:19] فسّر الخطف بما روي عن الرسول ﷺ فقال: " والخطف: السلب، ومنه الخبر الذي روي عن النبي ﷺ ((أنه نهى عن الخطفة)) يعني بها النُّهبة، ومنه قيل للخُطاف الذي يُخرج به الدلو من البئر خُطّافٌ؛ لاختطافه واستلابه ما علق به "[5].

وعند قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران:21] أورد حديثا صريحا عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه عن

---

[1] أورده السيوطي في الجامع الكبير برقم (386) والمتقي الهندي في كنز العمال برقم (18674) انظر: الجامع الكبير: السيوطي، تح: مختار إبراهيم الهائج وفريقه، ط: 2، منشورات الأزهر الشريف، القاهرة، 1426هـ – 2005م، 376/17، وانظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: المتقي الهندي، تح: بكري حياتي – صفوة السقا، ط:5، مؤسسة الرسالة، 1401هـ – 1981م، 214/7.

[2] ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، دط، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، دت، ص246–ص250.

[3] أخرجه الإمام أحمد في رقم (19381) وابن حبان في الصحيح برقم (6246) والطبراني في الكبير برقم (237) كلهم عن عدي بن حاتم في قصة طويلة في إسلامه وبألفاظ متباينة. ينظر: المسند: أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرناؤوط، ط:1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421هـ – 2001م، 124/32. وينظر: صحيح ابن حبان: محمد بن حبان، تح: شعيب الأرناؤوط، ط:2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ – 1993م، 139/14. وينظر: المعجم الكبير: سليمان بن أحمد الطبراني، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط:1، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، دت، 99/17.

[4] جامع البيان: مج1/ جز1/ ص102–103.

[5] المصدر نفسه: مج1/ جز1/ ص207.

النبي ﷺ قوله حين سأله أبو عبيدة: أي الناس أشد عذابا يوم القيامة؟، فقال ﷺ : " : رجل قتل نبيًّا، أو رجل أمر بالمنكر ونهى عن المعروف. ثم قرأ رسول ﷺ ((إنّ الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس... إلى أن انتهى إلى وما لهم من ناصرين)) ثم قال رسول الله ﷺ: يا أبا عبيدة، قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيًّا من أول النهار في ساعة واحدة! فقام مائة رجل واثنا عشر رجلا من عُبَّاد بني إسرائيل، فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر، فقُتلوا جميعًا من آخر النهار في ذلك اليوم، وهم الذين ذكر الله عز وجل "[1].

والإمام الطبري رحمه يشترط صحة الأحاديث المسندة إلى النبي ﷺ في تفسير الغريب؛ فعند قوله تعالى ﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَيٰهُنَّ قِنطَاراً ﴾ [النساء:20] يقول: " وقد روي عن النبي ﷺ في قوله: (وآتيتم إحداهن قنطارًا) – خبرٌ لو صحّ سندُه[2]، لم نعْدُه إلى غيره... فعن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ : (وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا) [سورة النساء: 20] قال: ألفا مئين يعني : ألفين "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران:103] فسّر هذا التركيب بتفسير نبوي صريح فقال: " يعني جل ثناؤه بقوله: ولا تفرقوا: ولا تتفرقوا عن دين الله وعهده الذي عهد إليكم في كتابه، من الائتلاف والاجتماع على طاعته وطاعة رسوله ﷺ والانتهاء إلى أمره. كما... قال رسول الله ﷺ: إنّ بني إسرائيل افترقت على إحدى وسَبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على

---

[1] المصدر السابق: مج3/ جز3/ ص280.

[2] وهذه العبارة ليست شكا من الإمام الطبري في ضعف إسناد حديث أنس إلى النبي ﷺ، ولكنها إقرارا منه بضعف إسناده؛ إذ في الحديث اضطراب في متنه فرُوي بلفظ "ألفا مئين" ولفظ "ألفًا ومئين" ولفظ "ألفا ومئتين"، وهذا لضعف حفظ أبان بن أبي عياش التابعي، فلم يأخذ الإمام الطبري بمدلول الحديث في معنى القنطار، وقدّم ما يقتضيه المعنى العربي كما بيّنا اختياره في الصفحة......، ينظر تعليق الشيخ أحمد شاكر رحمه الله على هذا الحديث في تحقيقه على تفسير الطبري، جامع البيان: الطبري، تح: أحمد شاكر، ط:1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ – 2000م، مج6/ ص250، بشيء من الاختصار.

[3] جامع البيان: مج3/ جز3/ ص262، بتصرف يسير.

اثنتين وسبعين فرقة، كلهم في النار إلا واحدة. قال: فقيل: يا رسول الله، وما هذه الواحدة؟ قال: فقبض يَدَه وقال: الجماعة، ((واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرّقوا))[1] "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء:34] فسر قوله ((حافظات للغيب)) بالتفسير النبوي الصريح فقال: " وأما قوله: ((حافظات للغيب)) فإنه يعني: حافظات لأنفسهن عند غيبة أزواجهن عنهن، في فروجهن وأموالهم، وللواجب عليهن من حق الله في ذلك... حدثني المثنى... عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: خيرُ النساء امرأةٌ إذا نظرتَ إليها سرَّتك، وإذا أمرَتَها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك. قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ ((الرجال قوامون على النساء)) الآية[3]... قال أبو جعفر: وهذا الخبر عن رسول الله ﷺ يدُلّ على صحة ما قلنا في تأويل ذلك، وأن معناه: صالحاتٌ في أديانهن، مطيعاتٌ لأزواجهن، حافظات لهم في أنفسهنّ وأموالهم "[4].

وعند قوله تعالى ﴿ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ ﴾ [يونس:71] فسّر الإجماع بعقد العزم مستشهدا بحديث الرسول ﷺ فقال: " يقول: فأعدُّوا أمركم، واعزموا على ما تنوُون عليه في أمري. يقال منه: أجمعت

---

[1] رواه ابن ماجه في سننه باب: افتراق الأمم، من حديث أنس برقم (3993)، والحاكم في المستدرك ولفظه ليس فيه ذكر الآية برقم (445). ينظر: سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني، تح: شعيب الأرناؤوط، ط:1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1430هـ – 2009م، 130/5. وينظر: المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ – 1990م، 219/1.

[2] جامع البيان: مج3/ جز4/ ص44، بتصرف.

[3] عزاه السيوطي لابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر والحاكم والبيهقي في سننه من حديث أبي هريرة. ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي، دط، دار الفكر، بيروت، دت، 514/2.

[4] المصدر السابق: مج4/ جز5/ ص83، بتصرف.

على كذا، بمعنى: عزمت عليه، ومنه قول النبي ﷺ: ((من لم يُجْمِع على الصوم من الليل فلا صَوْم له))[1] بمعنى: من لم يعزم "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ [إبراهيم:8] استشهد لمعنى يستحيون: يستبقون من الحياة بحديث النبي ﷺ الذي استعمل فيه هذه الكلمة لذلك المعنى، حيث قال الطبري: " يقول: ويُبقون نساءكم فيتركون قتلهن، وذلك استحياؤهم... ومعناه: يتركونهم والحياة، ومنه الخبر الذي روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((اقْتُلُوا شُيوخَ المشركين وَاسْتَحْيُوا شَرْخَهُمْ))[3] بمعنى: استبقُوهم فلا تقتلوهم "[4].

المطلب الثالث: تفسير الغريب بأقوال السّلف.

فإن لم يوجد تفسير الغريب في القرآن ولا السنّة رُجع إلى أقوال الصحابة ؛ لأنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من قرائن وأحوال نزول القرآن، فلزم الأخذ عنهم رضوان الله عليهم خصوصا المكثرين من التفسير كابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما[5].

---

[1] رواه بهذا اللفظ النسائي في الكبرى برقم (2656) من حديث حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها. ينظر: السنن الكبرى: أحمد بن شعيب النسائي، تح: حسن عبد المنعم شلبي، ط:1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421هـ- 2001م، 171/3.

[2] جامع البيان: مج7/ جز11/ ص176.

[3] رواه الطبري معلقا من غير إسناد، وأخرجه أحمد في مسنده من حديث سمرة بن جندب برقم (20230). وأبو داود، باب: في قتل النساء، برقم (2670). والترمذي، باب: ما جاء في النزول على الحكم، برقم (1583)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي. ينظر: المسند: 233/33. وينظر: سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث المعروف بأبي داود، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دط، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، دت، 54/3. وينظر: سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر، ط:2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1395هـ – 1975م، 145/4.

[4] جامع البيان: مج8/ جز13/ ص232، بتصرف يسير.

[5] ينظر: المقدمة في أصول التفسير: ص87-90، بتصرف.

ويلحق بتفسير الصحابة: تفسير التابعين المشهورين بالتّفسير كمجاهد وعكرمة وعطاء والحسن وغيرهم رحم الله الجميع[1]، وما يميّز تفسير الطبري كثرة الأقوال المروية عن السلف في معاني الغريب وأحكام القرآن، وفيما يلي أمثلة توضح اعتماده على أقوال الصحابة والتابعين في تفسير الغريب.

الفرع الأول: تفسير الغريب بأقوال الصحابة عند الإمام الطبري.

أولا: حجية تفسير الصحابة للغريب عند الإمام الطبري.

لغة الصحابة حجة عند الإمام الطبري في الاستشهاد لمعاني الكلمات القرآنية الغريبة، فمن ذلك استشهاده بقول عثمان ﷺ في تفسير الأمانيّ من قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ [البقرة:77] فقال: " والتمني في هذا الموضع: هو تخلق الكذب وتخرصه وافتعاله. يقال منه: تمنيت كذا، إذا افتعلته وتخرصته. ومنه الخبر الذي روي عن عثمان بن عفان ﷺ: (ما تغنّيت ولا تمنّيت) يعني بقوله: ما تمنيت، ما تخرصت الباطل، ولا اختلقت الكذب والإفك "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ ﴾ [البقرة:93] حين ذكر تفسير هذا التركيب عن ابن عباس وذكر مخالفته لكلام العرب، ولكن الإمام الطبري وجّه تفسير ابن عباس؛ لأن تفسير ابن عباس اللغوي حجة ينبغي تقديمها، فقال: " وأما قوله: (فتمنوا الموت) فإن تأويله: تشهوه وأريدوه. وقد روي عن ابن عباس أنه قال في تأويله: فسلوا الموت. ولا يعرف التمني بمعنى المسألة في كلام العرب. ولكن أحسب أن ابن عباس وجه معنى الأمنية – إذ كانت محبة النفس وشهوتها – إلى معنى الرغبة والمسألة؛ إذْ كانت المسألة، هي رغبة السائل إلى الله فيما سأله "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ [البقرة:97] ذكر توجيه قراءة هذين الاسمين بالهمز وترك المدّ وتشديد الام (جبرئلّ – ميكائلّ) إلى أنهما مركب اسمين جبر وميكا أضيفا إلى إلْ وهو الله،

---

[1] المرجع السابق: ص54.

[2] جامع البيان: مج1/ جز1/ ص494.

[3] المصدر نفسه: مج1/ جز1/ ص559-560.

واستشهد لتفسير الإل بمعنى الله بقول أبي بكر الصديق ﷺ فقال: " وأما تأويل من قرأ ذلك بالهمز، وترك المد، وتشديد اللام، فإنه قصد بقوله ذلك كذلك، إلى إضافة (جبر) و (ميكا) إلى اسم الله الذي يسمى به بلسان العرب دون السرياني والعبراني. وذلك أن (الإلّ) بلسان العرب: الله، كما قال: ((لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً)) [التوبة: 10] . فقال جماعة من أهل العلم: الإلّ: هو الله. ومنه قول أبي بكر الصديق ﷺ – لوفد بني حنيفة، حين سألهم عما كان مسيلمة يقول، فأخبروه – فقال لهم: ويحكم أين ذهب بكم؟ والله، إن هذا الكلام ما خرج من إلّ ولا بِرّ. يعني من إلّ: من الله "[1].

وعند قوله تعالى ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ ﴾ [الإسراء:78] ذكر أنّ الدلوك في كلام العرب: الميل، واستشهد ببيتٍ للعجاج، على اختلاف في المعنى الذي قصده الشاعر بين علماء اللغة والغريب، وبين فهم عبد الله بن مسعود للشاهد، على فرض أنه هو الشارح للشاهد دون غيره من رجال الإسناد، قال الإمام الطبري مبيّنا حجيّة التفسير اللغوي للصحابي على غيره:" الدلوك في كلام العرب: الميل، يقال منه: دلك فلان إلى كذا: إذا مال إليه... ومنه قول الراجز:

هَذَا مَقامُ قَدَميْ رَباحِ *** غُدْوَةَ حتى دَلَكَتْ بِرَاحِ

ويروى: بَراح بفتح الباء، فمن روى ذلك: بِراح، بكسر الباء، فإنه يعني: أنه يضع الناظر كفه على حاجبه من شعاعها، لينظر ما لقي من غيابها، وهذا تفسير أهل الغريب أبي عُبيدة والأصمعي وأبي عمرو الشيبانيّ وغيرهم. وقد ذكرت في الخبر الذي رويت عن عبد الله بن مسعود، أنه قال حين غربت الشمس: دلكت بِراح، يعني: براح مكانًا، ولست أدري هذا التفسير، أعني قوله: (براح مكانا) مِنْ كلام من هو ممن في الإسناد، أو من كلام عبد الله، فإن يكن من كلام عبد الله، فلا شك أنه كان أعلم بذلك من أهل الغريب الذين ذكرت قولهم، وأن الصواب في ذلك قوله، دون قولهم "[2].

---

[1] المصدر السابق: مج1/ جز1/ ص574-575.

[2] المصدر نفسه: مج9/ جز15/ ص169، بتصرف.

ثانيا: نماذج مختارة من تفسير الطبري.

وعند قوله تعالى ﴿ وَلاَ يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً ﴾ [النساء:120] فسّر المحيص بالمعدل، واستشهد لذلك بخبر عن ابن عمر رضي الله عنهما يوظف فيه هذه الكلمة لهذا المعنى فقال رحمه الله: " قوله ((ولا يجدون عنها محيصًا)) يقول: لا يجدون عن جهنم إذا صيّرهم الله إليها يوم القيامة: مَعْدِلا يعدِلون إليه. يقال منه: حاص فلان عن هذا الأمر يَحِيص حَيْصًا وحُيُوصًا: إذا عدل عنه. ومنه خبر ابن عمر أنه قال: بعث رسول الله ﷺ سريّة كنت فيهم، فلقينا المشركين فحِصْنا حَيْصة، وقال بعضهم: ((فجاضوا جيضَة)) والحَيص والجَيْض متقاربا المعنى "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يُرِدَ اَنْ يُّضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقاً حَرِجاً ﴾ [الأنعام:126] ذكر أن الحَرَج والحرِج لغتان معروفتان بمعنى واحد، ورجع إلى أصل وضعه في اللغة مستشهدا لمعناه بأثر عن عمر رضي الله عنه حين سأل راعيا من كنانة عن معنى الحرَجة، حيث قال: " والحرَج: أشد الضيق، وهو الذي لا ينفذه، من شدة ضيقه، وهو ها هنا الصدر الذي لا تصل إليه الموعظة، ولا يدخله نور الإيمان، لريْن الشرك عليه. وأصله من الحرَج، والحرَج: جمع حَرَجة، وهي الشجرة الملتف بها الأشجار، لا يدخل بينها وبينها شيء لشدة التفافها بها، كما: حدثني...أن عمر بن الخطاب رحمة الله عليه قرأ هذه الآية: ((وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا)) بنصب الراء. وقرأ بعض مَنْ عنده من أصحاب رسول الله ﷺ: ((ضَيِّقًا حَرِجًا)) فقال عمر: ابغوني رجلا من كنانة واجعلوه راعيًا، وليكن مُدْلجيًّا، فأتوه به. فقال له عمر: يا فتى، ما الحرَجة؟ قال: الحرجة فينا: الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعيةٌ ولا وحشيَّة ولا شيء. فقال عمر: كذلك قلبُ المنافق لا يصل إليه شيء من الخير[2] "[3].

وعند قوله تعالى ﴿رَبَّنَا اَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ﴾ [الأعراف:88] بيّن أن معنى الفتح: القضاء هنا، واستشهد برواية ابن عباس حين سمع امرأة من بني يزن توظّف هذه الكلمة بهذا المعنى، حيث

---

[1] المصدر السابق: مج4/ جز5/ ص368.

[2] عزاه السيوطي إلى ابن جرير وابن المنذر وعبد بن حميد. ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور: للسيوطي، 356/3.

[3] المصدر السابق: مج5/ جز8/ ص38، بتصرف يسير.

قال: " يقول شعيب في دعائه: احكم بيننا وبينهم بحكمك الحقّ الذي لا جور فيه ولا حَيْف ولا ظلم، ولكنه عدل وحق... وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل... فقال ابن عباس من طريق قتادة: ما كنت أدري ما قوله: ((ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق)) حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول: تعالَ أفاتحك: تعني: أقاضيك[1] "[2].

وعند قوله ﴿ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ﴾ [التوبة:113] رجع في تفسير السياحة في هذا الموضع إلى عائشة وابن عباس رضي الله عنهما فقال: " وأما قوله: ((السائحون)) فإنهم الصائمون، كما قال ابن عباس: كل شيء في القرآن ((السائحون)) فإنه الصائمون[3]. وقول عائشة: سياحةُ هذه الأمة الصيام[4] "[5].

وعند قوله تعالى ﴿ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ ﴾ [يوسف:72] لم يذكر في معنى الصواع شيئا عن العرب، وفسره بما روي عن السلف، فقال: " والصواع: هو الإناء الذي كان يوسف يكيل به الطعام. وكذلك قال أهل التأويل... فقال ابن عباس: كان من فضة مثل المكوك. وكان للعباس منها واحدٌ في الجاهلية[6]... وقال سعيد بن جبير: هو المكوك الفارسيّ الذي يلتقي طرفاه، كانت تشرب فيه الأعاجم[7] "[8].

وعند قوله تعالى ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النحل:47] فسّر التخوّف: بمعنى التّنقّص، واستند إلى ما أسند إلى عمر ﷺ، حيث قال: " وأما قوله ((أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ)) فإنه يعني: أو يهلكهم

---

[1] أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق قتادة عن ابن عباس برقم (8733) ينظر: تفسير القرآن العظيم: عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم الرازي، تح: أسعد محمد الطيّب، ط:3، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، 1419هـ، 1523/5.

[2] المصدر السابق: مج6/ جز9/ ص6، بتصرف يسير.

[3] بحثت عن هذا اللفظ عن ابن عباس فلم أجده في مظانه، وهذه التفسير من ابن عباس يعتبر من الكليات في القرآن الكريم.

[4] انفرد الإمام الطبري بهذا اللفظ عن عائشة، وعزاه له في الدّر المنثور: 298/4.

[5] جامع البيان: مج7/ جز11/ ص49-51، بتصرف.

[6] عزاه السيوطي إلى ابن جرير وأبو الشيخ. ينظر: الدر المنثور: 559/4.

[7] أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن سعيد بن جبير برقم (11803) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: 2123/7.

[8] جامع البيان: مج8/ جز13/ ص25-26، بتصرف.

بتخوّف، وذلك بنقص من أطرافهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم، يقال منه: تخوّف مال فلان الإنفاق: إذا انتقصه... وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل... عن عُمَر أنه سألهم عن هذه الآية ((أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ)) فقالوا: ما نرى إلا أنه عند تنقص ما يردّده من الآيات، فقال عمر: ما أرى إلا أنه على ما تنتقصون من معاصي الله، قال (الراوي): فخرج رجل ممن كان عند عمر، فلقي أعرابيا، فقال: يا فلان ما فعل ربك؟ قال: قد تَخَيفته، يعني تنقصته، قال: فرجع إلى عمر فأخبره، فقال: قدّر الله ذلك[1] "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾ [مريم:87] فسّر وردا: بمعنى عِطاشا مستندا إلى تفسير الصحابة من أمثلة ابن عباس وأبو هريرة رضي الله عنهما، حيث قال: " يقول تعالى ذكره: ونسوق الكافرين بالله الذين أجرموا إلى جهنم عِطاشا، والوِرد: مصدر من قول القائل: وردت كذا أرِده وِردا، ولذلك لم يُجمع، وقد وصف به الجمع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل... عن ابن عباس في قوله ((وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا)) يقول: عطاشا... وعن أبي هريرة ((وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا)) قال: عطاشا[3] "[4].

وعند قوله تعالى ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه:92] استند إلى بيان ابن عباس لمعنى ترقب، وأخذ تفسيرها اللغوي منه فقال: " يقول: ولم تنظر قولي وتحفظه، من مراقبة الرجل الشيء، وهي مناظرته بحفظه. كما حدثنا القاسم...: قال ابن عباس ((وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي)) قال: لم تحفظ قولي "[5].

---

[1] بحثتُ عنه بهذا الطرف واللفظ، فلم أجده.

[2] جامع البيان: مج8/ جز14/ ص141، بتصرف.

[3] عزاه السيوطي إلى ابن المنذر من حديث أبي هريرة. ينظر: الدر المنثور: 541/5.

[4] المرجع السابق: مج9/ جز16/ ص164، بتصرف.

[5] المصدر نفسه: مج9/ جز16/ ص255، بتصرف يسير.

الفرع الثاني: تفسير الغريب بأقوال التابعين.

أولا: حجية تفسير التابعين للغريب عند الإمام الطبري.

فعند قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ﴾ [البقرة:103] ذكر قولا لمجاهد يفسر راعنا: بمعنى خلافًا، ثم أنكر الطبري أن يكون معناه في لغة العرب هكذا ولكن لحجة مجاهد في التفسير وحجية تفسيره اللغوي بحث الإمام الطبري له عن وجه ولو شاذ في قراءة شاذة فقال: " فأما التأويل الذي حكي عن مجاهد في قوله: (راعنا) أنه بمعنى: خلافا، فمما لا يعقل في كلام العرب؛ لأن (راعيت) في كلام العرب إنما هو على أحد وجهين: أحدهما بمعنى: فاعلت من الرِّعْية، وهي الرِّقبة والكَلاءة. والآخر بمعنى إفراغ السمع، بمعنى أرعيته سمعي. وأما (راعيت) بمعنى (خالفت) فلا وجه له مفهوم في كلام العرب. إلا أن يكون قرأ ذلك بالتنوين، ثم وجهه إلى معنى الرعونة والجهل والخطأ... فيكون لذلك – وإن كان مخالفا قراءة القراء – معنى مفهوم حينئذ "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ [البقرة:236] اختار الإمام الطبري أن يكون القنوت في هذا الموضع الطاعة، ثم ذكر أثرا عن إبراهيم النخعي ومجاهد مفاده أنه القنوت بمعنى السكوت استنادا لسبب النزول، ولما كان التفسير اللغوي للتابعين حجة وجّهه الإمام الطبري فقال: "... فجعل إبراهيم ومجاهد القنوت سكوتا في طاعة الله... وقد تكون الطاعة لله فيها بالخشوع وخفض الجناح وإطالة القيام وبالدعاء... والقنوت: أصله الطاعة لله، ثم يستعمل في كل ما أطاع اللهَ به العبدُ "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ ﴾ [النساء:45] بحث الإمام الطبري عن توجيه لقول عكرمة ومجاهد في معنى انظرنا: أفهمنا واسمع منّا، وهذا بعدما فسّرها هو بمعنى: لا تعجل علينا، فقال موجها قوليهما بعدما أسند ذلك لهما: " حدثنا القاسم... عن عكرمة ومجاهد قوله: (وانظُرنا): قال: اسمع منا. وحدثنا... عن مجاهد: (وانظرنا): قال: أفهمنا... قال أبو جعفر: وهذا الذي قاله مجاهد وعكرمة من توجيههما معنى: (وانظرنا) إلى: اسمع منا وتوجيه

---

[1] المصدر السابق: مج1/ جز1/ ص620.

[2] المصدر نفسه: مج1/ جز2/ ص758 بتصرف يسير.

مجاهد ذلك إلى أفهمنا، فما لا نعرف في كلام العرب، إلا أن يكون أراد بذلك من توجيهه إلى أفهمنا: انتظرنا نفهم ما تقول أو: انتظرنا نقل حتى تسمع منا فيكون ذلك معنًى مفهومًا، وإن كان غير تأويلٍ للكلمة ولا تفسير لها "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ [النساء:107] ذكر الطبري تفسير أبي رزين[2] لكلمة (يبيّتون) بمعنى: يؤلفون، ولأن تفسير التابعي للغريب حجة عند الطبري وجّه الإمام الطبري هذا المعنى للمعنى المختار عنده فقال: " قوله ((إذ يبيتون ما لا يرضى من القول)) يقول: حين يسوُّون ليلا ما لا يرضى من القول، فيغيِّرونه عن وجهه، ويكذبون فيه... وروي عن أبي رزين أنه كان يقول في معنى قوله: (يبيتون): يؤلّفون... قال أبو جعفر: وهذا القول شبيه المعنى بالذي قلناه. وذلك أن التأليف هو التسوية والتغيير عما هو به، وتحويلُه عن معناه إلى غيره "[3].

وهناك مثال آخر صريح في حجيّة التفسير اللغوي للسلف عموما، ومنهم التابعون، فعند قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ ﴾ [الكهف:89] ردّ الطبري تفريق أبي عمرو بن العلا بين فتح السين وضمها، واستدل على شذوذه بعدم نقل الرواة عن أئمة السلف تفريقهم بين الفتح والضم، ولو كان بينهما فرق لذكر أئمة التأويل ذلك، قال الطبري مبيّنا حجيّة التفسير اللغوي للتابعين: " وما يبين ذلك أن جميع أهل التأويل الذي رُوي لنا عنهم في ذلك قول، ولم يُحك لنا عن أحد منهم تفصيل بين فتح ذلك وضمه، ولو كانا مختلفي المعنى لنُقل الفصل مع التأويل إن شاء الله. ولكن معنى ذلك كان عندهم غير مفترق، فيُفسر الحرف بغير تفصيل منهم بين ذلك "[4].

---

[1] المصدر السابق: مج4/ جز5/ ص161، بتصرف.

[2] هو مسعود بن مالك الكوفي، أبو رزين مولى أبي وائل، تابعي ثقة وثقه أصحاب الحديث، روى عن علي وشهد معه صفين، وعنه الأعمش وعاصم القارئ وخلقٌ آخرون، مات سنة 85هـ، ينظر: تاريخ ابن معين: يحي بن معين، تح: أحمد يوسف نور سيف، ط:1، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، 1399هـ – 1979م، 499/3، وينظر: التاريخ الكبير: 423/7، وينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال: الحافظ يوسف بن عبد الرحمن المزي، تح: عواد معروف، ط:1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1400هـ – 1980م، 477/27-480.

[3] المصدر السابق: مج4/ جز5/ ص350، بتصرف.

[4] المصدر نفسه: مج9/ جز16/ ص28.

ثانيا: افتنان السلف في التعبير عن معاني الغريب وبيان الطبري لمسلكهم.

والسلف رحمهم الله يترجمون عن معاني الغريب بتعابير تباين المعنى اللغوي، والإمام الطبري يبيّن افتنانهم ومسلكهم في ذلك.

وكمثال على ذلك عند قوله تعالى ﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنعام:101] فسّر قتادة يصفون: بقوله: يكذبون، قال الطبري معقبا على هذا القول ومبيّنا مسلك السلف في التعبير عن معاني القرآن: " وأحسب أن قتادة عنى بتأويله ذلك كذلك، أنهم يكذبون في وصفهم الله بما كانوا يصفونه به، من ادعائهم له بنين وبنات، لا أنه وجه تأويل الوصف إلى الكذب "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ كِتَـٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾ [الأعراف:1] ذكر الإمام الطبري المعنى اللغوي للحرج: وهو الضيق، ثم أورد روايات عن ابن عباس ومجاهد وقتادة، يفسرون الحرج: بالشك في القرآن، ثم قال معقبا ومبيّنا مسلك السلف في التعبير عن معاني الغريب: " وهذا الذي ذكرته من التأويل عن أهل التأويل، هو معنى ما قلنا في الحرج؛ لأن الشك فيه لا يكون إلا من ضيق الصدر به، وقلة الاتساع لتوجيهه وجهته التي هي وجهته الصحيحة. وإنما اخترنا العبارة عنه بمعنى الضيق؛ لأن ذلك هو الغالب عليه من معناه في كلام العرب "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا ﴾ [يوسف:31] ذكر اختلاف ألفاظ السلف في الترجمة عن معنى (المتّكأ) فقال ابن عباس: المتكأ: المجلس، سعيد بن جبير: الطعام والشراب، وقال الحسن: المجلس والطعام، وقال ابن زيد: الطعامُ متكأٌ، وقال الضحاك: المتكأ: البزماورد[3]، ثم علّق الطبري مشيرا إلى افتنان السلف في التعبير عن معاني الغريب: " فهذا الذي ذكرنا عمن ذكرنا عنه تأويل هذه الكلمة، هو معنى الكلمة، وتأويل المتكأ، وأنها أعدّتْ للنسوة مجلسًا فيه متكأ وطعام وشراب وأترج. ثم فسر بعضهم المتكأ بأنه الطعام على وجه الخبر عن الذي أُعدّ من أجله

---

[1] المصدر السابق: مج5/ جز7/ ص371.

[2] المصدر نفسه: مج5/ جز8/ ص150.

[3] بحثتُ عن معنى هذه الكلمة في القواميس والمعاجم فلم أظفر بها، والظاهر من معنى كلام الطبري أنها طعام يقطّع والله أعلم.

المتكأ، وبعضهم عن الخبر عن الأترج. إذ كان في الكلام: ((وآتت كل واحدة منهن سكينًا)) لأن السكين إنما تعد للأترج وما أشبهه مما يقطع به، وبعضهم على البزماورد "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ أَمْ تُنَبِّئُونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ [الرعد:34] فسّر الظاهر من القول بالمسموع، وأورد عن مجاهد تفسير الظاهر بالظن، وقال قتادة: هو الباطل، وقال الضحاك: هو الباطل والكذب، وعلقّ قبل إيراده كلام هؤلاء الأئمة قائلا: " قوله: ((أم بظاهر من القول)): مسموع، وهو في الحقيقة باطلٌ لا صحة له. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل، غير أنهم قالوا: (أم بظاهر) معناه: أم بباطل، فأتوا بالمعنى الذي تدل عليه الكلمة دون البيان عن حَقيقة تأويلها "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ [الكهف:27] فسر الملتحد، وبيّن أن السلف فسروه بتعابير متباينة، حيث قال: " يقول: وإن أنت يا محمد لم تتل ما أوحي إليك من كتاب ربك فتتبعه وتأتمّ به، فنالك وعيد الله الذي أوعد فيه المخالفين حدوده، لن تجد من دون الله موئلا تئلّ إليه ومعدلا تعدل عنه إليه... وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: (مُلْتَحَدًا) قال أهل التأويل، وإن اختلفت ألفاظهم في البيان عنه... فعن مجاهد، في قوله: (مُلْتَحَدًا) قال: مَلْجأً... وعن قتادة (وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) قال: موئلا... وقال ابن زيد، في قوله: (وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) قال: لا يجدون ملتحدا يلتحدونه، ولا يجدون من دونه ملجأ ولا أحدا يمنعهم "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء:18] بيّن مسلك السلف في التعبير عن معنى تصفون فقال: " يقول: ولكم الويل من وصفكم ربكم بغير صفته، وقِيلكم إنه اتخذ زوجة وولدا، وفِريتكم عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، إلا أن بعضهم قال: معنى تصفون: تكذبون. وقال آخرون: معنى ذلك: تشركون، وذلك وإن اختلفت به الألفاظ فمتفقة معانيه؛ لأن من

---

[1] جامع البيان مج7/ جز12/ ص251-252.

[2] المصدر نفسه: مج8/ جز13/ ص201.

[3] المصدر نفسه: مج9/ جز15/ ص286-287، بتصرف.

وصف الله بأن له صاحبة فقد كذب في وصفه إياه بذلك، وأشرك به، ووصفه بغير صفته، غير أن أولى العبارات أن يُعَبر بها عن معاني القرآن أقربها إلى فهم سامعيه "[1].

ثالثا: نماذج مختارة من تفسير الطبري.

وعند قوله تعالى ﴿ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ ﴾ [النساء:43] قال في معنى الغائط مستشهدا بقول مجاهد: " والغائط: ما اتسع من الأودية وتصوَّب. وجعل كناية عن قضاء حاجة الإنسان؛ لأن العرب كانت تختار قضاءَ حاجتها في الغِيطان، فكثر ذلك منها حتى غلب عليهم ذلك... وذكر عن مجاهد أنه قال في الغائط: الوادي. حدثني المثنى... عن مجاهد: في قوله ((أو جاء أحد منكم من الغائط)) قال: الغائط: الوادي "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ ﴾ [الأعراف:139] فسّر متبّر بمعنى مخسر، واستند إلى تفسير ابن زيد اللغوي فقال: " معناه: إن هؤلاء العُكوف على هذه الأصنام، الله مُهْلِكٌ ما هم فيه من العمل ومفسده، ومخسرهم فيه... وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل... فقال ابن زيد في قوله: ((إن هؤلاء مُتبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون)) قال: هذا كله واحد كهيئة: غفور رحيم، وعفوّ غفور. قال: والعرب تقول: إنه البائس لمتَبَّرٌ، وإنه البائس لَمُخَسَّرٌ "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [إبراهيم:18] استند إلى تفسيرٍ لغوي لابن زيد في معنى العنيد، فذكر بسنده إليه قوله: " قال ابن زيد، في قوله: ((وخاب كل جبار عنيد)) قال: العنيد عن الحق: الذي يعنِدُ عن الطريق، قال: والعرب تقول: شرُّ الأهْل العَنِيد الذي يخرج عن الطريق[4] "[5].

---

[1] المصدر السابق: مج10/ جز17/ ص17.

[2] المصدر نفسه: مج4/ جز5/ ص136، بتصرف.

[3] المصدر نفسه: مج6/ جز9/ ص60، بتصرف.

[4] هذا الأثر عن ابن زيد فيه اضطراب، يروى: شرّ الإبل، ويروى شرّ الأهل، ينظر كلام الشيخ محمود شاكر في تحقيقه على جامع البيان: مج16/ ص545.

[5] المصدر السابق: مج8/ جز13/ ص243.

وعند قوله تعالى ﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً ﴾ [الكهف:8] فسّر الإمام الطبري لفظ الجرُز، ملخصا إياه من تفسير ابن زيد اللغوي الذي أسنده بعدُ، حيث قال: " يقول عز ذكره: وإنا لمخرّبوها بعد عمارتناها بما جعلنا عليها من الزينة، فمصيروها صعيدا جرزا لا نبات عليها ولا زرع ولا غرس، وقد قيل: إنه أريد بالصعيد في هذا الموضع: المستوي بوجه الأرض، وذلك هو شبيه بمعنى قولنا في ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك، وبمعنى الجرز، قال أهل التأويل... قال ابن زيد في قوله ((صَعِيدًا جُرُزًا)) قال: الجرز: الأرض التي ليس فيها شيء، ألا ترى أنه يقول: ((أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا)) قال: والجرز: لا شيء فيها، لا نبات ولا منفعة، والصعيد: المستوي. وقرأ: ((لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا)) قال: مستوية: يقال: جُرِزت الأرض فهي مجروزة، وجرزها الجراد والنعم، وأرَضُون أجراز: إذا كانت لا شيء فيها، ويقال للسنة المجدبة: جُرُز وسنون أجراز لجدوبها ويبسها وقلة أمطارها "[1].

وعند قوله تعالى ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لاَّ نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلآ أَنتَ مَكَاناً سِوىً ﴾ [طه:57] وبعدما فسّر (سِوى) بالمكان المنصف العدل بيننا وبينكم، قبل تفسيرا لغويا آخر عن ابن زيد، حيث قال: " وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله ((مَكانا سِوًى)) قال: مكانا مستويا يتبين للناس ما فيه، لا يكون صوب ولا شيء فيغيب بعض ذلك عن بعض مستو حين يرى "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾ [الروم:47] لم يذكر قول أئمة اللغة في معنى الودق، ولو وصل إليه شيء من ذلك لأورده، واستند في تفسيره إلى مجاهد وقتادة، حيث قال: " وقوله: (فَتَرَى الوَدْقَ) يعني: المطر (يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ) يعني: من بين السحاب... كما حدثنا بشر... عن قتادة كذلك... وعن مجاهد (فَتَرَى الوَدْقَ) قال: القطر "[3].

[1] المصدر السابق: مج9/ جز15/ ص240-241، بتصرف.

[2] المصدر نفسه: مج9/ جز16/ ص223.

[3] المصدر نفسه: مج11/ جز21/ ص66، بتصرف.

المبحث الثاني: تفسير الغريب بإجماع الحجّة من أهل التأويل.

لقد اعتنى الإمام ابن جرير بحكاية إجماع أهل العلم من المفسرين وغيرهم، فهو أكثر المفسرين حكاية للإجماع[1]، وكان يوظف هذه الإجماعات لبيان أصح الأقوال في تفسير الآية، كما كان يوظفها لردّ الأقوال الضعيفة والشاذة المخالفة لما عليه الحجة مجتمعة، ولا أكون مبالغا إذا قلتُ: أن كل الإجماعات التي ذكرها الطبري قد وظفها في اختياراته المتنوعة[2]، ولعلي أشير إلى هذا إذا انتهيتُ إلى فصل الاختيارات، أما هذا المقام في هذا الفصل فهو لبيان مصدرية إجماع السلف في معاني الغريب عند الإمام الطبري رحمه الله.

- **المقصود بإجماع الحجة عند الإمام الطبري.**

تكلم علماء الأصول عن الإجماع من الناحية الفقهية والأصولية[3]، ولكن ما نحن بصدده هو الإجماع في التفسير، ومقصود الإمام الطبري منه: هو اتفاق الصحابة والتابعين بعد وفاة النبي ﷺ، على معنىً من معاني القرآن أو حكم من أحكامه، حتى يصير ذلك عرفا سائدا عندهم لم ينعقد فيه خلاف[4].

المطلب الأول: ألفاظ حكاية الإجماع عند الإمام الطبري.

بعد استقراء مواضع حكاية الطبري للإجماع بين السلف، يكمن حصر ألفاظ حكاية الإجماع فيما يلي:

الفرع الأول: إذا وجُد مخالف يصرح به عادة[5].

وهنا يستخدم عبارات: " فإن الجميع مجمعون " أو " لإجماع الجميع " أو " بإجماع الحجة من أهل التأويل ".

---

[1] الإجماع في التفسير: محمد بن عبد العزيز الخضيري، ط:1، دار الوطن، الرياض، 1420هـ – 1999م، 126.

[2] منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح: الحربي، 107.

[3] ينظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: محمد بن علي الشوكاني، تح: أحمد عزو عناية، ط:1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1419هـ – 1999م، 1/ 193-238.

[4] ينظر الإجماع في التفسير: 126-127، بتصرف.

[5] ينظر على سبيل المثال لا الحصر: جامع البيان: مج2/ جز2/ ص728، مج3/ جز4/ ص317، مج4/ جز5/ ص275.

الفرع الثاني: إذا وجُد مخالف لا يصرح به[1].

وفي هذه الحالة يستخدم صيغتين، وهما: " لإجماع أهل التأويل على ذلك " أو " وذلك هو التأويل المجمع عليه ". وذلك لأن الإمام الطبري لا يرى مخالفة الواحد والاثنين قادحة في الإجماع.

الفرع الثالث: التصريح بحكاية الإجماع الذي ليس له مخالف[2].

وهنا يصرح الطبري بعدم وجود المخالف، فيقول مثلا: " أجمع أهل التأويل جميعا لا خلاف بينهم " أو " بإجماع الجميع لا خلاف بينهم ". وهذه العبارة أعلى مراتب الإجماع حجيّة.

المطلب الثاني: حكم إحداث معنىً جديد في القرآن بعد زمن السلف.

يرى جمهور العلماء أنه لا يجوز إحداث قول زائد على ما اختلف عليه الصحابة والتابعون؛ لأن في ذلك نسبة الأمة إلى تضييع الحق والغفلة عن العلم، وادعاء لخلو الأرض من قائم لله بالحجة، وأنه لم يبق من أهل العصر أحد على الحق، وهذا كله باطل[3].

قال ابن القيم: " إن إحداث القول في تفسير كتاب الله الذي كان السلف والأئمة على خلافه يستلزم أمرين: إما أن يكون خطأ في نفسه، أو تكون أقوال السلف المخالفة له خطأ !! ولا يشك عاقل أنه أولى بالغلط والخطأ من قول السلف "[4].

---

[1] ينظر على سبيل المثال: جامع البيان: مج1/ جز1/ ص160، مج8/جز13/ص195، مج10/جز18/ ص39، مج14/ جز29/ ص267.

[2] ينظر على سبيل المثال: جامع البيان: مج2/ جز2/ ص533، مج5/ جز8/ ص78، مج5/ جز7/ ص38،

[3] ينظر الإجماع في التفسير: محمد الخضيري، 77.

[4] مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: محمد بن محمد البعلي الموصلي، ط:1، دار الحديث، القاهرة، 1422هـ – 2001م، 373/1.

وقال الحافظ ابن عبد الهادي[1]: " ولا يجوز إحداث تأويل في آية أو سنة لم يكن على عهد السلف، ولا عرفوه ولا بيّنوه للأمة، فإن هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا، وضلوا عنه، واهتدى إليه هذا المعترض المستأخر "[2].

والحالات التي يجوز فيها إحداث قول آخر زيادة على أقوال السلف هي[3]:

أولا: أن يكون المعنى المستحدث مما لم يتعرض له الصحابة من قبيل إيراد معنى تحتمله الآية، أو من قبيل الاستنباط من دلالة الآية. فإن مثل هذا لا يقتصر على قوم أو عصر بعينهم، بل هو باق مستمر؛ إذ القرآن معينٌ ثرٌّ لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي دلالات معانيه.

ثانيا: أن يكون التأويل الزائد على فهم السلف، ليس مجزوما بأنه المراد؛ إذ القطع بأنه كذلك فيه نسبة الأمة إلى تضييع الحق والغفلة عن الصواب والإجماع على الخطأ، فيكون هذا القول الزائد إذا كان كذلك تجويزا لخفاء مراد الله عن قرون السلف المفضلة وهذا ممتنع قطعا.

ثالثا: جواز إحداث قول زائد عما قاله السلف مشروط بأن يكون الخلاف لم يستقرّ على معان محصورة في عرفهم، فلو استقرّ الخلاف عندهم لم يصح الإتيان بمعنى زائد عما قالوه.

المطلب الثالث: نماذج مختارة من تفسير الطبري.

وذلك عند قوله تعالى ﴿ إِهْدِنَا أُلصِّرَاطَ أُلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة:5] حين فسّر الصراط المستقيم بقوله:

---

[1] الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي، تلميذ ابن تيمية، كان عالما بالعربية والمصطلح والرجال والفقه وأصوله، من مؤلفاته: المحرر في الأحكام – الصارم المنكي في الرد على السبكي، مات دون سن الأربعين سنة 744هـ، ينظر في ترجمته: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن علي الشوكاني، دط، دار المعرفة، بيروت، دت، 109/2، وينظر: التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول: صديق حسن خان القنوجي، دط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1428هـ – 2007م، 403/1.

[2] الصارم المنكي في الرد على السبكي: محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي، تح: عقيل المقطري، ط:1، مؤسسة الريان، بيروت، 1424هـ – 2003م، 318/1.

[3] ينظر للتوسع في هذه الضوابط: الإجماع في التفسير: 78-79.

" أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعا على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:114] فسر (تُوَلُّو) بمعنى تولون نحوه وإليه، كما قال القائل: ولّيته وجهي وولّيْتُه إليه، بمعنى: قابلته وواجهته. وهذا لإجماع مفسري السلف على ذلك المعنى، قال رحمه الله: " وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية لإجماع الحجة على أن ذلك تأويله، وشذوذ من تأوله بمعنى: تولون عنه فتستدبرونه "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُۥ ﴾ [البقرة:228] فسر (حتى تنكح) حتى تجامع، واستشكل قول قائل يقول: فإن ذكر الجماع غير موجود في كتاب الله تعالى، فما الدلالة على أن معناه ما قلت؟، ثم أجاب قائلا: " الدلالة على ذلك إجماع الأمة جميعا على أنّ ذلك معناه "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطاً اِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:70] ذكر أن الأرض التي بارك فيها الله وأنجى إبراهيم ولوطا إليها هي: أرض الشام، وليست مكة، وإن كانت مكة أيضا مباركة، مستندا في ذلك إلى إجماع جميع أهل العلم لا خلاف بينهم فقال: " يقول تعالى ذكره: ونجينا إبراهيم ولوطا من أعدائهما نمرود وقومه من أرض العراق ((إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ)) وهي أرض الشأم، فارق صلوات الله عليه وقومه ودينهم وهاجر إلى الشأم... وإنما اخترنا ما اخترنا من القول في ذلك؛ لأنه لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام، وبها كان مقامه أيام حياته، وإن كان قد كان قدم مكة وبنى بها البيت وأسكنها إسماعيل ابنه مع أمه هاجر، غير أنه لم يقم بها، ولم يتخذها وطنا لنفسه، ولا لوط، والله إنما أخبر عن إبراهيم ولوط أنهما أنجاهما إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين "[4].

---

[1] جامع البيان: مج1/ جز1 /ص94.
[2] المصدر نفسه: مج1/ جز1/ ص664.
[3] المصدر نفسه: مج2/ جز2/ ص631.
[4] المصدر نفسه: مج10/ جز17/ ص63، بتصرف.

المبحث الثالث: تفسير الغريب بكلام العرب.

والقرآن الكريم نزل بكلام العرب، فلا عجب أن يسلك المفسرون في تفاسيرهم مسلكا لغويا في بيان معاني القرآن، والإمام الطبري رحمه الله جزء من هذه المنظومة، فقد فسر غريب القرآن بكلام العرب منشودا كان أم مسموعا، وكان متأثرا في ذلك بشيخ مفسري أمة الإسلام، وترجمان القرآن ببركة دعاء النبي العدنان، عبد الله بن عباس ﵁.

المطلب الأول: تفسير الغريب بالشعر.

يعتبر تفسير جامع البيان رائدا في مجال الاحتجاج بالشعر على معاني الغريب، وظاهرة كثرة الشواهد الشعرية من مميزاته؛ إذ يقول الدكتور محمد المالكي: " يعتبر الطبري من أوائل المفسرين الذين سبقوا إلى العناية بالشواهد الشعرية وتجميعها وتنظيمها وتنميتها وإخضاعها لمنهجه العام في التفسير... ولا شك أنه متأثر في هذا المنهج برائد هذا التيار في التفسير وهو ابن عباس، كما أنه متأثر بعلماء الغريب والمعاني – خصوصا أبا عبيدة والفراء – في رواية الشواهد وشرحها والتعليق عليها إلا أنه أرحب أفقا وأوسع مدى وأكثر تمكنا وإحاطة بهذا "[1]. ويشهد لهذه الإحاطة إكثاره من عبارة ((والشواهد على هذا من أشعار العرب وكلامها أكثر من أن تحصى وفيما ذكرنا كفاية لمن وفق إلى فهمه)) أو عبارة أخرى تماثلها مثل ((وهذا أفشى في كلام العرب وأكثر من أن يحصى)).

وكان الإمام الطبري يحتج بالشعر المحتج به لغة عند أئمة الكوفة[2]، فقد استشهد بأكثر من ألفين ومئتيْ بيت منسوب لأكثر من مئتين وسبعين شاعرا[3]، هذا في ما يخص الشواهد المعلومة القائل، أما إذا احتسبنا الشواهد المجهولة القائل كما هو دأب المدرسة الكوفية في التساهل في رواية الأشعار المجهولة

---

[1] جهود الطبري في دراسة الشواهد الشعرية: محمد المالكي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1994م، ص63-64، بتصرف.

[2] المدرسة الكوفية تأخذ بشعر أقاصي القبائل العربية المترامية في أنحاء جزيرة العرب، أما البصريون فلا يأخذون إلا بشعر القبائل القاطنة وسط الجزيرة تشددا منهم في المحافظة على صفاء اللغة، وهذا الذي يفسر كثرة الشواهد الشعرية في جامع البيان، ينظر الأساليب العربية الواردة في القرآن وأثرها في التفسير من خلال جامع البيان للطبري: فواز بن منصر سالم الشاووش، ط:1، مطبوعات مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، 1436هـ – 2015م، ص97.

[3] ينظر: جهود الطبري في دراسة الشواهد الشعرية: ص64.

القائل، فإن عدد الشواهد الشعرية أكثر من أن يحصى، ويحتاج هذا إلى دراسة لغوية استقصائية تبرز منهج الطبري في الاستشهاد بالشعر على معاني القرآن[1].

الفرع الأول: تأثر الرواية الشعرية بالرواية الحديثية عند ابن جرير الطبري.

إن الراوية الشعرية تختلف من حيث طبيعتها وتاريخها وقيمتها ووظيفتها عن الرواية الحديثية – وإن كان بينهما تداخل كبير وتأثير وتأثر– وتكلم الأستاذ ناصر الدين الأسد عن الإسناد في الرواية الشعرية فقال: " لم يكن الإسناد أصلا ثابتا من أصول الرواية الأدبية، ولم يكن أساسا من الأسس التي يحتكم إليها في الاستشهاد على صحة هذه الرواية كما كان شأنه في رواية الحديث الشريف "[2].

ويقول مصطفى صادق الرافعي: " إن اعتبار الرواية على أنها علم قد أفرد بالتدوين لم يكن إلا في الحديث خاصة، كما أن الرواد الأوائل من الرواة لم يلتزموا الإسناد فيما رووه من مادة اللغة، ولم يصبح الإسناد تقليدا ثابتا في الأدب إلا في القرن الثالث للهجرة وما بعده "[3].

وهذا الكلام يثبت تأثر ابن جرير الطبري في روايته للشواهد الشعرية والاحتجاج بها على معاني القرآن بمنهجه وقواعده التي كان يتّبعها في الرواية الحديثية، ويظهر هذا التأثر من خلال:

أولاً: تحري الإمام الطبري الدقة والصحة فيما يورد من شواهد شعرية على معاني الغريب.

والإمام الطبري يتحرّى الدقة في تفسير الغريب بالشواهد الشعرية، فلا يحكم للكلمة القرآنية أنّ معناها كذا إلاّ من رواية ثقة عن العرب أنّها قالت كذا بمعنى كذا، ونفهم هذا المنهج عند كلامه عن قوله تعالى ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ﴾ [الأنعام:32] حيث استبعد أن يكون الوِزر في اللغة بمعنى الثقل والحِمل، فقال: " معنى: ((يحملون أوزارهم)): آثامهم وذنوبهم. واحدها وِزْر، يقال منه: وَزَر الرجل يزِر: إذا أثم، قال الله: ((ألا ساء ما يزرون)) فإن أريد أنهم أُثِّموا، قيل: قد وُزِر القوم فهم

---

[1] المرجع السابق: ص64.

[2] مصادر الشعر الجاهلي: ناصر الدين الأسد، ط:7، دار المعارف، مصر، 1988م، ص279، بتصرف يسير.

[3] ينظر: تاريخ آداب العرب: الرافعي، 313/1، بتصرف.

يُوزَرُون، وهم مَوْزورون. وقد زعم بعضهم أن الوِزْر: الثقل والحمل. ولست أعرف ذلك كذلك في شاهد، ولا من رواية ثِقة عن العرب "[1].

ونقصد بالدقة: الرواية الثابتة في أن العرب نطقت بهذا الشاهد للمعنى المستشهد له، وأما الصحة، فالمقصود بها شهرة الشاهد وتناقل الرواة له، وموافقة المعنى الوارد في الشاهد للمشهور المستفيض من كلام العرب.

فعند قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ ﴾ [يوسف:31] بيّن الطبري أن معنى أكبرن: أعظمن، وضعّف أن يكون المعنى: حضن، وإن كان له شاهد عند العرب، إلا أنه لا يصح، حيث قال: " وقد زعم بعض الرواة أن بعض الناس أنشده في أكبرن: بمعنى حضن، بيتًا لا أحسب أنَّ له أصلا؛ لأنه ليس بالمعروف عند الرواة، وذلك:

نَأْتِي النِّسَاءَ عَلَى أَطْهَارِهِنَّ وَلا *** نَأْتِي النِّسَاءَ إِذَا أَكْبَرْنَ إِكْبَارَا

وزعم أن معناه: إذا حضن"[2].

وعند قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ [طه:14] أشار إلى أن كلمة أُخفيها من الأضداد، فقال فريق من المفسرين: معناها: أكاد أسترها من نفسي، وقال آخرون: المعنى: أكاد أظهرها، واختار الطبري المعنى الأول، وناقش القائلين بالمعنى الثاني في استشهادهم ببيت امرئ القيس، مرجحا رواية الفراء الشاهدة على المعنى الأول، ومضعفا رواية أبي عبيدة الشاهدة على المعنى الثاني؛ لأن رواية الفراء توافق المعروف من كلام العرب، قال الطبري موضحا: " وإنما وجّهنا معنى (أُخْفِيها) بضمّ الألف إلى معنى: أسترها من نفسي؛ لأن المعروف من معنى الإخفاء في كلام العرب: الستر. يقال: قد أخفيت الشيء: إذا سترته، وأن الذين وجّهوا معناه إلى الإظهار، اعتمدوا على بيت لامرئ

---

[1] جامع البيان: مج5/ جز7/ ص226، بتصرف يسير.

[2] المصدر نفسه: مج7/ جز12/ ص256.

القيس ابن عابس الكندي. حُدثت عن معمر بن المثنى أنه قال: أنشدنيه أبو الخطاب[1]، عن أهله في بلده:

فإِنْ تُدْفِنُوا الدَّاءَ لا نُخْفِهِ *** وإِنْ تَبْعَثُوا الحَرْبَ لا نَقْعُدِ

بضمّ النون من لا نُخفه، ومعناه: لا نظهره، فكان اعتمادهم في توجيه الإخفاء في هذا الموضع إلى الإظهار على ما ذكروا من سماعهم هذا البيت، على ما وصفت من ضم النون من نُخفه، وقد أنشدني الثقة عن الفرّاء:

فإِنْ تَدْفِنُوا الدَّاءَ لا نَخْفِهِ

بفتح النون من نَخفه، من خفيته أخفيه، وهو أولى بالصواب؛ لأنه المعروف من كلام العرب "[2].

ثانيا: اشتراط الإمام الطبري دلالة الشاهد الشعري على معنى الغريب صراحة.

وذلك عند كلامه عن معنى قوله تعالى ﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ﴾ [إبراهيم:7] حيث قال في معنى (أيام الله): " يقول ﷻ: وعِظْهُم بما سلف من نِعَمِي عليهم في الأيام التي خلت، فاجتُزِئ بذكر الأيام من ذكر النعم التي عناها؛ لأنها أيام كانت معلومة عندهم، أنعم الله عليهم فيها نعمًا جليلةً، أنقذهم فيها من آل فرعون "[3]، ثم أورد عن بعض أئمة اللغة استشهاده لاستعمال (الأيام) بمعنى النعم ببيتٍ لعمرو بن كلثوم، ثم عقّب عليه الطبري رافضا لهذا الشاهد على هذا المعنى فقال: " وقال آخرون منهم: قد وجدنا لتسمية النّعم بالأيام شاهدًا في كلامهم[4]. ثم استشهد لذلك بقول عمرو بن كلثوم:

---

[1] راوية اللغة أبو الخطاب الأخفش الأكبر، واسمه: عبد الحميد، أخذ عنه معمر ويونس النحوي وغير واحد من أئمة اللغة، وله ألفاظ لغوية انفرد بنقلها عن العرب، ولم أعثر له على تاريخ وفاة. ينظر: إنباه الرواة: 157/2.

[2] جامع البيان: مج9/ جز16/ ص192.

[3] المصدر نفسه: مج8/ جز13/ ص229.

[4] هذا الكلام نسبه الإمام الأنباري لأبي عبيدة، وجزم الشيخ محمود شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري أن يكون لأبي عبيدة من مجاز القرآن، ولكن سقط منه شيء من أوائل سورة إبراهيم، والحمد لله أثبته عنه ابن الأنباري زمن رواية الكتب والمصنفات في القرون الأولى، ينظر تحقيق الشيخ محمود شاكر لجامع البيان: مج16/ ص519، وينظر شرح القصائد السبع الطوال: أبو بكر ابن الأنباري، ت: عبد السلام محمد هارون، ط:5، دار المعارف، دت، ص389.

وَأَيَّامٍ لَنَا غُرٍّ طِوَالٍ *** عَصَيْنَا الْمَلْكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا[1]

وقال: فقد يكون إنما جَعَلها غُرًّا طِوالا لإنعامهم على الناس فيها. وقال: فهذا شاهدٌ لمن قال: ((وذكرهم بأيام الله)): بنعم الله. ثم قال: وقد يكون تَسْميتُها غُرًّا، لعلوّهم على المِلِكِ وامتناعهم منه، فأيامهم غرّ لهم، وطِوالٌ على أعدائهم. قال أبو جعفر: وليس للذي قال هذا القول، من أنّ في هذا البيت دليلا على أن (الأيام) معناها النعم، وجهٌ. لأنَّ عمرو بن كلثوم إنما وصفَ ما وصف من الأيام بأنها غُرّ، لعزّ عشيرته فيها، وامتناعهم على المِلِك من الإذعان له بالطاعة، وذلك كقول الناس: ما كان لفلان قطُّ يومٌ أبيض، يعنون بذلك: أنه لم يكن له يومٌ مذكورٌ بخير. وأمّا وصفه إياها بالطولِ، فإنها لا توصف بالطول إلا في حال شدَّة، كما قال النابغة:

كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ *** وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ[2]

فإنما وصفها عَمْرٌو بالطول، لشدة مكروهها على أعداء قومه. ولا وجه لذلك غيرُ ما قلت "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ ﴾ [الكهف:89] أورد قراءتيْ الفتح والضم في (السُدين)، وذكر عن الكسائي أنهما لغتان بمعنى، وذكر تفريق أبي عمرو وعكرمة بينهما، ثم تعقّبهما كون تفريقهما بين الفتح والضم في السّد غير مشفوع بشاهد من كلام العرب، قال الطبري في ذلك: " وكان أبو عمرو بن العلاء يفتح السين في هذه السورة، ويضمّ السين في يس، ويقول: السَّدُّ بالفتح: هو الحاجز بينك وبين الشيء؛ والسُّدُّ بالضم: ما كان من غشاوة في العين... ورُوي عن عكرمة... قال: ما كان من صنعة بني آدم فهو السَّدُّ، يعني بالفتح، وما كان من صنع الله فهو السُّد... وكان الكسائي يقول: هما لغتان بمعنى واحد... والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان

---

[1] البيت لعمرو بن كلثوم، ينظر شرح القصائد السبع الطوال: لابن الأنباري، ص389.

[2] البيت للنابغة كما قال المصنف، ينظر: الشعر والشعراء: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دط، دار الحديث، القاهرة، 1424هـ، 67/1، وينظر: الصناعتين: الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دط، المكتبة العصرية، بيروت، 1419هـ، ص433، وينظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القاهر البغدادي، تح: عبدالسلام محمد هارون، ط:4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1418هـ – 1997م، 366/2.

[3] جامع البيان: مج3/ جز13/ ص229-230.

مستفيضتان في قراءة الأمصار، ولغتان متفقتا المعنى غير مختلفة، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، ولا معنى للفرق الذي ذُكر عن أبي عمرو بن العلاء، وعكرمة بين السُّد والسَّد؛ لأنا لم نجد لذلك شاهدا يبين عن فرق ما بين ذلك على ما حُكي عنهما "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ [الزخرف:63] اختار حمل كلمة البعض على ظاهرها بمعنى: بعض أحكام التوراة، وردّ على من زعم أنها بمعنى كلّ مستشهدا ببيت للبيد، حيث خطّأه في محل الاستشهاد فقال: " وقد قيل: معنى البعض في هذا الموضع بمعنى الكلّ، وجعلوا ذلك نظير قول لبيد:

تَرَّاكُ أَمْكِنَةٍ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا *** أَوْ يَعْتَلِقْ بَعْضَ النُّفوسِ حِمامُها

قالوا: الموت لا يعتلق بعض النفوس، وإنما المعنى: أو يعتلق النفوس حمامها، وليس لما قال هذا القائل كبير معنى؛ لأن عيسى إنما قال لهم: (وَلأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ) لأنه قد كان بينهم اختلاف كثير في أسباب دينهم ودنياهم، فقال لهم: أبين لكم بعض ذلك، وهو أمر دينهم دون ما هم فيه مختلفون من أمر دنياهم، فلذلك خص ما أخبرهم أنه يبينه لهم. وأما قول لبيد: (أو يعتلق بعض النفوس) فإنه إنما قال ذلك أيضا كذلك؛ لأنه أراد: أو يعتلق نفسه حمامها، فنفسه من بين النفوس لا شكّ أنها بعض لا كل[2] "[3].

ثالثا: اهتمامه باختلاف روايات الشعر وألفاظه وشرح بعض معانيه.

ولما كان الشعر مصدرا مهما في تفسير غريب القرآن، أعمل الإمام الطبري هذا المصدر إعمالا واسعا في حقل المعنى، فهو لا يكتفي بإيراد البيت الشعري في محل الشاهد من الغريب، وإنما يورد اختلاف

---

[1] المصدر السابق: مج9/ جز16/ ص28، بتصرف.

[2] هذا التوجيه من الإمام الطبري لبيت لبيد وافقه عليه التبريزي في شرحه على القصائد العشر فقال: " يقول: أترك الأمكنة إذا رأيت فيها ما يُكره إلا أن يدركني الموت. وأراد بالنفوس نفسه، ويعتلق: يحبس. والحمام: الموت. ويقال القدر " ينظر: شرح القصائد العشر: يحيى بن علي التبريزي، دط، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، 1352هـ، ص160.

[3] المصدر السابق: مج13/ جز25/ ص112.

الرواة في روايته وبيان الوجه الأصح في نقله، ويشرح بعض ألفاظه المستغلقة، وهذا صنيع من أحاط بلغات العرب حفظا وعلما، وجمع بين الأدب والنقد معا.

فعند قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة:116] قال في معنى قضى: " وأصل كل قضاء أمر: الإحكام، والفراغ منه. ومن ذلك قيل للحاكم بين الناس: القاضي بينهم، لفصله القضاء بين الخصوم، وقطعه الحكم بينهم وفراغه منه به. ومنه قيل للميت قد قضى: يراد به قد فرغ من الدنيا، وفصل منها. ومنه قيل: ما ينقضي عجبي من فلان: يراد ما ينقطع. ومنه قيل: تقضي النهار: إذا انصرم... ومنه قول أبي ذؤيب[1]:

وعليهما مسرودتان قضاهما *** داود أو صَنَعَ السوابغِ تُبَّعُ

ويروى: وتعاورا مسرودتين قضاهما

ويعني بقوله: قضاهما: أحكمهما. ومنه قول الآخر في مدح عمر بن الخطاب ﷺ:

قضيت أمورا ثم غادرت بعدها *** بَوائِق في أكمامها لم تَفَتَّقِ

ويُروى: بوائج "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾ [البقرة:217] قال في معنى الخمر: " والخمر: كل شراب خمَّر العقل فستره وغطى عليه. وهو من قول القائل: خَمَرت الإناء: إذا غطيته، وخَمِر الرجل: إذا دخل في الخَمَر. ويقال: هو في خُمار الناس وغُمارهم: يراد به دخل في عُرْض الناس. ويقال للضبع: خامري أم عامر: أي استتري. وما خامر العقل من داء وسُكر فخالطه وغَمَره فهو خمر. ومن ذلك أيضا خِمار المرأة، وذلك لأنها تستر رأسها فتغطيه. ومنه يقال: هو يمشي لك الخمَر: أي مستخفيًا، كما قال العجاج:

فِي لامِعِ العِقْبَانِ لا يَأتي الخَمَرْ *** يُوَجِّهُ الأَرْضَ وَيَسْتَاقُ الشَّجَرْ

[1] خويلد بن محرث الهذلي، أبو ذؤيب الشاعر الجاهلي، أدرك الإسلام ولم ير النبي ﷺ إلا ميّتا وحضر الصلاة عليه، وشارك في فتوحات إفريقية، ومات بمصر سنة 28هـ. ينظر: أسد الغابة: 105/2، الاستيعاب: 1648/4، والإصابة: 110/7.

[2] جامع البيان: مج1/ جز1/ ص668.

ويعني بقوله: لا يأتي الخَمَر: لا يأتي مستخفيًا ولا مُسارَقةً، ولكن ظاهرًا برايات وجيوش. والعقبان: جمع عُقاب، وهي الرايات "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران:7] استشهد لمعنى التأويل من شعر العرب، وبين اختلاف الرواة في رواية بيت الأعشى المستشهد به، وشرح بعض ألفاظه المستغلقة فقال: " معنى (التأويل) في كلام العرب: فإنه التفسير والمرجع والمصير. وقد أنشد بعضُ الرواة بيتَ الأعشى:

عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ تَأَوُّلُ حُبِّهَا *** تَأَوُّلَ رِبْعِيِّ السِّقَابِ فَأَصْحَبَا

وأصلهُ من: آل الشيء إلى كذا: إذا صار إليه ورجع، يَؤُول أَوْلًا، وأوّلته أنا: صيرته إليه... ويعني بقوله: (تأوّلُ حُبها): تفسير حبها ومرجعه. وإنما يريد بذلك أنّ حبها كان صغيرًا في قلبه، فآلَ من الصّغر إلى العظم، فلم يزل ينبت حتى أصحَب، فصار قديمًا، كالسَّقب الصغير الذي لم يزل يَشبّ حتى أصحَبَ فصار كبيرًا مثل أمه، وقد يُنشد هذا البيت:

عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ تَوَابعُ حُبِّهَا *** تَوَالِيَ رِبْعِيِّ السِّقَابِ فَأَصْحَبَا "[2].

وليس هذا فحسب، بل تراه يصحح الخطأ في رواية الشعر. فعند قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران:173] وقد ذكر عن بعض أهل العلم أن قائلا قال هذه المقولة للنبي ﷺ وأصحابه في مسيرهم إلى غزوة بدر الصغرى؛ وذلك أن أبا سفيان واعد النبي ﷺ اللقاء في بدر الصغرى وكان ذلك في غزوة أحد، وأسند ابن جرير ذلك فقال: حدثنا القاسم (شيخ الطبري)... بسنده إلى ابن جريج يروي عن مجاهد قوله: لما عبَّى النبي ﷺ لموعد أبي سفيان، فجعلوا يلقون المشركين ويسألونهم عن قريش، فيقولون: (قد جمعوا لكم) يكيدونهم بذلك، يريدون أن يَرْعَبوهم، فيقول المؤمنون: (حسبنا الله ونعم الوكيل) حتى قدموا بدرًا، فوجدوا أسواقها عافية لم ينازعهم فيها أحد. قال: وقدم رجل من المشركين وأخبر أهل مكة بخيل محمد عليه الصلاة والسلام، وقال في ذلك:

---

[1] المصدر السابق: مج2/ جز2/ ص473.

[2] المصدر نفسه: مج3/ جز3/ ص238، بتصرف يسير.

نَفَرَتْ قَلُوصِي عَنْ خُيولِ مُحَمَّدِ *** وَعَجْوَةٍ مَنْثُورَةٍ كَالعُنْجُدِ
وَاتَّخَذَتْ مَاءَ قُدَيْدٍ مَوْعِدِي

قال أبو جعفر: هكذا أنشدنا القاسم، وهو خطأ، وإنما هو:

قَدْ نَفَرَتْ مِنْ رُفْقَتَيْ مُحَمَّدِ *** وَعَجْوَةٍ مِنْ يَثْرِبٍ كَالعُنْجُدِ
تَهْوِي عَلَى دِينِ أَبِيهَا الأَتْلَدِ *** قَدْ جَعَلَتْ مَاءَ قُدَيْدٍ مَوْعِدِي
وَمَاءَ ضَجْنَانَ لَهَا ضُحَى الغَدِ "[1].

وعند تفسير قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾ [النساء:3] أسند إلى عكرمة رحمه الله يفسر تعولوا: تميلوا مستشهدا ببيت لأبي طالب، ثم عقّب الطبري على البيت الذي رواه عكرمة ذاكرا وجها آخر لروايته فقال: " حدثني المثنى... عن عكرمة في هذه الآية: ألا تعولوا، قال: أن لا تميلوا، قال: وأنشد بيتًا من شعر زعم أن أبا طالب قاله:

بِمِيزَانِ قِسْطٍ لا يُخِسُّ شَعِيرَةً *** وَوَازِنِ صِدْقٍ وَزْنُهُ غَيْرُ عَائِلِ

قال أبو جعفر ويروي هذا البيت على غير هذه الرواية:

بِمِيزَانِ صِدْقٍ لا يُغِلُّ شَعِيرَةً *** لَهُ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ غَيْرُ عَائِلِ "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا ﴾ [يونس:78] استشهد ببيت لرؤبة في معنى تلفتنا وشرح غريب الشاهد فقال: " يقول: لتصرفنا وتلوينا ((عمّا وجدنا عليه آباءنا))... يقال منه: لفت فلانٌ عنق فلان: إذا لواها، كما قال رؤبة :

لَفْتًا وَتَهْزِيعًا سَوَاءَ اللَّفْتِ

التهزيع: الدق، واللفت: اللّي "[3].

---

[1] المصدر السابق: مج3/ جز4/ ص227، بتصرف.
[2] المصدر نفسه: مج3/ جز4/ ص301، بتصرف.
[3] المصدر نفسه: مج7/ جز11/ ص181، بتصرف.

وعند قوله تعالى ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ [الرعد:14] استشهد ببيت في معنى المحال، وبيّن اختلاف الرواة في روايته، فقال عليه رحمة الله: " والمحال: مصدر من قول القائل: ماحلت فلانًا فأنا أماحله مماحلةً ومِحَالا وفعلت منه: مَحَلت أمحَلُ مَحْلا: إذا عرّض رجلٌ رجلا لما يهلكه، ومنه قوله: ((وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ))[1] ومنه قول أعشى بني ثعلبة:

فَرْعُ نَبعٍ يَهْتَزُّ فِي غُصُنِ المجْ *** دِ غَزِيرُ النّدَى شَديدُ المِحَالِ

هكذا كان ينشده معمر بن المثنى فيما حُدِّثت عن علي بن المغيرة[2] عنه. وأما الرواة بعدُ فإنهم ينشدونه:

فَرْعُ فَرْعٍ يَهْتَزُّ فِي غُصُنِ المجْ *** دِ كَثِيرُ النَّدَى عَظِيمُ المِحَال

وفسّر ذلك معمر بن المثنى، وزعم أنه عنى به العقوبة والمكر والنَّكال "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ قَالَتْ يَـٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نِسْياً مَّنسِيّاً ﴾ [مريم:22] بيّن أن الفتح والكسر في النون من (نِسيا) لغتان عند العرب، واستشهد ببيت وشرحه، حيث قال: " ونسي بفتح النون وكسرها لغتان معروفتان من لغات العرب بمعنى واحد، مثل الوَتر والوِتر، والجَسر والجِسر، وبأيتهما قرأ القارئ فمصيب عندنا... ومنه قول الشاعر:

كأنَّ لَهَا فِي الأرضِ نِسْيا تَقُصُّهُ *** إذَا ما غَدَتْ وإنْ تُحَدّثْكَ تَبْلَتِ

ويعني بقوله: تقصه: تطلبه؛ لأنها كانت نسيته حتى ضاع، ثم ذكرته فطلبته، ويعني بقوله: تبلت: تحسن وتصدق "[4].

---

[1] جزء من حديث جابر عن النبي ﷺ أنه قال: القرآن شافع مشفع ماحل مصدق... الحديث. أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم (124) 332/1.

[2] علي بن المغيرة، أبو الحسن الأثرم، صاحب النحو والغريب واللغة، سمع من أبي عبيدة والأصمعي، وعنه أخذ ثعلب، مات سنة 232هـ، ينظر: تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي، 12/106-107.

[3] جامع البيان: مج8/ جز13/ ص162.

[4] المصدر السابق: مج9/ جز16/ ص91، بتصرف.

وعند قوله تعالى ﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ﴾ [مريم:74] استشهد ببيت لمعنى الرّءي وشرح غريبه فقال: " يقول تعالى ذكره: وكم أهلكنا يا محمد قبل هؤلاء... مجالس من قرن هم أكثر متاع منازل من هؤلاء، وأحسن منهم منظرا وأجمل صورا، فأهلكنا أموالهم، وغيرنا صورهم، ومن ذلك قول علقمة بن عبدة[1]:

كُمَيْتٌ كَلَوْنِ الأرْجُوَانِ نَشَرْتَهُ *** لبَيْعِ الرِّئي في الصّوَانِ المكَعَّبِ

يعني بالصوان: التخت الذي تصان فيه الثياب "[2].

الفرع الثاني: أمثلة مختارة من تفسير الطبري.

فعند قوله تعالى ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾ [البقرة:21] استشهد أبو جعفر لمعنى السماء من شعر العرب فقال: " وإنما سُميت السماءُ سماءً لعلوها على الأرض وعلى سُكانها من خلقه، وكل شيء كان فوق شيء آخرَ فهو لما تحته سَماءٌ. ولذلك قيل لسقف البيت: سَمَاوةٌ ، لأنه فوقه مرتفعٌ عليه. ولذلك قيل: سَمَا فلان لفلان، إذا أشرف له وقَصَد نحوه عاليًا عليه، كما قال الفرزدق:

سَمَوْنَا لِنَجْرَانَ الْيَمَانِي وَأَهْلِهِ *** وَنَجْرَانُ أَرْضٌ لَمْ تُدَيَّثْ مَقَاوِلُهْ

وكما قال نابغة بني ذُبيانَ:

سَمَتْ لِي نَظْرَةٌ، فَرَأَيتُ مِنْهَا *** تُحَيْتَ الْخِدْرِ وَاضِعَةَ الْقِرَامِ "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ ﴾ [البقرة:55] فسر البعث بلغة العرب وشعرها فقال: " وأصل البعث: إثارة الشيء من محله. ومنه قيل: بعث فلان راحلته: إذا أثارها من مَبْركها للسير، كما قال الشاعر:

---

[1] علقمة بن عبدة بن قيس التميمي، فحل شعراء بني تميم، جاهلي مخضرم، لقيه حسان بن ثابت وهو غلام وحضر بعض مجالس شعره، ولم أقف له على تاريخ وفاة. ينظر: مجمع الآداب في معجم الألقاب: كمل الدين ابن الفوطي الشيباني، ط:1، مؤسسة الطباعة والنشر، إيران، 1416هـ، 511/2.

[2] جامع البيان: مج9/ جز16/ ص152، بتصرف.

[3] المصدر نفسه: مج1/ جز1 / ص212.

فأبعثها وهيَّ صنيعُ حَوْلٍ *** كرُكنِ الرَّعنِ، ذِعْلِبَةً وَقاحا

والرُعن: منقطع أنف الجبل، والذعلبة: الخفيفة، والوقاح: الشديدة الحافر أو الخف. ومن ذلك قيل: بعثت فلانا لحاجتي: إذا أقمته من مكانه الذي هو فيه للتوجه فيها. ومن ذلك قيل ليوم القيامة: يوم البعث، لأنه يوم يثار الناس فيه من قبورهم لموقف الحساب "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ ﴾ [البقرة:177] استشهد لمعنى (كُتب) أنه (فرض) من شعر العرب، وهذا بعدما استشكل قول قائل يقول: لا يعرف لقول القائل: كُتب معنىً إلا: خطّ ذلك فرسم خطًا وكتابا، فما برهانك على أن معنى قوله (كُتب) فرض؟، ثم أجاب قائلاً: " إن ذلك في كلام العرب موجودٌ، وفي أشعارهم مستفيض، ومنه قول الشاعر:

كُتِبَ القَتْلُ وَالقِتَالُ عَلَيْنَا *** وَعَلَى المحْصَنَاتِ جَرُّ الذُّيُولِ

وقولُ نَابغةَ بني جعدة[2]:

يَا بِنْتَ عَمِّي، كِتَابُ اللهِ أَخْرَجَنِي *** عَنْكُم، فَهَلْ أَمْنَعَنَّ اللهَ مَا فَعَلا!

وذلك أكثر في أشعارهم وكلامهم من أن يحصى "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة:254] استشهد لمعنى السِّنة من كلام العرب فقال: " والوسن: خثورة النوم، ومنه قول عدي بن الرقاع[4]:

وسنان أقصده النعاس فرنقت *** في عينه سنة وليس بنائم

ومن الدليل على ما قلنا: من أنها خثورة النوم في عين الإنسان، قول الأعشى ميمون بن قيس:

تعاطى الضجيع إذا أقبلت *** بعيد النعاس وقبل الوسن

---

[1] المصدر السابق: مج1/ جز1/ ص382.

[2] قيس بن عبد الله العامري الجعدي، شاعر زمانه له صحبة ووفادة ورواية، عمّر إلى حدود 50هـ، وعاش مئة وعشرين سنة، فهو شاعر مخضرم، وسميّ بالنابغة؛ لأنه نبغ في الشعر نبوغ النابغة الذبياني فلقب بذلك. ينظر: سير أعلام النبلاء: 178/3.

[3] المصدر السابق: مج1/ جز2/ ص140.

[4] عدي بن زيد بن الرقاع العاملي الشامي، شاعر بني أمية، مدح الوليد بن عبد الملك، وهجى جريرا، مات سنة 95هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء: 110/5.

وقال آخر:

باكرتها الأغراب في سنة النو *** م فتجري خلال شوك السِّيالِ

يعني عند هبوبها من النوم ووسن النوم في عينها، يقال منه: وسن فلان فهو يوسن وسنا وسنة وهو وسنان، إذا كان كذلك "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران:60] فسر المباهلة ببيت لبيد فقال: " (ثم نبتهل) يقول: ثم نلتعن. يقال في الكلام: ما لهُ بَهَله الله! أي: لعنه الله، وما له عليه بُهْلةُ الله!: يريد اللعن، وقال لبيد، وذكر قومًا هلكوا فقال:

نَظَرَ الدَّهْرُ إِلَيْهِمْ فَابْتَهلْ

يعني: دعا عليهم بالهلاك "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ ﴾ [آل عمران:178] قال رحمه الله: " ويعني بالإملاء: الإطالة في العمر، والإنساء في الأجل، ومنه قوله جل ثناؤه: ((وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا)) [سورة مريم: 46] أي: حينًا طويلا ومنه قيل: عشتَ طويلا وتملَّيت حبيبًا. والملا نفسه الدهر، والملوان: الليل والنهار، ومنه قول تميم بن مقبل[3]:

أَلا يَا دِيَارَ الحَيِّ بِالسَّبُعَانِ *** أَمَلَّ عَلَيْهَا بِالبِلَى المَلَوَانِ

يعني: بالملوان: الليل والنهار "[4].

وعند قوله تعالى ﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ [المائدة:5] استشهد في معنى الجوارح من فصيح شعر العرب فقال: " وأحل لكم أيضًا مع ذلك، صيدُ ما علّمتم من الجوارح: وهن الكَواسب

---

[1] المصدر السابق: مج3/ جز3/ ص11.

[2] المصدر نفسه: مج3/ جز3/ ص381.

[3] تميم بن مقبل بن عوف العجلاني، شاعر جاهلي أدرك الإسلام فأسلم، وكان يبكي على أهل الجاهلية، وعمّر أكثر من مئة وعشرين سنة، تهاجى هو والنجاشي الشاعر، ووفدا على عمر أيام خلافته ليحكم بينهما. ينظر: الإصابة: 496/1.

[4] جامع البيان: مج3/ جز4/ ص232-233.

من سباع البهائم. والطير سميت جوارح؛ لجرحها لأربابها، وكسبها إيّاهم أقواتهم من الصيد. يقال منه: جرح فلان لأهله خيرًا: إذا أكسبهم خيرًا، وفلان جارِحَة أهله، يعني بذلك: كاسبهم، ولا جارحة لفلانة: إذا لم يكن لها كاسب، ومنه قول أعشى بني ثعلبة.

ذاتَ حَدٍّ مُنْضِجٍ مِيسَمُهَا *** تُذْكِرَ الجَارِحَ مَا كَانَ اجْتَرَحْ

يعني: اكتسب "[1].

وعند قوله تعالى ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ﴾ [هود:95] فسّر كأن لم يغنوْا: كأن لم يعيشوا، واستشهد ببيت النابغة فقال: " يقول تعالى ذكره: كأن لم يعش قوم شعيب الذين أهلكهم الله بعذابه، حين أصبحوا جاثمين في ديارهم قبل ذلك. ولم يغنوا. من قولهم: غنيت بمكان كذا: إذا أقمت به، ومنه قول النابغة:

غَنِيَتْ بِذَلِكَ إِذْ هُمُ لِي جِيرَةٌ *** مِنْهَا بِعَطْفِ رِسَالِةٍ وتَوَدُّدِ "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَا وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٍ ﴾ [يوسف:65] تكلم في لغة نمير فقال: " قوله: ((ونمير أهلنا)) يقول: ونطلب لأهلنا طعامًا فنشتريه لهم. يقال منه: مارَ فلانٌ أهلهَ يميرهم مَيْرًا، ومنه قول الشاعر:

بَعَثْتُكَ مَائِرًا فَمَكَثْتَ حَوْلا *** مَتَى يَأْتِي غِيَاثُكَ مَنْ تُغِيثُ "[3].

وعند قوله تعالى ﴿فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ﴾ [الإسراء:51] فسّر النّغض ورجع إلى شعر العرب فقال: " يقول: فإنك إذا قلت لهم ذلك، فسيهزُّون إليك رءوسهم برفع وخفض، وكذلك النَّغْض في كلام العرب، إنما هو حركة بارتفاع ثم انخفاض، أو انخفاض ثم ارتفاع، ولذلك سمي الظليم نَغْضا؛ لأنه إذا عجل المشي ارتفع وانخفض، وحرّك رأسه، كما قال الشاعر:

أسكّ نغْضًا لا يَنِي مُسْتَهْدِجا

---

[1] المصدر السابق: مج4/ جز6/ ص114.

[2] المصدر نفسه: مج7/ جز12/ ص136.

[3] المصدر نفسه: مج8/ جز13/ ص17.

ويقال: نَغَضَت سنّه: إذا تحرّكت وارتفعت من أصلها؛ ومنه قول الراجز:

ونَغَضَتْ مِنْ هَرِمٍ أسْنانُها "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ ﴾ [لقمان:31] فسر الختر بالرجوع إلى الشعر العربي، فقال: " والختر عند العرب: أقبح الغدر، ومنه قول عمرو بن معد يكرب[2]:

وَإِنَّكَ لَوْ رأيْتَ أبا عُمَيْرٍ *** مَلأْتَ يَدَيْكَ مِنْ غَدْرٍ وَخَتْرٍ "[3].

المطلب الثاني: تفسير الغريب بالمسموع من كلام العرب[4].

يعد السماع مصدرا مهما ومرجعا أساسيا في تفسير الغريب عند الإمام الطبري، بل أولاه عناية كبيرة في الترجيح والاختيار وتصويب الأوجه التي يراها أولى بالصواب، وبحكم كوفية الطبري في المدرسة اللغوية ينبغي بيان مسائل ذات صلة متعلقة بهذا الأصل:

الفرع الأول: مفهوم السماع عند اللغويين.

السماع: الأصل الأول من أصول النحو، والأساس الذي قامت عليه الدراسات النحوية في بواكيرها الأولى، والمقصود بالسماع الرواية، والأصل فيه الأخذ المباشر للمادة اللغوية عن الناطقين بها، وبينه وبين الرواية عموم وخصوص، فالرواية عامة والسماع خاص، ويحدد ذلك المباشرة بالمشافهة التي تختص بالسماع، أما الرواية فتتأتى عموميتها من كون الراوي السامع قد يفصل بينه وبين المروي عنه براوٍ آخر[5].

---

[1] المصدر السابق: مج9/ جز15/ ص124.

[2] عمرو بن معد يكرب بن عبد الله الصحابي، أبو ثور، الشاعر المخضرم، وفد على النبي ﷺ مع قومه سنة تسع فأسلم، شهد اليرموك والقادسية ونهاوند، ومات سنة 21هـ. ينظر: تهذيب الأسماء واللغات: يحي بن شرف النووي، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، 34/2.

[3] المصدر السابق: مج11/ جز21/ ص103.

[4] ينظر نماذج أخرى من استشهاد الطبري بالمسموع من كلام العرب في معاني الغريب، جامع البيان: مج3/ جز4/ ص61، ص71، ص87، ص306، مج4/ جز5/ ص64، مج5/ جز7/ ص220، جز8/ ص13.

[5] ينظر: النقد اللغوي عند الطبري إمام المفسرين – لمسات لغوية نقدية من فكر المفسر – جنان محمد مهدي، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012م، ص115-116.

الفرع الثاني: حدود دائرة السماع عند أئمة اللغة.

نقل الإمام السيوطي عن الفارابي[1] قوله: " كانت قريشٌ أجودَ العرب انتقادا للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النُّطْق وأحسنها مسموعا وأبينها إبانَة عما في النفس، والذين عنهم نُقِلت اللغة العربية وبهم اقْتُدِي وعنهم أُخِذَ اللسانُ العربيُّ من بين قبائل العرب هم: قيس وتميم وأسد فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثرُ ما أُخِذ ومعظمه وعليهم اتُّكل في الغريب وفي الإعراب والتَّصْريف، ثم هذيل وبعض كِنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم. وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضَرِيٍّ قط ولا عن سكَّان البَرَاري ممن كان يسكنُ أطرافَ بلادِهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم، فإنه لم يؤخذ لا مِنْ لَخْم ولا من جذَام لِمُجاوَرتهم أهل مصر والقِبْط ولا من قُضاعة وغَسَّان وإياد لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية، ولا من تغلب واليمن فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس، ولا من عبد القيس وأزد عمان لأنهم كانوا بالبحرين مُخالطين للهِند والفُرس، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز؛ لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغةَ العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت أَلسِنتهم "[2].

الفرع الثالث: السماع بين الكوفيين والبصريين.

لقد تفاوت أئمة البصرة والكوفة في الأخذ بالسماع، بعد اتفاقهم على أنه أصل من الأصول التي تثبت بها اللغة؛ فاتسع فيه الكوفيون وتساهلوا، بخلاف البصريين الذين اتكلوا على القياس أكثر من

---

[1] صاحب كتاب الألفاظ والحروف، وهو محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان، تركي الأصل من فاراب بأرض خرسان، الفيلسوف المشهور، برع في اللغة والأدب والطب والفلسفة، وكانت وفاته بدمشق سنة 339هـ، ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء: أحمد بن القاسم الخزرجي، تح: نزار رضا، دط، دار مكتبة الحياة، بيروت، دت، ص603، وينظر: الوافي في الوفيات: صلاح الدين خليل الصفدي، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط:1، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ – 2000م، 103/1.

[2] المزهر في علوم اللغة وأنواعها: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ – 1998م، 168/1.

السماع، وهذا راجع إلى اختلافهم في القبائل التي تُروى عنها اللغة سماعا، فأهل الكوفة يروون اللغة عن القبائل المتاخمة لأطراف الجزيرة إغراقا منهم في جمع لغة العرب من الاندثار والانقراض، في حين أهل البصرة لا يروون سماعا إلا عن قريش وقيس وتميم وأسد وهذيل وكنانة وطيّ، وهذه القبائل يعبر عنها في الجغرافيا بأواسط الجزيرة، وهذه حدود السماع عند أهل البصرة[1].

الفرع الرابع: موقف الإمام الطبري من السماع.

ما هو معروف أن الطبري كوفيّ النزعة اللغوية والنحوية، ولكنه رحمه الله خرج عن هذا الألف، وتحرر من هذا التقليد في مسألة السماع باعتباره أصلا من الأصول التي تثبت بها اللغة، ويتجلى موقفه من السماع في العنصرين الآتيين:

أولا: اهتمامه بالتصريح بالرواية سماعا عن العرب.

وكمثال على ذلك في تفسيره لقوله تعالى ﴿وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ﴾ [الكهف:29] صرّح بالرواية سماعا لمعنى المهل، حيث قال: " حُدثت عن معمر بن المثنى، أنه قال: سمعت المنتجع بن نبهان[2] يقول: والله لفلان أبغض إليّ من الطلياء والمهل، قال: فقلنا له: وما هما؟ فقال: الجرباء، والملّة التي تنحدر عن جوانب الخبزة إذا ملت في النار من النار، كأنها سِهلة حمراء مدققة، فهي أحمره "[3].

ثانيا: اعتماده على الأئمة الأثبات في نقل اللغة.

---

[1] ينظر: النقد اللغوي عند الإمام الطبري: ص117، بتصرف.

[2] من الطبقة الأولى من اللغويين البصريين، من بني نبهان من طيّ، أخذ عنه الأصمعي وغير واحد، ولم أجد له تاريخ وفاة، ينظر: طبقات النحويين واللغويين: محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط:2، دار المعارف، دت، مج1/ ص157. وينظر: إنباه الرواة عن أنباه النحاة: جمال الدين القفطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط:1، دار الفكر العربي، القاهرة، دت، مج3/ ص323.

[3] جامع البيان: مج9/ جز15/ ص295.

فعند قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ﴾ [الرعد:19] أسند إلى أبي عمرو بن العلا كلامه في معنى الجُفاء ما نصه: " وأما الجفاء فإني: حُدثت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى، قال أبو عمرو بن العلاء: يقال: قد أجفأت القِدْرُ، وذلك إذا غلت فانصبَّ زَبدها، أو سَكنَت فلا يبقى منه شيءٌ "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثاً ﴾ [النحل:80] فسر الأثاث بالمتاع، وذكر أنه لا واحد له من لفظه – وإن نقل بعضهم أنّ واحده أثاثة – قال مستندا إلى أهل العلم بكلام العرب: " وأما الأثاث فإنه متاع البيت لم يسمع له بواحد، وهو في أنه لا واحد له مثل المتاع. وقد حكي عن بعض النحويين أنه كان يقول: واحد الأثاث أثاثة، ولم أر أهل العلم بكلام العرب يعرفون ذلك "[2].

الفرع الخامس: نماذج مختارة من تفسير الطبري.

فعند قوله تعالى ﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ ﴾ [البقرة:60] استشهد لهمز (أدنى) بالمسموع من كلام العرب وشعرهم فقال: " ومعنى قوله: (أدنى) أخس وأوضع وأصغر قدرا وخطرا. وأصله من قولهم: هذا رجل دني بين الدناءة، وإنه ليدنيٌّ في الأمور، بغير همز، إذا كان يتتبع خسيسها. وقد ذكر الهمز عن بعض العرب في ذلك، سماعا منهم. يقولون: ما كنتَ دانئا، ولقد دنأتَ، وأنشدني بعض أصحابنا عن غيره، أنه سمع بعض بني كلاب ينشد بيت الأعشى:

باسلةُ الوقعِ سرابيلها *** بيض إلى دانئِها الظاهر

بهمز الدانئ، وأنه سمعهم يقولون: إنه لدانئ خبيث بالهمز. فإن كان ذلك عنهم صحيحا، فالهمز فيه لغة، وتركه أخرى "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ [البقرة:29] بيّن أن الملائكة جمع ملْأك أو ملَك، ثم ضعّف أن يكون واحدهم مألك لكون جمعه مآلك غير مسموع ومحفوظ عنده عن العرب، فقال: " وقد يقال في واحدهم: مألك، فيكون ذلك مثل قولهم: جَبَذ وجذب، وشأمَل وشمأل، وما أشبه ذلك

[1] المصدر السابق: مج8/ جز13/ ص174.
[2] المصدر نفسه: مج8/ جز14/ ص188.
[3] المصدر نفسه: مج1/ جز1/ ص411.

من الحروف المقلوبة. غير أن الذي يجبُ إذا سمي واحدهم (مألك) أن يجمع إذا جمع على ذلك (مآلك) ولست أحفظ جمعَهم كذلك سماعًا، ولكنهم قد يجمعون: ملائك وملائكة... قال أميّة بن أبي الصّلت في جمعهم كذلك:

وَفِيهِمَا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ قَوْمٌ *** مَلائِك ذُلِّلوا وهُمُ صِعَابُ "[1].

وعندي نموذج آخر يبيّن أن الإمام الطبري يروي سماعا عن العرب كلامها الذي هو أحد مصادر تفسير غريب القرآن، وذلك بالإسناد الصحيح إلى الثقات، فعند قوله تعالى ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ [آل عمران:37] قال رحمه الله: " وذُكر عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: لم نسمع العرب تضم القاف في قَبول، وكان القياس الضمّ؛ لأنه مصدر مثل: الدُّخول والخروج. قال: ولم أسمع بحرف آخر في كلام العرب يُشبهه. قال أبو جعفر: حدثت بذلك عن أبي عبيد قال: أخبرني اليزيدي عن أبي عمرو "[2].

وحين فسّر قوله تعالى ﴿ وَجِيهاً فِي ٱلدُّنْيا وَالآخِرَةِ ﴾ [آل عمران:45] بيّن استعمالات العرب لهذه الكلمة، واستشهد بالمسموع من كلامهم فقال: " يعني بقوله (وجيهًا): ذا وَجْهٍ ومنزلة عالية عند الله، وشرفٍ وكرامة. ومنه يقال للرجل الذي يَشرُف وتعظّمه الملوك والناس: وجيهٌ، يقال منه: ما كان فلان وَجيهًا، ولقد وَجُهَ وَجاهةً، وإن له لَوجْهًا عند السلطان وَجاهًا ووَجاهةً. والجاه: مقلوب، قُلبت، واوه من أوّله إلى موضع العين منه، فقيل: جاهٌ. وإنما هو وجهٌ وفعل من الجاه: جاهَ يَجُوه، مسموع من العرب: أخاف أن يجوهني بأكثر من هذا، بمعنى: أن يستقبلني في وجهي بأعظم منه "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ تُبَوِّئُ ٱلْمُومِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ [آل عمران:121] قال في معنى تُبوّئ: " يقال منه: بوَّأت القوم منزلا وبوّأته لهم، فأنا أبوِّئهم المنزل تبوئةً، وأبوئ لهم منزلا تبوئة... وقد حكي عن العرب سماعًا: أبأت القوم منزلا فأنا أبيئهم إباءة، ويقال منه: أبأتُ الإبل: إذا رددتها إلى المباءة. والمباءةُ:

---

[1] المصدر السابق: مج1/ جز1/ ص260.
[2] المصدر نفسه: مج3/ جز3/ ص311، بتصرف يسير.
[3] المصدر نفسه: مج3/ جز3/ ص348.

المَرَاح الذي تبيت فيه... فتأويل الكلام: واذكر إذ غدوت، يا محمد، من أهلك تتخذ للمؤمنين معسكرًا وموضعًا لقتال عدوهم "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيباً ﴾ [النساء:6] قال في تفسير الحسيب: " يقال منه: قد أحسبني الذي عندي، يراد به: كفاني. وسمع من العرب: لأُحْسِبَنَّكم من الأسودين، يعني به: من الماء والتمر والمحْسِب من الرجال: المرتفع الحسب، والمحْسَب: المكفِيُّ "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَلاَ تَطْرُدِ ٱلذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الأنعام:28] أسند إلى أبي عمرو بن العلا أنه لم يسمع من العرب أوقفتُ ولا أوقفوا حيث قال الإمام الطبري: " وقيل: وُقفوا، ولم يُقَل: أُوقِفوا؛ لأن ذلك هو الفصيح من كلام العرب. يقال: وقَفتُ الدابة وغيرها بغير ألف: إذا حبستها. وكذلك: وقفت الأرضَ: إذا جعلتها صدقةً حَبيسًا بغير ألف، وقد: حدثني الحارث، عن أبي عبيد قال: أخبرني اليزيديّ والأصمعي، كلاهما، عن أبي عمرو قال: ما سمعت أحدًا من العرب يقول: أوقفت الشيء بالألف. قال: إلا أني لو رأيت رجلا بمكانٍ فقلت: ما أوقفك ها هنا؟ بالألف، لرأيته حسنًا "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ﴾ [هود:34] فسّر الإغواء بالمسموع من كلام العرب فقال: " يقول: إن كان الله يريد أن يهلككم بعذابه...حُكي عن طيئ أنها تقول: أصبح فلان غاويًا: أي مريضًا. وحكي عن غيرهم سماعًا منهم: أغويت فلانًا: بمعنى أهلكته، وغوِيَ الفصيل: إذا فقد اللبن فمات "[4].

وعند قوله تعالى ﴿ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ ﴾ [الزخرف:53] ردّ أبو جعفر توجيه أبي عمرو بن العلا قراءة (أساورة) على أنها جمع إسْوار بمعنى سوار اليد، فقال: " ولست أعلم ذلك صحيحا

---

[1] المصدر السابق: مج3/ جز4/ ص92، بتصرف.

[2] المصدر نفسه: مج3/ جز4/ ص329.

[3] المصدر نفسه: مج5/ جز7/ ص221.

[4] المصدر نفسه: مج7/ جز12/ ص42.

عن العرب برواية عنها، وذلك أن المعروف في كلامهم من معنى الإسوار: الرجل الرامي، الحاذق بالرمي من رجال العجم. وأما الذي يُلبس في اليد، فإن المعروف من أسمائه عندهم سوارا "[1].

المطلب الثالث: استعماله القياس اللغوي في تفسير الغريب.

يعتبر القياس أحد أدلة الترجيح التي يستند إليها الطبري في نقده للقضايا اللغوية والنحوية التي توجه معاني آي القرآن، إذ المتأمل لتفسيره يجد الرجل من فرسان القياس الأصولي واللغوي، يقول الأستاذ محمد المالكي في هذا الصدد: " إن الطبري كان على علم قوي بمبحث القياس وأركانه الأصولية: (المقيس – المقيس عليه – العلة – الحكم)... ويتضح هذا الأمر باستقراء مفهوم القياس عنده، الذي أشار إليه بقوله: ((هو رد الفروع المختلف فيها إلى نظارها من الأصول المجمع عليها))... وعلى هذا الأساس فإن القياس لا يقوم على عمل عقلي مجرد، وإنما يستند في جوهره إلى الأصل المبنى عليه "[2].

الفرع الأول: مسلك الإمام الطبري في القياس اللغوي.

سلك الإمام الطبري في مسألة القياس اللغوي، مسلك البصريين، على الرغم من ميله إلى آراء نحاة الكوفة[3]، وهذا راجع إلى إغراق أهل البصرة في القياس، ويشترط الإمام الطبري في المقيس عليه: الكثرة والاطراد والسماع عن كلام العرب ممن يوثق بفصاحتهم، كما أنه لا يقيس على ما ورد شاذا في القياس؛ لأن اللغة لا تثبت بشاذ ولا مخالف للأصل، والقرآن لا يفسر إلاّ بما ثبت لغة. ويتعلق بهذا

---

[1] المصدر السابق: مج13/ جز25/ ص100.

[2] دراسة الطبري للمعنى: محمد المالكي، دط، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1417هـ – 1996م، ص184-186، بتصرف.

[3] مما تجدر الإشارة إليه أن الطبري لا يتوسع في القياس مثل البصريين، بل يقف عند المسموع، فهو يربط بين القياس والسماع، وكأنه يجمع بين مدرستي الكوفة والبصرة، ينظر: الطبري النحوي من خلال تفسيره: زكي فهمي الآلوسي، ط:1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2002م، ص71-72.

الشرط قاعدة ((ضرورة حمل معاني القرآن على المعروف والمشهور من كلام العرب لا النادر والقليل في الاستعمال))[1].

وأكثر الإمام الطبري من القياس في مسائل الحذف والإدغام، والجمع والإفراد، والتأنيث والتذكير[2]، وسنبيّن ذلك بنماذج تطبيقية.

الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.

وذلك حين أرجع أصل لفظ الجلالة (الله) في كلام العرب إلى (الإله) قياسا على الحذف والإدغام في قوله تعالى ﴿ لَّٰكِنَّا هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي ﴾ [الكهف:37] إذ التقدير: لكن أنا هو الله ربي، وفي قول الشاعر :

وترمينني بالطرف أيْ أنا مذنبٌ وتَقْلينَني لكنَّ إياكِ لا أَقْلِي

يريد: لكنْ أنا إياكِ لا أقلي، فحذفت الهمزة من (أنا) فالتقت (نون) (أنا) و (نون) (لكن) وهي ساكنة، فأدغمت في نون (أنا) فصارتا نونا مشدّدة، فكذلك الله أصله الإِله، أسقطت الهمزة التي هي فاء الاسم، فالتقت الام التي هي عين الاسم والام الزائدة التي دخلت مع الألف الزائدة، وهي ساكنة فأدغمت في الأخرى التي هي عين الاسم فصارتا في اللفظ لاما واحدة مشددة "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ ﴾ [يوسف:51] حيث قاس حصحص على نظيراتها في الوزن، وأرجعها إلى أصل وضعها العربي، ليُفيد بذلك في توجيه المعنى فقال: " وأصل حَصحص: حصَّ، ولكن قيل: حصحص، كما قيل: (فَكُبۡكِبُوا) [الشعراء: 94] في كبّوا، وقيل: كفكف في كفّ، وذرْذر في ذرّ. وأصل الحصّ: استئصال الشيء، يقال منه: حَصَّ شعره: إذا استأصله جزًّا. وإنما أريد في هذا الموضع بقوله: ((حصحص الحق)): ذهب الباطل والكذب فانقطع، وتبين الحق فظهر"[4].

---

[1] ينظر: النقد اللغوي عند الطبري، ص130، بتصرف.

[2] الطبري النحوي من خلال تفسيره: زكي فهمي الآلوسي، ص69.

[3] ينظر: جامع البيان: مج1/ جز1 /ص69-70.

[4] المصدر نفسه: مج7/ جز12/ ص295-296.

وعند قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ [الرعد:2] تكلم في جمع العمد وقاسها على نظائرها لغةً فقال: " والعَمَد: جمع عمود، وهي السَّواري، وما يعمد به البناء، كما قال النابغة:

وَخَيِّسِ الجِنَّ إنِّي قَدْ أذِنْتُ لَهُمْ *** يَبْنُون تَدْمُرَ بِالصُّفَّاحِ وَالعَمَدِ

وجمع العمود: عَمَد، كما جمع الأديم: أدَم، ولو جمع بالضم فقيل: عُمُد جاز، كما يجمع الرسول رُسل، والشَّكور شُكُر "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعاً ﴾ [الإسراء:69] قاس تبيع في مجيئها على وزن فعيل والمراد فاعل كما قيل: عليم في موضع عالم، حيث قال: " يقول: ثم لا تجدوا لكم علينا تابعا يتبعنا بما فعلنا بكم، ولا ثائرا يثأرنا بإهلاكنا إياكم، وقيل: تبيعا في موضع التابع، كما قيل: عليم في موضع عالم. والعرب تقول لكل طالب بدم أو دين أو غيره: تبيع "[2].

---

[1] المصدر السابق: مج8/ جز13/ ص118.
[2] المصدر نفسه: مج9/ جز15/ ص154.

المبحث الرابع: اعتماده على ما سبقه من كتب الغريب.

ومن أهم مصادر الإمام الطبري في الغريب: كتب معاني القرآن[1]، فالناظر في تفسيره يراه يسند إلى أهل العربية أقوالا في معاني القرآن، وربما أسند القول إلى المدرسة التي ينتمي إليها هؤلاء، فيقول: قال أهل البصرة أو قال أهل الكوفة، وقليلا ما ينسب القول إلى قائله، يقول صاحب معجم الأدباء يحكي عن مصادر اللغة في تفسير الإمام الطبري:" وذكر فيه مجموع الكلام والمعاني من كتاب علي بن حمزة الكسائي ومن كتاب يحيى بن زياد الفراء ومن كتاب أبي الحسن الأخفش ومن كتاب أبي علي قطرب وغيرهم مما يقتضيه الكلام عند حاجته إليه؛ إذ كانوا هؤلاء هم المتكلمون في المعاني وعنهم يؤخذ معانيه وإعرابه، وربما لم يسمّهم إذا ذكر شيئا من كلامهم"[2].

وقد أشار الدكتور حسين الحربي[3] إلى أن كتب الغريب المعتمدة عند الطبري قسمان: قسم لم يصل إلينا وهو في عداد المفقود، وقسم وصل إلينا وهو موجود بين أيدينا، الأمر الذي حملني على تقسيم هذا النوع من المصادر إلى قسمين هما:

المطلب الأول: اعتماده على كتب الغريب المفقودة.

مثل كتاب الكسائي، وكتاب الأصمعي، وكتاب قطرب، وكتاب ثعلب، وكتاب أبي عمرو الشيباني، وكتاب أبي عبيد القاسم بن سلام... الخ، وغير كتب هؤلاء كثير، ويعتبر تفسير جامع البيان وعاء قد حوى ما أودعه هؤلاء الفطاحلة في مؤلفاتهم في الغريب، ويعتبر الكسائي أكثر ذكرا من غيره من أئمة الغريب، أما أبو عمرو الشيباني والأصمعي فلم يظفرا بذكر إلا في مواطن معدودة، في حين باقي أئمة الغريب لم يأتي ذكرهم صراحة في كامل جامع البيان.

المطلب الثاني: اعتماده على ما طُبع من كتب الغريب.

[1] وحيث ذُكر هذا المصطلح في عرف المتقدمين فالمراد كتب غريب القرآن التي تدرس معاني المفردات حال الإفراد والتركيب.

[2] ينظر: معجم الأدباء: ياقوت الحموي، 2454/6.

[3] ينظر: منهج الإمام بن جرير الطبري في الترجيح: الحربي، 13.

اعتمد الإمام الطبري في معاني الغريب: على أربعة مصادر من كتب الغريب سلمت من الضياع والاندثار، وهي: مجاز القرآن لأبي عبيدة – معاني القرآن للأخفش الأوسط – معاني القرآن للفراء – تفسير غريب القرآن لابن قتيبة.

ومما ينبغي الإشارة إليه في هذا الصدد، أن الإمام الطبري يسند الأقوال إجمالا، فيقول: وأما أهل العربية فقالوا، أو وقال أهل العلم بلغة العرب وما إلى ذلك من العبارات المجملة التي يصعب معها تحديد القائل عينا، ولكن مع هذا الإبهام سعيت جهدي واستفدت من جهد الباحثين الذين حازوا قصب السبق في هذا المجال، وبخاصة جهد المحققين الأوائل لهذه الكتب الأربعة التي تعتبر من تراث الإسلام ولغته الخالدة خلود هذا الكتاب المقدس.

وفيما يلي إشارات ونماذج تبيّن اعتماد الطبري على هذه المصادر اللغوية في غريب القرآن، وقد رتبتها على تواريخ وفيات مؤلفيها.

الفرع الأول: اعتماده على كتاب معاني القرآن للفراء (ت207هـ).

كان لكتاب الفراء المسمى معاني القرآن أثر كبير في تفسير الطبري فقد اعتمد عليه عموما في مسائل اللغة، وفي معاني الغريب خاصة، وغالب النقول التي عزاها إلى أهل الكوفة هي من معاني القرآن للفراء، وقد صرّح باسمه في قرابة ثمانين موضعا[1]، وأهمل ذكر اسمه كثيرا، وكان ينتصر لرأيه كثيرا ويرجح رأيه أحيانا، فأثره في تفسير الطبري واضح لا ينكر.

الفرع الثاني: اعتماده على كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة (ت210هـ).

كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة من أهم مصادر استمداد معاني الغريب عند أبي جعفر في تفسيره، وحيث يقول الطبري: وقال بعض البصريين[2]، أو قال بعض أهل العربية من أهل البصرة، فإنه ينقل

---

[1] ينظر على سبيل المثال: جامع البيان: مج5/ جز7/ ص389، مج6/ جز9/ ص200، مج7/ جز11/ ص122، ص158، ص459، جز12/ ص86، ص280... الخ

[2] ينظر على سبيل المثال: جامع البيان: مج5/ جز7/ ص217، مج6/ جز9/ ص6، مج7/ جز12/ ص226، مج8/ جز13/ ص162، مج9/ جز16/ ص228.... الخ.

عبارة أبي عبيدة بحرفها أو بمعناها، وأحيانا كان ينعته بقوله[1]: قال بعض من لا علم له بأقوال السلف، أو: وكان بعض البصريين مما يفسر القرآن برأيه، وربما أغلظ عليه في القول فقال[2]: قال بعض أهل الغفلة، أو قال بعض أهل الغباء....الخ، وهذه العبارات غير قادحة في أبي عبيدة على جلالته في اللغة والغريب، ولكن هذا راجع إلى اختلاف منهجهما في التفسير، فأبو جعفر كان يفسر القرآن بأقوال السلف مع مراعاة دلالات السياق، في حين كان أبو عبيدة يفسر القرآن على أنه نص عربي مجرّد، دون مراعاة دلالات السياق وخصوصية لغة القرآن.

الفرع الثالث: اعتماده على كتاب معاني القرآن للأخفش سعيد بن مسعدة (ت215هـ).

نقل الإمام الطبري في مواضع كثيرة عن الأخفش، ولم يشر إليه باسمه أو بكنيته إلا في مواضع يسيرة، وقد قامت الدكتورة هدى قراعة محققة كتاب معاني القرآن للأخفش بالتنبيه على المواضع التي نقلها الطبري عن الأخفش في مسائل اللغة والنحو، وعقدت لها فهرسا في آخر الكتاب سمّته بفهرس المقابلات؛ حيث تقول: " النقول التي أثبتها هنا نقلها الطبري في كتابه ((جامع البيان عن تأويل آي القرآن)) عن كتاب الأخفش ((معاني القرآن)) ولم يذكر الطبري لقب الأخفش صراحة ولا دعاه بكنيته ولا سماه باسمه، بل كان يقول: قال بعض نحويي البصرة أو قال بعض أهل البصرة أو ما شابه ذلك "[3]. وقد أوصلت الدكتورة هذه المقابلات إلى حوالي سبعة وأربعين ومئتي مسألة قابلت فيها بين المصدرين، وأثبتت اعتماد الطبري على الأخفش في مسائل اللغة والغريب[4].

الفرع الرابع: اعتماده على كتاب تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ت286هـ).

يعتبر أول من لفت الانتباه إلى مصدرية كتاب تفسير غريب القرآن لابن قتيبة بالنسبة لتفسير جامع البيان للطبري السيّد أحمد صقر في مقدمة تحقيقه لكتاب ابن قتيبة؛ حيث يقول: " ومما يستلفت

---

[1] ينظر على سبيل المثال: جامع البيان: مج1/ جز1/ ص389، مج3/ جز4/ ص145....الخ.

[2] ينظر على سبيل المثال: جامع البيان: مج2/ جز2/ ص116.

[3] معاني القرآن: سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، تح: هدى محمود قراعة، ط:1، مطبعة المدني، القاهرة، 1411هـ – 1990م، 2/ 647.

[4] ينظر: المصدر نفسه: 2/647-701.

النظر أن أبا جعفر الطبري قد انتفع بكتاب الغريب هذا انتفاعا كبيرا، ونقل ألفاظه في بعض المواطن نقلا حرفيا دون الإشارة إلى ابن قتيبة بأية إشارة واضحة أو مبهمة... مثل ما فعل مع الفراء وأبي عبيدة، وكثير من المواطن التي لم ينقل فيها ألفاظ ابن قتيبة وعبر فيها الطبري بألفاظه وأسلوبه، يجد فيها القارئ الحصيف ريح كلام ابن قتيبة "[1]. وهذا الكلام متحقق لمن خَبَرَ الكتابين، وأدام النظر في السَّفرين، وشمّ ريح الأسلوبين، يدرك حقا أن الطبري استفاد كثيرا من جهد ابن قتيبة، ونهل من علمه في الغريب واللغة، وقد أحال محقق تفسير غريب القرآن إلى بعض المواطن التي وقع فيها النقل أو الاقتباس في جامع البيان[2].

وببيان موارد تفسير الطبري اللغوية، والتعريف ولو بإيجاز بمصادره من كتب غريب القرآن، نكون قد أنهينا فصل مصادر الطبري في غريب القرآن، وبعدما بان هذا الأمر، نعرج إلى ذكر قواعد تفسير الغريب عند الطبري، فإلى الفصل الموالي.

---

[1] تفسير غريب القرآن: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تح: السيد أحمد صقر، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1398هـ – 1978م، ص د، بتصرف يسير.

[2] ينظر على سبيل المثال: المصدر نفسه: ص41، ص51، ص69....الخ، ولم يتسنى لي الوقوف على هذه الإحالات، وتوثيقها من جامع البيان؛ لأن أغلبها اقتباسات، وهذا بحث مستقل لعلي أوصي به في خاتمة البحث إن شاء الله.

الفصل الثالث: قواعد تفسير الغريب

عند الإمام الطبري.

- المبحث الأول: القواعد المتعلقة بالمفردة القرآنية.
- المبحث الثاني: القواعد المتعلقة بالتراكيب القرآنية.
- المبحث الثالث: القواعد المتعلقة بالسياق القرآني.

من خلال استقراء قواعد تفسير الغريب عند الإمام الطبري، يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام[1]: قواعد متعلقة بالمفردة القرآنية – وقواعد متعلقة بالتراكيب القرآنية – وقواعد متعلقة بالسياق القرآني.

[1] هذا التقسيم استندت فيه إلى الزركشي والسيوطي؛ إذ يقول الزركشي عن علم الغريب: وهو علم يتصيد المعاني من السياق، وقال السيوطي: هو علم يدرس معاني الكلمات حال الإفراد وحال التركيب. فمن خلال كلام الإمامين قسّمت قواعد الغريب إلى ثلاثة أقسام كما هو مبيّن، وصادف هذا التقسيم ما جمعتُ من جامع البيان، ولم أراعي القواعد المتعلقة بالإعراب ومعاني الحروف كون مظانها في كتب النحو معروفة.

المبحث الأول: القواعد المتعلقة بالمفردة القرآنية.

المطلب الأول: قاعدة: الأصل اعتبار عموم معنى المفردة ما لم يرد ما يخصصه[1].

الفرع الأول: شرح القاعدة.

هذه القاعدة لها علاقة بما أصله علماء الأصول من أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فلا ملجأ للتخصيص إلاّ بمخصص؛ لأن القرآن نزل لهداية أول الأمة وآخرها، والله تعالى قد أمرنا بالتفكّر والتّدبر لكتابه، فإذا تدبّرنا الألفاظ العامة وفهمنا أنّ معناها يتناول أشياء كثيرة، وليس لنا أن نخرج بعض أفراد تلك المعاني من عموم لفظها، ومتى راعينا هذه القاعدة حصل الخير الكثير والعلم الغزيز، وبإهمالها وعدم اعتبارها يفوت على العبد علم كثير ويقع الغلط والارتباك والاختلاف في معاني القرآن[2].

الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.

وقد أشار الإمام الطبري إلى هذه القاعدة حين حكى أقوال المفسرين في معنى ﴿ ٱلذِينَ يُومِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ [البقرة: 2] حيث قال: " اختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم: الإيمان هو التصديق، وقال آخرون: هو الخشية، وقال بعضهم: هو العمل، ثم قال: والإيمان كلمة جامعة للإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وتصديق الإقرار بالفعل، ثم اختار كل المعاني ووجّه المعنى بحسب جميعها

---

[1] للاستزادة من النماذج التطبيقية على هذه القاعدة، ينظر جامع البيان: مج1/ جز1/ ص386، ص403، ص726، مج2/ جز2/ ص72، ص117، ص401، ص423، ص534، مج3/ جز3/ ص387، مج4/ جز5/ ص243، ص313، ص351، مج5/ جز8/ ص173، مج7/ جز11/ ص59، مج8/ جز14/ ص202.

[2] ينظر: القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ط:1، دار الآثار للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1424هـ – 2003م، ص6.

فقال: فالذي هو أولى بتأويل الآية وأشبه بصفة القوم: أن يكونوا موصوفين بالتصديق بالغيب قولا واعتقادا وعملا؛ إذ كان جل ثناؤه لم يحصرهم من معنى الإيمان على معنى دون معنى "[1].

وأشار الإمام الطبري إلى هذه القاعدة أيضا عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَتَٰعٌ اِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة: 35] حيث قال رحمه الله: " والمتاع في كلام العرب: كلّ ما استُمتع به من شيء من معاش أو رياش أو زينة أو لذة أو غير ذلك...فإذا كان اسم المتاع يشمل جميع ذلك، كان أولى التأويلات بالآية إذ لم يكن الله تعالى وضع دلالة دالة على أنه قصد بعضا دون بعض، وخاصا دون عامّ في عقل ولا خبر، ن يكون ذلك في معنى العام "[2].

وذكر هذه القاعدة أيضا عند تفسير قوله تعالى ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ اُلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ ﴾ [البقرة:196] حيث ذكر اختلاف المفسرين في معنى الرفث هل هو محمول على جميع معانيه أم على بعضها، فقال: " والصواب من القول في ذلك عندي أن الله جلّ ثناؤه نهى عن الرفث فقال (فمن فرض فيهن الحج فلا رفث) والرفث في كلام العرب أصله الإفحاش في المنطق... ثم تستعمله في الكناية عن الجماع. فإذ كان ذلك كذلك، وكان أهل العلم مختلفين في تأويله، وفي هذا النهي من الله عن بعض معاني الرفث أم عن جميع معانيه؟، وجب أن يكون على جميع معانيه، إذ لم يأت خبر بخصوص الرفث الذي هو بالمنطق عند النساء من سائر معاني الرفث يجب التسليم له، إذ كان غير جائز نقل حكم ظاهر آية إلى تأويل باطن إلا بحجة ثابتة "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ وَالْمُحْصَنَٰتُ مِنَ اَلنِّسَآءِ اِلَّا مَا مَلَكَتَ اَيْمَٰنُكُمْ ﴾ [النساء:24] وبعدما ذكر عن أئمة السلف عدة معان للإحصان في هذا الموضع قال مقعدا هذه القاعدة: " فأما المحصنات: فإنّهن

[1] جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري، دار ابن حزم، بيروت، دط، 1434هـ – 2013م، 132/1.
[2] المصدر نفسه: مج1/ جز1/ ص319.
[3] المصدر نفسه: مج2/ جز2/ ص355.

جمع مُحْصَنة، وهي التي قد مُنع فرجها بزوج. يقال منه: أحْصَن الرجلُ امرأته فهو يُحْصنها إحصانًا، وحَصُنت هي فهي تَحْصُن حَصَانة: إذا عفَّت، وهي حاصِنٌ من النساء: عفيفة، كما قال العجاج:

وَحَاصِنٍ مِنْ حَاصِنَاتٍ مُلْسِ *** عَنِ الأَذَى وَعَنْ قِرَافِ الْوَقْسِ

ويقال أيضًا إذا هي عَفَّت وحفِظت فرجها من الفجور: قد أحصَنَتْ فرجها فهي مُحْصِنة، كما قال جل ثناؤه: ((وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا)) [سورة التحريم:12] بمعنى: حفظته من الريبة، ومنعته من الفجور... فإذا كان أصل الإحصان ما ذكرنا من المنع والحفظ، فبيِّنٌ أنّ معنى قوله: ((والمحصنات من النساء)) والممنوعات من النساء حرام عليكم إلا ما ملكت أيمانكم. وإذ كان ذلك معناه، وكان الإحصان قد يكون بالحرّية، كما قال جل ثناؤه: ((وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ)) [سورة المائدة: 5] ويكون بالإسلام، كما قال تعالى ذكره: ((فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ)) [سورة النساء: 25] ويكون بالعفة، كما قال جل ثناؤه: ((وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ)) [سورة النور: 4] ويكون بالزوج، ولم يكن تبارك وتعالى خصّ محصَنة دون محصنة في قوله: ((والمحصنات من النساء)) فواجبٌ أن تكون كلُّ مُحْصنة بأيّ معاني الإحصان كان إحصانها، حرامًا علينا سفاحًا أو نكاحًا "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [التوبة:113] أورد بسنده عن أبي العالية قوله: ((كل ما ذكر في القرآن (الأمر بالمعروف) و (النهي عن المنكر) فالأمر بالمعروف: دعاءٌ من الشرك إلى الإسلام، والنهي عن المنكر: نهيٌ عن عبادة الأوثان والشياطين))[2]، ثم علق على التخصيص بمقتضى هذه القاعدة فقال: " وقد دللنا فيما مضى قبل على صحة ما قلنا: من أن الأمر بالمعروف، هو كل ما أمر الله به عباده أو رسوله ﷺ، والنهي عن المنكر، هو كل ما نهى الله عنه عباده أو رسولُه. وإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن في الآية دلالة على أنها عُني بها خصوصٌ دون عموم، ولا خبر عن الرسول، ولا في فطرة عقلٍ، فالعموم بها أولى "[3].

---

[1] المصدر السابق: مج4/ جز5/ ص13.

[2] ينظر: المصدر نفسه: مج7/ جز11/ ص53.

[3] المصدر نفسه: مج7/ جز11/ ص53.

المطلب الثاني: قاعدة: ينبغي عدم البحث في معنى الكلمة المبهمة التي لا فائدة في العلم بمعناها، مع أن العبرة حاصلة عُلم معناها أم جُهل[1].

الفرع الأول: شرح القاعدة.

يعدّ طلب معرفة المبهمات – نعني المبهمات التي لا يُبنى على معرفتها علم أو عمل – من التكلف المذموم، وإضاعة الأعمار بلا طائل، والاشتغال بما لا ينفع؛ ولأن الله تبارك وتعالى أنزل كتابه تبيانا لكل شيء وهدى لكل خير، فلو كان في تعريف الخلق بما أبهم عليهم فائدة تعود عليهم لبيّنه لهم، وإنما يذكر مواطن العبرة دون الاشتغال بما لا نفع فيه، وهذه القاعدة لها علاقة وطيدة بمواضيع القصص القرآني والإسرائيليات، وبمراعاتها تعرف سبب وقوع بعض المفسرين في رواية الإسرائيليات لمعرفة بعض المبهمات، وينجلي لك كثير من أنواع الخلاف الموجود في كتب التفسير وهو ليس من الخلاف في شيء؛ لأنه بحث فيما لا فائدة فيه[2].

الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.

أشار شيخ المفسرين إلى هذه القاعدة عند قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ [البقرة: 34] فقال: " فالصواب في ذلك أن يقال: إن الله عز وجل نهى آدم وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها، فخالفا إلى ما نهاهما الله عنه فأكلا منها كما وصفهما الله جل ثناؤه به، ولا علم عندنا أي شجرة كانت على التعيين؛ لأن الله لم يضع لعباده دليلا على ذلك في القرآن ولا في السنة الصحيحة، فأنّى يأتي ذلك ؟!، وقد قيل: كانت شجرة البُرّ، وقيل: كانت شجرة

---

[1] للاستزادة من النماذج التطبيقية على هذه القاعدة، ينظر جامع البيان: مج3/ جز4/ ص352، ص373، مج4/ جز5/ ص272، جز6/ ص14، ص247، مج5/ جز7/ ص121، جز8/ ص195، مج6/ جز9/ ص115، مج7/ جز12/ ص216، مج9/ جز16/ ص9، مج10/ جز17/ ص33، مج13/ جز25/ ص80.

[2] ينظر: قواعد التفسير جمعا ودراسة: خالد بن عثمان السبت، ط:1، دار ابن عفان، القاهرة، 1421هـ، 2/718-719.

العنب، وقيل: كانت شجرة التين، وجائز أن تكون واحدة منها، وذلك علم إذا عُلم لم ينفع العالم به علمه، وإن جهله جاهل لم يضرّه جهله به "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾ [البقرة:72] قال الطبري رحمه الله: " والصواب من القول في تأويل قوله تعالى (فقلنا اضربوه ببعضها) أن يقال: أمرهم الله جلّ ثناؤه أن يضربوا القتيل ببعض البقرة ليحيا المضروب. ولا دلالة في الآية ولا خبر تقوم به الحجة على أيّ أبعاضها التي أمر القوم أن يضربوا القتيل به. وجائز أن يكون الذي أمروا أن يضربوه به هو الفخذ، وجائز أن يكون ذلك الذنب وغضروف الكتف وغير ذلك من أبعاضها. ولا يضرّ الجهل بأيّ ذلك ضربوا القتيل، ولا ينفع العلم به، مع الإقرار بأن القوم قد ضربوا القتيل ببعض البقرة بعد ذبحها، فأحياه الله "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ [البقرة:258] ذكر اختلاف المفسرين في الذي مرّ على هذه القرية، ثم قال مقعّدا هذه القاعدة: " ولا بيان عندنا من الوجه الذي يصح من قِبَلِهِ البيان على اسم قائل ذلك. وجائز أن يكون ذلك عزيرا، وجائز أن يكون أورميا، ولا حاجة بنا إلى معرفة اسمه، إذ لم يكن المقصود بالآية تعريف الخلق اسم قائل ذلك، وإنما المقصود بها تعريف المنكرين قدرة الله على إحيائه خلقه بعد مماتهم، وإعادتهم بعد فنائهم، وأنه الذي بيده الحياة والموت، من قريش، ومن كان يكذب بذلك من سائر العرب، وتثبيت الحجة بذلك على من كان بين ظهراني مهاجر رسول الله ﷺ من يهود بني إسرائيل... ولو كان المقصود بذلك الخبر عن اسم قائل ذلك، لكانت الدلالة منصوبة عليه نصبا يقطع العذر ويزيل الشك، ولكن القصد كان إلى ذم قِيله، فأبان تعالى ذكره ذلك لخلقه "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ ﴾ [المائدة:32] ذكر اختلف المفسرين في كيفية قتل القاتل أخيه، فقال بعضهم: شدخه بحجر وهو نائم، وقال آخرون: بل كان يقظانا وضرب رأسه

---

[1] المصدر السابق: مج1/ جز1/ ص307.

[2] المصدر نفسه: مج1/ جز1/ ص475.

[3] المصدر نفسه: مج3/ جز3/ ص41، بتصرف يسير.

بحجر، ثم قال الطبري مقعدا هذه القاعدة: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله عز ذكره قد أخبر عن القاتل أنه قتل أخاه، ولا خبر عندنا يقطع العذر بصفة قتله إياه. وجائزٌ أن يكون على نحو ما قد ذكر السديّ في خبره، وجائزٌ أن يكون كان على ما ذكره مجاهد، والله أعلم أيُّ ذلك كان. غير أن القتل قد كان لا شك فيه "[1].

وعند قوله تعالى حكاية عن طلب الحواريين من عيسى عليه السلام ﴿ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا ﴾ [المائدة:114-115] وذكر أقوال السلف في الطعام الذي كان على المائدة، بين من قال: كان عليها ثمار من ثمار الجنة، وبين من قال: كان عليها كل الطعام غير اللحم، وبين من قال: كان طعامها السمك والخبز، ثم قال عليه رحمة الله مشيرا إلى هذه القاعدة: " وأما الصواب من القول فيما كان على المائدة، فأن يقال: كان عليها مأكول. وجائز أن يكون كان سمكًا وخبزًا، وجائزٌ أن يكون كانَ ثمرًا من ثمر الجنة، وغيرُ نافع العلم به، ولا ضارّ الجهل به، إذا أقرَّ تالي الآية بظاهر ما احتمله التنزيل "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود:40] تكلم في معنى القليل الذي عناه الله تعالى، وذكر اختلاف المفسرين فيه، ثم استحسن عدم الكلام في عددهم المبهم فقال: والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله: ((وما آمن معه إلا قليل)) يصفهم بأنهم كانوا قليلا ولم يُحَدّ عددهم بمقدار، ولا خبر عن رسول الله ﷺ صحيح، فلا ينبغي أن يُتَجاوز في ذلك حدُّ الله؛ إذ لم يكن لمبلغ عدد ذلك حدٌّ من كتاب الله، أو أثر عن رسول الله ﷺ "[3].

---

[1] المصدر السابق: مج4/ جز6/ ص255.

[2] المصدر نفسه: مج5/ جز7/ ص173.

[3] المصدر نفسه: مج7/ جز12/ ص56.

المطلب الثالث: قاعدة: ضرورة حمل معاني الكلمات القرآنية على الغالب والأشهر المستعمل لغةً لا على المنكر والنادر والشاذ وقليل الاستعمال[1].

الفرع الأول: شرح القاعدة.

لما كان القرآن نازلا بأفصح لغات العرب وأشهرها، امتنع الإعراض في تفسيره عن المعنى الأشهر والأفصح إلى المعنى الشاذ والنادر، والمقصود هنا أن بروز الاعتماد على الأشهر في اللغة كان أمرا ظاهرا عند الطبري في تفسيره، فهو لا يحمل القرآن على المعنى القليل في الاستعمال وإن كان له وجه، بل يعمد إلى المعنى الأشهر فيفسر القرآن به[2].

الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.

أشار إلى هذه القاعدة عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ﴾ [البقرة:127] حيث قال: " وأصل المنسك في كلام العرب: الموضع المعتاد الذي يعتاده الرجل ويألفه، يقال: لفلان منسك، وذلك إذا كان له موضع يعتاده لخير أو شرّ؛ ولذلك سميت المناسك مناسكا؛ لأنها تعتاد ويتردّد إليها في الحج والعمرة بالأعمال التي يتقرّب بها إلى الله. وقد قيل: إن معنى النسك: عبادة الله وأن الناسك إنما سميّ ناسكا بعبادة ربه، فتأوّل قائل هذه المقالة قوله: (وأرنا مناسكنا): وعلّمنا عبادتك: كيف نعبدك؟ وأين نعبدك؟ وما يرضيك عنا؟ فنفعله. وهذا القول وإن كان مذهبا يحتمله الكلام فإن الغالب على معنى المناسك ما وصفنا قبل من أنها مناسك الحج التي ذكرنا معناها "[3].

---

[1] توخيا للاختصار نحيل على مواضع أخرى ذكر فيها الطبري هذه القاعدة، ينظر جامع البيان: مج1/ جز1/ ص 641، مج2/ جز2/ ص249، ص622، مج3/ جز3/ ص265، جز4/ ص56، مج4/ جز5/ ص16، ص241، ص341، مج5/ جز7/ ص134، مج6/ جز10/ ص162، مج9/ جز16/ ص138، ص218.

[2] ينظر: شرح مقدمة تفسير الطبري: مساعد بن سليمان الطيار، ط:1، إصدارات مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، 1438هـ – 2017م، ص38، وينظر: قواعد التفسير: عثمان السبت، 213/1.

[3] المصدر السابق: 729/1.

وعند قوله تعالى ﴿ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ ﴾ [البقرة: 246] ذكر معنيين لصفة حمل الملائكة للتابوت، الأول: تحمله بين السماء والأرض تحت تضعه عند طالوت، والثاني: تسوق الملائكة الدراب التي تحمله، ثم قال مقعّدا هذه القاعدة: " وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: حملت التابوت الملائكة حتى وضعته لها في دار طالوت قائما بين أظهر بني إسرائيل. وذلك أن الله تعالى ذكره قال:(تحمله الملائكة) ولم يقل: تأتي به الملائكة. وما جرته البقر على عجل. وإن كانت الملائكة هي سائقتها، فهي غير حاملته. لأن الحمل المعروف، هو مباشرة الحامل بنفسه حمل ما حمل، فأما ما حمله على غيره وإن كان جائزا في اللغة أن يقال: حمله بمعنى معونته الحامل، وبأن حمله كان عن سببه، فليس سبيله سبيل ما باشر حمله بنفسه في تعارف الناس إياه بينهم. وتوجيه تأويل القرآن إلى الأشهر من اللغات، أولى من توجيهه إلى الأنكر، ما وُجد إلى ذلك سبيل "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ ﴾ [آل عمران:27] ردّ أن يكون معنى هذا التركيب إخراج الحبة من السنبلة والعكس، وإخراج البيضة من الدجاجة والعكس، وإخراج المؤمن من الكافر والعكس، فقال مقعّدا هذه القاعدة: " وأما تأويل من تأوّله بمعنى الحبة من السنبلة، والسنبلة من الحبة، والبيضة من الدجاجة، والدجاجة من البيضة، والمؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن فإن ذلك وإن كان له وجه مفهوم، فليس ذلك الأغلب الظاهرَ في استعمال الناس في الكلام. وتوجيهُ معاني كتاب الله عز وجل إلى الظاهر المستعمل في الناس، أولى من توجيهها إلى الخفيّ القليل في الاستعمال "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾ [آل عمران:200] علق عمن قال إن الرباط في هذا الموضع انتظار الصلاة بعد الصلاة فقال مقعدا هذه القاعدة: " ورأى أن أصل الرباط: ارتباط الخيل للعدوّ، كما ارتبط عدوهم لهم خيلهم، ثم استعمل ذلك في كل مقيم في ثغر يدفع عمن وراءه من أراده من أعدائهم بسوء، ويحمي عنهم من بينه وبينهم ممن بغاهم بشر... وإنما

[1] المصدر السابق: 815/2.
[2] المصدر نفسه: مج3/ جز3/ ص292، بتصرف يسير.

قلنا معنى: ورابطوا: ورابطوا أعداءكم وأعداء دينكم؛ لأن ذلك هو المعنى المعروف من معاني الرباط. وإنما يُوجهُ الكلام إلى الأغلب المعروف في استعمال الناس من معانيه، دون الخفي، حتى تأتي بخلاف ذلك مما يوجب صرفه إلى الخفي من معانيه حجة يجب التسليم لها من كتاب، أو خبر عن الرسول ﷺ، أو إجماع من أهل التأويل "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَالذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَآءَ اَلنَّاسِ وَلاَ يُومِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ اِلاَخِرِ ﴾ [النساء:38] ذهب الإمام الطبري إلى أنّ هذا وصفٌ للمنافقين؛ لأنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، واستنكر قول مجاهد: أن الآية في وصف اليهود المذكورين في الآية قبل ((الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله)) محتجا عليه بالفصل بين الوصفين بالواو ما يُنبئ عن تغاير الموصوفين، ثم قعّد هذه القاعدة رادّا على من زعم أن دخول الواو غير مستنكر في عطف صفة على صفة لموصوف واحد في كلام العرب فقال: " فإن ظن ظان أن دخول الواو غير مستنكر في عطف صفة على صفة لموصوف واحد في كلام العرب فإنّ ذلك وإن كان كذلك، فإن الأفصح في كلام العرب إذا أريد ذلك، ترك إدخال الواو. وإذا أريد بالثاني وصفٌ آخر غير الأوّل، إدخال الواو. وتوجيه كلام الله إلى الأفصح الأشهر من كلام مَنْ نزل بلسانه كتابُه، أولى بنا من توجيهه إلى الأنكر من كلامهم "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ ﴾ [المائدة:7] ذكر أن لفظ جُنُب يطلق على المفرد والجمع، وإن كان سُمع عن العرب في جمعه أجناب، ولكن الفصيح من جمعه جُنُب وهو ما جاء في القرآن، فقال مبيّنا ذلك: " ووحَّد الجُنب وهو خبر عن الجميع؛ لأنه اسم خرج مخرج الفعل كما قيل: رجل عَدْل وقوم عدل، ورجل زَوْرٌ وقوم زَوْرٌ، وما أشبه ذلك لفظ الواحد والجميع والاثنين والذكر والأنثى فيه واحد. يقال منه: أجنَب الرجل وجَنُب واجتَنَب، والفعل الجنابة، والاجناب. وقد سمع في

[1] المصدر السابق: مج3/ جز4/ ص278-279، بتصرف يسير.
[2] المصدر نفسه: مج4/ جز5/ ص119.

جمعه أجنابٌ، وليس ذلك بالمستفيض الفاشي في كلام العرب، بل الفصيح من كلامهم ما جاء به القرآن "[1].

وعند قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ﴾ [الأعراف:10] ضعف القول الذي وجّه هذه الآية بمعنى: ولقد خلقناكم أيها الناس في بطون أمهاتكم ثم صورناكم فيها، وذلك أن بعدها قوله (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) مستندا إلى أن ثمّ في اللغة تقطع ما بعدها عما قبلها وتفيد الترتيب، ومعلوم أن إسجاد الملائكة لآدم كان قبل تصوير الذرية في بطون أمهاتهم وقبل خلق أمهاتهم، وحتى لو جاءت ثمّ بمعنى الواو في الضرورة الشعرية فإن استعمالها شاذ فلا ينبغي تفسير معاني القرآن بالشاذ من اللغات، قال الطبري مشيرا إلى هذه القاعدة: " وثمّ في كلام العرب لا تأتي إلا بإيذان انقطاع ما بعدها عما قبلها، وذلك كقول القائل: قمت ثم قعدت، لا يكون القعود إذ عطف به بثمّ على قوله: قمت إلا بعد القيام، وكذلك ذلك في جميع الكلام. ولو كان العطف في ذلك بالواو، جاز أن يكون الذي بعدها قد كان قبل الذي قبلها، وذلك كقول القائل: قمت وقعدت، فجائز أن يكون القعود في هذا الكلام قد كان قبل القيام... فإن ظن ظانّ أن العربَ، إذ كانت ربما نطقت بثمَّ في موضع الواو في ضرورةِ شعر، كما قال بعضهم:

سَأَلْتُ رَبِيعَةَ مَنْ خَيْرُهَا *** أَبًا ثُمَّ أُمًّا فَقَالَتْ لِمَهْ

بمعنى: أبًا وأمًّا، فإن ذلك جائز أن يكون نظيره (يعني نظير معنى هذه الآية) فإن ذلك بخلاف ما ظن. وذلك أن كتاب الله جل ثناؤه نزل بأفصح لغات العرب، وغير جائز توجيه شيء منه إلى الشاذّ من لغاتها، وله في الأفصح الأشهر معنى مفهومٌ ووجه معروف"[2].

المطلب الرابع: قاعدة: إذا احتمل اللّفظ معاني عدّة ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها.

الفرع الأول: شرح القاعدة.

---

[1] المصدر السابق: مج4/ جز6/ ص178.

[2] المصدر نفسه: مج5/ جز8/ ص165، بتصرف.

هذه القاعدة نافعة ، ومن راعاها انفتح عليه باب واسع من معاني القرآن الكريم ، كما ينجلي عنه كثير مما يذكر في كتب التفسير على أنّه من الخلاف[1].

وقد عبّر العلامة السعدي عن هذه القاعدة بقوله: " في اشتمال كثير من ألفاظ القرآن على جوامع المعاني... أعظم الأدلة على أنها تنزيل من حكيم حميد... فكل كلمة منها قاعدة، وأصل كبير تحتوي على معان كثيرة "[2].

الفرع الثاني: نماذج مختارة.

فعند قوله تعالى ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء:48] ذكر اختلاف السلف في معنى الفتيل المذكور في هذا الموضع، فقال بعضهم: هو ما خرج من بين الإصبعين والكفين من الوسخ إذا فتلت إحداهما بالأخرى، وقال آخرون: هو الذي يكون في بطن النواة، ثم قال الطبري مرجعا الفتيل إلى أصل واحد ومعملاً كلا المعنيين: " وأصل الفتيل: المفتول، صرف من مفعول إلى فعيل كما قيل: صريع ودهين من مصروع ومدهون. وإذ كان ذلك كذلك وكان الله جل ثناؤه إنما قصد بقوله: ((ولا يظلمون فتيلا)) الخبرَ عن أنه لا يظلم عبادَه أقلَّ الأشياء التي لا خطر لها، فكيف بما له خطر؟، وكان الوسخ الذي يخرج من بين إصبعي الرجل أو من بين كفيه إذا فتل إحداهما على الأخرى، كالذي هو في شق النواة وبطنها، وما أشبه ذلك من الأشياء التي هي مفتولة، مما لا خطر له، ولا قيمة، فواجبٌ أن يكون كل ذلك داخلا في معنى الفتيل، إلا أن يخرج شيئًا من ذلك ما يجب التسليم له، مما دل عليه ظاهر التنزيل "[3].

---

[1] قواعد التفسير : للسّبت 2/ 807 ، وقال الأستاذ الميداني : ذكر الكلمة مُرادا بها جملة المعاني التي يدور عليها اللّفظ ؛ أوسع لدلالته وأعمّ لفائدته وأثرى لمعانيه ، وهذه هي طبيعة النصوص الرّفيعة التي تشتمل على دلالات كليّة كنصوص القرآن المجيد وكثير من أقوال الرسول الأكرم عليه أفضل الصلاة وأتمّ التّسليم. ينظر: قواعد التّدبر الأمثل: عبد الرحمن الميداني، ط:3، دار القلم، دمشق، 2004م، ص567.

[2] القواعد الحسان: عبد الرحمن السعدي، ص123-125، بتصرف.

[3] جامع البيان: مج4/ جز5/ ص174.

وعند قوله تعالى ﴿ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام:45] ذكر ثلاثة معاني للإبلاس ووجه تأويل الآية بحسب كل معنى، مستندا في ذلك لبيت العجاج الذي وظّف مادة (أبلس) في إشارة صريحة إلى أنه أعمل كل المعاني المحتملة في هذه الكلمة الغريبة، فقال عليه رحمة الله: " وأصل الإبلاس في كلام العرب، عند بعضهم: الحزن على الشيء والندم عليه، وعند بعضهم: انقطاع الحجة، والسكوت عند انقطاع الحجة، وعند بعضهم: الخشوع، وقالوا: هو المخذول المتروك، ومنه قول العجاج:

يَا صَاحِ هَلْ تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسَا *** قَالَ: نَعَمْ! أَعْرِفُه! وَأَبْلَسَا

فتأويل قوله: (وأبلسا) عند الذين زعموا أن الإبلاس: انقطاع الحجة والسكوت عنده، بمعنى: أنه لم يُحِرْ جوابًا. وتأوّله الآخرون بمعنى الخشوع، وترك أهله إياه مقيمًا بمكانه. والآخرون بمعنى الحزن والندم. يقال منه: أبلس الرجل إبلاسًا، ومنه قيل: لإبليس إبليس "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُواْ مَعَ الْخَالِفِينَ ﴾ [التوبة:84] ذكر معنيين للخالفين، الأول: فقعدوا مع الذين قعدوا من المنافقين خلاف رسول الله ﷺ، والثاني: الخالفين بمعنى الفاسدين، ثم أعمل كلا المعنيين فقال: " ((فاقعدوا مع الخالفين)) يقول: فاقعدوا مع الذين قعدوا من المنافقين خلاف رسول الله ﷺ؛ لأنكم منهم، فاقتدوا بهديهم، واعملوا مثل الذي عملوا من معصية الله، فإن الله قد سخط عليكم... ولو وُجّه معنى ذلك إلى: فاقعدوا مع أهل الفساد، من قولهم: خَلَف الرجال عن أهله يَخْلُف خُلُوفًا: إذا فسد، ومن قولهم: هو خَلْف سَوْءٍ، كان مذهبًا. وأصله إذا أريد به هذا المعنى، من قولهم: خَلَف اللبن يَخْلُفُ خُلُوفا: إذا خبث من طول وضعه في السِّقاء حتى يفسد، ومن قولهم: خَلَف فم الصائم: إذا تغيرت ريحه "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ جَعَلُواْ الْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾ [الحجر: 91] ذكر معنيين لعضه القرآن، الأول: العضهُ: التفريق، والثاني: بمعنى البهت والرمي بالباطل، ثم أعمل كلا المعنيين فقال: " ... فالصحيح

---

[1] المصدر السابق: مج5/ جز7/ ص246.
[2] المصدر نفسه: مج6/ جز10/ ص255، بتصرف.

من القول في معنى قوله ((الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ)) الذين زعموا أنهم عَضَهوه، فقال بعضهم: هو سحر، وقال بعضهم: هو شعر، وقال بعضهم: هو كهانة، وما أشبه ذلك من القول، أو عَضَّهُوه ففرقوه، بنحو ذلك من القول، وإذا كان ذلك معناه احتمل قوله عِضِين، أن يكون جمع: عِضة، واحتمل أن يكون جمع عُضْو؛ لأن معنى التعضية: التفريق، كما تُعَضى الجَزُور والشاة، فتفرق أعضاء. والعَضْهُ: البَهْت، ورميه بالباطل من القول، فهما متقاربان في المعنى "[1].

وعند قوله تعالى ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ [الإسراء:5] ذكر معنيين للجوْس، ثم أعملهما كلاهما فقال: " يقول: فتردّدوا بين الدور والمساكن، وذهبوا وجاءوا، يقال فيه: جاس القوم بين الديار وحاسوا بمعنى واحد، وجست أنا أجوس جوسا وجوسانا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، رُوي الخبر عن ابن عباس... وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول: معنى جاسوا: قتلوا، ويستشهد لقوله ذلك ببيت حسان:

وَمِنَّا الَّذِي لاقى بسَيْفِ مُحَمَّدٍ *** فَجاسَ بِهِ الأعْدَاءَ عُرْضَ العَساكِرِ

وجائز أن يكون معناه: فجاسوا خلال الديار، فقتلوهم ذاهبين وجائين، فيصح التأويلان جميعا "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ﴾ القمر:52] ذكر احتمال هذا التركيب معنيين فقال: " قوله: (وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ) يقول تعالى ذكره: وكل شيء فعله أشياعكم الذين مضوا قبلكم معشر كفَّار قريش في الزُّبر، يعني: في الكتب التي كتبتها الحفظة عليهم. وقد يحتمل أن يكون مرادا به في أمّ الكتاب "[3].

---

[1] المصدر السابق: مج8/ جز14/ ص84، بتصرف.

[2] المصدر نفسه: مج9/ جز15/ ص37-38، بتصرف.

[3] المصدر نفسه: مج13/ جز27/ ص139.

المطلب الخامس: قاعدة: اختلاف السلف في معاني الكلمات القرآنية اختلاف تنوّع لا اختلاف تضاد[1].

الفرع الأول: شرح القاعدة.

الخلاف بين السلف في التفسير قليل، وخلافهم في الأحكام أكثر، وغالب ما ينقل عنهم من الخلاف إنما هو اختلاف تنوّع لا تضادّ فيه؛ ويرجع ذلك إلى أن الواحد من أئمة السلف يعبّر بعبارة غير عبارة صاحبه، فيبيّن معنًى في المسمّى غير المعنى الآخر الذي يبيّنه صاحبه بعبارته، أو ربما يذكر الواحد منهم بعض أوصاف العام على سبيل التمثيل لا على سبيل الحدّ المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه، ويأتي صاحبه بوصف آخر غير وصف الأول، وهكذا اختلاف السلف في عمومه يرجع إلى هذا النوع[2].

ولقد سبق الإمام الطبري غيره من المتأخرين في بيان منشأ اختلاف السلف في معاني الغريب، وهو ما سنبيّنه في الفرع الموالي:

الفرع الثاني: منشأ اختلاف السلف في معاني الغريب في نظر الطبري:

ذكر الإمام الطبري سبب اختلاف السلف في تفسير الكلمات القرآنية عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة:6] حيث أشار إلى أن السلف يفسّرون الكلمة بمقصودها ولا يفسرونها بمعناها اللغوي، وعلّق عن تفسير مجاهد لقوله ((ومن يكفر بالإيمان)) بمعنى: ومن يكفر بالله، واستشكل قول سائل يسأل عن وجه هذا التفسير وأجاب قائلاً: " فإن قال لنا قائل: وما وجه تأويل مَنْ وجَّه قوله: ((ومن يكفر بالإيمان)) إلى معنى: ومن يكفر بالله؟ قيل: وجه تأويله ذلك كذلك، أن الإيمان هو التصديق بالله وبرسله وما ابتعثهم به من

---

[1] كثيرا ما يعبّر الإمام الطبري على هذه القاعدة بقوله: وهذه التأويل وإن اختلفت ألفاظ قائليه، فمتّفق المعاني، ينظر جامع البيان: مج1/ جز1/ ص505، مج7/ جز12/ ص288، مج8/ جز13/ ص34، ص79، مج13/ جز21/ ص37.

[2] ينظر: مقدمة في أصول التفسير: لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص17-22، بتصرف.

دينه، والكفر: جحود ذلك. قالوا: فمعنى الكفر بالإيمان: هو جحود الله وجحود توحيده. ففسروا معنى الكلمة بما أريد بها، وأعرضوا عن تفسير الكلمة على حقيقة ألفاظها وظاهرها في التلاوة. فإن قال قائل: فما تأويلها على ظاهرها وحقيقة ألفاظها؟ قيل: تأويلها: ومن يأبَ الإيمان بالله، ويمتنع من توحيده والطاعة له فيما أمره به ونهاه عنه، فقد حبط عمله. وذلك أن الكفر هو الجحود في كلام العرب، والإيمان: التصديق والإقرار. ومن أبى التصديق بتوحيد الله والإقرار به، فهو من الكافرين فذلك تأويل الكلام على وجهه "[1].

الفرع الثالث: نماذج مختارة من تفسير الطبري.

وقد أشار شيخ المفسرين إلى هذه القاعدة (أعني قاعدة اختلاف السلف في معاني الكلمات القرآنية اختلاف تنوّع لا اختلاف تضاد) عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ ﴾ [البقرة: 43] حيث قال أبو جعفر: " اختلف أهل التأويل في معنى البرّ الذي كان المخاطبون بهذه الآية يأمرون الناس به وينسوْن أنفسهم بعد إجماع جميعهم على أنّ كل طاعة لله تُسمى برّا، ثم ساق أقوالا عن ابن عباس وقتادة وابن جريج وأبو الدرداء وابن زيد، ثم قال معلّقا: وجميع الذين قالوا في تأويل هذه الآية من ذكرنا قوله متقارب المعنى؛ لأنهم وإن اختلفوا في صفة البرّ الذي كان القوم يأمرون به غيرهم.... فإنهم متفقون في حقيقته "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ ﴾ [المائدة:50] فسّر الإمام الطبري المهيْمن: بالشهيد على الكتب التي قبله (القرآن) والأمين عليها والحافظ لها، ثم قال مشيرا إلى هذه المسألة: " وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، إلا أنهم اختلفت عباراتهم عنه. فقال بعضهم: معناه: شهيدًا... (وهو قول ابن عباس وقتادة ومجاهد) وقال

[1] المصدر السابق: مج4/ جز6/ ص143.
[2] المصدر نفسه: 340/1 بتصرف.

بعضهم: معناه: أمينٌ عليه... ((وهو قول ابن عباس في رواية ثانية عنه وسعيد بن جبير)) وقال آخرون: معنى المهيمن: المصدق. وهو قول ابن زيد "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس:78] ذكر عن أئمة السلف عدة معاني للكبرياء، فقال الضحاك: الكبرياء: الطاعة، وقال مجاهد في رواية: الملك، وفي رواية أخرى: السلطان في الأرض، ثم علق الإمام الطبري عن هذه الألفاظ فقال: " وهذه الأقوال كلها متقاربات المعاني، وذلك أن الملك سلطان، والطاعة ملك، غير أن معنى الكبرياء، هو ما ثبت في كلام العرب، ثم يكون ذلك عظمة بملك وسلطان وغير ذلك "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:62] بيّن معنى الاحتناك، ثم ذكر أقوال أئمة السلف في معناه وعلّق عليها قائلا: " يقول: لأستولينّ عليهم، ولأستأصلنّهم، ولأستميلنهم يقال منه: احتنك فلان ما عند فلان من مال أو علم أو غير ذلك... وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل... فقال الحسن: في قول الله تبارك وتعالى ((لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلا قَلِيلا)) قال: لأحتوينهم... وعن ابن عباس في قوله ((لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلا قَلِيلا)) يقول: لأستولينّ... وقال ابن زيد في قوله ((لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلا قَلِيلا)) قال: لأضلنهم، وهذه الألفاظ وإن اختلفت فإنها متقاربات المعنى، لأن الاستيلاء والاحتواء بمعنى واحد، وإذا استولى عليهم فقد أضلهم "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ [طه:86] ذكر اختلاف السلف في كلمة مَلْكِنا، فقال ابن عباس: بأمرنا، وقال قتادة: بطاقتنا، وقال ابن زيد: بهوانا، ثم أرجع الإمام الطبري الكلمة إلى معنى واحد، وكون ذلك من باب اختلاف التّنوع فقال: " وكلّ هذه الأقوال الثلاثة في ذلك متقاربات المعنى؛ لأن من لم يملك نفسه لغلبة هواه على ما أمر، فإنه لا يمتنع في اللغة أن يقول: فعل فلان هذا الأمر وهو لا يملك نفسه، وفعله وهو لا يضبطها، وفعله وهو لا يطيق تركه "[4].

---

[1] المصدر السابق: مج4/ جز6/ ص244-245، بتصرف.
[2] المصدر نفسه: مج7/ جز11/ ص181.
[3] المصدر نفسه: مج9/ جز15/ ص145.
[4] المصدر نفسه: مج9/ جز16/ ص247.

المطلب السادس: قاعدة: ينبغي تقديم تفسير السلف للغريب على ما تقتضيه معاني اللغة.

الفرع الأول: شرح القاعدة.

لما كان السلف أبرّ قلوبا وأكثر علما وأحسن فهما، إضافة إلى ما تشرفوا به – أعني الصحابة – من صحبة النبي ﷺ والتلقي منه، مع ما شاهدوه من التنزيل، كان لتفسيرهم مزية ليست لتفسير غيرهم؛ لأن السلف أعلم الأمة بعد نبيّها بمعاني كتاب ربها وباللغة التي أنزل بها، فالذي يخالفهم إن اعتمد على نقل في اللغة فإنهم أعلم الناس بها، ولو كانت عمدته فهمه فإن السلف أحسن الناس فهما[1]. وقد أشار الإمام القرطبي في مقدمة تفسيره إلى خطورة تفسير القرآن بمحض اللغة دون مراعاة لأقوال السلف، وبيّن أن من نظر للقرآن وفق ما تمليه قواعد اللغة وأقيستها دون نظر إلى ما أُسند عن السلف من معان وإشارات دخل في زمرة من فسّر القرآن برأيه[2].

الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.

أشار الإمام الطبري إلى هذه القاعدة عند تفسيره لكلمتيْ (البأساء – والضراء) من قوله تعالى ﴿ وَالصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ﴾ [البقرة:176] وذلك حين ذكر تفسير أئمة اللغة الذين سبقوه لهاتين الكلمتين بين: موجه لهما إلى صفات أسماء لا تذكير لهما قياسا على (حسناء) وبين: موجه لهما إلى أنهما مصدرين لم يَرِدْ من تأنيثهما التذكير، ثم قال معلقا ومقعّدا هذه القاعدة: " وهذا قول مخالف تأويل من ذكرنا تأويله من أهل العلم... وإن كان صحيحا على مذهب العربية؛ وذلك أن أهل التأويل تأوّلوا البأساء بمعنى البؤس، والضراء بمعنى الضرّ في الجسد، وذلك من تأويلهم مبني على أنهم وجهوا البأساء والضراء إلى أسماء الأفعال دون صفات الأسماء ونعوتها . فالذي هو أولى

---

[1] ينظر: قواعد التفسير جمعا ودراسة: 206/1.

[2] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي: تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط: 2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ – 1964م، 1/ 34.

بالبأساء والضراء على قول أهل التأويل أن تكون البأساء والضراء أسماء أفعال، فتكون البأساء اسما للبؤس، والضراء اسما للضرّ "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ [الرعد:11] ذكر تفسير السلف للاستخفاء بالليل: وهو ظلمة الليل، والسارب بالنهار: هو الظاهر بالنهار، وأورد كلاما لبعض أهل البصرة يقول بعكس ذلك، ثم ردّ عليه قوله وقدّم تفسير السلف على مقتضيات اللغة حتى ولو كان لها وجها فقال: " قال بعض نحويي أهل البصرة: معنى قوله: ((ومن هو مستخف بالليل)): ومن هو ظاهر بالليل، من قولهم: خَفَيْتُ الشيء: إذا أظهرته، وكما قال أمرؤ القيس:

فَإِنْ تَكْتُمُوا الدَّاء لا نَخْفِه *** وإنْ تَبْعَثُوا الحَرْبَ لا نَقْعُدِ

وقال: وقد قرئ ((أَكَادُ أُخْفِيهَا)) [طه:15] بمعنى: أظهرها. وقال في قوله: ((وسارب بالنهار)) السارب: هو المتواري، كأنه وجَّهه إلى أنه صار في السَّرَب بالنهار مستخفيًا.... وأما الذي ذكرناه عن نحويي البصريين في ذلك، فقولٌ وإن كان له في كلام العرب وجهٌ، خلافٌ لقول أهل التأويل. وحسبه من الدلالة على فساده، خروجه عن قولِ جميعهم "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ﴾ [النساء:11] ذكر الإمام الطبري اختلاف المفسرين في تركة الميت إذا لم يكن له فرع وارث (أولاد) وورثه أبواه في حالة عدم وجود الإخوة فلأمه الثلث وفي حالة وجود الإخوة تحجب الأم عن الثلث إلى السدس – وهذا بعد اتفاقهم أن الأخ الواحد لا يحجبها عن ثلثها إلى سدسها والإخوة الثالثة فما فوق يحجبونها عن ثلثها إلى سدسها – واختلفوا في الأخويين فذهب جمهور الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام إلى أنهما يحجبان الأم عن الثلث فتأخذ السدس، وذهب ابن عباس إلى ما تقتضيه اللغة من أن الإثنين ليسا بإخوة فتأخذ الأم معهما ثلثها ولا يحجبانها عنه، قال الإمام الطبري مقعدا هذه القاعدة ومختارا المعنى المجمع عليه سلفا وخلفا: " ثم اختلف أهل التأويل في عدد الإخوة الذين عناهم

---

[1] المصدر السابق: مج2/ جز2/ ص132.

[2] المصدر نفسه: مج8/ جز13/ ص156، بتصرف.

الله تعالى ذكره بقوله: ((فإن كان له إخوة)) فقال جماعة أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان، ومن بعدهم من علماء أهل الإسلام في كل زمان: عنى الله جل ثناؤه بقوله: ((فإن كان له إخوة فلأمه السدس)) اثنين كان الإخوة أو أكثر منهما، أنثيين كانتا أو كن إناثًا، أو ذكرين كانا أو كانوا ذكورًا، أو كان أحدهما ذكرًا والآخر أنثى. واعتل كثيرٌ ممن قال ذلك، بأن ذلك قالته الأمة عن بيان الله جل ثناؤه على لسان رسوله ﷺ، فنقلته أمة نبيه نقلا مستفيضًا قطع العذر مجيئه، ودفع الشك فيه عن قلوب الخلق وروده. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول: بل عنى الله جل ثناؤه بقوله: ((فإن كان له إخوة)) جماعة أقلها ثلاثة. وكان ينكر أن يكون الله جل ثناؤه حجَب الأم عن ثلثها مع الأب بأقل من ثلاثة إخوة. فكان يقول في أبوين وأخوين: للأم الثلث، وما بقي فللأب، كما قال أهل العلم في أبوين وأخ واحد... حدثني بذلك محمد بن عبد الله بن عبد الحكم... عن ابن عباس: أنه دخل على عثمان رضي الله عنه فقال: لمَ صار الأخوان يردَّان الأم إلى السدس، وإنما قال الله: ((فإن كان له إخوة)) والأخوان في لسان قومك وكلام قومك ليسا بإخوة؟، فقال عثمان رحمه الله هل أستطيع نقض أمر كان قبلي، وتوارثه الناس ومضى في الأمصار؟،[1] قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي، أن المعنيّ بقوله: ((فإن كان له إخوة)) اثنان من إخوة الميت فصاعدًا، على ما قاله أصحابُ رسول الله ﷺ، دون ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما، لنقل الأمة وراثةً صحةَ ما قالوه من ذلك عن الحجة، وإنكارهم ما قاله ابن عباس في ذلك "[2].

---

[1] أخرجه ابن جرير من طريق ابن أبي ذئب عن شعبة مولى ابن عباس به، والبيهقي في الكبرى، وأورد ابن كثير سند البيهقي ولفظه في تفسيره وعلق عليه قائلا: "وفي صحة هذا الأثر نظر، فإن شعبة هذا تكلم فيه مالك بن أنس. ولو كان هذا صحيحًا عن ابن عباس لذهب إليه أصحابه الأخصّاء به، والمنقول عنهم خلافه " ينظر: تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير، ط:2، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ – 1999م، 228/2، وينظر: جامع البيان: تح: محمود شاكر، 40/7، وينظر: السنن الكبرى: أبو بكر البيهقي، تح: محمد عبد القادر عطا، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ – 2003م، رقم (12297)، 373/6.

[2] جامع البيان: مج3/ جز4/ ص351-352، بتصرف يسير.

وعند قوله تعالى ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ ﴾ [الإسراء:13] ذكر عن ابن عباس وغيره: أن هذا مثلا ضربه الله لعمل الإنسان، وأورد عن بعض اللغويين أنه كان يراه من الحظ، ثم علّق الإمام الطبري عليه مقعدا هذه القاعدة فقال: " وقد كان بعض أهل العربية يتأوّل قوله ((وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ)): أي حظه من قولهم: طار سهم فلان بكذا: إذا خرج سهمه على نصيب من الأنصباء، وذلك وإن كان قولا له وجه، فإن تأويل أهل التأويل على ما قد بينت، وغير جائز أن يتجاوز في تأويل القرآن ما قالوه إلى غيره "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡ ﴾ [الأنبياء:79] بيّن أن معنى اللبوس واسع في اللغة يشمل كل سلاح، ولكنه هنا عند أهل التأويل الدروع خاصة، قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: وعلمنا داود صنعة لبوس لكم، واللبوس عند العرب: السلاح كـــله، درعـا كـان أو جوشنا[2] أو سيفا أو رمحا، يدلّ على ذلك قول الهُذليّ:

وَمَعِي لَبُوسٌ لِلَّبِيسِ كَأَنَّهُ *** رَوقٌ بِجَبْهَةِ ذِي نِعاجٍ مُجْفِلِ

وإنما يصف بذلك رمحا، وأما في هذا الموضع فإن أهل التأويل قالوا: عنى الدروع "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖ ﴾ [الشورى:42] قدّم تفسير ابن عباس ومجاهد على تفسير أئمة اللغة من أهل البصرة، حيث قال: " واختلف أهل التأويل في معنى قوله: (مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ) فقال بعضهم: معناه: من طرف ذليل. وكأن معنى الكلام: من طرف قد خَفِيَ من ذلَّةٍ (قول ابن عباس ومجاهد)... واختلف أهل العربية في ذلك، فقال بعض نحويي

---

[1] المصدر السابق: مج9/ جز15/ ص69-70.

[2] اسم فارسي معرب، يطلق على ما يُلبس من الدروع على الصدر والحيزوم (موضع يضم عليه الحزام من الظهر والبطن) وأول من لبسه من العرب شرحبيل بن قرط الصحابي، قيل: أهداه إياه كسرى وبه صار يلقب بذي الجوشن، والفرق بين الدرع والجوشن: أن الدرع ما لُبس على الصدر خاصة، والجوشن: ما حوى الصدر وأسفل الرقبة وموضع شد الحزام، لذلك فرق الطبري بينهما بالعطف للإشارة إلى هذا الفرق اللطيف بينهما، ينظر: اللسان: مادة (جشن) 88/13، والقاموس: مادة (جشن) 1186/1، وينظر: مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي، تح: حمزه فتح الله، ط:1، دار ابن حزم، بيروت، 1436هـ – 2015م، ص117.

[3] جامع البيان: مج10/ جز17/ ص72.

البصرة في ذلك: جعل الطرف: العين؛ كأنه قال: ونظرهم من عين ضعيفة، والله أعلم. قال: وقال يونس: إن (مِنْ طَرْفٍ) مثل بطرف، كما تقول العرب: ضربته في السيف، وضربته بالسيف. وقال آخر منهم: إنما قيل: (مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ) لأنه لا يفتح عينيه، إنما ينظر ببعضها. وقال آخرون منهم: إنما قيل: (مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ) لأنهم ينظرون إلى النار بقلوبهم؛ لأنهم يُحشرُون عُميا. والصواب من القول في ذلك، القول الذي ذكرناه عن ابن عباس ومجاهد، وهو أن معناه: أنهم ينظرون إلى النار من طرف ذليل، وصفه الله جلّ ثناؤه بالخفاء للذلة التي قد ركبتهم، حتى كادت أعينهم أن تغور فتذهب "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ [النجم:1] ذكر معنيين للنجم، الأول: عن مجاهد، وهو الثّريا، والثاني عن بعض أئمة البصرة، وهو بمعنى النجوم؛ إذ ذهب إلى لفظ الواحد وهو في معنى الجمع، ثم اختار الطبري قول مجاهد كون المعنى الآخر – وإن كان له وجه – لم يقل به أحد من أئمة السلف، قال عليه رحمة الله: " والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله مجاهد من أنه عنى بالنجم في هذا الموضع: الثريا، وذلك أن العرب تدعوها النجم، والقول الذي قاله من حكينا عنه من أهل البصرة قول لا نعلم أحدا من أهل التأويل قاله، وإن كان له وجه، فلذلك تركنا القول به "[2].

المطلب السابع: قاعدة: مخالفة لغة القرآن لأقيسة اللغة وقواعدها ومعاني ألفاظها.

الفرع الأول: شرح القاعدة.

لما كان القرآن الكريم كلام الله، وكلام الله يفضل كلام البشر كما هو معروف، كانت لغته كذلك لا تخضع لأقيسة اللغة العربية وقواعدها – وهذا لا يناف كون القرآن نزل بلغة العرب – فكان أحيانا ما يخرج عن مألوف العرب ومعهودهم في الكلام، وقد يُعبر عن هذه المسألة بـ: عرف التنزيل – أو الكليات في القرآن – أو ابتكارات القرآن، وكل هذه الأسماء ترجع إلى انفراد لغة القرآن بإبداع في

---

[1] المصدر السابق: مج13/ جز25/ ص53، بتصرف.

[2] المصدر نفسه: مج13/ جز27/ ص53.

مجال الألفاظ والأساليب لم يكن معروفا في استعمالات العرب، ولعل هذا من خصوصيات لغة القرآن الكريم كما قال الطاهر بن عاشور[1].

الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.

والإمام الطبري لم يشرْ صراحة إلى هذه الطفرة في لغة القرآن مقارنة مع لغة العرب، ولكن هذه نماذج جمعها الباحث من خلال استقرائه لتفسير الطبري، فيها إشارة إلى مخالفة لغة القرآن لما تقتضيه قواعد القياس اللغوي، وهذه أمثلة على ذلك:

فعند قوله تعالى ﴿ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء:140] حين فسّرها بقوله تعالى ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [المجادلة:19] بمعنى غلب عليهم، فقال مشيرا إلى مخالفة لغة القرآن للقياس اللغوي في استحوذ: " يقال منه: حاذ عليه واستحاذ، يحيذ ويستحيذ، وأحاذ يحيذ. ومن لغة من قال: حاذ قول العجاج في صفة ثور وكلب:

يَحُوذُهُنَّ وَلَهُ حُوذِيّ

... ومن لغة من قال أحاذ قول لبيد في صفة عيرٍ وأتُنٍ:

إِذَا اجْتَمَعَتْ وَأَحْوَذَ جَانِبَيْهَا *** وَأَوْرَدَهَا عَلَى عُوجٍ طِوَالِ

يعني بقوله: وأحوذ جانبيها: غلبها وقهرَها حتى حاذ كلا جانبيها، فلم يشذّ منها شيء. وكان القياس في قوله: ((اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ)) أن يأتي: استحاذ عليهم؛ لأن الواو إذا كانت عين الفعل وكانت متحركة بالفتح وما قبلها ساكن، جعلت العرب حركتها في فاء الفعل قبلها، وحوّلوها ألفًا متبعة حركة ما قبلها، كقولهم: استحال هذا الشيء عما كان عليه، من حال يحول، واستنار فلان بنور الله، من النور، واستعاذ بالله من عاذ يعوذ. وربما تركوا ذلك على أصله كما قال لبيد: وأحوذ، ولم يقل وأحاذ، وبهذه اللغة جاء القرآن في قوله: ((اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ)) "[2].

---

[1] ينظر: المقدمة العاشرة: التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دط، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، 124/1.

[2] جامع البيان: مج4/ جز5/ ص426، بتصرف.

وعند قوله تعالى ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ [التوبة:103] بيّن مدلول عسى في كتاب الله وكونه يخالف معناها اللغوي فقال: " قوله ((عسى الله أن يتوب عليهم)) معناه: لعل الله أن يتوب عليهم، وعسى من الله واجب، وإنما معناه: سيتوب الله عليهم، ولكنه في كلام العرب على ما وصفت "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡ ﴾ [هود:77] ولما كان مقام النبوة يمنع من حمل البنات على المعروف لغة؛ كون الأنبياء لا يعرضون بناتهم إلا على الأطهار الأتقياء، لا على الفجار والفساق، حمل الإمام الطبري النبات على نساء أمة لوط عليه السلام؛ لأن كل نبي أبٌ لأمته، وهذا المعنى لهذه الكلمة من تفرّدات القرآن عن لغة العرب التي نزل بها، قال الطبري مستشهدا بأقوال السلف: " يقول تعالى ذكره: قال لوط لقومه لما جاؤوه يراودونه عن ضيفه: هؤلاء يا قوم بناتي – يعني نساء أمته – فانكحوهن فهنّ أطهر لكم، كما: حدثنا محمد بن عبد الأعلى... عن قتادة: ((هؤلاء بناتي هن أطهر لكم)) قال: أمرهم لوط بتزويج النساء وقال: ((هن أطهر لكم)) .... وكان مجاهد يقول في قوله ((هؤلاء بناتي هن أطهر لكم)): لم تكن بناته، ولكن كنَّ من أمّته، وكل نبي أبُو أمَّته"[2].

وعند قوله تعالى ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء:79] بيّن مدلول عسى في القرآن بيانا زائدا عما قاله في تفسير سورة التوبة في المثال المدرج قبل، فقال عليه رحمة الله: " وعسى من الله واجبة، وإنما وجه قول أهل العلم: عسى من الله واجبة، لعلم المؤمنين أن الله لا يدع أن يفعل بعباده ما أطمعهم فيه من الجزاء على أعمالهم والعوض على طاعتهم إياه ليس من صفته الغرور... وكان غير جائز أن يكون جلّ ثناؤه من صفته الغرور لعباده صحّ ووجب أن كلّ ما أطمعهم فيه من طمع على طاعته، أو على فعل من الأفعال، أو أمر أو نهى أمرهم به أو نهاهم عنه، فإنه موفٍ لهم به، وإنهم منه كالعدة التي لا يُخلف الوفاء بها، قالوا: عسى ولعلّ من الله واجبة "[3].

---

[1] المصدر السابق: مج7/ جز11/ ص19، بتصرف يسير.
[2] المصدر نفسه: مج7/ جز12/ ص105، بتصرف.
[3] المصدر نفسه: مج9/ جز15/ ص177، بتصرف.

وعند قوله تعالى ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم:58] قرأ جمهور القراء العشر بُكيًّا بالياء على خلاف في ضم الباء، وأشار الإمام الطبري أن القياس اللغوي كان يقتضي أن تكون الكلمة بُكوًّا، وشرح الإمام الطبري علة ذلك مُبيّنا خلاف لغة القرآن في هذا الموضع لأقيسة اللغة فقال: " والبُكِيّ: جمع باك، كما العُتِيّ: جمع عاتٍ والجُثِيّ: جمع جاثٍ، فجمع وهو فاعل على فعول، كما يجمع القاعد قعودا، والجالس جلوسا، وكان القياس أن يكون: وبُكوّا وعتوّا، ولكن كرهت الواو بعد الضمة فقلبت ياء... لمجيئها بعد الضمة استثقالا "[1].

المطلب الثامن: قاعدة: مجيء القرآن على الأفصح من كلام العرب لا الفصيح فحسب[2].

الفرع الأول: شرح القاعدة.

لقد أودع الله تبارك وتعالى لغة القرآن ما نطقت به العرب على اختلاف منطق قبائلها، وكان من الطبيعي أن تختلف لغات العرب وتتنوع بين فصيح وأفصح، وبين بليغ وأبلغ، لذا وجب اعتقاد كمال لغة القرآن، وكونها أفصح ما نطقت به العرب قاطبة، وليس كونها فصيحة فحسب[3].

هذه القاعدة سبق بها الإمام الطبري أصحاب المعاجم اللغوية الذين أشاروا إليها في مقدمات قواميسهم[4]، وهي مهمة جدّا في دراسة فكر الإمام الطبري النقدي، وتُجلي الغموض الذي يشوب موقفه من القراءات في مسألة الاختيار فيها والمفاضلة بينها.

---

[1] المصدر السابق: مج9/ جز16/ ص129، بتصرف.

[2] للاستزادة من الأمثلة على هذه القاعدة، ينظر جامع البيان: مج4/ جز5/ ص426، جز6/ ص69.

[3] ينظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: أحمد بن علي الفزاري، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، 196/1. وينظر: منهج ابن جرير الطبري في القراءات وضوابط اختيارها في تفسيره: زيد بن علي مهدي مهارش، ط:1، دار التدمرية، الرياض، 1433هـ - 2012م، ص333، 342.

[4] ينظر على سبيل المثال: جمهرة اللغة: أبو بكر بن دريد، تح: رمزي منير بعلبكي، ط:1، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، 41/1. وينظر: الصحاح: للجوهري، 33/1، وينظر: تهذيب اللغة: للأزهري، 7/1.

الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.

وذلك حين وجّه تكرار "إيَّاك" مع قوله نستعين وقد تقدّم ذلك مع "نعبدُ"، واستشكل قول سائل يقول: هلاّ قيل: إياك نعبد ونستعين؛ إذ كان المخبرُ عنه أنه المعبود هو المخبر عنه أنه المستعان؟. ثمّ أجاب بقوله: " إن الكاف التي مع "إيَّا" هي الكاف التي كانت تتصّل بالفعل أعني قوله "نعبد"…..

وهي كناية اسم المخاطب المنصوب بالفعل فكثّرت "بإيَّا" متقدمة... فلما كانت الكاف من "إياك" هي كناية اسم المخاطب التي كانت تكون كافًا وحدها متصلة بالفعل إذا كانت بعد الفعل، ثم كان حظها أن تُعاد مع كل فعل اتصلت به فيقال: اللهم إنا نعبدك ونستعينك ونحمدك ونشكرك، وكان ذلك أفصح في كلام العرب من أن يقال: اللهم إنا نعبدك ونستعين ونحمد، كان كذلك إذا قُدّمت كناية اسم المخاطب قبل الفعل موصولة بـ "إيَّا" كان الأفصح إعادتها مع كل فعل... وإن كان ترك إعادتها جائزا"[1].

وعند قوله تعالى ﴿ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ ﴾ [النساء:11] بعدما ذكر إجماع المفسرين على أن الأخوة الإثنين يدخلان في قوله ((فإن كان له إخوة)) ثم استشكل قول قائل يقول: وكيف قيل في الأخوين إخوة، وقد علمت أن للأخوين في منطق العرب مثالا لا يشبه مثالَ الإخوة في منطقها؟، ثم أجاب عن هذا الإشكال مقعدا هذه القاعدة فقال:" إنّ ذلك وإن كان كذلك، فإن من شأنها التأليف بين الكلامين بتقارب معنياهما، وإن اختلفا في بعض وجوههما. فلما كان ذلك كذلك، وكان مستفيضًا في منطقها منتشرًا مستعملا في كلامها: ضربت من عبد الله وعمرو رؤوسهما، وأوجعتُ منهما ظهورهما، وكان ذلك أشد استفاضة في منطقها من أن يقال، أوجعت منهما ظهْريْهما، وإن كان مقولا أوجعت ظهْريْهما، كما قال الفرزدق:

بِمَا فِي فُؤَادَيْنَا مِنَ الشَّوْقِ وَالْهَوَى *** فَيَبْرَأُ مُنْهَاضُ الفُؤَادِ الْمُشَغَّفُ

[1] جامع البيان: مج1/ جز1/ ص91.

غير أن ذلك وإن كان مقولا فأفصح منه: بما في أفئدتنا، كما قال جل ثناؤه: ((إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا)) [سورة التحريم: 4] . فلما كان ما وصفت من إخراج كل ما كان في الإنسان واحدًا إذا ضم إلى الواحد منه آخر من إنسان آخر فصارا اثنين من اثنين، بلفظ الجميع، أفصحَ في منطقها وأشهرَ في كلامها، وكان الأخوان شخصين كل واحد منهما غير صاحبه، من نفسين مختلفين، أشبه معنياهما معنى ما كان في الإنسان من أعضائه واحدًا لا ثاني له، فأخرج اثناهما بلفظ جمع العضوين اللذين وصفت، فقيل (إخوة) في معنى (الأخوين) كما قيل (ظهور) في معنى (الظهرين) و (أفواه) في معنى (فموين) و (قلوب) في معنى (قلبين) "[1].

[1] المصدر السابق: مج3/ جز4/ ص350.

المبحث الثاني: القواعد المتعلّقة بالتراكيب القرآنية.

المطلب الأول: قاعدة: ينبغي عدم تحميل تراكيب القرآن ما لا تحتمل من المعاني.

الفرع الأول: شرح القاعدة.

أشار إلى هذه القاعدة وبيّن معناها الإمام الطاهر بن عاشور في المقدمة الرابعة من مقدمات تفسيره، وهو يتكلم عن غرض المفسّر، حيث يقول: " فَغَرَضُ الْمُفَسِّرِ بَيَانُ مَا يَصِلُ إِلَيْهِ أَوْ مَا يَقْصِدُهُ مِنْ مُرَادِ اللَّهِ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ بِأَتَمِّ بَيَانٍ يَحْتَمِلُهُ الْمَعْنَى وَلَا يَأْبَاهُ اللَّفْظُ والتركيب "[1].

الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.

وقد أشار الإمام الطبري إلى هذه القاعدة في تفسير قوله تعالى ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ [البقرة:29] فذكر رحمه الله أقوالا عديدة[2] في معنى هذا التركيب والعلة التي لأجلها قالت الملائكة هذا القول لربّ العزة، ثم قال معلقا على أحد هذه الأقوال: "وأما دعوى من زعم أن الله جلّ ثناؤه كان أذن لها بالسؤال عن ذلك فسألته عن وجه التعجب، فدعوى لا دلالة عليها في ظاهر التنزيل ولا خبر بها من الحجة يقطع العذر، وغير جائز أن يقال في تأويل كتاب الله بما لا دلالة عليه من بعض الوجوه التي تقوم بها الحجة ... فأولى التأويلات إذ كان الأمر كذلك بالآية ما كان عليه من ظاهر التنزيل دلالة مما يصح مخرجه في المفهوم "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ ﴾ [المائدة:30] ذكر اختلاف المفسرين في السبب الذي من أجله قال المقتول ذلك لأخيه ولم يمانعه ما فعل به مع كونه

---

[1] ينظر: التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، 41/1، بتصرف.

[2] توخيا للاختصار أعرضت عن ذكرها خشية الإطالة، وحتى لا نخرج عن المقصود من البحث اكتفيتُ بالتلميح إليها، ينظر: جامع البيان: 1/ 264 – 275.

[3] المصدر نفسه: 1/ 264 – 275.

كان أشد وأبطش الرجلين كما قال ابن عمرو رضي الله عنهما، فقال بعضهم: ذلك إعلاما منه لأخيه القاتل أن القتل لا يستحلّ ومنعه التحرّج من أن يدافعه خشية أن يقتله هو قبل قتله، وقال آخرون: ما قال له مما قص الله في كتابه إلاّ أن الله عزّ ذكره فرض عليهم أن لا يمتنع من أريد قتله ممن أراد ذلك منه، ثم علقّ الطبري مقعّدا هذه القاعدة فقال: " وأولى القولين في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله عز ذكره قد كان حرَّم عليهم قتل نفسٍ بغير نفس ظلمًا، وأن المقتول قال لأخيه: ((ما أنا بباسط يديَ إليك إن بسطت إليّ يدك)) لأنه كان حرامًا عليه من قتل أخيه مثلُ الذي كان حرامًا على أخيه القاتل من قتله. فأما الامتناع من قتله حين أراد قتله، فلا دلالة على أن القاتلَ حين أراد قتله وعزم عليه، كان المقتول عالما بما هو عليه عازمٌ منه ومحاولٌ من قتله، فترك دفعَه عن نفسه. بل قد ذكر جماعة من أهل العلم أنه قتله غِيلةً، اغتاله وهو نائم، فشدَخ رأسه بصخرةٍ. فإذْ كان ذلك ممكنًا، ولم يكن في الآيةِ دلالة على أنه كان مأمورًا بترك منع أخيه من قتله، لم يكن جائزًا ادعاءُ ما ليس في الآية، إلا ببرهان يجب تسليمُه "[1].

المطلب الثاني: قاعدة: ينبغي حمل تراكيب القرآن على المعاني المتبادرة من الظاهر المفهوم لا على معان مستندة إلى باطن لا دلالة على صحته[2].

الفرع الأول: شرح القاعدة.

هذه القاعدة من المعالم المنهجية التي رسمت منهج الطبري في تفسيره، فلا عدول عن الظاهر المفهوم عنده إلى باطن خفيّ إلا بحجة قاطعة للعذر، وهذه الحجة قد تكون حديثا صحيحا مسندا إلى

---

[1] المصدر السابق: مج4 جز6/ ص249.

[2] توخيا للاختصار نحيل على مواضع أخرى ذكر فيها الطبري هذه القاعدة، ينظر جامع البيان: مج1/ جز1/ ص613، ص 638، مج2/ جز2/ ص49، ص101، ص422، ص441، مج5/ جز8/ ص107، مج6/ جز10/ ص192، مج7/ جز12/ ص17، مج8/ جز13/ ص317، مج9/ جز15/ ص24، مج11/ جز21/ ص75.

الرسول ﷺ، أو إجماعا من أهل التأويل، أو إحدى القرائن المقدمة للباطن على الظاهر، والأمثلة المرفقة توضح ذلك، وربما اختار التفسير الموافق للظاهر على غيره، أو رجح قولا على غيره بهذا الاعتبار[1].

الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.

أشار إمام المفسرين إلى هذه القاعدة في غير ما موضع، فمنها عند قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ اِلاَّ عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴾ [البقرة:44] قال أبو جعفر: " يعني بقوله (وإنها لكبيرة) وإن الصلاة فـ (الهاء والألف) عائدتان على الصلاة، وقد قال بعضهم: إن قوله (وإنها) بمعنى: وإن إجابة محمد ﷺ، ولم يجر لذلك بلفظ الإجابة ذكر فتُجعل الهاء والألف كناية عنه، وغير جائز ترك الظاهر المفهوم من الكلام إلى باطن لا دلالة على صحته "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ فَجَعَلْنَـٰهَا نَكَـٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ [البقرة:64-65] ذكر رحمه الله أقوالا تحتمل عوْد الهاء والألف التي في (فجعلناها) إما على المسخة أو على الحيتان التي في القصة، أو على القردة...، ثم نظر في السياق واختار عوْدها على الحيتان قائلاً: " وأولى هذه التأويلات بتأويل الآية ما رواه الضحاك عن ابن عباس؛ وذلك لما وصفنا من أن الهاء والألف في قوله (فجعلناها نكالا) بأن تكون من ذكر العقوبة والمسخة التي مُسخها القوم أولى منها بأن تكون من ذكر غيرها... وأما الذي قال في تأويل ذلك (فجعلناها) يعني الحيتان... فلم يجر للحيتان ذكر فيقال (فجعلناها)... فغير جائز أن يترك المفهوم من ظاهر الكتاب، والمعقول به ظاهر في الخطاب والتنزيل، إلى باطن لا دلالة عليه من ظاهر التنزيل ولا خبر عن رسول الله ﷺ منقول، ولا فيه من الحجة إجماع مستفيض "[3].

---

[1] ينظر: شرح مقدمة تفسير الطبري: مساعد بن سليمان الطيار، ص42-43.
[2] جامع البيان: مج1/ جز1/ ص343.
[3] المصدر نفسه: مج1/ جز1/ ص441-442.

وعند قوله تعالى ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ ﴾ [المائدة:29] ذكر قولين لأهل التأويل، أحدهما أنهما ابنا آدم لصلبه، والثاني: أنهما رجلان من بني إسرائيل فيكونان ابناه بالنسب، ثم علق الطبري مقعّدا هذه القاعدة قائلا: " وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، أن اللذين قرّبا القربان كانا ابني آدم لصلبه، لا من ذرّيته من بني إسرائيل. وذلك أن الله عز وجل يتعالى عن أن يخاطب عبادَه بما لا يفيدهم به فائدة، والمخاطبون بهذه الآية كانوا عالمين أن تقريبَ القربان لله لم يكن إلا في ولد آدم... فإذْ كان معلومًا ذلك عندهم، فمعقول أنه لو لم يكن معنيًّا بِـ (ابني آدم) اللذين ذكرهما الله في كتابه، ابناهُ لصلبه، لم يفدْهم بذكره جل جلاله إياهما فائدة لم تكن عندهم. وإذْ كان غيرَ جائز أن يخاطبهم خطابًا لا يفيدهم به معنًى، فمعلوم أنه عَنَى بـ (ابني آدم) [ابني آدم لصلبه] لا بَنِي بنيه الذين بَعُد منه نسبهم "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الأعراف:152] بيّن أن هذا خبر من الله ﷻ عن تعجيل العقوبة للذين اتخذوا العجل في عاجل الدنيا قبل آجل الآخرة، وأعمل مقتضى هذه القاعدة وردّ تأويل ابن جريج الذي قال فيه: هذا الوعيد لمن مات ممن اتخذ العجل قبل أن يرجع موسى عليه السلام، ولمن فرّ منهم حين أمرهم موسى عليه السلام بقتل بعضهم بعض، قال الطبري رادّا هذا التفسير: " وهذا الذي قاله ابن جريج، وإن كان قولا له وجه، فإن ظاهر كتاب الله، مع تأويل أكثر أهل التأويل، بخلافه. وذلك أن الله أخبر عن بني إسرائيل بعد اتخاذهم العجل أنه تاب عليهم بقتل أنفسهم، وذلك قوله: ((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ)) [البقرة: 54] ، ففعلوا ما أمرهم به نبيهم ﷺ... فكان قتل بعضهم بعضًا هوانًا لهم وذلة أذلهم الله بها في الحياة الدنيا، وتوبة منهم إلى الله قَبِلها. وليس لأحد أن يجعل خبرًا جاء الكتاب بعمومه، في خاصٍّ مما عمه الظاهر، بغير برهان من حجة خبر أو عقل. ولا نعلم خبرًا جاء بوجوب نقل ظاهر قوله: ((إن الذين اتخذوا العجل

---

[1] المصدر السابق: مج4/ جز6/ ص246.

سيناهم غضب من ربهم)) إلى باطن خاصّ، ولا من العقل عليه دليل، فيجب إحالة ظاهره إلى باطنه "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [العنكبوت:56] ذكر معنيين لوصف الأرض بالسعة، ثم اختار أظهر المعاني معملا هذه القاعدة، فقال: " اختلف أهل التأويل في المعنى الذي أريد من الخبر عن سعة الأرض، فقال بعضهم: أريد بذلك أنها لم تضق عليكم فتقيموا بموضع منها لا يحلّ لكم المقام فيه، ولكن إذا عمل بمكان منها بمعاصي الله، فلم تقدروا على تغييره، فاهرُبوا منه... وقال آخرون: معنى ذلك: إن ما أخرج من أرضي لكم من الرزق واسع لكم... وأولى القولين بتأويل الآية، قول من قال: معنى ذلك: إن أرضي واسعة، فاهربوا ممن منعكم من العمل بطاعتي؛ لدلالة قوله: ((فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ)) على ذلك، وأن ذلك هو أظهر معنييه، وذلك أن الأرض إذا وصفها بِسعَة، فالغالب من وصفه إياها بذلك لا تضيق جميعها على من ضاق عليه منها موضع، لا أنه وصفها بكثرة الخير والخصب "[2].

المطلب الثالث: قاعدة: الأولى حمل تراكيب القرآن على الحقيقة الظاهرة وعدم القول بالمجاز إلا بحجة يجب التسليم لها[3].

الفرع الأول: شرح القاعدة.

---

[1] المصدر السابق: مج6/ جز9/ ص89، بتصرف يسير.

[2] المصدر نفسه: مج11/ جز21/ ص15، بتصرف.

[3] بالإضافة إلى النماذج المذكورة وتوخيا للاختصار نحيل إلى مواضع أخرى ذكر فيها الطبري هذه القاعدة، ينظر جامع البيان: مج1/ جز1/ ص607، مج9/ جز15/ ص284.

على أن الإمام الطبري لم يوظّف مصطلح المجاز المعروف عند البلاغيين إلاّ في موضع واحد من تفسيره، وذلك حين ذكر اختلاف المتأولين لقوله تعالى ﴿ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴾ [القمر:48][1]؛ وهذا راجع بالأساس إلى ظهوره من بعده[2]، وإنما كان يُعبّر بمقتضياته كصرف معنى الآية عن ظاهرها مثلاً، والحق الذي عليه جمهور الأصوليين: " حمل اللفظ على الحقيقة الشرعية (دلالات الألفاظ التي نقلها الشارع من المعنى اللغوي إلى المعنى الشرعي كالصلاة والزكاة والصوم...الخ) ثمّ العرفية (المعنى في بيئة نزول القرآن وهو المعنى العرفي عند الأصوليين) ثم اللّغوية ، ثم المجاز عند القائل به إنْ دلّت عليه قرينة[3].

الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.

فعند قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:73] ذكر رحمه الله بإسناده عن مجاهد أنه قال: "كل حجر يتفجر منه الماء أو يتشقق عن الماء، أو يتردّى من رأس جبل فهو من خشية الله

---

[1] المصدر السابق: مج13/ جز27/ ص136، والحق الذي ينبغي أن يقال: أن الطبري اكتفى بحكاية الخلاف، ولم يختر معنى على آخر، ولم يعلق على القائل بالمجاز في هذا الموضع فنستفيد من ذلك موقفه من وقوع المجاز في القرآن، ومهما يكن من أمر فإن هذا الموضع الوحيد مقارنة بالمواضع الكثيرة التي يقدّم فيها الطبري المفهوم من ظاهر التلاوة، تجعلنا نصنّف الطبري في خانة المقلّلين للمجاز في القرآن إلاّ إذا دلتّ القرينة من حجة يجب لها التسليم على ذلك.

[2] ظهر مصطلح المجاز المضاد للحقيقة في المئة الرابعة على يد طوائف المعتزلة، ثم تتطور وحمل لواءه كثير من البلاغيين والأصوليين عبر القرون المتعاقبة، ويعتبر أول من استعمله أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه، ولم يكن يقصد به مجاز البلاغة، واستعمله كذلك ابن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن وهو من أعيان المئة الثالثة، ولم يكن استعماله له بالشكل الذي ظهر عند المتأخرين؛ حيث ذكره في معرض تفنيده حين تكلم عن التأكيد بالمصدر في قوله تعالى ((وكلم الله موسى تكليما)) وبين أن التأكيد بالمصدر ينفي المجاز، وليس قصدي في هذا التعليق الإشارة إلى اختلاف العلماء في المجاز وفي وقوعه في اللغة والقرآن أم لا، فهذه مسألة معروفة في مضانها من كتب الأصول، ولكن ما ينبغي التنويه به أن المجاز ظهر وازدهر بعد عصر الطبري، فلا يمكن أن نُخضع منهج عالم لعلوم جاءت بعده. ينظر: الإيمان: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تح: صدقي جميل العطار، ط:2، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، 1419هـ – 2001م، ص70-73. وينظر: تأويل مشكل القرآن: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تح: أحمد صقر، ط:2، دار التراث، القاهرة، 1393هـ – 1973م، ص111.

[3] مذكرة أصول الفقه : محمد الأمين الشنقيطي، دط، الدار السلفية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت، ص175، بتصرف.

عزّ وجلّ، نزل بذلك القرآن"[1]، ثم ساق أقوالا تصرف معنى هذا التركيب عن حقيقته، فقال بعضهم: (يهبط من خشية الله) كقوله (جدارا يريد أن ينقضّ) ولا إرادة له، وإنما أريد بذلك أنه من عظم أمر الله يُرى كأنه هابط خاشع من ذلّ خشية الله، وقال بعضهم: معنى ذلك أنه يوجب الخشية لغيره بدلالته على صانعه، ثم قال رحمه الله مقعّدا هذه القاعدة: "... وهذه الأقوال وإن كانت غير بعيدات المعنى مما تحتمله الآية من التأويل، فإن تأويل أهل التأويل من علماء سلف الأمة بخلافها؛ فلذلك لم نستجز صرف تأويل الآية إلى معنى منها "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ [الأعراف:3] استشكل قول قائل يقول: إن الله ﷻ أخبر أنه أهلك قرى، فما في خبره عن إهلاكه القرى من الدليل على إهلاكه أهلها؟، ثم أجاب على هذا الاشكال مشيرا إلى هذه القاعدة فقال: " إن القرى لا تسمى قرى ولا القرية قرية إلا وفيها مساكن لأهلها وسكان منهم، ففي إهلاكها إهلاك مَنْ فيها من أهلها. وقد كان بعض أهل العربية يرى أن الكلام خرج مخرج الخبر عن القرية، والمراد به أهلها. قال أبو جعفر: والذي قلنا في ذلك أولى بالحق، لموافقته ظاهر التنزيل المتلوّ "[3].

المطلب الرابع: قاعدة: المؤخر الذي معناه التقديم، والمُقدم الذي معناه التأخير.

الفرع الأول: شرح القاعدة.

هذه القاعدة تبرز ظاهرة مألوفة في كلام العرب كثيرة الورود في الكتاب العزيز، والإمام الطبري لا يفوّت فرصة حين يمرّ بهذا الأسلوب إلاّ ويبيّن معناه ويشرح قرينته الإعرابية وعلّته المعنوية، وبمراعاة هذه القاعدة يقف متدبر القرآن على أوسع باب من أبواب إعجاز نظم القرآن[4].

---

[1] أخرجه الإمام الطبري في تفسيره، وانفرد به بهذا اللفظ. ينظر: مج1/ جز1/ ص480.

[2] المصدر نفسه: مج1/ جز1/ ص481-482.

[3] المصدر نفسه: مج5/ جز8/ ص152.

[4] ينظر: الأساليب العربية الواردة في القرآن وأثرها في التفسير من خلال جامع البيان للطبري: فواز بن منصر سالم الشاووش، ط:1، مطبوعات مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، 1436هـ – 2015م، ص541.

الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.

وقد أشار رحمه الله إلى هذه القاعدة في كثير من المناسبات، ففي تفسير سورة الفاتحة حين أرجع معنى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة:1-3] إلى تقدير: الحمد لله الرحمن الرحيم ربّ العالمين ملك يوم الدين، حيث قال: قال أهل التأويل: الأولى أن يكون مُجاور وصفه بالملك أو المِلك ما كان نظير ذلك الوصف وذلك قوله: (ربّ العالمين) الذي هو خبر عن مِلكه جميع أجناس الخلق، وأن يكون مُجاور وصفه بالعظمة والألوهية ما كان نظيرا في المعنى من الثناء عليه، وذلك قوله (الرحمن الرحيم).... ونظائر هذا التقديم الذي هو بمعنى التأخير، والمؤخر الذي هو بمعنى التقديم في كلام العرب أفشى وفي منطقها أكثر من أن تُحصى، ومن ذلك قول جرير بن عطية:

طال الخيال – وأين منك – لِمَامَا *** فارْجعْ لزَوْرِكَ بالسلامِ سَلاَمَا.

أي طال الخيال لِمَامَا وأين هو منك "[1].

وعند تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:101] أزال بها إشكال سائل يستشكل: كيف قال جلّ ثناؤه (ولبئس ما شروْا به أنفسهم لو كانوا يعملون) وقد قال قبلُ (ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق) ثم أجاب عن هذا الإشكال فقال: " إن معنى ذلك على غير ما توهمته من أنهم موصوفون بالجهل بما هم موصوفون بالعلم به، ولكن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم، وإنما معنى الكلام: وما هم بضارّين به من أحد إلا بإذن الله، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولبئس ما شروْا به أنفسهم لو كانوا يعلمون، ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق "[2].

[1] جامع البيان: 82/1.
[2] المصدر نفسه: 612/1.

وعند قوله تعالى ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجاَ قَيِّماً﴾ [الكهف:1-2] أشار إلى تفسير ابن عباس هذه الآية بمقتضى هذه القاعدة، وأشار إلى أن لا خلاف بين أهل اللغة في اعتبار ذلك فقال: " عن ابن عباس في قوله: ((وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا قَيِّمًا)) يقول: أنزل الكتاب عدلا قيما، ولم يجعل له عوجا، فأخبر ابن عباس بقوله هذا مع بيانه معنى القيم، أن القيم مؤخر بعد قوله: ولم يجعل له عوجا، ومعناه التقديم بمعنى: أنزل الكتاب على عبده قيما... ولا خلاف أيضا بين أهل العربية في أن معنى قوله (قيمًا) وإن كان مؤخرا، التقديم إلى جنب الكتاب "[1].

المطلب الخامس: قاعدة: موافقة تراكيب القرآن كلام العرب وأوجه مُخاطباتها[2].

الفرع الأول: شرح القاعدة.

والمقصود بهذه القاعدة أنْ يكون المفسّر ذا دراية بأوضاع الكلام العربي وخصائصه، ولذلك فمن غفل عن ذلك وأخذ أدلة القرآن على مُجرّد ما يعطيه العقل فيها دون مُراعاة أوضاع اللّغة ؛ زلّ فهمه وجانب الصواب[3].

والإمام الطبري جعل على عاتقه كما ذكر ذلك في خطبة تفسيره[4]، على أن يبيّن وجه موافقة لغة القرآن أساليب العرب وأفانينها في الكلام، فإذا ذكر في ثنايا تحليله للآيات عبارة: من شأن العرب كذا وكذا، فاعلم أنه يربط بين لغة القرآن وأساليب العرب في الكلام، والأمثلة المرفقة توضح ذلك.

---

[1] المصدر السابق: مج9/ جز15/ ص233، بتصرف.

[2] توخيا للاختصار نحيل على مواضع أخرى ذكر فيها الطبري هذه القاعدة، ينظر جامع البيان: مج1/ جز1/ ص632، مج2/ جز2/ ص20، ص27، ص346، ص650، ص683، مج3/ جز3/ ص222، ص321، جز4/ ص305، ص361، ج5/ جز7/ ص37، ص248، جز8/ ص14، مج7/ جز12/ ص145، ص281.

[3] قواعد التفسير : 1/ 232 .

[4] جعل الطبري أول باب في مقدمة تفسيره حول هذه القاعدة، وسماه: باب القول في البيان عن اتفاق معاني آي القرآن ومعاني منطق من نزل بلسانه (العرب)... ينظر: جامع البيان: مج1/ ص8.

الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.

أشار الإمام الطبري إلى هذه القاعدة عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ [البقرة:95] حين قال: " يعني به: بما أسلفته أيديهم. وإنما ذلك مثل على نحو ما تتمثل به العرب في كلامها، فتقول للرجل يؤخذ بجريرة جرّها أو جناية جناها فيعاقب عليها: نالك هذا بما جنت يداك، وبما كسبت يداك، وبما قدّمت يداك، فتضيف ذلك إلى اليد... فلذلك قال جلّ ثناؤه للعرب: (ولن يتمنوْه أبدا بما قدّمت أيديهم) يعني به: ولن يتمنى اليهود الموت بما قدموا في حياتهم من كفرهم بالله ورسوله...لأن العرب تعلم معنى ذلك في منطقها وكلامها، إذ كان جلّ ثناؤه إنما أنزل القرآن بلسانها وبلُغتها "[1].

كما أشار إليها عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ [الأنعام:39] وقد استشكل قول قائل يقول: ما وجه تكرار بجناحيه، وهل يطير الطائر إلا بجناحيه؟! حيث قال مؤصلا هذه القاعدة: " قد قدمنا القول فيما مضى أن الله تعالى ذكره أنزل هذا الكتاب بلسان قوم، وبلغاتهم وما يتعارفونه بينهم ويستعملونه في منطقهم خاطبهم. فإذ كان من كلامهم إذا أرادوا المبالغة في الكلام أن يقولوا: كلمت فلانًا بفمي ومشيت إليه برجلي وضربته بيدي، خاطبهم تعالى بنظير ما يتعارفونه في كلامهم، ويستعملونه في خطابهم "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ اِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَآ ﴾ [هود:55] بيّن أن هذا التركيب جاء على منوال خطاب العرب وكلامهم، وذلك بعد استشكاله وجه تخصيص الناصية بالأخذ دون سائر أعضاء الجسد فقال:" وكيف قيل ((هو آخذ بناصيتها)) فخص بالأخذ الناصية دون سائر أماكن الجسد. قيل: لأن العرب كانت تستعمل ذلك في وصفها من وصفته بالذلة والخضوع، فتقول: ما ناصية فلان إلا بيد فلان، أي: أنه له مطيع يصرفه كيف شاء. وكانوا إذا أسروا الأسير فأرادوا إطلاقه

---

[1] المصدر السابق: مج1/ جز1/ ص560-561.
[2] المصدر نفسه: مج5/ جز7/ ص239.

والمنّ عليه، جزُّوا ناصيته، ليعتدّوا بذلك عليه فخرًا عند المفاخرة. فخاطبهم الله بما يعرفون في كلامهم، والمعنى ما ذكرت "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ﴾ [الرعد:15] بيّن أن هذا التركيب وافق خطاب العرب في الإخبار عن استحالة تحقيق شيء يُسعى لجلبه فقال: " والعرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلا بالقابض على الماء، قال بعضهم:

فإنّي وإيَّاكُمْ وَشَوْقًا إِلَيْكُمُ *** كَقَابِضِ مَاءٍ لَمْ تَسِقْهُ أَنَامِلُه

يعني بذلك: أنه ليس في يده من ذلك إلا كما في يد القابض على الماء؛ لأن القابض على الماء لا شيء في يده. وقال آخر:

فَأَصْبَحْتُ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وبَيْنَها *** مِنَ الوُدِّ مِثْلَ القَابِضِ الماءَ بِاليَدِ "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ [الإسراء:13] أشار إلى هذه القاعدة عندما وجّه سرّ تخصيص العنق بالإلزام، حيث قال: " فإن قال قائل: وكيف قال: ألزمناه طائره في عنقه... ولم يقل: ألزمناه في يديه ورجليه أو غير ذلك من أعضاء الجسد؟ قيل: لأن العنق هو موضع السمات، وموضع القلائد والأطوقة، وغير ذلك مما يزين أو يشين، فجرى كلام العرب بنسبة الأشياء اللازمة بني آدم وغيرهم من ذلك إلى أعناقهم وكثر استعمالهم ذلك حتى أضافوا الأشياء اللازمة سائر الأبدان إلى الأعناق، كما أضافوا جنايات أعضاء الأبدان إلى اليد، فقالوا: ذلك بما كسبت يداه، وإن كان الذي جرّ عليه لسانه أو فرجه، فكذلك قوله ((أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ)) "[3].

ومن خلال استقراء "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، نذكر أمثلة على مظاهر موافقة تراكيب القرآن لغة العرب، فتظهر موافقة تراكيب القرآن لكلام العرب من حيث:

---

[1] المصدر السابق: مج7/ جز12/ ص76.
[2] المصدر نفسه: مج8/ جز13/ ص164.
[3] المصدر نفسه: مج9/ جز15/ ص67-68، بتصرف يسير.

أولا: إخراج الخطاب مخرج العموم والمراد الخصوص.

فعند قوله تعالى﴿ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة:46] قال الإمام الطبري: " أخرج جلّ ذكره قوله (وإني فضلتكم على العالمين) مخرج العموم وهو يريد خصوصا؛ لأن المعنى: وإني فضلتكم على عالم من كنتم بين ظهريه وفي زمانه[1] "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ﴾ [البقرة:252] قال الإمام الطبري: " وهذه الآية مخرجها في الشفاعة عام والمراد بها خاص، وإنما معناه: من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة لأهل الكفر بالله؛ لأن أهل ولاية الله والإيمان به، يشفع بعضهم لبعض... وكان قتادة يقول في ذلك...: قد علم الله أن ناسا يتحابون في الدنيا، ويشفع بعضهم لبعض، فأما يوم القيامة فلا خلة إلا خلة المتقين "[3].

ثانيا: الإخبار عن الجماعة والمراد المفرد:

وذلك عند قوله ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[البقرة: 32] فقد تأولها الطبري بقوله: " وأعلم ما تبدون بقولكم (أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء، وأعلم ما تكتمون وهو كتمان إبليس حسده وحقده على آدم منذ خُلق وقبل أن تُقذف فيه الروح، وهذا وإن كان إخبارا عن إبليس بصيغة الجمع فجائز؛ لأن من شأن العرب إذا أخبرت خبرا عن بعض جماعة بغير تسمية شخص بعينه أن تُخرج الخبر مخرج الخبر عن جميعهم كقولهم: قتل الجيش وهُزموا، وإنما قُتل الواحد أو البعض منهم..."[4].

---

[1] وهذا لأن بني إسرائيل ما كانوا أفضل من أمة النبي ﷺ لقوله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [ءال عمران: 110].

[2] المصدر السابق: 348/1، للاستزادة من الأمثلة على هذه القاعدة، ينظر جامع البيان 352/1.

[3] المصدر نفسه: مج3/ جز3/ ص8، بتصرف يسير.

[4] المصدر نفسه: مج1/ جز1/ ص294.

وعند قوله تعالى ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ [الأعراف:190] لما اختار قراءة شركاء بالجمع، استشكل إشكالا يقول: فكيف قال شركاء، وقد علمت أن آدم وحواء إنما سمّيا ابنهما عبد الحارث فهو واحد وليس جماعة حتى يقال: جعلا له شركاء، ثم أجاب أن ذلك موافقا مذهب العرب في إخراج الخبر عن الجماعة والمراد واحد بعينه حيث قال: " قد دللنا فيما مضى على أن العرب تخرج الخبر عن الواحد مخرج الخبر عن الجماعة، إذا لم تقصد واحدًا بعينه ولم تسمِّه، كقوله: ((الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ)) [آل عمران: 173] وإنما كان القائل ذلك واحدًا، فأخرج الخبر مخرج الخبر عن الجماعة، إذ لم يقصد قصده، وذلك مستفيض في كلام العرب وأشعارها "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾ [الكهف:60] تكلم رحمه الله عن إسناد نسيان الحوت إلى موسى وفتاه، وإنما النسيان وقع من الفتى، وبيّن ذلك أنه أُجريَ مجرى كلام العرب في الإخبار عن الجماعة والمراد واحد، حيث قال: " قال بعض أهل العربية[2]: إن الحوت كان مع يوشع، وهو الذي نسيه، فأضيف النسيان إليهما، كما قال (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) [الرحمن:22] وإنما يخرج من الملح دون العذب. وإنما جاز عندي أن يقال: (نَسِيا) لأنهما كانا جميعا تزوّداه لسفرهما، فكان حمل أحدهما ذلك مضافا إلى أنه حمل منهما، كما يقال: خرج القوم من موضع كذا، وحملوا معهم كذا من الزاد، وإنما حمله أحدهما ولكنه لما كان ذلك عن رأيهم وأمرهم أضيف ذلك إلى جميعهم، فكذلك إذا نسيه حامله في موضعٍ، قيل: نسي القوم زادهم، فأضيف ذلك إلى الجميع بنسيان حامله ذلك، فيجري الكلام على الجميع، والفعل من واحد، فكذلك ذلك في قوله: (نَسِيَا حُوتَهُمَا) لأن الله عزّ ذكره خاطب العرب بلغتها، وما يتعارفونه بينهم من الكلام "[3].

---

[1] المصدر السابق: مج6/ جز9/ ص186.

[2] هذا الكلام للفراء بلفظه، وهذا صنيع الإمام الطبري كثيرا؛ إذ لا يسند الكلام لمن سبقه من الأئمة، ولكن يُخرجه عاما مبهما، ينظر معاني القرآن: يحي بن زياد الفراء، تح: أحمد يوسف النجاتي – محمد عي النجار – عبد الفتاح إسماعيل، ط:1، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، دت، مج2/ ص154.

[3] جامع البيان: مج9/ جز15/ ص332.

ثالثا: إخراج الكلام مخرج الخبر عن المخاطبين والمراد الإخبار عن الغائبين (الالتفات)[1].

قال أبو جعفر: " من شأن العرب إذا حكت أو أمرت بحكاية خبر يتلو القول أن تخاطب ثم تُخبر عن الغائب، وتُخبر عن الغائب ثم تعود إلى الخطاب لما في الحكاية بالقول من معنى الغائب والمخاطب"[2]، واستشهد ببيت أبي كبير الهذلي:

يا لهف نفسي كان جِدَّةُ خالدٍ *** وبياض وجهك للتُّراب الأعفرِ

واستدلّ بهذه القاعدة على صحة معنى التركيب القرآني (ملك يوم الدين إيّاك نعبدُ) الآية؛ إذ الكلام على صيغة الإخبار بالقول، ثمّ عوْدةُ إلى الخطاب بـ (إياك نعبد)[3].

وذكر ذلك في تفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ ﴾ [البقرة:90] حيث قال مشيرا إلى هذه القاعدة: "... إن الله خاطب الذين أدركوا رسول الله ﷺ من يهود بني إسرائيل، بما خاطبهم في سورة البقرة وغيرها من سائر السور، بما سلف من إحسانه إلى أسلافهم، وبما سلف من كفران أسلافهم نعمه... وأضاف ذلك إلى المخاطبين به، نظير قول العرب بعضها لبعض: فعلنا بكم يوم كذا: كذا وكذا، وفعلتم بنا يوم كذا: كذا وكذا... يعنون بذلك أنّ أسلافنا فعلوا ذلك بأسلافكم، وأن أوائلنا فعلوا ذلك بأوائلكم، فكذلك ذلك في قوله (فلِمَ تقتلون أنبياء الله من قبل) إذ كان قد خرج على لفظ الخبر عن المخاطبين به خبرا من الله تعالى ذكره عن فعل السالفين منهم "[4].

---

[1] طلبا للاختصار نحيل على نماذج أخرى من هذه الجزئية: ينظر جامع البيان: مج1/ جز1/ ص514، ص554، مج2/ جز2/ ص28، مج4/ جز5/ ص166، جز6/ ص299.

[2] المصدر السابق: مج1/ جز1/ ص86.

[3] ينظر: المصدر نفسه: مج1/ جز1/ ص86.

[4] المصدر نفسه: مج1/ جز1/ ص552، بتصرف يسير.

رابعا: وضع الأسماء مواضع الأفعال المعروفة بها:

وذلك عند قوله تعالى ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ [البقرة:176] حين استشكل قول قائل يقول: كيف قيل: (ولكنّ البرّ من آمن بالله) وقد علمت أن (البر) فعل، و(من) اسم، فكيف يكون الفعل هو الإنسان؟، ثم أجابه قائلا: " إن المعنى غير ما توهمته، وإنما معناه: ولكنّ البر برُّ من آمن بالله واليوم الآخر، فوضع (من) موضع الفعل اكتفاء بدلالته ودلالة صلته التي هي له صفة من الفعل المحذوف كما تفعله العرب فتضع الأسماء مواضع أفعالها التي هي بها مشهورة، فتقول: (الجود حاتم، والشجاعة عنترة) ومعناها: الجود جود حاتم، فاستغنى بذكر حاتم، إذ كان معروفا بالجود من إعادة ذكر الجود بعد الذي قد ذكَرَتْه فتضعه موضع جوده لدلالة الكلام على حذفه استغناء بما ذكرته عما لم تذكره، كما قال تعالى ﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ [يوسف:82] "[1].

خامسا: إخراج المصادر على غير بناء أفعالها:

فعندما بيّن الطبري معنى البسملة، وأن معناها: أبدأ بتسمية الله وذكره قبل كل شيء، أو أقرأ بتسمية الله، لا أنّ معناه: أقرأ بالله أو أقومُ بالله، ثم استشكل رحمه الله هذا التأويل بقول قائل: كيف قيل: بسم الله، وقد علمت أن الاسم اسم وأنّ التسمية مصدر من قولك: سمّيتُ، ثم أجاب بقوله: " إن العرب قد تُخرج المصادر مبهمة على أسماء مختلفة كقولهم: أكرمتُ فلانا كرامة، وإنما بناء مصدر (أفْعَلْتُ) إذا أُخرج على فعله (الإفعال) وكقولهم: أهنْتُ فلانا هوانا وكلّمته كلاما، وبناء مصدر (فعَّلْتُ) (التفعيل) فإذا كان الأمر على ما وصفنا من إخراج العرب مصادر الأفعال على غير بناء أفعالها كثيرا وكان تصديرها إيّاها على مخارج الأسماء موجودا فاشيا، تبيّن بذلك صواب ما قلنا في تأويل قول القائل: (بسم الله) أن معناه في ذلك عند ابتدائه في فعل أو قول: أبدأ بتسمية الله قبل فعلي أو قبل قولي، وكذلك معنى قول القائل عند ابتدائه بتلاوة القرآن (بسم الله الرحمن الرحيم) إنما معناه: أقرأ مُبتدأ بتسمية الله أو أبتدئ

---

[1] المصدر السابق: مج 2/ جز2/ ص126.

قراءتي بتسمية الله، فجعل الاسم مكان التسمية كما جعل الكلام مكان التكليم والعطاء مكان الإعطاء"[1].

وعند قوله تعالى ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ [آل عمران:37] أشار الإمام إلى موافقة القرآن كلام العرب في إخراج المصدر على غير بناء فعله فقال: " والقبول: مصدر من قبِلها ربُّها؛ فأخرج المصدر على غير لفظ الفعل. ولو كانَ على لفظه لكان: فتقبلها ربها تقبُّلا حسنًا. وقد تفعل العرب ذلك كثيرًا أن يأتوا بالمصادر على أصول الأفعال، وإن اختلفت ألفاظها في الأفعال بالزيادة، وذلك كقولهم: تكلم فلان كلامًا، ولو أخرج المصدر على الفعل لقيل: تكلم فلان تكلّمًا. ومنه قوله: (وأنبتها نباتًا حسنًا) ولم يقل: إنباتًا حسنًا "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً ﴾ [المائدة:13] استشكل الإمام الطبري قول قائل يستنكر عدم موافقة المصدر (قرضًا) بناء فعل (أقرض) ثم استشهد من فصيح شعر العرب على موافقة القرآن لغة العرب في ذلك فقال: " فإن قال لنا قائل: وكيف قال: ((وأقرضتم الله قرضا حسنا)) ولم يقل: ((إقراضا حسنًا)) وقد علمت أن مصدر أقرضت: الإقراض؟، قيل: لو قيل ذلك كان صوابا، ولكن قوله: ((قرضًا حسنًا)) أخرج مصدرًا من معناه لا من لفظه. وذلك أن في قوله: أقرض معنى قرض، كما في معنى أعطى أخذ. فكان معنى الكلام: وقَرَضْتم الله قرضًا حسنًا، ونظير ذلك: ((وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا)) [سورة نوح: 17] إذ كان في أنبتكم معنى: نبتم، وكما قال امرؤ القيس:

وَرُضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أيَّ إذْلالِ

إذ كان في رُضتُ معنى أذللت، فخرج الإذلال مصدرا من معناه لا من لفظه "[3].

---

[1] المصدر السابق: مج1/ جز1/ ص64-65.
[2] المصدر نفسه: مج3/ جز3/ ص310.
[3] المصدر نفسه: مج4/ جز6/ ص199.

سادسا: إخراج صيغة مفعول مكان صيغة فاعل:

فعند قوله تعالى ﴿ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ﴾ [الإسراء:101] قال عن مجيء مسحورا بمعنى ساحرا موافقة للغة العرب: " وقد يجوز أن يكون مرادا به إني لأظنك يا موسى ساحرا، فوضع مفعول موضع فاعل، كما قيل: إنك مشئوم علينا وميمون، وإنما هو شائم ويامن، وقد تأوّل بعضهم حجابا مستورا، بمعنى: حجابا ساترا، والعرب قد تخرج فاعلا بلفظ مفعول كثيرا "[1].

سابعا: إخراج أوصاف الجموع مفردة:

إذ لغة القرآن جاءت على غير المعتاد لغة في اتباع الوصف الموصوف في الجمع والإفراد، وقد أشار الطبري إلى موافقة القرآن كلام العرب في هذه المسألة، وذلك عند قوله تعالى ﴿ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾ [طه:7] حيث نبّه أن الحسنى وصف مفرد للأسماء وهي جمع، قال موضحا: " فقال: الحسنى، فوحَّد، وهو نعت للأسماء، ولم يقل الأحاسن؛ لأن الأسماء تقع عليها هذه، فيقال: هذه أسماء، وهذه في لفظة واحدة، ومنه قول الأعشى:

وَسَوْفَ يُعْقِبُنِيه إنْ ظَفِرْت بِهِ *** رَبٌّ غَفُورٌ وَبِيضٌ ذاتُ أطْهارِ

فوحد ذات، وهو نعت للبيض؛ لأنه يقع عليها هذه، كما قال ((حَدَائِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ)) [النمل:60] ومنه قوله جلّ ثناؤه ((مَآرِبُ أُخۡرَىٰ)) [طه:18] فوحد أخرى، وهي نعت لمآرب، والمآرب: جمع، واحدتها: مأربة، ولم يقل أُخر، لما وصفنا، ولو قيل: أُخر، لكان صوابا "[2].

المطلب السادس: قاعدة: ينبغي أن تفسر تراكيب القرآن على معهود الأميّين في الخطاب.

الفرع الأول: شرح القاعدة.

لقد أنزل الله القرآن بلغة العرب، وهذا يعني أنه جارٍ في ألفاظه ومعانيه وأساليبه على لسان العرب، وكان نزوله على أفصح العرب وهو الرسول الأكرم ﷺ، والذين بُعث فيهم هم أهل ذلك اللسان،

---

[1] المصدر السابق: مج9/ جز15/ ص213.

[2] المصدر نفسه: مج9/ جز16/ ص181.

فجرى الخطاب بالقرآن على مُعتادهم في ألسنتهم، ومن هنا فلا يصح أن يفهم كتاب الله تعالى إلاّ من الطريق الذي نزل عليه، وهو اعتبار لغة العرب في ألفاظها ومعانيها وأساليبها[1].

قال أبو إسحاق الشاطبي وهو يحكي أحسن طرق فهم القرآن: " ويجب الاقتصار في الاستعانة على فهمه، على كل ما يضاف علمه إلى العرب خاصة. فبه يوصل إلى علم ما أودع من الأحكام الشرعية، فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضل عن فهمه، وتقوّل على الله ورسوله فيه "[2].

الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.

فعند قوله تعالى ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ [النحل:81] تكلم الطبري في سرّ تخصيص جعل الأكنان في الجبال دون السهل، وسرّ تخصيص وقاية السرابيل من الحرّ دون البرد، فذكر عن عطاء الخرساني، أنّ ذلك بسبب عدم معرفة العرب للسهل ولا البرد، وذكر عن فريق آخر: أن ذلك من الاجتزاء الذي اكتفيَ بما ذُكر عما حُذف منه لمعرفة السامعين بمعناه، ثم قال مقدّما رأي عطاء، ومقعدا هذه القاعدة: " وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: إن القوم خوطبوا على قدر معرفتهم، وإن كان في ذكر بعض ذلك دلالة على ما ترك ذكره لمن عرف المذكور والمتروك، وذلك أن الله تعالى ذكره إنما عدّد نعمه التي أنعمها على الذين قُصدوا بالذكر في هذه السورة دون غيرهم، فذكر أياديه عندهم "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ [طه:14] وبعد اختياره المعنى في هذا التركيب، وكونه يعني: إن الساعة آتية أكاد أُخفيها من نفسي، بيّن أن هذا التركيب جاء على معهود الأميين في الكلام، وما يتعارفونه بينهم من خطاب، قال عليه رحمة الله: " وأما وجه صحة القول في ذلك، فهو أن الله تعالى ذكره خاطب بالقرآن العرب على ما يعرفونه من كلامهم وجرى به خطابهم بينهم، فلما

---

[1] ينظر: محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي، تح: محمد باسل عيون السود، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ، 63/1-64.

[2] الموافقات: إبراهيم بن موسى المعروف بالشاطبي، تح: مشهور بن حسن آل سلمان، ط:1، دار ابن عفان، القاهرة، 1417هـ – 1997م، 103/2-131.

[3] جامع البيان: مج8/ جز14/ ص193.

كان معروفا في كلامهم أن يقول أحدهم إذا أراد المبالغة في الخبر عن إخفائه شيئا هو له مسرّ: قد كدت أن أخفي هذا الأمر عن نفسي من شدّة استسراري به، ولو قدرت أخفيه عن نفسي أخفيته. خاطبهم على حسب ما قد جرى به استعمالهم في ذلك من الكلام بينهم، وما قد عرفوه في منطقهم "[1].

المطلب السابع: قاعدة: ينبغي أن يسلك في فهم معاني تراكيب القرآن الكريم مسلك العرب في تقرير معانيها.

الفرع الأول: شرح القاعدة.

هذه القاعدة لها تعلق بالقاعدة السابقة: ((تحمل معاني تراكيب القرآن على معهود الأميين في الخطاب)) بمعنى أن تلك القاعدة تؤسس للفهم الصحيح لمعاني القرآن وضرورة الابتعاد عن التكلف، وذلك بتحميل نصوص القرآن ما لا تحتمل أو سلوك طرائق في الفهم لا عهد للعرب بها، فتلك القاعدة تنظّر للفهم الصحيح، وهذه خادمة لها تبيّن تطبيقا كيف فهمت العرب في بيئة النزول مراد الله تعالى وفق مسلكها في تقرير معاني منطقها[2].

الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.

فعند قوله تعالى ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة:15] استشكل أبو جعفر قول قائل: وهل التجارة مما تربح أو يوكس فيقال: ربحت أو وُضعت؟، ثم أجاب قائلا: إن وجه ذلك على غير ما ظنّ، وإنما معنى ذلك: فما ربحوا في تجارتهم... ولكن الله جل ثناؤه خاطب بكتابه عُربا فسلك في خطابه إياهم وبيانه لهم مسلك خطاب بعضهم بعضا وبيانهم المستعمل بينهم، فلما كان فصيحا لديهم قول القائل لآخر: خاب سعيك، ونام ليلك، وخسر بيْعك ونحو ذلك من الكلام الذي لا يخفى على سامعه ما يريد قائله، خاطبهم بالذي هو في منطقهم من الكلام فقال: (فما

---

[1] المصدر السابق: مج9/ جز16/ ص193.
[2] ينظر: قواعد التفسير: 232/1.

ربحت تجارتهم) إذ كان معقولا عندهم أن الربح إنما هو في التجارة كما النوم في الليل فاكتفى بفهم المخاطبين بمعنى ذلك عن أن يقال: فما ربحوا في تجارتهم. واستشهد الإمام الطبري لما قال من فصيح شعر العرب، كرهتُ إطالة المقام بإيراد تلك الأبيات التي تشهد لهذه القاعدة[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ﴾ [الأنعام:100] أسند قولا عن قتادة يفسّر فيه الآية بقوله: مشتبها ورقه مختلفا ثمره[2]، ثم علّق الإمام الطبري عن تأويل قتادة مشيرا إشارة ضمنية إلى هذه القاعدة فقال عليه رحمة الله: " وجائز أن يكون مرادًا به: مشتبهًا في الخلق، مختلفًا في الطعم. ومعنى الكلام: وشجر الزيتون والرمان، فاكتفى من ذكر الشجر بذكر ثمره، كما قيل: ((واسأل القرية)) [يوسف: 82] فاكتفى بذكر القرية من ذكر أهلها، لمعرفة المخاطبين بذلك بمعناه "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف:198] استشكل أبو جعفر قول قائل يقول: هل يجوز أن يكون شيء ينظر إلى شيء وهو لا يراه؟، ثم أجاب عن هذا الإشكال موضحا أن هذا التركيب جاء على منوال قول العرب، فينبغي أن يسلك في فهمه مسلك العرب في تقرير المعنى المراد إذا تكلّمت به، حيث قال: " إن العرب تقول للشيء إذا قابل شيئًا أو حاذاه: هو ينظر إلى كذا، ويقال: منزل فلان ينظر إلى منزلي: إذا قابله. وحُكي عنها: إذا أتيتَ موضع كذا وكذا، فنظر إليك الجبل، فخذ يمينًا أو شمالا. وحدثت عن أبي عبيد قال: قال الكسائي: الحائط ينظر إليك: إذا كان قريبًا منك حيث تراه، ومنه قول الشاعر:

إِذَا نَظَرْتَ بِلادَ بَنِي تَمِيمٍ *** بِعَيْنٍ أَوْ بِلادَ بَنِي صُبَاحِ

يريد: تقابل نبتُها وعُشْبها وتحاذَى... فمعنى الكلام: وترى، يا محمد، آلهة هؤلاء المشركين من عبدة الأوثان، يقابلونك ويحاذونك، وهم لا يبصرونك؛ لأنه لا أبصار لهم "[4].

---

[1] ينظر جامع البيان: مج1/ جز1/ ص182.
[2] المصدر نفسه: مج5/ جز7/ ص366.
[3] المصدر نفسه: مج5/ جز7/ ص366.
[4] المصدر نفسه: مج6/ جز9/ ص190، بتصرف.

وعند قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا ﴾ [يونس:67] تكلم عن علة إضافة الإبصار إلى النهار فقال: " وجَعَل النهار مبصرًا، فأضاف الإبصار إلى النهار، وإنما يُبْصَر فيه، وليس النهار مما يُبصِر، ولكن لما كان مفهوما في كلام العرب معناه، خاطبهم بما في لغتهم وكلامهم، وذلك كما قال جرير:

لَقَدْ لُمْتِنَا يَا أُمَّ غَيْلانَ فِي السُّرَى *** وَنِمتِ، وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمِ

فأضاف النوم إلى الليل ووصفه به، ومعناه نفسه، أنه لم يكن نائمًا فيه هو ولا بَعِيره "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَ ﴾ [يونس:94] استشكل الطبري قول قائل يقول: أوَ كان رسول الله ﷺ في شك من خبر الله أنه حق يقين حتى قيل له: ((فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك)) ثم أجاب وبيّن المحمل الذي ينبغي أن يُحمل عليه هذا التركيب فقال: " قد بيّنا في غير موضع من كتابنا هذا، استجازة العرب قول القائل منهم لمملوكه: إن كنت مملوكي فانته إلى أمري، والعبد المأمور بذلك لا يشكُّ سيدُه القائل له ذلك أنه عبده. كذلك قول الرجل منهم لابنه: إن كنت ابني فبرَّني، وهو لا يشك في ابنه أنه ابنه، وأنّ ذلك من كلامهم صحيح مستفيض فيهم، وذكرنا ذلك بشواهده، وأنّ منه قول الله: ((وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ)) [المائدة: 116] وقد علم جل ثناؤه أن عيسى لم يقل ذلك. وهذا من ذلك، لم يكن ﷺ شاكًّا في حقيقة خبر الله وصحته، والله تعالى ذكره بذلك من أمره كان عالما، ولكنه جل ثناؤه خاطبه خطاب قومه بعضهم بعضًا؛ إذْ كان القرآن بلسانهم نزل "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ فَعَمِيَتۡ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [هود: 28] أشار - في معرض توجيه قراءة أهل المدينة والبصرة (فعميت عليكم) حكاية عن البيّنة في إسناد عدم الإبصار إليها – إلى هذه القاعدة فقال: " وهذه الكلمة مما حوّلت العرب الفعل عن موضعه. وذلك أن الإنسان هو الذي يعمى عن إبصار

---

[1] المصدر السابق: مج7/ جز11/ ص174.

[2] المصدر نفسه: مج7/ جز11/ ص209.

الحق؛ إذ يعمى عن إبصاره، والحق لا يوصف بالعمى، إلا على الاستعمال الذي قد جرى به الكلام. وهو في جوازه لاستعمال العرب إياه نظيرُ قولهم: دخل الخاتم في يدي، والخف في رجلي، ومعلوم أن الرجل هي التي تُدخل في الخفّ، والإصبع في الخاتم، ولكنهم استعملوا ذلك كذلك، لما كان معلومًا المرادُ فيه "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ ﴾ [يوسف:48] أشار الإمام الطبري إلى هذه القاعدة في توجيه إسناد الأكل إلى السبع الشداد، فقال: " فوصف السنين بأنهن (يأكلهن) وإنما المعنى: أن أهل تلك الناحية يأكلون فيهن، كما قيل:

نَهَارُكَ يَا مَغْرُورُ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ *** وَلَيْلُكَ نَوْمٌ والرَّدَى لَكَ لازِمُ

فوصف النهار بالسهو والغفلة، والليل بالنوم، وإنما يسهى في هذا ويغفل فيه، وينام في هذا، لمعرفة المخاطبين بمعناه والمراد منه "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ﴾ [الكهف:76] بعدما أورد كلام أئمة البصرة والكوفة في مناقشة إسناد إرادة الانقضاض للجدار، وإنما الجدار ينقضّ بسبب من الأسباب وليست له إرادة، قال الإمام الطبري مقعّدا هذه القاعدة: " والذي نقول به في ذلك أن الله عزّ ذكره بلطفه، جعل الكلام بين خلقه رحمة منه بهم، ليبين بعضهم لبعض عما في ضمائرهم، مما لا تحسُّه أبصارهم، وقد عقلت العرب معنى القائل:

في مَهْمَةٍ قَلِقَتْ بِهِ هاماتُهَا *** قَلَقَ الفُؤوسِ إذَا أَرَدْنَ نُصُولا

وفهمت أن الفؤوس لا توصف بما يوصف به بنو آدم من ضمائر الصدور مع وصفها إياها بأنها تريد، وعلمت ما يريد القائل بقوله:

كمِثْلِ هَيْلِ النَّقا طافَ المِشاةُ بِهِ *** يَنْهالُ حِينا ويَنْهَاهُ الثَّرَى حِينا

---

[1] المصدر السابق: مج7/ جز12/ ص38.

[2] المصدر نفسه: مج7/ جز12/ ص287.

وإنما لم يرد أن الثرى نطق، ولكنه أراد به أنه تلبّد بالندى، فمنعه من الانهيال، فكان منعه إياه من ذلك كالنهي من ذوي المنطق فلا ينهال. وكذلك قوله: ((جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ)) قد علمت أن معناه: قد قارب من أن يقع أو يسقط، وإنما خاطب جل ثناؤه بالقرآن من أنزل الوحي بلسانه، وقد عقلوا ما عنى به، وإن استعجم عن فهمه ذوو البلادة والعمى، وضل فيه ذوو الجهالة والغبا "[1].

المطلب الثامن: قاعدة: كل كلمة في القرآن الكريم ترد لمعنىً غير معنى مُجاورتها التي يُظن بها الترادف[2].

الفرع الأول: شرح القاعدة.

هذه القاعدة تبيّن مظهرا من مظاهر الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية[3]؛ لأنه يحصل بمجموع المترادفين في نفس السياق معنًى لا يوجد عند انفرادهما أو حذف أحدهما، ولهذا عقد الإمام السيوطي بابا قعّد فيه هذه القاعدة في إتقانه، وسماه ((قاعدة في الألفاظ التي يظن بها الترادف وليست منه)) وعدّ ثنائيات كثيرة منها الخوف والخشية، والشح والبخل، والسنة والعام...

---

[1] المصدر السابق: مج9/ جز16/ ص7-8.

[2] قالت طائفة من أئمة اللّغة بمنع الترادف في اللّغة منهم : أبو هلال العسكري وابن فارس وثعلب وغيرهم، في حين قال بمنعه في القرآن الكريم شيخنا الطبري والرّاغب الأصفهاني وابن تيمية وغيرهم. انظر آراء العلماء في التّرادف في كتاب: الفروق اللغوية وأثرها في التفسير: محمد الشائع، ط:1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1993م، ص 88 – 177.

[3] ينظر: مقدمة في أصول التفسير: ص28.

الخ[1]، هذا وإن في العمل بمقتضى هذه القاعدة تكثيرا للمعاني مع كثرة الألفاظ وتنوعها؛ لأن كل لفظ من المترادفين يختص بمعنى لا يوجد في مرادفه، وإن اتفق معه في المعنى الأصلي، وهذا هو منشأ اختلاف أئمة التفسير واللغة في وقوع الترادف[2].

الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.

فعند قوله تعالى: ﴿ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ﴾ [البقرة:70] أورد رحمه الله معنيين في قوله (مسلّمة) أحدهما: قول جمهور المفسرين أنّ معناها: ليس فيها عيب من العيوب، والثاني قول مجاهد أنّ معناها: لا سواد فيها ولا بياض، والشِية: اللون القليل الذي يخالط لون معظم جلدها، ثم قال مُقعّدا هذه القاعدة: " والذي قاله ابن عباس وأبو العالية ومن قال بمثل قولهما في تأويل ذلك أولى بتأويل الآية مما قاله مجاهد؛ لأن سلامتها لو كانت من سائر أنواع الألوان سوى لون جلدها، لكان في قوله (مسلمة) مُكتفى عن قوله (لا شية فيها). وفي قوله (لا شية فيها) ما يوضح عن أنّ معنى قوله (مسلّمة) غير معنى قوله (لا شية فيها) "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الإنفال:24] أورد قولا عن بعض أئمة السلف يفسرون فيه قوله (إذا دعاكم لما يحييكم): بمعنى إذا دعاكم للإسلام، ثم علق على هذا القول بمدلول هذه القاعدة فقال: " وأما قول من قال: معناه الإسلام، فقول لا معنى

[1] ينظر: الإتقان في علوم القرآن: 1/578-582، وينظر: قواعد التفسير جمعا ودراسة: للسبت، 1/460، 470.

[2] يقول الشيخ عبد الحميد الفراهي: " المترادف قسمان: الأوّل: المطابق لمرادفه من جميع الوجوه، وهذا قليل جدّا، والثاني: ما يوافقه من بعض الوجوه، وهذا كثير جدّا، وفيه معظم الوهم فرُبّما يظنونهما مُتّحديْن، وكثيرا ما يكون بينهما فرق لطيف لا يفطن به غير الممارس باللّسان فيلتبس عليه بعض معاني الكلام " ينظر كتابه: المفردات: عبد الحميد الفراهي، تح: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، ط: 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دت، ص101.

[3] جامع البيان: مج1/ جز1/ ص463-464

له؛ لأن الله قد وصفهم بالإيمان بقوله: ((يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم)) فلا وجه لأن يقال للمؤمن: استجب لله وللرسول إذا دعا إلى الإسلام والإيمان "[1].

المطلب التاسع: قاعدة : استبعاد تكرار الكلمات القرآنية من غير زيادة معنى ما أمكن[2].

الفرع الأول: شرح القاعدة.

هذه القاعدة مهمة جدا لفهم المفردات والتراكيب القرآنية؛ ذلك أن بعض الآيات أو الجمل في بعض السور تكرّرت ، الأمر الذي يوهم البعض الذي لا يفقه قواعد تفسير كتاب الله أنّه تكرار لغرض التّأكيد ، وهذا غير صحيح[3]، ذلك أنّ كل آية أو جملة من تلك الآيات المكرّرة إنّما تتعلّق بما ذُكر قبلها من كلام الله ﷻ ، وبهذا لا يُعدّ ذلك من التكرار في شيء[4].

الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.

فعند قوله تبارك وتعالى ﴿ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [البقرة:86] استبعد أن يكون معنى (روح القدس) الإنجيل، وإنما هو جبريل، واحتجّ على القائلين بأنه الإنجيل بقوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ [المائدة:112] ثم قال مضعّفا هذا التفسير ومقعّدا هذه القاعدة: " فلو كان الروح الذي أيّده الله به الإنجيل لكان قوله (إذ أيدتك بروح

---

[1] المصدر السابق: مج6/ جز9/ ص267.

[2] للاستزادة من النماذج التطبيقية على هذه القاعدة، ينظر جامع البيان: مج3/ جز3/ ص218، مج4/ جز5/ ص409، مج5/ جز7/ ص49.

[3] ينظر كلام الشوكاني في تفسير سورة الكافرون وتوجيهه لتكرير " ولا أنتم عابدون ما أعبد " ، فإنّه كلام نفيس لولا خشية الإطالة لأثبتّه في الصلب . 5/ 684.

[4] قواعد التفسير : 2/ 702.

القدس...وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) تكرير قول لا معنى له... وعلى تأويل من تأوّله كذلك يصبح بمعنى: إذْ أيدتك بالإنجيل، وإذْ علمتك الإنجيل، وهو لا يكون به مُؤيّدا إلاّ وهو مُعلِّمه. فذلك تكرير كلام واحد من غير زيادة معنى في أحدهما على الآخر، وذلك خُلْفٌ من الكلام، والله تعالى ذكره يتعالى عن أن يخاطب عباده بما لا يفيدهم به فائدة "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾ [البقرة:281] ردّ الإمام الطبري زعم بعض اللغويين أن (تداينتم بدين) تأكيد كقوله (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) وهذا بعد أن استشكل قول قائل يقول: وهل تكون مداينة بغير دين فاحتيج إلى أن يقال (بديْن)؟، ثم أجاب عن الإشكال مستبعدا أن يكون ذلك تكرارا فقال: " إن العرب لما كان مقولا عندها: (تداينا) بمعنى: تجازينا، وبمعنى: تعاطينا الأخذ والإعطاء بدين، أبان الله بقوله: (بدين) المعنى الذي قصد تعريف من سمع قوله: (تداينتم) حكمه، وأعلمهم أنه حكم الدين دون حكم المجازاة. وقد زعم بعضهم أن ذلك تأكيد كقوله: (فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) [الحجر: 30/ ص: 73] ، ولا معنى لما قال من ذلك في هذا الموضع "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ [المائدة:7] استبعد أن يكون اللمس بمعنى الجماع تكرارا؛ إذ جاء ذكره قبل في قوله ((وإن كنتم جُنُبا)) وإنما لكلّ منهما معنى لم يفده الآخر، حيث قال: " وجه تكرير ذلك أن المعنى الذي ألزمه تعالى ذكره من فرضه بقوله: ((وإن كنتم جنبا فاطهروا)) غيرُ المعنى الذي ألزمه بقوله: ((أو لامستم النساء)) وذلك أنه بيَّن حكمه في قوله: ((وإن كنتم جنبا فاطهروا)) إذا كان له السبيل إلى الماء الذي يطهّره، ففرض عليه الاغتسال به، ثم بيَّن حكمه إذا أعوزه الماء فلم يجد إليه السبيلَ وهو مسافر غير مريض مقيم، فأعلمه أن التيمم بالصعيد له حينئذ الطهور "[3].

---

[1] جامع البيان: 532/1، بتصرف يسير.
[2] المصدر نفسه: مج3/ جز3/ ص150-151.
[3] المصدر نفسه: مج4/ جز6/ ص179.

المبحث الثالث: القواعد المتعلقة بالسياق القرآني.

المطلب الأول: قاعدة: الاجتزاء والاختصار اكتفاء بما ذُكر في السياق[1].

الفرع الأول: شرح القاعدة.

لما كان القرآن الكريم معجزا في نظمه وأسلوبه، وكان يحتوي المعاني الكثيرة في الكلمات والجمل القليلة، كثر فيه الاجتزاء اكتفاء بما ذُكر، وكان الطبري رحمه الله من اللغويين السباقين الذين أشاروا إلى وجود ظاهرة الحذف في القرآن الكريم، وهذا راجع " إلى الأثر الذي يخلفه هذا الأسلوب على معاني الآيات التي يرد فيها، ولما فيه أيضا من الدلالة على اتساع لغة القرآن "[2].

الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.

وذلك حين مال الطبري إلى أن تقدير قوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: 1] قولوا الحمد لله ربّ العالمين، مدلّلا لرأيه أنّ العرب من شأنها حذف ما كفى منه الظاهر من منطقها وهذا إذا أُمن اللبس والغموض عن سامعه، واستشهد بقول الشاعر:

وأعلمُ أنني سأكون رمسًا *** إذا سار النواعجُ لا يسيرُ

فقال السائلون لمن حفرتم *** فقال المخبرون لهم وزيـرُ

---

[1] توخيا للاختصار ينظر نماذج أخرى عن هذه القاعدة، جامع البيان: مج1/ جز1/ ص380، ص393، ص645، ص695، مج2/ جز2/ ص796، مج3/ جز3/ ص138، 245، جز4/ ص403، مج6/ جز10/ ص32، مج7/ جز11/ ص108، جز12/ ص56، ص255، مج8/ جز13/ ص180، جز14/ ص126، مج13/ جز25/ ص94.

[2] جهود الإمام الطبري في دراسة أسلوب الحذف: شمس الضحى مراكشي، ط:1، منشورات شعبة الآداب واللغات بجامعة سيدي محمد بن عبد الله، تازة، المغرب، 2014م، ص37، بتصرف.

ثمّ قال أبو جعفر شارحا للبيتين: يريد بذلك؛ فقال المخبرون لهم: الميّت وزير، فأسقط الميّت؛ إذ كان قد أتى من الكلام بما يدلّ على ذلك[1].

وأشار إلى هذه القاعدة في آخر سورة الفاتحة عند قوله تعالى ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: 6] وذلك قوله :" العرب تجتزئ في منطقها ببعضٍ من بعض إذا كان الظاهر دالاًّ على البعض الباطن وكافيا عنه، فقوله (صراط الذين أنعمت عليهم) من ذلك؛ لأن أمر الله جلّ ثناؤه عباده بمسألته المعونة وطلبهم منه الهداية للصراط المستقيم لما كان متقدّما (صراط الذين أنعمت عليهم) الذي هو إبانة عن الصراط المستقيم وإبدال منه، كان معلوما أن النعمة التي أنعم الله بها على من أمرنا بمسألته الهداية لطريقهم هو المنهاج القويم والصراط المستقيم... وكان ذلك مع قرب تجاور الكلمتين مغنيا عن تكراره، ومن ذلك قول نابغة بني ذبيان:

كأنك من جمال بني أُقَيشٍ *** يُقعْقَعُ خلفَ رجليْهِ بشنِّ

يريدُ: كأنك من جمال بني أقيش جملٌ يقعقع خلف رجليه بشن، فاكتفى بما ظهر من ذكر الجمال الدال على المحذوف من إظهار ما حُذف... والشواهد على ذلك من شعر العرب وكلامها أكثر من أن تحصى فكذلك ذلك في قوله تعالى (صراط الذين أنعمت عليهم)"[2].

وعند قوله تعالى ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة:9] قال أبو جعفر:" وأصل المرض: السقم، ثم يقال ذلك في الأجساد والأديان... وإنما يعني في اعتقاد قلوبهم الذي يعتقدونه في الدين والتصديق بمحمد ﷺ وبما جاء به من عند الله مرض وسقم، فاجتزأ بدلالة الخبر عن قلوبهم على معناه، عن تصريح الخبر عن اعتقادهم"[3].

---

[1] ينظر: المصدر السابق: مج1/ جز1/ ص78.
[2] ينظر: المصدر نفسه: مج1/ جز1/ ص98.
[3] المصدر نفسه: مج1/ جز1/ ص158.

وعند قوله تعالى ﴿ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة:174] أشار الطبري إلى هذه القاعدة فقال: "وإنما معنى ذلك: (فما أجرأهم على عذاب النار) ولكن اجتزئ بذكر النار من ذكر عذابها كما يقال: ما أشبه سخاءك بحاتم، بمعنى: ما أشبه سخاءك بسخاء حاتم، وما أشبه شجاعتك بعنترة "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ ﴾ [المائدة:13- 14] أشار الإمام الطبري إلى الاجتزاء والاختصار اكتفاء بما ذُكر فقال: " وفي الكلام محذوف اكتُفِي بدلالة الظاهر عليه، وذلك أن معنى الكلام: فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل فنقضوا الميثاق، فلعنتهم ((فبما نقضْهم ميثاقهم لعناهم)) فاكتفى بقوله: ((فبما نقضهم ميثاقهم)) من ذكر فنقضوا "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنعام:44] حيث أشار إلى محذوف اكتُفِيَ بما ذكر عن التصريح بذكره، فقال: " وهذا أيضًا من الكلام الذي فيه متروك استغني بدلالة الظاهر عن ذكر ما تُرك. وذلك أنه تعالى ذكره أخبرَ عن الأمم التي كذّبت رسلها أنه أخذهم بالبأساء والضراء ليتضرعوا له، ثم قال: ((فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا)) ولم يخبر عما كان منهم من الفعل عند أخذه إياهم بالبأساء والضراء. ومعنى الكلام: ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون، فلم يتضرعوا، فلولا إذا جاءهم بأسنا تضرعوا "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ﴾ [يونس:71] بيّن أن الشركاء لا يتم إجماعهم وإنما تتم دعوتهم للنصرة، ولكن عطف به على (أمرهم) اكتفاء بدلالة ما ذكر عما حُذف، حيث قال الطبري موضحا ذلك: " ونُصب قوله: (وشركاءكم) بفعل مضمر له، وذلك: وادعوا شركاءكم، وعطف بالشركاء على قوله: (أمركم) ، على نحو قول الشاعر:

وَرَأَيْتِ زَوْجَكِ فِي الْوَغَى *** مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحَا

---

[1] المصدر السابق: مج2/ جز2/ ص122.

[2] المصدر نفسه: مج4/ جز6/ ص201.

[3] المصدر نفسه: مج5/ جز7/ ص242، بتصرف يسير.

فالرمح لا يُتَقلَّد، ولكن لما كان فيما أظهر من الكلام دليلٌ على ما حذف، اكتفي بذكر ما ذكر منه مما حذف، فكذلك ذلك في قوله: (وشركاءكم) "[1].

وعند قوله تعالى ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ﴾ [الكهف:15] أشار إلى احتوى هذا التركيب على هذه القاعدة فقال: " وفي الكلام محذوف اجتزئ بما ظهر عما حذف، وذلك في قوله: ((لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ)) فالهاء والميم في عليهم من ذكر الآلهة، والآلهة لا يؤتى عليها بسلطان، ولا يسأل السلطان عليها، وإنما يسأل عابدوها السلطان على عبادتهموها، فمعلوم إذ كان الأمر كذلك، أن معنى الكلام: لولا يأتون على عبادتهموها، واتخاذهموها آلهة من دون الله بسلطان بيّن "[2].

المطلب الثاني: قاعدة: ينبغي إرجاع الضمير إلى أقرب مذكور في السياق ما وجد إلى ذلك من سبيل[3].

الفرع الأول: شرح القاعدة.

الضمير المتصل بالحرف أو الفعل أو الاسم يعود على متعلق، والذي عليه المحققون من أئمة التفسير واللغة أن يعود على أقرب مذكور في السياق، إلا أن يكون هذا المذكور مضافا إليه فيعود على المضاف الذي قبله؛ لأنه الذي ابتُدئ به الكلام نحو ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [النحل:18] فإن الهاء تعود على النعمة وليس على لفظ الجلالة[4]، أو جاءت قرينة تصرفه إلى البعيد في السياق القبلي[5].

---

[1] المصدر السابق: مج7/ جز11/ ص176.

[2] المصدر نفسه: مج9/ جز15/ ص256.

[3] يتفرع عن هذه القاعدة قاعدة أخرى وهي: إذا احتمل عود الضمير إلى أكثر من مذكور وأمكن الحمل على الجميع حُمل عليه، وهذه المسألة – أعني تعدد المتعلقات في الضمير الواحد – تبيّن إعجاز نظم القرآن الكريم ولغته، ينظر أمثلة على ذلك من جامع البيان: مج7/ جز11/ ص10، جز12/ ص86. وينظر: قواعد التفسير: للسبت، 400/1.

[4] قواعد التفسير: 402/1، 412.

[5] ينظر: مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين: حسين بن علي الحربي، ط:2، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1433هـ، ص232.

الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.

وذلك عند تفسير قوله تعالى ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾ [البقرة:101] حيث ردّ الإمام الطبري أن يكون (فيتعلّمون) خبر عن اليهود (المذكورين قبل آيات) معطوف عن (ولكن الشياطين كفروا يعلّمون الناس السّحر) واختار أن يكون التركيب خبر مبتدأ عن المتعلّمين من الملكين، فقال رادّا هذا الاحتمال: " والذي قلنا أشبه بتأويل الآية؛ لأن إلحاق ذلك بالذي يليه من الكلام ما كان للتأويل وجه صحيح أولى من إلحاقه بما قد حيل بينه وبينه من معترض الكلام "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ ﴾ [المائدة:15] ذكر قولين عن السلف في عود الهاء والميم في (بينهم)، فقال قتادة ومجاهد: يعني اليهود والنصارى، وقال الربيع بن أنس: يعني النصارى، ثم نظر الإمام الطبري في السياق واختار عود الضمير إلى أقرب مذكور فقال: " وأولى التأولين بالآية عندي ما قاله الربيع بن أنس، وهو أنّ المعنيّ بالإغراء بينهم، النصارى، في هذه الآية خاصة وأنّ الهاء والميم عائدتان على النصارى دون اليهود؛ لأن ذكر الإغراء في خبر الله عن النصارى، بعد تقضّي خبره عن اليهود، وبعد ابتدائه خبَرَه عن النصارى، فلأَنْ يكون ذلك معنيًّا به النصارى خاصَّة، أولى من أن يكون معنيًّا به الحزبان جميعًا، لما ذكرنا... وليس الذي قاله من قال: معنيٌّ بذلك: إغراء الله بين اليهود والنصارى ببعيد، غير أن هذا أقرب عندي، وأشبهُ بتأويل الآية، لما ذكرنا "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴾ [الأنعام:85] حيث احتكم للسياق في إرجاع الهاء التي في (ذريته) إلى نوح وليس لإبراهيم السابق ذكره من قبل، وهذا إعمالا لهذه القاعدة، وذُكر بعد هذه الآية لوطا، ولوط ليس من ذرية إبراهيم بل هو من ذرية نوح، فصدّق نسب الأنبياء هذه القاعدة، قال الطبري في ذلك: " والهاء التي في قوله: ((ومن ذريته)) من ذكر نوح. وذلك أن الله تعالى ذكره ذكر في سياق الآيات التي تتلو هذه الآية لوطًا فقال: ((وإسماعيل واليسع ويونس ولوطًا وكلا فضلنا على العالمين)) ومعلوم أن لوطًا لم يكن من ذرية

---

[1] المصدر السابق: مج1/ جز1/ ص107.

[2] المصدر نفسه: مج4/ جز6/ ص208، بتصرف.

إبراهيم صلى الله عليهم أجمعين. فإذا كان ذلك كذلك، وكان معطوفًا على أسماء من سمَّينا من ذريته، كان لا شك أنه لو أريد بالذرية ذرية إبراهيم، لما دخل يونس ولوط فيهم. ولا شك أن لوطًا ليس من ذرّية إبراهيم، ولكنه من ذرية نوح، فلذلك وجب أن تكون الهاء في الذرية من ذكر نوح "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾ [يونس:83] ذكر اختلاف المفسرين في الهاء المتصلة بالقوم، ولأجل ذلك اختُلف في الذريّة مِن قوم مَنْ هي؟، فقال بعضهم: لم يؤمن بموسى إلا قليل من قومه، وقال بعضهم: لم يؤمن به إلا ذرية من أرسل إليه موسى لطول الزمان وموت الآباء، وقال آخرون: لم يؤمن به إلا ذرية من قوم فرعون، ثم أعمل الطبري هذه القاعدة مرجحا عود الهاء على موسى كونه أقرب مذكور فقال: " وأولى هذه الأقوال عندي بتأويل الآية: القولُ الذي ذكرته عن مجاهد، وهو أن الذرية في هذا الموضع أريد بها ذُرّية من أرسل إليه موسى من بني إسرائيل، فهلكوا قبل أن يقرُّوا بنبوته لطول الزمان، فأدركت ذريّتهم، فآمن منهم من ذكر الله، بموسى. وإنما قلت: هذا القولُ أولى بالصواب في ذلك؛ لأنه لم يجر في هذه الآية ذكرٌ لغير موسى، فَلأن تكون الهاء في قوله: (من قومه) من ذكر موسى لقربها من ذكره، أولى من أن تكون من ذكر فرعون، لبعد ذكره منها؛ إذ لم يكن بخلاف ذلك دليلٌ من خبرٍ ولا نظرٍ. وبعدُ: فإن في قوله: ((على خوف من فرعون وملئهم)) الدليلُ الواضح على أن الهاء في قوله: (إلا ذرية من قومه) من ذكر موسى، لا من ذكر فرعون؛ لأنها لو كانت من ذكر فرعون لكان الكلام، (على خوف منه) ولم يكن (على خوف من فرعون) "[2].

المطلب الثالث: قاعدة: ينبغي الاحتكام إلى السياق لفهم معاني المفردات الغريبة حال التركيب.

---

[1] المصدر السابق: مج5/ جز7/ ص325.

[2] المصدر نفسه: مج7/ جز11/ ص185-186.

الفرع الأول: شرح القاعدة.

هذه القاعدة لأجلها ألف الإمام الجرجاني كتابه دلائل الإعجاز، وذلك حين تكلم عن أثر السياق في تحديد المعنى، فبيّن أن الكلمة بمفردها لا مزية فيها وأن السياق هو الذي يحدد دلالتها، ويضفي عليها الروعة والجمال[1]، فالقرآن يفسّر بعضه بعضا، وذلك أن مراعاة سياق الآية في موقعها من السورة وسياق الجملة في موقعها من الآية، والكلمة في موقعها من الجملة، ومراعاة اتساق الكلام ونظمه من أوله إلى آخره، أمر ضروري في فهم مفردات القرآن والاهتداء إلى صحة معاني تراكيبه[2].

يقول الدكتور مساعد بن سليمان الطيار: " قد يحتمل اللفظ أكثر من معنى ، فيُحمل اللّفظ على المعنى المناسب للسّياق الذي جاء فيه ، فيُسمى هذا: استعمال سياقي للكلمة "[3].

الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.

وهذا مسلك الإمام الطبري في التعامل مع الغريب، وأشار إلى هذه المسألة مرات عديد في تفسيره[4]، فعند قوله تعالى ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا ﴾ [المائدة:109] ذكر أن معنى الشهادة في هذا الموضع القسم محتكما في ذلك إلى السياق، وهذه الآية جاءت لبيان حكم الوصية لمن يموت في غير بلاد الإسلام ولا يجد مُسلميْن يوصيهما، فله أن يوصي اثنان من غير المسلمين، فإن شك أهله فيهما أُقيم رجلان بدلهما، يقسمان أن الوصية ليست كما بلّغها الأوّلان، وهذا لاستحالة حمل الشهادة المذكورة في الآية على معناها المعروف عند التخاصم؛ لأن الشاهديْن الأخيريْن لم يحضرا وفاة الموصي ببلاد غير الإسلام، قال الطبري موضحا ومُحلّلا هذه المسألة: " فالشهادة في هذا الموضع، معناها القَسم، من قول القائل: أشهد بالله إني لمن الصادقين، وكذلك معنى قوله: ((شهادة بينكم))

---

[1] ينظر: التفسير اللغوي لغريب القرآن: حمدي شيخ، ص245.

[2] الخطاب القرآني بين إشكالية الفهم ودلالة النص: أيوب جرجيس العطية، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1433هـ – 2012م، ص16.

[3] مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير: مساعد الطيّار، ص180.

[4] كثيرا ما يقول مثلا: ومعنى الفسق في هذا الموضع الكذب، ويهتم كثيرا بمعنى الغريب في موضعه وسياقه الوارد فيه، ينظر على سبيل المثال جامع البيان: مج5/ جز7/ ص249.

إنما هو: قسَم بينكم ((إذا حضر أحدكم الموتُ حين الوصية)) أن يقسم اثنان ذوا عدل منكم، إن كانا اؤتمنا على مال فارتيب بهما، أو اؤتمِنَ آخران من غير المؤمنين فاتُّهما. وذلك أن الله تعالى ذكره، لما ذكر نقل اليمين من اللذين ظُهر على خيانتهما إلى الآخرين، قال: ((فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما)) ومعلومٌ أنّ أولياء الميت المدعين قِبل اللذين ظُهر على خيانتهما، غير جائز أن يكونا شهداء، بمعنى الشهادة التي يؤخذ بها في الحكم حق مدعًى عليه لمدّع؛ لأنه لا يعلم لله تعالى ذكره حكم قضى فيه لأحد بدعواه ويمينه على مدعًى عليه بغير بينة ولا إقرار من المدعَى عليه ولا برهان. فإذ كان معلومًا أن قوله: ((لشهادتنا أحق من شهادتهما)) إنما معناه: قسمُنا أحق من قَسَمهما، وكان قسم اللذين عُثر على أنهما أثِمَا، هو الشهادة التي ذكر الله تعالى ذكره في قوله: ((أحق من شهادتهما)) صحَّ أن معنى قوله: ((شهادة بينكم)) بمعنى: الشهادة في قوله: ((لشهادتنا أحق من شهادتهما)) وأنها بمعنى القسم "[1].

المطلب الرابع: الإظهار في محل الإضمار لا يكون إلاّ لنكتة مرادة في السياق.

الفرع الأول: شرح القاعدة.

الأصل في الأسماء أنْ تكون ظاهرة ، وأصل المخبر عنه كذلك ، كما أنّ الأصل فيه إذا ذُكر ثانيا أنّ يُذكر مضمرا للاستغناء عنه بالظاهر السابق ، فإذا خولف هذا الأصل فلا بدّ وأنْ يكون لنُكتة أرادها المتكلّم ، ويعرف ذلك عن طريق السّياق والقرائن الدّالة عليه ، وكلّما كان السّامع أكثر معرفة بكلام العرب كلّما كان أقدر وقوفا على تلك المعاني الخفيّة[2].

وقد أشار الطبري إلى هذه القاعدة في مواضع عديدة من تفسيره، ولم يُشر إلى عكسها وهو الإضمار في محل الإظهار؛ لأنّه قليل في القرآن مقارنة بالإظهار في محل الإضمار.

---

[1] المرجع السابق: مج5/ جز7/ ص153-154.

[2] قواعد التفسير: 1/339.

الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.

عند تفسير قوله تعالى ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:97] بيّن غرض إظهار اسم الجلالة في آخر الآية (فإن الله عدوّ للكافرين) وهذا في سياق محاجّة خصوم الإسلام من يهودِ بني إسرائيل فقال عليه رحمة الله: "...وأما إظهار اسم الله في قوله (فإن الله عدو للكافرين) وتكريره فيه، وقد ابتدأ أوّل الخبر بذكره فقال (من كان عدوا لله) فلئلا يلتبس على سامعه من المعنيّ بالهاء التي في (فإنه) أالله، أم رسل الله جلّ ثناؤه، أم جبريل، أم ميكائيل؟؛ إذ لو جاء ذلك بكنايةٍ على ما وصفتُ، فإنه يلتبس معنى ذلك على من لم يوقف على المعنى بذلك "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة:75] ففي ذلك إظهار في محل الإضمار بعد ذكر صنفين من كفرة النصارى، صنفٌ قال: إن الله هو المسيح، وصنفٌ قال: إن الله ثالث ثلاثة، بيّن الطبري علة الإظهار مع أنه كان يقدّر أن يُكتفى بـ ((ليمسنّهم عذاب أليم)) فقال عليه رحمة الله: " معناه: ليمسنّ الذين يقولون هذه المقالة، والذين يقولون المقالة الأخرى: هو المسيح ابن مريم؛ لأن الفريقين كلاهما كفرة مشركون، فلذلك رجع في الوعيد بالعذاب إلى العموم، ولم يقل: ليمسنَّهم عذابٌ أليم؛ لأن ذلك لو قيل كذلك، صار الوعيد من الله تعالى ذكره خاصًّا لقائل القول الثاني، وهم القائلون: الله ثالث ثلاثة، ولم يدخل فيهم القائلون: المسيح هو الله. فعمّ بالوعيد تعالى ذكره كلَّ كافر، ليعلم المخاطبون بهذه الآيات أنّ وعيد الله قد شمل كلا الفريقين من بني إسرائيل، ومن كان من الكفار على مثل الذي هم عليه "[2].

المطلب الخامس: قاعدة: ينبغي أن لا تُفهم التراكيب القرآنية بمعزل عن سياقها.

---

[1] المصدر السابق: 577/1، بتصرف يسير.

[2] المصدر نفسه: مج4/ جز6/ ص403، بتصرف يسير.

الفرع الأول: شرح القاعدة.

يلعب السياق دورا بارزا في تحديد دلالة الكلمات والتراكيب؛ لأن المعنى مرتبط بالنظم الذي جاء فيه، ومن ثم تتعدد دلالاته وتختلف معانيه بحسب تغيّر السياق، لذلك يقول الإمام الشافعي: " لا يجوز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره؛ لأن السياق مخصّص وهو الذي يوجه المعنى "[1].

ويقول ابن القيم مبيّنا أهمية السياق في تحديد دلالة التراكيب: " السياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته، فانظر إلى قوله تعالى ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾ [الدخان:46] كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير "[2].

والإمام الطبري فارس من فرسان السياق، ولقد كان للسياق أثر واضح في تفسيره[3]، وكان استخدامه له متنوع جدا، فتجده ينبّه القارئ على تمام اتصال الكلام بما قبله، وأن الحديث لا يزال يتكلم عن قضية بعينها، فتراه بعد مجموعة من الآيات يعيد بعض الألفاظ والتراكيب إلى بعض مهما باعدت بينها العبارات؛ لأن الكلام منتظم في نسق واحد فلا يمكن توجيه معنى التراكيب بمعزل عن سياقها[4].

الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.

أشار الإمام الطبري إلى هذه القاعدة المهمة عند قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ ﴾ [الأنعام:45] حين استشكل قول قائل: وكيف فتح الله لهم أبواب كل شيء، وقد

---

[1] نقلا عن: التفسير اللغوي لغريب القرآن بالشعر العربي عند ابن عباس: حمدي الشيخ، ط:1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1428هـ – 2007م، ص244. وقد بحثت في الرسالة للشافعي لتوثيق هذا الكلام فلم أجده، ولعله نقل بالمعنى فالله أعلم.

[2] بدائع الفوائد: ابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت، دط، دت، 4/9-10.

[3] ينظر الفصل الموالي في مبحث الاختيار بحسب السياق، ص245 وما بعدها، ففيه أمثلة كثيرة توضح ذلك.

[4] ينظر: شرح مقدمة تفسير الطبري: ص39، بتصرف.

علمت أن أبواب الرحمة والتوفيق والتوبة لم تُفتح لهم، قال موجها لهذا الإشكال ومقعدا لهذه القاعدة: " إن معنى ذلك على غير الوجه الذي ظننتَ من معناه، وإنما معنى ذلك: فتحنا عليهم، استدراجًا منا لهم، أبوابَ كل ما كنا سددنا عليهم بابه، عند أخذنا إياهم بالبأساء والضراء ليتضرعوا؛ إذ لم يتضرعوا وتركوا أمر الله تعالى ذكره؛ لأنّ آخر هذا الكلام مردودٌ على أوله. وذلك كما قال تعالى ذكره في موضع آخر من كتابه: ((وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ)) [الأعراف: 94-95] ، ففتح الله على القوم الذين ذكر في هذه الآية أنهم نسوا ما ذكرهم، بقوله: ((فلما نسوا ما ذكّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء)) هو تبديله لهم مكانَ السيئة التي كانوا فيها في حال امتحانه إياهم، من ضيق العيش إلى الرخاء والسعة، ومن الضر في الأجسام إلى الصحة والعافية، وهو ((فتح أبواب كل شيء)) كان أغلق بابه عليهم، مما جرى ذكره قبل قوله: ((فتحنا عليهم أبواب كل شيء)) فردّ قوله: ((فتحنا عليهم أبواب كل شيء)) عليه "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ ﴾ [الأعراف:16] ذكر اختلاف السلف في معنى هذا التركيب، ثم لخص معناه بالنظر لما قبله فقال: " معناه: ثم لآتينهم من جميع وجوه الحقّ والباطل، فأصدّهم عن الحق، وأحسِّن لهم الباطل. وذلك أن ذلك عَقِيب قوله: ((لأقعدن لهم صراطك المستقيم)) فأخبر أنه يقعد لبني آدم على الطريق الذي أمرَهم الله أن يسلكوه... فيأتيهم في ذلك من كل وجوهه، من الوجه الذي أمرهم الله به، فيصدّهم عنه، وذلك من بين أيديهم وعن أيمانهم، ومن الوجه الذي نهاهم الله عنه، فيزيّنه لهم ويدعوهم إليه، وذلك من خلفهم وعن شمائلهم "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ [يوسف:52] حمل الإمام الطبري هذا القول على أنه من قول يوسف مستندا في ذلك إلى السياق، وقرينة إرادة امرأة العزيز الخيانة لزوجها، فتبيّن

---

[1] المصدر السابق: مج5/ جز7/ ص244.

[2] المصدر نفسه: مج5/ جز8/ ص176، بتصرف.

بذلك خطأ من قال: أنه متصل بكلامها (أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) قال الطبري موضحا معنى هذا التركيب وشارحا علة اتصاله بكلام امرأة العزيز: " يعني بقول ((ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب)): هذا الفعل الذي فعلتُه، من ردّي رسول الملك إليه، وتركي إجابته والخروج إليه، ومسألتي إيّاه أن يسأل النسوة اللاتي قطّعن أيديهن عن شأنهن إذ قطعن أيديهن، إنما فعلته ليعلم أني لم أخنه في زوجته... واتصل قوله: ((ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب)) بقول امرأة العزيز: ((أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين)) لمعرفة السامعين لمعناه، كاتصال قول الله ((وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ)) بقول المرأة ((وجعلوا أعزة أهلها أذلة)) [النمل: 34] وذلك أن قوله ((وكذلك يفعلون)) خبر مبتدأ، وكذلك قول فرعون لأصحابه في سورة الأعراف: ((فَمَاذَا تَأْمُرُونَ)) وهو متصل بقول الملأ ((يُرِيدُ أن يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ)) [الأعراف: 110]"[1].

وعند قوله تعالى ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾ [الدخان:46] حيث فسّر العزيز الكريم بالذليل المهين؛ لأن ذلك في سياق التقريع والتوبيخ، حيث قال مجيبا على إشكال هذا التركيب: " فإن قال قائل: وكيف قيل وهو يهان بالعذاب الذي ذكره الله، ويذلّ بالعتل إلى سواء الجحيم: إنك أنت العزيز الكريم؟ قيل: إن قوله (إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) غير وصف من قائل ذلك له بالعزّة والكرم، ولكنه تقريع منه له بما كان يصف به نفسه في الدنيا، وتوبيخ له بذلك على وجه الحكاية؛ لأنه كان في الدنيا يقول: إنك أنت العزيز الكريم، فقيل له في الآخرة، إذ عذّب بما عُذّب به في النار: ذُق هذا الهوان اليوم، فإنك كنت تزعم إنك أنت العزيز الكريم، وإنك أنت الذليل المهين، فأين الذي كنت تقول وتدّعي من العزّ والكرم، هلا تمتنع من العذاب بعزّتك "[2].

وبعد إيراد القواعد التي قعّدها الإمام الطبري في معاني الغريب والخاصة بالمفردات والتراكيب والسياقات، نعرجّ إلى بيان اختياراته في معاني الغريب، فإلى الفصل الموالي من فصول هذه الدراسة.

---

[1] المصدر السابق: مج7/ جز12/ ص296-297، بتصرف.

[2] المصدر نفسه: مج13/ جز25/ ص163-164.

الفصل الرابع: الأسس التي بنى عليها الإمام الطبري اختياراته في معاني الغريب.

- الاختيارات المستندة إلى أصول التفسير.
- الاختيارات المستندة إلى قواعد التفسير اللغوي.
- الاختيارات المستندة إلى السياق والنظم.
- الاختيارات المستندة إلى قرائن أخرى.

هذا الفصل جوهر البحث وأساسه، والفصول التي قبله ممهدة له، والفصل الذي يليه نتيجة له، وبعد استقراء أغلب اختيارات الطبري في الغريب، رأيتُ تقسيمها إلى أربعة أقسام، قسم: للاختيارات المنبنية على أصول التفسير، وآخر: للاختيارات المستندة على قواعد التفسير اللغوي، والثالث: للاختيارات المستندة على السياق، والرابع: للاختيارات المستندة على قرائن أخرى متنوعة، والمباحث الموالية فيها مزيد تفصيل وتمثيل، فإلى المبحث الأول.

المبحث الأول: الاختيارات المستندة على أصول التفسير.

- **المقصود بأصول التفسير التي بنى عليها الطبري اختياراته في الغريب.**

إن مَثل أصول التفسير بالنسبة للتفسير، كمثل علم النحو بالنسبة للنطق العربي والكتابة العربية، فهو ميزان يضبط القلم واللسان ويمنعهما من الخطأ في آخر الكلام، فكذلك علم أصول التفسير هو ميزان للمفسر يضبطه ويمنعه من الخطأ في التفسير، ويعرف به التفسير الصحيح من التفسير الفاسد[1].

وترى الأستاذة فريدة زمرد أن أصول التفسير تغيّر مفهومها ومدلولها ومُسمّاها من القرن الثاني الهجري إلى القرن الرابع عشر هجري، وهذا أمر يعود بالأساس إلى تطور العلوم، وتغير مدلولات المصطلحات، وتباين العصور والأعراف والفُهوم[2]، وتعرفها فتقول: " هي القواعد والفوائد والنكات النافعة لفهم كتاب الله عز وجل، أو: هي الأصول التي تعين على فهم القرآن "[3].

ويعرفها آخر فيقول: " أصول التفسير: هي المناهج التي تحدّ وتبيّن الطريق الذي يلتزمه المفسّر في تفسير الآيات القرآنية "[4].

ومما يدخل دخولا أوليا في خانة أصول التفسير، ما يسميه بعض المتأخرين ((أحسن طرق التفسير)) والتي تشمل: تفسير القرآن بالقرآن – تفسير القرآن بالسنة – تفسير القرآن بأقوال السلف، وهنا

---

[1] أصول التفسير وقواعده: خالد عبد الرحمن العك، ط:2، دار النفائس، بيروت، 1406هـ – 1986م، ص30-31.

[2] على أن أصول التفسير يدخل فيها تفسير القرآن باللغة؛ لأن التفسير اللغوي في القرون الثلاثة الأولى كان ممزوجا بأقوال السلف، ويدرك هذا من يعرف منهج الصحابة والتابعين في التفسير، ثم توالت القرون وابتعد الناس عن زمن الفصاحة وتباينت مناهج المفسرين بعدُ، من مؤثر للتفسير الأثري، ومن ناظر في محض اللغة، ومن جامع بين الأمرين، إلى أن جاء القرن العشرين وفرق المشتغلون بالمناهج بين التفسير الأثري والتفسير اللغوي، ولعل الداعي إلى هذا التفريق حاجة الناس إلى ضبط قواعد التفسير اللغوي حتى ينضبط فهم النص القرآني وفق لغة العرب، وإلا فالتفسير اللغوي كان لصيق التفسير الأثري في مهد علم التفسير الأول، فتأمل هذا جيدا ينفتح لك باب نافع من العلم. ينظر التفسير اللغوي: مساعد الطيار، ص148-149.

[3] علم أصول التفسير مصطلحا ومفهوما الواقع والمتوقع: فريدة زمرد، ضمن بحوث المؤتمر العالمي الثالث للباحثين في القرآن وعلومه – بناء علم أصول التفسير الواقع والآفاق – الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، قصر المؤتمرات، فاس، أفريل 2015م، ص26-27.

[4] بحوث في أصول التفسير وقواعده: علي البودخاني، ط:1، مطبعة آنفو، فاس، 2006م، ص18.

سنورد اختيارات الطبري في معاني الغريب والتي استند فيها إلى هذه الأصول، وأولها الاختيارات المعتمدة على تفسير القرآن بالقرآن.

المطلب الأول: اختيار معنى كلمة أو تركيب بالنظر لمعنى نظائرهما في القرآن الكريم (تفسير القرآن بالقرآن)[1].

الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.

لا شك أن القرآن يفسر بعضه بعضا، بل إن أحسن طرق التفسير تفسير القرآن بالقرآن، ولا أحد أعلم بمراد القرآن من الله تعالى المتكلم به[2]، فإذا تنازع العلماء في معنى آية أو تركيب، وكان أحد هذه المعاني تؤيده آية أخرى أو آيات أو قراءة (لأن القراءة بمنزلة الآية) فهو أولى بحمل الآية عليه[3].

الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.

فعند قوله تعالى ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة:14] وبعد أن ذكر الطبري ثلاثة معاني لـ (يمدّهم) الأول: يملي لهم، والثاني: يزيدهم، والثالث: يمدّ لهم، ثم قال: "وأولى هذه الأقوال بالصواب في قوله (يمدّهم) أن يكون بمعنى يزيدهم على وجه الإملاء والترك لهم في عتوّهم وتمرّدهم، كما وصف ربنا أنه فعل بنظرائهم في قوله ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام:111] يعني: نذرهم ونتركهم فيه ونملي لهم ليزدادوا إثما إلى إثمهم "[4].

وعند قوله تعالى ﴿ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ [آل عمران:27] ذكر عدة معاني لهذا التركيب، الأول: يخرج الشيء الحيّ من النطفة الميّتة ويخرج النطفة الميّتة من الشيء الحيّ،

---

[1] توخيا للاختصار، نحيل على مواضع أخرى من هذا النوع من الاختيار، ينظر جامع البيان: مج1/ جز1/ ص532، مج2/ جز2/ ص677، مج4/ جز5/ ص171، مج10/ جز17/ ص251.
[2] منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح: ص89.
[3] مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين: ص121-122.
[4] جامع البيان: مج1/ جز1/ ص176.

والثاني: يخرج النخلة من النواة والعكس، والسنبلة من الحب والعكس، والبيض من الدجاج والعكس، والثالث: يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن، ثم اختار المعنى الأول كونه يوافق مدلول الآية التي في سورة البقرة فقال: " وأولى التأويلات التي ذكرناها في هذه الآية بالصواب، تأويلُ من قال: يخرج الإنسان الحيّ والأنعام والبهائم الأحياءَ من النُّطف الميتة وذلك إخراجُ الحيّ من الميت، ويخرج النطفة الميتة من الإنسان الحي والأنعام والبهائم الأحياء وذلك إخراج الميت من الحيّ؛ وذلك أن كل حيّ فارقه شيء من جسده، فذلك الذي فارقه منه ميت. فالنطفة ميتة لمفارقتها جسد من خرجت منه، ثم ينشئ الله منها إنسانًا حيًا وبهائمَ وأنعامًا أحياءً. وكذلك حكم كل شيء حيّ زايله شيء منه، فالذي زَايله منه ميت. وذلك هو نظير قوله: ((كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)) [سورة البقرة: 28] "[1].

وعند قوله تعالى﴿ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ﴾ [النساء:24] ذكر عدة معاني لتركيب ((ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة)) ثم اختار ما وافق مدلول الآية التي في أول السورة فقال: " اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك. فقال بعضهم: معنى ذلك: لا حرَج عليكم أيها الأزواج إن أدركتكم عُسرة بعد أن فرضتم لنسائكم أجورَهن فريضة، فيما تراضيتم به من حطٍّ وبراءة، بعد الفرض الذي سَلَف منكم لهن ما كنتم فرضتم... وقال آخرون: معنى ذلك: ولا جناح عليكم، أيها الناس، فيما تراضيتم أنتم والنساء اللواتي استمتعتم بهن إلى أجل مسمى، إذا انقضى الأجل الذي أجّلتموه بينكم وبينهن في الفراق، أن يزدنكم في الأجل، وتزيدوا من الأجر والفريضة، قبل أن يستبرئن أرحامهن... وقال آخرون: معنى ذلك: ولا جناح عليكم، أيها الناس، فيما تراضيتم به أنتم ونساؤكم بعد أن تؤتوهن أجورهن على استمتاعكم بهنّ من مُقام وفراق... وقال آخرون: بل معنى ذلك ولا جناح عليكم فيما وضَعتْ عنكم نساؤكم من صَدُقاتهن من بعد الفريضة... قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب، قولُ من قال: معنى ذلك: ولا حرج عليكم، أيها الناس، فيما تراضيتم به أنتم ونساؤكم من بعد إعطائهن أجورهن على النكاح

[1] المصدر السابق: مج3/ جز3/ ص292.

الذي جرى بينكم وبينهن، من حطِّ ما وجب لهنَّ عليكم، أو إبراء، أو تأخير ووضع. وذلك نظير قوله جل ثناؤه: ((وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا)) [سورة النساء: 4] "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء:118] ذكر عن السلف ثلاثة معاني لهذا التركيب، الأول: ولآمرهن فليغيّرن خلق الله من البهائم بالإخصاء، والثاني: ولآمرهن فليغيّرن دين الله، الثالث: ولآمرهن فليغيّرن خلق الله بالوشم، ثم اختار المعنى الثاني لموافقته مدلول التركيب الذي في سورة الروم فقال: " وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك، قولُ من قال: معناه: ((ولآمرهم فليغيرن خلق الله)) قال: دين الله. وذلك لدلالة الآية الأخرى على أن ذلك معناه، وهي قوله: ((فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ)) [سورة الروم: 30] "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة:34] ذكر عدة معاني لهذا التركيب، ثم استند إلى نظائر هذه الآية في سورتي البقرة وآل عمران، واختار المعنى المناسب فقال: " ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله جل ثناؤه: ((من قتل نفسًا بغير نفسٍ أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعًا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا)) فقال بعضهم: معنى ذلك: ومن قتل نبيًّا أو إمام عدل، فكأنما قتل الناس جميعًا، ومن شدَّ على عضُد نبيّ أو إمام عدل، فكأنما أحيا الناس جميعًا... وقال آخرون: معنى ذلك: إن قاتل النفس المحرم قتلُها، يصلى النار كما يصلاها لو قتل الناس جميعًا ومن أحياها من سلم من قتلها فقد سلم من قتل الناس جميعًا... قال آخرون: معنى ذلك: ومن قتل نفسًا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعًا؛ لأنه يجب عليه من القِصاص به والقوَد بقتله، مثلُ الذي يجب عليه من القَوَد والقصاص لو قتل الناس جميعًا... وقال آخرون: معنى قوله: ((ومن أحياها فكأنما أحيى الناس جميعًا)): ومن أنجاها من غَرَق أو حَرَقٍ... قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال عندي

---

[1] المصدر السابق: مج4/ جز5/ ص21-22، بتصرف.

[2] المصدر نفسه: مج4/ جز5/ ص367.

بالصواب، قولُ من قال: تأويل ذلك: أنه من قتل نفسًا مؤمنة بغير نفس قَتَلتها فاستحقت القَوَد بها والقتل قِصاصًا... فكأنما قتل الناس جميعًا فيما استوجب من عظيم العقوبة من الله جل ثناؤه، كما أوعده ذلك من فعله ربُّه بقوله: ((وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا)) [سورة النساء: 93] . وأما قوله: ((ومن أحياها فكأنما أحيي الناس جميعًا)) فأولى التأويلات به قول من قال: من حرّم قتل من حرّم الله عز ذكره قتله على نفسه، فلم يتقدّم على قتله، فقد حييَ الناس منه بسلامتهم منه، وذلك إحياؤه إياها. وذلك نظير خبر الله عز ذكره عمن حاجّ إبراهيم في ربّه إذ قال له إبراهيم: ((رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ)) [سورة البقرة: 258] . فكان معنى الكافر في قيله: أنا أحيي: أنا أترك من قَدَرت على قتله، وفي قوله: وأميت: قتله من قتله. فكذلك معنى الإحياء في قوله: ((ومن أحياها)): من سلِمَ الناس من قتله إياهم، إلا فيما أذن الله في قتله منهم "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [هود:81]ذكر اختلاف المفسرين في سجيل، فقال بعضهم: هي فارسية عرّبت، وقال آخرون: هي الطين، وقال بعضهم: هي حجارة الصلب الشديد، ثم اختار الطبري المعنى الثاني لتصريح الآية الأخرى بماهية السّجيل فقال: " والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله المفسرون، وهو أنها حجارة من طين، وبذلك وصفها الله في كتابه في موضع، وذلك قوله: ((لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ)) [الذاريات: 33، 34] "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٍ ﴾ [الحجر:26] ذكر معنيين للصلصال، الأول: الطين اليابس الذي لم تصبه نار، والثاني: المِنْتن، ثم اختار المعنى الأول مستندا للآية التي في سورة الرحمن والتي تبيّن معنى الصلصال فقال: " والذي هو أولى بتأويل الآية أن يكون الصلصال في هذا الموضع الذي له صوت من الصلصلة، وذلك أن الله تعالى وصفه في موضع آخر فقال ((خَلَقَ الإِنْسَانَ

---

[1] المصدر السابق: مج4/ جز6/ ص260-266، بتصرف.

[2] المصدر نفسه: مج7/ جز12/ ص118.

مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ)) [الرحمن:14] فشبهه تعالى ذكره بأنه كان كالفخَّار في يُبسه. ولو كان معناه في ذلك المنِتِن لم يشبهه بالفخارِّ، لأن الفخار ليس بمنتن فيشبَّه به في النتن غيره "[1].

وعند قوله تعالى ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ [الكهف:18] أورد ثلاثة معاني للوصيد، الأول: بمعنى الباب، الثاني: بمعنى الفناء، والثالث: الوصيد: الصعيد، ثم استند إلى نظير هذه الكلمة في سورة الهمزة، واختار المعنى فقال: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: الوصيد: الباب، أو فناء الباب حيث يغلق الباب؛ وذلك أن الباب يُوصَد، وإيصاده: إطباقه وإغلاقه من قول الله عز وجل: ((إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ)) [الهمزة:8] وفيه لغتان: الأصيد، وهي لغة أهل نجد، والوصيد: وهي لغة أهل تهامة... فمن قال الوصيد، قال: أوصدت الباب فأنا أُوصِده، وهو مُوصَد، ومن قال الأصيد، قال: آصدت الباب فهو مُؤْصَد[2] "[3].

المطلب الثاني: اختيار المعنى الموافق لمدلول الحديث النبوي الصحيح سواء أكان نصا في التفسير أو شاهدا على المعنى المختار[4].

الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.

هذا المسوغ مقسم إلى حالتين: الأولى: إذا ثبت الحديث النبوي وكان نصا صريحا في بيان المعنى فالمصير إليه مُتعيّن وتقديمه واجب، والثانية: إذا تعددت الآراء في معنى الآية، فالمعنى الذي يؤيده الخبر

---

[1] المصدر السابق: مج8/ جز14/ ص37.

[2] أشار الإمام الطبري إلى همزها وترك همزها عند القراء في تفسيره للآية في سورة الهمزة، ينظر جامع البيان: مج15/ جز30/ ص375.

[3] المصدر نفسه: مج9/ جز15/ ص264، بتصرف.

[4] ينظر نماذج أخرى من هذا النوع من الاختيار، جامع البيان: مج1/ جز1/ ص705، ص713، مج2/ جز2/ ص232، ص239، ص485، مج3/ جز4/ ص124، مج4/ جز5/ ص61، مج4/ جز5/ ص122، ص199، جز6/ ص369، مج5/ جز7/ ص301، ص323، ص377، جز8/ ص132، جز8/ ص159، ص225، مج7/ جز12/ ص166، ص245، مج8/ جز14/ ص74، مج9/ جز15/ ص104، ص334، جز16/ ص53، ص106، ص147، مج11/ جز21/ ص124.

عن الرسول ﷺ مقدم على غيره، والفرق بين الحالتين: أن الحديث في الحالة الأولى وارد مورد التفسير والبيان لألفاظ الآية، وأما في الحالة الثانية فالحديث ورد لأيّ سبب آخر في أي باب من أبواب العلم، ولما كان معناه يوافق معنى أحد الأقوال قدّم ذلك المعنى على غيره[1].

الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.

أولا: ورود التفسير النبوي نصا في التفسير.

وعند تفسير قوله تعالى ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة:208] ذكر احتمالين لتعلق (في ظلل من الغمام) هل هو من صلة فعل الله جل ثناؤه، أو من صلة فعل الملائكة، ثم اختار الاحتمال الأول لموافقته التفسير النبوي الثابت فقال: " وأولى التأويلين بالصواب في ذلك تأويل من وجّه قوله: (في ظلل من الغمام) إلى إنه من صلة فعل الرب عز وجل، وأن معناه: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام، وتأتيهم الملائكة لما حدثنا به محمد بن حُميد... عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: ((إن من الغمام طاقات يأتي الله فيها محفوفا وذلك قوله (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر))[2] "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ﴾ [آل عمران:180] ذكر الطبري معنيين للآية، الأول: أنها في الوعيد عن منع الزكاة، والثاني: أنها في اليهود الذين بخلوا أن يبيّنوا للناس ما أنزل الله في التوراة من شأن محمد ﷺ، ثم اختار المعنى الأول بنظر لمدلول الحديث الصحيح فقال: " وأولى التأويلين بتأويل هذه الآية، التأويل الأوَل، وهو أنه معني بالبخل في هذا الموضع: منع الزكاة؛ لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه تأوّل قوله: ((سَيُطَوَّقُونَ مَا

---

[1] مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين: ص74، ص81.

[2] عزاه في الدر المنثور إلى ابن جرير والديلمي عن ابن عباس، ينظر: الدر المنثور: 580/1.

[3] جامع البيان: مج 2/ جز2/ ص438.

بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) قال: ((البخيل الذي منع حق الله منه، أنه يصير ثعبانًا في عنقه))[1]... ولا أحد أعلم بما عنى الله تبارك وتعالى بتنزيله منه عليه الصلاة والسلام "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ ﴾ [النساء:43] ذكر الإمام الطبري في معنى الملامسة قولين: أحدهما: أنه بمعنى الجماع، والثاني: أنه بمعنى لمس اليد بالمصافحة ونحوها، ثم اختار المعنى الأول لدلالة الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ فقال: " وأولى القولين في ذلك بالصواب، قولُ من قال: عنى الله بقوله: ((أو لامستم النساء)) الجماع دون غيره من معاني اللمس؛ لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ، أنه قبّل بعض نسائه ثم صلى ولم يتوضأ. حدثني بذلك إسماعيل بن موسى السدي... عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يتوضأ ثم يقبل، ثم يصلِّي ولا يتوضأ... ففي صحة الخبر فيما ذكرنا عن رسول الله ﷺ الدلالةُ الواضحة على أنّ اللمس في هذا الموضع: لمس الجماع، لا جميع معاني اللمس "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام:126] أورد ثلاثة معاني للرجس في هذا الموضع، الأول: كل ما لا خير فيه، والثاني: بمعنى العذاب، والثالث: الرجس هو الشيطان، ثم اختار المعنى الثالث مستندا لما صح عن النبي ﷺ فقال: " والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله ابن عباس، ومَنْ قال إن الرجس والنجس واحد، للخبر الذي رُوي عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول إذا دخل الخَلاء: ﴿ اللهُمّ إنّي أعوذ بك من الرجْس النِّجْس الخبيث المخْبِثِ الشيطان

---

[1] انفرد به الإمام الطبري بهذا اللفظ.

[2] جامع البيان: مج3/ جز4/ ص238-242، بتصرف.

[3] المصدر نفسه: مج4/ جز5/ ص142-143، بتصرف.

الرَّجيم ﴾[1] وقد بيَّن هذا الخبر أن الرِّجْس هو النِّجْس القذر الذي لا خير فيه، وأنه من صفة الشيطان "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍۢ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ [الأعراف:6] اختار المعنى الموافق لمدلول الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ فقال: " يقول تعالى ذكره: فلنُخبرنَّ الرسل ومَنْ أرسلتهم إليه بيقين علمٍ بما عملوا في الدنيا فيما كنت أمرتهم به، وما كنت نهيتهم عنه ((وما كنا غائبين)) عنهم وعن أفعالهم التي كانوا يفعلونها... وقد روي عن ابن عباس أنه كان يقول في معنى قوله: ((فلنقصن عليهم بعلم)) أنه ينطق لهم كتاب عملهم عليهم بأعمالهم. هذا قولٌ غيرُ بعيد من الحق، غير أن الصحيح من الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه تَرْجُمان، فيقول له: أتذكر يوم فعلت كذا وفعلت كذا؟ حتى يذكره ما فعل في الدنيا))[3] والتسليم لخبر رسول الله ﷺ أولى من التسليم لغيره "[4].

وعند قوله تعالى ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾ [التوبة:109] ذكر اختلاف السلف في هذا المسجد المؤسس على التقوى أهو مسجد رسول الله ﷺ أو مسجد قباء، ثم

---

[1] أخرجه ابن ماجه من حديث أبي أمامة، باب: ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء برقم (299) والطبراني في الكبير برقم (7849) وابن أبي شيبة، باب: ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ. ينظر: سنن ابن ماجه: 109/1، وينظر: المعجم الكبير: 210/8، وينظر: المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر بن أبي شيبة، تح: كمل يوسف الحوت، ط: 1، مكتبة الرشد، الرياض، 1409هـ، 11/1.

[2] جامع البيان: مج5/ جز8/ ص43، بتصرف.

[3] أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: قوله تعالى ((وجوه يومئذ ناضرة)) برقم(7443)، ومسلم في باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمر، كلاهما من حديث عدي بن حاتم، بدون ذكر عبارة: أتذكر يوم فعلت كذا... ينظر: صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل، تح: محمد زهير بن ناصر، ط: 1، دار طوق النجاة، 1422هـ، 132/9. وينظر: صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت، 703/2.

[4] المصدر السابق: مج5/ جز8/ ص157، بتصرف.

اختار أن يكون مسجد رسول الله ﷺ لصحة الخبر عن الرسول بذلك فقال: " وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو مسجد الرسول ﷺ، لصحة الخبَر بذلك عن رسول الله... حدثني يونس... عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: ((المسجد الذي أسس على التقوى، مسجدي هذا، وفي كلٍّ خيرٌ))[1] "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [إبراهيم:26] ذكر معنيين للشجرة الطيّبة التي ضربت مثلا لإيمان المؤمن، الأول: النخلة، والثاني: أنها شجرة في الجنة، ثم اختار المعنى الأول كونه يوافق الحديث الصحيح فقال: " وأولى القولين بالصواب في ذلك قولُ من قال: هي النخلة، لصحَّة الخبر عن رسول الله ﷺ... فعن ابن عمر قال، قال رسول الله ﷺ يومًا لأصحابه: إن شجرةً من الشجر لا تَطرحُ ورقَها مثل المؤمن؟ قال: فوقع الناس في شجر البَدْو، ووقع في قلبي أنها النخلة، فاستحييت، حتى قال رسول الله ﷺ: هي النخلة[3] "[4].

وعند قوله تعالى ﴿ عَسَىٰٓ أَنْ يَّبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً ﴾ [الإسراء:79] ذكر قولين في معنى المقام المحمود: الأول: قول أكثر أهل العلم، وهو الشفاعة العظمى للخلائق يوم القيامة، والثاني: قول مجاهد، وهو إجلاس الله إياه على العرش[5]، ثم اختار المعنى الأول بهذا الاعتبار فقال: " وأولى القولين في ذلك بالصواب ما صحّ به الخبر عن رسول الله ﷺ، وذلك ما حدثنا به أبو كريب... عن أبي هريرة،

---

[1] أخرجه الشيخان في صحيحيهما، ومالك في الموطأ موقوفا على عمر، وغير واحد من أصحاب السنن. ينظر: الموطأ: مالك بن أنس، تح: محمد مصطفى الأعظمي، ط:1، مؤسسة زايد، أبو ظبي، 1425هـ – 2004م، 256/1.

[2] المصدر السابق: مج7/ جز11/ ص38، بتصرف.

[3] انفرد به ابن جرير بهذا الفظ، ولم أجد من جرّجه بهذا اللفظ.

[4] المصدر السابق: مج8/ جز13/ ص258.

[5] هذا قول غريب، ناقشه الطبري في صفحتين من تفسيره، وبين أنه ممكن عقلا وإن لم يرد ما يدلّ على صحته شرعا، ولعل هذا مما خصّ الله به سيّد الخلق، فكما أقسم بحياته في سورة الحجر وأكرمه بالمعراج في الحياة الدنيا، لا يستبعد أن يجلسه على عرشه يوم القيامة، وهذا لا يتنافى مع عقيدة الإستواء والله أعلم. ينظر جامع البيان: مج9/ جز15/ ص182-183.

قال: قال رسول الله ﷺ: ((عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا)) سئل عنها، قال: هِي الشَّفاعَةُ[1] "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج:27] أورد ثلاثة أقوال في معنى العتيق، الأول: أن الله أعتقه من الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه، الثاني: قيل له العتيق؛ لأنه لم يملكه أحد من الناس، والثالث: إنما سميّ العتيق لقدمه، ثم اختار المعنى الموافق للحديث الصحيح الوارد نصا في بيان المعنى فقال: " ولكل هذه الأقوال التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه في قوله: (البَيْتِ العَتِيق) وجه صحيح، غير أن الذي قاله ابن زيد أغلب معانيه عليه في الظاهر. غير أن الذي رُوي عن ابن الزبير أولى بالصحة، إن كان ما: حدثني به محمد بن سهل البخاري... عبد الله بن الزبير، قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنَّمَا سُمِّيَ البَيْتُ العَتِيقُ لأنَّ اللهُ أعْتَقَهُ مِنَ الجَبابِرَةِ فَلَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِ قَطٌّ صَحِيحا))[3] "[4].

ثانيا: ورود التفسير النبوي كشاهد على المعنى.

فعند قوله تعالى﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة:6] ذكر الطبري قولين في معنى الختم؛ أسانيد عن مجاهد مفادها أن الختم هو الطبع، وأن الرَّان هو بداية الختم، والختم مرحلة بين الرَّان والإقفال، والمعنى الثاني: هو اخبارٌ من الله جل ثناؤه عن تكبرهم وإعراضهم عن الاستماع لما دُعوا إليه من الحق، ثم قال أبو جعفر: " والحق في ذلك عندي ما صح بنظيره الخبر عن رسول الله ﷺ، وذلك ما رواه أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صقلت من قلبه، وإن زاد زادت حتى تغلق قلبه، فذلك الرّان الذي قال الله في القرآن﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:14] "[5].

---

[1] أخرجه ابن أبي حاتم من حديث أبي هريرة برقم (13368) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: 2343/7.

[2] المصدر السابق: مج9/ جز15/ ص180، بتصرف.

[3] أخرجه عبد الرزاق في تفسيره مرسلا عن ابن الزبير برقم (1925) ينظر: تفسير عبد الرزاق: عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تح: محمود محمد عبده، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ، 405/2.

[4] جامع البيان: مج10/ جز17/ ص193، بتصرف.

[5] المصدر نفسه: مج1/ جز1/ ص147.

وعند قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ [البقرة:101] ذكر رحمه الله عدة أقوال في معنى (الخلاق) تدور بين: النصيب والدين والحجة، ثم اختار المعنى الأول بالنظر لمدلول الحديث النبوي فقال: " وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معنى الخلاق في هذا الموضع النصيب؛ وذلك أن ذلك معناه في كلام العرب. ومنه قول النبي ﷺ: (ليُؤيِّدنَّ الله هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم) يعني لا نصيب لهم ولا حظ في الإسلام والدين...فكذلك قوله (ما له في الآخرة من خلاق) ما له في الدار الآخرة حظ من الجنة "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [البقرة:154] ذكر عن أئمة السلف عدة معاني للكرسيّ: الأول بمعنى العلم، والثاني: موضع القدمين، والثالث: هو العرش نفسه، ثم اختار حمل الكلمة على ظاهرها مستشهدا بحديث لرسول الله ﷺ فقال: " ولكل قول من هذه الأقوال وجه ومذهب، غير أن الذي هو أولى بتأويل الآية ما جاء به الأثر عن رسول الله ﷺ...قوله وهو يصف ربّه: إن كرسيه وسع السموات والأرض، وأنه ليقعد عليه فما يفضل منه مقدار أربع أصابع- ثم قال بأصابعه فجمعها - وإن له أطيطا كأطيط الرَّحْل الجديد، إذا رُكِبَ، من ثقله[2] "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:110] ذكر اختلاف المفسرين في هذه الأمة من تكون؟، فقال: بعضهم هم أصحاب النبي ﷺ الذين هاجروا معه وناصروه، وقال آخرون: هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر خاصة، وقال فريق آخر: هم المستجيبون للإسلام، وقال آخرون: هم أكرم الخلق وأفضلهم عند الله وهي خاتمة الأمم أمة الإسلام، ثم اختار المعنى الأخير

---

[1] المصدر السابق: 1/611-612.

[2] قال السيوطي في الدر المنثور: أخرجه عبد بن حميد... والبزار وَأَبُو يعلى وَابْن جرير وَأَبُو الشَّيْخ وَالطَّبَرَانِيّ وَابْن مرْدَوَيْه والضياء الْمَقْدِسِي فِي المختارة عَن عمر أَن امْرَأَة أَتَت النَّبِي ﷺ فَقَالَت: ادْع الله أَن يدخلني الْجنَّة فعظم الرب تبَارك وَتَعَالَى وَقَالَ: وذكر الحديث بتمامه. ينظر: الدر المنثور: 2/17.

[3] المصدر السابق: مج3/ جز3/ ص17، بتصرف يسير.

بالنظر لمدلول الحديث المسند إلى النبي ﷺ فقال: " وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قال الحسن، وذلك أنه ﷺ قال: ((أنتم تتمُّون سبعين أمة، أنتم خيرُها وأكرمها على الله))[1] "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً ﴾ [النساء:12] ذكر عدة معاني للكلالة، أحدها: الكلالة الموروث نفسُه، والثاني: الكلالة الورثة ما عدا الوالد والولد، والثالث: الكلالة الميّت والحيّ جميعا، ثم اختار المعنى الثاني لموافقته ما دل عليه الحديث المسند إلى النبي ﷺ فقال: " والصواب من القول في ذلك عندي ما دل عليه الحديث والأثر، وهو أن الكلالة الذين يرثون الميت، من عَدا ولده ووالده، وذلك لصحة الخبر الذي ذكرناه[3] عن جابر بن عبد الله أنه قال: قلت يا رسول الله: إنما يرثني كلالة، فكيف بالميراث؟... وعن العلاء بن زياد قال: جاء شيخٌ إلى عمر رضي الله عنه فقال: إنِّي شيخ، وليس لي وارث إلا كلالةٌ أعراب مُتراخٍ نسبُهم، أفأوصي بثلث مالي؟، قال: لا. فقد أنبأت هذه الأخبار عن صحة ما قلنا في معنى "الكلالة"، وأنها ورثة الميت دون الميت، ممن عدا والده وولده "[4].

المطلب الثالث: اختيار المعنى الموافق لتفسير السلف من الصحابة والتابعين المحمود علمهم بالتفسير.

الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.

بوّب الإمام الطبري في مقدمة تفسيره باب ذكر فيه من كان علمه محمودا بالتفسير من قدماء المفسرين من السلف، وذكر منهم ابن عباس ومجاهد الضحاك وسعيد بن جبير ومن في منزلتهم[5]، في

---

[1] أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره برقم (3967) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: 731/3.

[2] المصدر السابق: مج3/ جز4/ ص59، بتصرف يسير

[3] أخرجه الإمام الطبري قبل هذا الموضع برقم 8732 من طريق شعبة عن محمد بن المنكدر به، وبرقم 8733 من طريق ابن جريج بلفظ متقارب، ينظر جامع البيان: مج3/ جز4/ ص347.

[4] جامع البيان: مج3/ جز4/ ص360، بتصرف يسير.

[5] ينظر: المصدر نفسه: مج1/ جز1/ ص49.

إشارة صريحة إلى أنه يعتمد تفسير هؤلاء الأخيار، بل ويقدمه على غيره إن خولف تفسير هؤلاء؛ إذ لا يعترض بالمفضول على الفاضل ولا بالشاذ على الحجة[1].

الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.

وعند قوله تعالى ﴿ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة:22] قال الطبري: والشهيد يسمى به الشاهد على الشيء لغيره بما يحقق دعواه، وقد يسمى به المشاهد للشيء، كما يقال، فلان جليس فلان يعني به مُجالسه... فإذا كانت الشهداء محتملة أن تكون جمع شهيد الذي هو منصرف للمعنيين اللذين وصفتُ، فأولى وجهيه بتأويل الآية ما قاله ابن عباس[2]، وهو أن يكون معناه: واستنصروا على أن تأتوا بسورة من مثله أعوانكم وشهداءكم الذين هم يشاهدونكم "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [البقرة: 25] قال الطبري: "فما هو أعظم منها عندي لما ذكرنا قبلُ من قول قتادة وابن جريج[4] أن البعوضة أضعف خلق الله، فإذا كانت كذلك فلا شك أن ما فوق أضعف الأشياء لا يكون إلا أقوى منه... وقيل في تأويل قوله (فما فوقها) في الصغر والقلة... وهذا قول خلاف تأويل أهل العلم الذين تُرتضى معرفتهم بتأويل القرآن "[5].

وعند قوله تعالى ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ ﴾ [المائدة:3] ذكر معنيين ليجرمنّكم، ثم اختار ما وافق تفسير السلف مع صحة المعنيين لغةً فقال: " وأما أهل المعرفة باللغة فإنهم اختلفوا في تأويلها. فقال بعض البصريين: معنى قوله: ولا يجرمنكم: لا يُحِقَّنَّ لكم؛ لأن قوله: ((لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ)) [سورة النحل:62] هو: حقٌّ أن لهم النار. وقال بعض الكوفيين: معناه: لا يحملنَّكم. وقال: يقال: جرمني

---

[1] ينظر: شرح مقدمة تفسير الطبري: ص323.

[2] يشير إلى قوله رضي الله: شهداءكم: يعني أعوانكم على ما أنتم عليه كما رواه المصنف رحمه الله بسنده ينظر جامع البيان: مج1/ جز1/ ص218.

[3] المصدر نفسه: مج1/ جز1/ ص219.

[4] عن قتادة وابن جريج أنهما قالا: البعوضة أضعف ما خلق الله، ينظر جامع البيان: مج1/ جز1/ ص234.

[5] المصدر نفسه: مج1/ جز1/ ص236.

فلان على أن صنعت كذا وكذا، أي: حملني عليه... قال أبو جعفر: وهذه الأقوال التي حكيناها عمن حكيناها عنه، متقاربة المعنى. وذلك أن من حمل رجلا على بغض رجل، فقد أكسبه بغضه. ومن أكسبه بغضه، فقد أحقَّه له. فإذا كان ذلك كذلك، فالذي هو أحسن في الإبانة عن معنى الحرف، ما قاله ابن عباس وقتادة، وذلك توجيههما معنى قوله: ((ولا يجرمنكم شنآن قوم)): ولا يحملنكم شنآن قومٍ على العدوان "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف:36] أورد معنيين للإحسان في هذا الموضع، الأول: ما قاله الضحاك وقتادة: من أن يوسف كان يعود المريض ويعزي الحزين ويساعد المحتاج، والثاني: ما قاله ابن اسحاق: من أن معناه: نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين إن فعلت، ثم اختار القول الأول؛ كون التفسير الشاذ لا يُعترض به على التفسير المشهور عند الحجة، فقال: " وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب: القول الذي ذكرناه عن الضحاك وقتادة "[2].

المطلب الرابع: اختيار المعنى المجمع عليه بين الحجة من أهل التأويل[3].

الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.

يعد الإجماع أحد المستندات البارزة التي بنى عليها الإمام الطبري اختياراته وترجيحاته[4]، حتى قال الشيخ حسين الحربي في معرض ذكره لترجيحات الطبري بمقتضى الإجماع: " ولا أكون مدعيا إن

---

[1] المصدر السابق: مج4/ جز6/ ص83، بتصرف.

[2] المصدر نفسه: مج7/ جز12/ ص270.

[3] توخيا للاختصار نحيل على نماذج أخرى أشار فيها الطبري لهذا النوع من الاختيار، ينظر جامع البيان: مج1/ جز1/ ص164، مج2/ جز2/ ص391، مج3/ جز4/ ص317، مج4/ جز5/ ص24، ص37، ص44، ص151، ص153، جز6/ ص251، مج7/ جز11/ ص23، مج9/ جز15/ ص140، ص143.

[4] ينظر: شرح مقدمة تفسير الطبري: ص34.

جزمت بأن عامة الإجماعات التي حكاها في تفسيره قد وظفها في الترجيح والاختيار توظيفا كاملا "[1].

الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.

وعند قوله تعالى ﴿ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة:120] ذكر معنيين لقوله (يتلونه حق تلاوته) أحدهما: يتبعونه حق اتباعه، والآخر: يقرؤونه حق قراءته، ثم قال مختارا المعنى الأول ومبيّنا مسوّغ الاختيار: " والصواب من القول في تأويل ذلك أنه بمعنى: يتبعونه حقّ اتباعه، من قول القائل: ما زلت أتلو أثره، إذا اتبع أثره، لإجماع الحجة من أهل التأويل على أنّ ذلك تأويله "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ [البقرة:241] ذكر معنيين لألوف، الأول: تعني جماع ألف في العدد، والثاني: بمعنى مؤتلفون، ثم اختار الأول للإجماع المنعقد بين السلف على أن ذلك معناه فقال: " وأولى القولين في تأويل قوله: (وهم ألوف) بالصواب، قول من قال: عنى بالألوف كثرة العدد، دون قول من قال: عنى به الائتلاف، بمعنى ائتلاف قلوبهم، ...لإجماع الحجة على أن ذلك تأويل الآية، ولا يعارض بالقول الشاذ ما استفاض به القول من الصحابة والتابعين "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾ [النساء:23] ذكر اختلاف المفسرين في معنى الدخول في هذا الموضع، فقال بعضهم: هو الجماع، وقال آخرون هو الخلوة وعدم مباشرتها، ثم اختار المعنى الأول لموافقته إجماع أهل التأويل فقال: " وأولى القولين عندي بالصواب في تأويل ذلك، ما قاله ابن عباس، من أنّ معنى الدخول: الجماع والنكاح؛ لأن ذلك لا يخلو معناه من أحد أمرين: إما أن يكون على الظاهر المتعارَف من معاني الدخول في الناس، وهو الوصول إليها بالخلوة بها أو يكون بمعنى الجماع. وفي إجماع الجميع على أن خلوة الرجل بامرأته لا

---

[1] ينظر: منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح: ص107.

[2] المصدر السابق: مج1/ جز1/ ص683.

[3] المصدر نفسه: مج2/ جز2/ ص781.

يحرِّم عليه ابنتها إذا طلّقها قبل مَسِيسها ومُباشرتها، أو قبل النَّظر إلى فرجها بالشهوة، ما يدلُّ على أن معنى ذلك هو الوصول إليها بالجماع "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗ ﴾ [النساء:24] ذكر معنيين للاستمتاع المذكور في الآية، الأول: فما نكحتم منهن فجامعتموهن فآتوهن صدقاتهن فريضة معلومة، والثاني: فما تمتّعتم به منهن بأجر تمتّع اللذة فآتوهن نصيبهن على هذه المتعة من غير نكاح شرعي بشهود ومهر ووليّ وهذا القول مروي عن أُبيّ وابن عباس رضي الله عنهما، ثم اختار الطبري المعنى الأول لإجماع الحجة على تحريم نكاح المتعة فقال: " وأولى التأويلين في ذلك بالصواب، تأويل من تأوّله: فما نكحتموه منهن فجامعتموه، فآتوهن أجورهن لقيام الحجة بتحريم الله متعة النساء على غير وجه النكاح الصحيح أو الملك الصحيح على لسان رسوله ﷺ "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ﴾ [المائدة:23] ذكر اختلاف المفسرين في هذه الأرض التي أمر موسى عليه السلام بني إسرائيل بدخولها، فقال بعضهم: هي أرض الطور وما حوله، وقال آخرون: هي أرض الشام، وقال آخرون: هي أريحاء، ثم اختار الإمام الطبري الرأي المجمع عليه بين الحجة فقال: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: هي الأرض المقدّسة، كما قال نبي الله موسى عليه السلام؛ لأن القول في ذلك بأنها أرض دون أرض، لا تُدرك حقيقةُ صحته إلا بالخبر، ولا خبر بذلك يجوز قطع الشهادة به. غير أنها لن تخرج من أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات وعريش مصر، لإجماع جميع أهل التأويل والسِّير والعلماء بالأخبار على ذلك "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ ﴾ [الأعراف: 190] ذكر معنيين للشرك، الأول: بمعنى الشرك في الاسم، حيث سمّى آدم وحواء ولدهما عبد الحارث، والثاني: الشرك في العبادة، والآية معنيّ بها عبدة الأوثان من مشركي العرب، ثم اختار الأول للإجماع المنعقد عليه فقال: "

---

[1] المصدر نفسه: مج3/ جز4/ ص406-407.

[2] المصدر السابق: مج4/ جز5/ ص21.

[3] المصدر نفسه: مج4/ جز6/ ص224.

وأولى القولين بالصواب، قول من قال: عنى بقوله: ((فلما آتاهما صالحًا جعلا له شركاء)) في الاسم لا في العبادة، وأن المعنيَّ بذلك آدم وحواء؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ ﴾ [هود:119] ذكر معنيين لاسم الإشارة (هذه)، فقال غالب أهل التأويل: وجاءك في هذه السورة، وانفرد قتادة بقوله: وجاءك في هذه الدنيا، ثم اختار الطبري المعنى المجمع عليه فقال: " وأولى التأويلين بالصواب في تأويل ذلك، قول من قال: وجاءك في هذه السورة الحق؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن ذلك تأويله "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ [الحجر:19] ذكر معنيين لعود الهاء والألف التي في (فيها) الأول: وأنبتنا في الأرض، والثاني: وأنبتنا في الجبال، ثم اختار الأول لانعقاد الإجماع عليه فقال: " وأولى القولين عندنا بالصواب القول الأوّل لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴾ [طه:86] ذكر الطبري اختلاف المتأولين في من قائل: فنسيَ، ومَنِ الذي نسيَ، فقال ابن عباس في رواية عنه: أن هذا خبر من الله عن السامري أنه نسي الإسلام الصحيح الذي عهد به موسى عليه السلام لقومه، والثاني: قول جمهور المفسرين ومنهم ابن عباس في رواية ثانية أنه حكاية عن السامري يخبر عن موسى أنه نسي وأخطأ موضع ربه، ثم اختار المعنى الثاني لعلة الإجماع فقال: " والذي هو أولى بتأويل ذلك القول الذي ذكرناه عن هؤلاء، وهو أن ذلك خبر من الله عزّ ذكره عن السامريّ أنه وصف موسى بأنه نسي ربه، وأنه ربه الذي ذهب يريده هو العجل الذي أخرجه السامري؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه، وأنه عقيب ذكر موسى، وهو أن يكون خبرا من السامري عنه بذلك أشبه من غيره "[4].

المطلب الخامس: اختيار المعنى الأشهر أو الأغلب عند جمهور السلف.

---

[1] المصدر نفسه: مج6/ جز9/ ص185.
[2] المصدر السابق: مج7/ جز12/ ص183.
[3] المصدر نفسه: مج8/ جز14/ ص24.
[4] المصدر نفسه: مج9/ جز16/ ص252.

الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.

تفسير جمهور السلف يلي التفسير المجمع عليه في مرتبة الحجية عند الطبري، فهو يقدم التفسير الأغلبي للسلف على تفسير من شذ عن جمهورهم، فإذا انفرد مفسر بمعنى خالف فيه عامة المفسرين، ولم يكن لقوله هذا دلالة واضحة قوية، فإن قوله شاذّ، وقول الجماعة أولى بالصواب منه[1].

الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.

أشار إلى هذا النوع من الاختيار عند تفسيره لتركيب ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:194] حين ذكر عدة معاني لهذا التركيب: الأول: قول حذيفة وابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك، ومعناه على قولهم: ولا تتركوا النفقة في سبيل الله فتهلكوا بعقاب الله، والثاني قول ابن زيد، ومعناه على قوله: ولا تخرجوا في سبيل الله بغير نفقة ولا قوة فتهلكوا، والثالث قول البراء بن عازب ومن وافقه، والمعنى على قوله: ولا تتركوا الجهاد في سبيل الله فتهلكوا، ثم قال الطبري مختارا ما يوافق هذا الأصل: " فالصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله نهى عن الإلقاء بأيدينا لما فيه هلاكنا، والاستسلام للهلكة - وهي العذاب - ... غير أن الأمر وإن كان كذلك، فإن الغالب من تأويل الآية: وأنفقوا أيها المؤمنون في سبيل الله ولا تتركوا النفقة فيها فتهلكوا "[2]. فاختار رحمه الله المعنى المتعارف عليه بين الأئمة المشهورين بالتفسير من السلف.

وعند قوله تعالى ﴿لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [المائدة:33] ذكر رحمه الله أن السوءة في هذا الموضع جيفة المقتول من ابنيْ آدم عليه السلام، وذلك هو المعنى الأشهر عند المتقدمين من أئمة السلف، مع احتمال أن تكون بمعنى العورة في نحو قوله تعالى ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ﴾ [الأعراف:25] حيث قال: " ليريه كيف يواري جيفةَ أخيه. وقد يحتمل أن يكون عُنِيَ بالسّوءة: الفرْج، غير أن الأغلب من معناه ما ذكرت من الجيفة، وبذلك جاء تأويل أهل التأويل "[3].

---

[1] ينظر: مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين، ص113.

[2] جامع البيان: مج2/ جز2/ ص271.

[3] المصدر نفسه: مج4/ جز6/ ص258.

وعند قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾ [الأنعام:75] ذكر ثلاثة معاني لآزر، الأول: هو اسم لوالد إبراهيم، والثاني: هو اسم لصنم، والثالث: هو وصف بمعنى مُعوجّ، ثم اختار المعنى الأول كونه المحفوظ والمنقول عن أئمة السلف، بعد أن استبعد أن يكون اسم صنم فقال: " فأولى القولين بالصواب منهما عندي قولُ من قال: هو اسم أبيه؛ لأن الله تعالى ذكره أخبر أنه أبوه، وهو القول المحفوظ من قول أهل العلم، دون القول الآخر الذي زعم قائلُه أنه نعت "[1].

المطلب السادس: اختيار تفسير الصحابة وفهمهم على تفسير غيرهم.

الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.

فهم الصحابة للقرآن حجة يحتكم إليه لا عليه، لأنهم أعلم من غيرهم لما شهدوه من التنزيل وما عرفوه من الأسباب والقرائن والأحوال، إضافة إلى أنهم أهل لسان وفصاحة، فتفسيرهم مقدم على تفسير غيرهم[2]، والإمام الطبري طبق هذا الأصل في اختياراته.

الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.

وذلك عند قوله تعالى ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران:17] ذكر الإمام الطبري ثلاثة معاني للاستغفار بالأسحار، المعنى الأول: المصلون بالأسحار وهو قول قتادة، والمعنى الثاني: هم المستغفرون بالسَحَر وهو قول وعمل كثير من الصحابة منهم ابن مسعود وابن عمر وأنس، والمعنى الثالث: هم الذين يشهدون الصبح في جماعة، وهذا قول زيد بن أسلم، ثم اختار الطبري المعنى الثاني كونه عمل وفهم كثير من الصحابة الذين شهدوا التنزيل وعرفوا القرائن والأحوال فقال: " وأولى هذه الأقوال بتأويل قوله: (والمستغفرين بالأسحار) قول من قال: هم السائلون ربهم أن يستر عليهم فضيحتهم بها. بالأسحار وهي جمع (سَحَر) وأظهر معاني ذلك أن تكون مسألتهم إياه بالدعاء. وقد يحتمل أن يكون معناه: تعرّضهم لمغفرته بالعمل والصلاة، غيرَ أنّ أظهر معانيه ما ذكرنا من الدعاء "[3].

[1] المصدر السابق: مج5/ جز7/ ص304، بتصرف.

[2] ينظر: قواعد التفسير: للسبت، 1/ ص186، ص206.

[3] المصدر السابق: مج3/ جز3/ ص270.

وعند قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ ﴾ [النحل:48] ذكر معنيين في المقصود بالسجود، الأول: عن الضحاك: أن السجود للأشياء غير ظلالها، والثاني: عن ابن عباس: أن السجود للظلال لا للأشياء، ثم اختار المعنى الثاني كونه المروي عن ابن عباس وصرّح بذلك فقال: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر في هذه الآية أن ظلال الأشياء هي التي تسجد، وسجودها: مَيَلانها ودورانها من جانب إلى جانب، وناحية إلى ناحية، كما قال ابن عباس يقال من ذلك: سجدت النخلة إذا مالت، وسجد البعير وأسجد: إذا أميل للركوب "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ [الإسراء:109] ذكر عن أئمة السلف عدة معاني لهذا التركيب، الأول: عن ابن عباس[2] أنه ﷺ نُهي عن الجهر بالقراءة في الصلاة حتى لا يؤذيه المشركون، والثاني: عن عائشة رضي الله عنها: أنه ﷺ نُهي عن الجهر بالتشهد في الصلاة، والثالث: عن الحسن، والمعنى عنده: لا تحسّنها في العلانية وتُسيئها في السريرة، ثم اختار المعنى الأول كونه الأصح إسنادا والأحسن فهما فقال: " وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، ما ذكرنا عن ابن عباس... لأن ذلك أصحّ الأسانيد التي رُوِي عن صحابيّ فيه قولٌ مخرَّجا، وأشبه الأقوال بما دلّ عليه ظاهر التنزيل "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴾ [الطور:35] قدّم تفسير ابن عباس على تفسير معمر بن المثنى الذي لا يُقارع برأيه على رأي ابن عباس في القرآن، وذلك في معنى (المصيطرون) حيث قال ابن عباس: معناه المسلّطون، وقال أبو عبيدة: معناه أم هم الأرباب، قال

---

[1] المصدر السابق: مج8/ جز14/ ص145.

[2] أسند الإمام الطبري من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ قال: نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ متوار ((وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا)) قال: كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع ذلك المشركون سبُّوا القرآن ومن أنزله، ومن جاء به، قال: فقال الله لنبيّه ﷺ ((وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ)) فيسمع المشركون ((وَلا تُخَافِتْ بِهَا)) عن أصحابك، فلا تُسْمِعهم القرآن حتى يأخذوا عنك " ينظر جامع البيان: مج9/ جز15/ ص226.

[3] المصدر نفسه: مج9/ جز15/ ص230.

الطبري مختارا وموجّها سبب اختياره تفسير ابن عباس كونه الأقرب إلى المعنى العربي: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: أم هم الجبّارون المتسلطون المستكبرون على الله، وذلك أن المسيطر في كلام العرب الجبار المتسلط "[1].

[1] المصدر السابق: مج13/ جز27/ صص43.

المبحث الثاني: الاختيارات المستندة على قواعد التفسير اللغوي[1].

ونقصد بالاختيارات المستندة إلى قواعد التفسير اللغوي، تلك الترجيحات المعتمدة على مسوّغات لغوية أصّلها الطبري تصريحا، أو أشار إليها بعض الدارسين استنباطا، أو تصرّف فيها كاتب هذا البحث بما يتماشى وإنجاز هذا الموضوع طرحا وغاية ومنهجا.

وبناء على تتبع اختيارات الطبري في الغريب، حصرت الاختيارات المستندة إلى قواعد التفسير اللغوي في النقاط التي سيأتي ذكرها مع النماذج المختارة من كامل تفسير جامع البيان، والإحالة في الهامش إلى النماذج التي لا يسع المقام لذكرها.

المطلب الأول: اختيار المعنى الموافق للمعنى العربي الثابت من حيث اللغة.[2]

الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.

يمكن أن يكون هذا المسوغ قاعدة قائمة بذاتها: فكل تفسير خرج بمعاني كتاب الله عما تدل عليه ألفاظه وسياقها، ولم يدل عليه اللفظ بأي أنواع الدلالة: المباشرة أو غير المباشرة (التضمين – الالتزام – المفهوم) فهو مردود على قائله، لأنه في هذه الحالة ضرب من التخرص والتلاعب بمعاني كتاب الله تعالى؛ فإذا كان التفسير لا تُقرّه لغة، ولا يرضاه دين ولا عقل، فهو ليس من التفسير في شيء[3].

الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.

---

[1] وإنما ألجأني إلى هذا التفريق بين قواعد التفسير اللغوي وأصول التفسير، مع ما بينهما من ترابط، هو ما تمليه منهجية البحث من تقسيم وتفريع وعنونة، وإلا فأصول التفسير في عرف زمن الطبري يدخل فيها التفسير اللغوي دخولا ضمنيا، وهذا مفهوم كلام الطبري في خطبة تفسيره، ينظر عنصر: سمات تفسير الغريب عند الإمام الطبري في الفصل الأول، ص40 وص43.

[2] للاستزادة من النماذج على هذه المسألة، ينظر جامع البيان: مج4/ جز5/ ص147، ص165، جز6/ ص89، ص362، مج5/ جز7/ ص308، جز8/ ص246، مج6/ جز9/ ص41، ص213، مج7/ جز11/ ص222، جز12/ ص127، ص173، مج8/ جز13/ ص301، جز14/ ص19، ص135، مج9/ جز15/ ص92، ص282.

[3] مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين: ص135، بتصرف.

وكمثال على هذا النوع من الاختيارات عند قوله تعالى ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْياكُمْ ﴾ [البقرة:27] ذكر رحمه الله تعالى أربعة أقوال في معنى الإماتة والإحياء، ثم علّق على قول ابن عباس وابن مسعود قائلا: " فأما وجه تأويل من تأوّل قوله (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم) أي: لم تكونوا شيئا، فإنه ذهب إلى نحو قول العرب للشيء الدارس والأمر الخامل الذكر: هذا شيء ميّت وهذا أمر ميّت، يراد بوصفه بالموت خمول ذكره ودُروس أثره من الناس... كما قال أبو خيلة السّعدي[1]:

فأحييت لي ذكري وما كنتُ خاملاً *** ولكنّ بعض الذكر أنْبهُ من بعضِ

يريد بقوله (فأحييت لي ذكري) أي: رفعته وشهرته في الناس حتّى نَبُهَ فصار مذكورا حيّا بعد أن كان خاملا ميّتا... وأولى ما ذكرنا من الأقوال التي بيّنا بتأويل هذه الآية؛ قول ابن مسعود وابن عباس من أنّ معناها: كنتم أموات الذكر خمولاً في أصلاب آبائكم نُطفا لا تُعرفون ولا تُذكرون فأحياكم بإنشائكم بشرا سويّا حتى ذُكرتم وعُرفتم وحَييتم، ثم يُميتكم بقبض أرواحكم ثم يحييكم بعد ذلك بنفخ الأرواح فيكم لبعث الساعة وصيحة القيامة ثم إلى الله ترجعون بعد ذلك كما قال (ثم إليه تُرجعون)... والعلة التي من أجلها اخترنا هذا التأويل ما قد قدّمنا ذكره للقائلين به[2]"[3].

وذلك عند قوله تعالى ﴿ وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ [البقرة:92] حين ذكر معنيين أحدهما: أن القوم أشربوا في قلوبهم حبّ العجل، والثاني: أنهم أشربوا الماء بعد حرق العجل ورميه في اليمّ، ثم قال مختارا المعنى الثابت لغة: " وأولى التأويلين اللذين ذكرت بقوله تعالى (وأشربوا في قلوبهم العجل)

---

[1] بحثتُ عنه بهذه الكنية فلم أجده في مظانه.

[2] يشير إلى كلامه المصدّر في أول التعليق كونُ قوليْهما الأقرب للمعنى العربي.

[3] جامع البيان: مج1/ جز1/ ص246-249.

تأويل من قال: وأشربوا في قلوبهم حبّ العجل؛ لأن الماء لا يقال منه: أشرب فلان في قلبه، وإنما يقال ذلك في حبّ الشيء، فيقال منه: أشرب قلب فلان حبّ كذا "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ ﴾ [آل عمران:14] ذكر عدة معاني للقنطار الذي هو واحد قناطير، منها: أن قدره ألف ومئتا أوقية، وذهب بعضهم إلى أن قدره ملء مسك ثور من الذهب، وقال آخرون: هو المال الكثير، ثم قال معلقا بعدما أورد هذا الاختلاف الكبير في تحديد قدر القنطار، ومختارا المعنى الأخير لموافقته المعنى العربي لهذه الكلمة فقال: " وقد ذكر بعض أهل العلم بكلام العرب: أن العرب لا تحدّ القنطار بمقدار معلوم من الوزن، ولكنها تقول: هو قَدْرُ وزنٍ... وقد ينبغي أن يكون ذلك كذلك؛ لأن ذلك لو كان محدودًا قدرُه عندها، لم يكن بين متقدمي أهل التأويل فيه كلّ هذا الاختلاف... فالصواب في ذلك أن يقال: هو المال الكثير، كما قال الربيع بن أنس، ولا يحدُّ قدرُ وزنه بحدٍّ على تعسُّف "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ﴾ [آل عمران:192] ذكر معنيين لخزي، أحدهما: أنه مختص بمن يخلد في النار، والثاني: أن من دخل النار خالدا أو ليس مُخلدا فقد أُخزي، ثم اختار المعنى الثاني لموافقته المعنى العربي فقال: " وأولى القولين بالصواب عندي، قول جابر: إن من أدخل النار فقد أخزي بدخوله إياها، وإن أخرج منها. وذلك أن الخزي: إنما هو هتك ستر المخزيّ وفضيحته، ومن عاقبه ربه في الآخرة على ذنوبه، فقد فضحه بعقابه إياه، وذلك هو الخزي "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً ﴾ [الأنعام:143] ذكر ثلاثة أقوال لكل من الحمولة والفرش، ثم اختار ما يوافق المعنى العربي فقال: " واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك. فقال بعضهم: الحمولة: ما حمل عليه من كبار الإبل ومسانّها والفرش: صغارها التي لا يحمل عليها لصغرها... وقال بعضهم: الحمولة من الإبل، وما لم يكن من الحمولة فهو الفرش... وقال آخرون: الحمولة ما حُمل

---

[1] المصدر السابق: مج1/ جز1/ ص555، بتصرف يسير.
[2] المصدر نفسه: مج3/ جز3/ ص261، بتصرف يسير.
[3] المصدر نفسه: مج3/ جز4/ ص265.

عليه من الإبل والخيل والبغال وغير ذلك، والفرش: الغنم... والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الحَمولة هي ما حَمل من الأنعام؛ لأن ذلك من صفتها إذا حملت، لا أنه اسم لها، كالإبل والخيل والبغال، فإذا كانت إنما سميت حَمولة لأنها تحمل، فالواجب أن يكون كل ما حَمَل على ظهره من الأنعام فحَمولة. وهي جمع لا واحد لها من لفظها، كالرَّكوبة، والجزورة. وكذلك الفرش، إنما هو صفة لما لطف فقرب من الأرض جسمه، ويقال له: الفرش. وأحسبها سميت بذلك تمثيلا لها في استواء أسنانها ولطفها بالفَرْش من الأرض، وهي الأرض المستوية التي يتوطَّؤُها الناس "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ﴾ [التوبة:47] ذكر معنيين لهذا التركيب، الأول: وفيكم عيون لهم عليكم سماعون لحديثكم لهم يؤدونه إليهم، والثاني: وفيكم من يسمع كلامهم ويطيع لهم، ثم اختار المعنى الأول كونه الثابت لغة، واستبعد الثاني؛ لأنه غير ثابت لغة فقال: " وأولى التأويلين عندي في ذلك بالصواب، تأويلُ من قال: معناه: وفيكم سماعون لحديثكم لهم، يبلغونه عنكم، عيون لهم؛ لأن الأغلب من كلام العرب في قولهم: سمّاع: وصف من وصف به أنه سماع للكلام، كما قال الله جل ثناؤه في غير موضع من كتابه: ((سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ)) [المائدة: 41] واصفًا بذلك قومًا بسماع الكذب من الحديث. وأما إذا وصفوا الرجل بسماع كلام الرجل وأمره ونهيه وقبوله منه وانتهائه إليه فإنما تصفه بأنه: له سامع ومطيع، ولا تكاد تقول: هو له سمّاع مطيع "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [يونس:2] أورد في معنى (قدم صدق) ثلاثة أقوال: الأول: أن لهم أجرا حسنا بما قدموا من صالح الأعمال، الثاني: أن لهم السعادة فيما كتب لهم في اللوح المحفوظ، والثالث: أن شفاعة محمد ﷺ لهم قدم صدق، ثم اختار المعنى الأول كونه الموافق للمعنى العربي فقال: " وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، قولُ من قال: معناه: أن لهم أعمالا صالحة عند الله يستوجبون بها منه الثوابَ. وذلك أنه محكيٌّ عن العرب: هؤلاء أهْلُ القَدَم في الإسلام: أي هؤلاء الذين قدَّموا فيه خيرًا، فكان لهم فيه تقديم. ويقال: له عندي قدم صِدْق، وقدم سوء، وذلك ما قدَّم إليه من خير أو شر، ومنه قول حسان بن ثابت:

---

[1] المصدر السابق: مج5/ جز8/ ص85، بتصرف.

[2] المصدر نفسه: مج6/ جز10/ ص174.

لَنَا القَدَمُ العُلْيَا إِلَيْكَ وَخَلْفُنَا *** لأَوّلِنَا فِي طَاعَةِ اللهِ تَابِعُ "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقاً مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [يوسف:80] ذكر معنيين للكبير في هذا الموضع، الأول: كبير في العقل والعلم وهو شمعون، والثاني: كبيرهم في السن، وكان اسمه روبيل، ثم رجع الطبري إلى استعمال العرب لهذه الكلمة، واختار ما يوافق استعمالهم فقال: " وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، قول من قال: عنى بقوله: ((قال كبيرهم)): روبيل؛ لإجماع جميعهم على أنه كان أكبرهم سنًّا. ولا تفهم العرب في المخاطبة إذا قيل لهم: فلان كبير القوم مطلقا بغير وصل، إلا أحد معنيين: إما في الرياسة عليهم والسؤدد، وإما في السن. فأما في العقل، فإنهم إذا أرادوا ذلك وصَلوه، فقالوا: هو كبيرهم في العقل. فأما إذا أطلق بغير صلته بذلك، فلا يفهم إلا ما ذكرت "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيراً ﴾ [الإسراء:8] أورد معنيين للحصير الموصوفة به جهنم، الأول: الحصير: السجن الذي يسجنون فيه (قول ابن عباس وقتادة) والثاني: هو الفراش والمهاد (قول الحسن)، ثم اختار المعنى الثاني؛ كونه الثابت لغة فقال: " والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: معنى ذلك ((وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا)) فراشا ومهادا لا يزايله من الحصير الذي بمعنى البساط؛ لأن ذلك إذا كان كذلك كان جامعا معنى الحبس والامتهاد، مع أن الحصير بمعنى البساط في كلام العرب أشهر منه بمعنى الحبس، وأنها إذا أرادت أن تصف شيئا بمعنى حبس شيء، فإنما تقول: هو له حاصر أو محصر، فأما الحصير فغير موجود في كلامهم، إلا إذا وصفته بأنه مفعول به، فيكون في لفظ فعيل، ومعناه مفعول به... فأما فعيل في الحصر بمعنى وصفه بأنه الحاصر. فذلك ما لا نجده في كلام العرب، فلذلك قلت: قول الحسن أولى بالصواب في ذلك، وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أن ذلك جائز، ولا أعلم لما قال وجها يصحّ إلا بعيدا وهو أن يقال: جاء

---

[1] المصدر السابق: مج7/ جز11/ ص106-107.

[2] المصدر نفسه: مج8/ جز13/ ص45.

حصير بمعنى حاصر، كما قيل: عليم بمعنى عالم، وشهيد بمعنى شاهد، ولم يسمع ذلك مستعملا في الحاصر كما سمعنا في عالم وشاهد "[1].

وعند قوله تعالى ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف:28] أورد أقوالا عن السلف في معنى الفُرُط، فذكر عن مجاهد قوله: معناه: ضياعا، وذكر عن خباب قوله: هلاكا، وأورد عن ابن زيد قوله: معناه: خلافا للحق، ثم اختار ما يوافق الاستعمال العربي لهذه الكلمة فقال: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: ضياعا وهلاكا، من قولهم: أفرط فلان في هذا الأمر إفراطا: إذا أسرف فيه وتجاوز قدره، وكذلك قوله ((وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا)) معناه: وكان أمر هذا الذي أغفلنا قلبه عن ذكرنا في الرياء والكبر، واحتقار أهل الإيمان، سرفا قد تجاوز حدّه، فَضَيَّع بذلك الحقّ وهلك "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ [لقمان:18] ذكر أقوالا عن السلف في معنى هذا التركيب، الأول: إن أقبح الأصوات، والثاني: إن أشر الأصوات، والثالث: إن أشد الأصوات، ثم اختار ما يوافق المعنى العربي فقال: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: إن أقبح أو أشرّ الأصوات، وذلك نظير قولهم: إذا رأوا وجها قبيحا، أو منظرا شنيعا، ما أنكر وجه فلان، وما أنكر منظره "[3].

المطلب الثاني: اختيار المعنى الموافق لأصل الوضع العربي للكلمة[4].

الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.

---

[1] المصدر السابق: مج9/ جز15/ ص61، بتصرف.

[2] المصدر نفسه: مج9/ جز15/ ص290-291.

[3] المصدر نفسه: مج11/ جز21/ ص94.

[4] خشية الإطالة نحيل على مواضع أخرى اختار فيها الطبري معنى الغريب بالنظر إلى هذا الاعتبار، ينظر جامع البيان: مج2/ جز2/ ص527، ص533، ص547، مج3/ جز3/ ص264، ص406، مج4/ جز5/ ص109، مج7/ جز11/ ص69.

قد تتعدّد استعمالات العرب للكلمة ويتوسعون في توظيفها، فيأتي الرجوع إلى أصل الوضع العربي للكلمة ليُشكل تصورا دقيقا عن معناها اللغوي الأصلي والذي تدور حوله المعاني الثانوية الأخرى (وهذا مظهر من مظاهر ثراء اللغة العربية) والإمام الطبري في حال تعدد المعاني المروية عن المفسرين فالمعنى الذي يتوافق مع الأصل الاشتقاقي للكلمة أولى من غيره[1].

الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.

فعند قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [الفاتحة:4] ذكر عدة معاني للعبادة، واختار أنها بمعنى نخشع ونذل ونستكين، ثم قال: " وإنما اخترنا البيان عن تأويله بأنه بمعنى نخشع ونذل ونستكين... لأن العبودية عند جميع العرب أصلها الذّلة، وأنها تسمي الطريق المذلل الذي قد وطأته الأقدام وذلّلته السابلة: معبّدا، ومن ذلك قول طرفة بن العبد:

تُباري عِتاقًا ناجياتٍ وأَتْبَعَتْ *** وظيفًا وظيفًا فوق مَوْرٍ مُعبَّدِ

يعني بالمور: الطريق، وبالمعبد: المذلل الموْطوء، ومن ذلك قيل للبعير المذلل بالركوب في الحوائج: معبّد، ومنه سمّي العبد عبدا لذلّته لمولاهُ، والشواهد من أشعار العرب وكلامها على ذلك أكثر من أن تُحصى وفيما ذكرناهُ كفاية "[2].

وعند قوله تعالى: ﴿ ألذِينَ يومِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ [البقرة:2] أرجع أصل الغيب إلى كل ما غاب عنك من شيء، وهو من قولك غاب فلان يغيب غيْبا، ثم اختار المعنى الموافق لهذا الأصل قائلا: " ... فتبيّن بهذا أن أصح ما قيل في تأويل (الذين يؤمنون بالغيب) إنما هم الذين يؤمنون بما غاب عنهم من الجنة

---

[1] ينظر: مختصر قواعد الترجيح بين المفسرين: ص196، بتصرف.

[2] جامع البيان: مج1/ جز1/ ص88.

والنار والثواب والعقاب والبعث والتصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله وجميع ما كانت العرب لا تدينُ به في جاهليّتها "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [البقرة:154] اختار قول ابن عباس في معنى الكرسي، والذي يدل على أنّ الكرسي: علمه جلّ وعلا، وهذا لموافقته الوضع العربي للكلمة فقال: " وأما الذي يدل على صحته ظاهر القرآن فقول ابن عباس الذي رواه جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عنه أنه قال: هو علمه... وأصل الكرسي: العلم. ومنه قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب كراسة، ومنه قول الراجز في صفة قانص:

حتى إذا ما احتازها تكرَّسا

يعني علم. ومنه يقال للعلماء الكراسي، لأنهم المعتمد عليهم، كما يقال: أوتاد الأرض: يعني بذلك أنهم العلماء الذين تصلح بهم الأرض، ومنه قول الشاعر:

يحف بهم بيض الوجوه وعصبة *** كراسي بالأحداث حين تنوب

يعني بذلك علماء بحوادث الأمور ونوازلها. والعرب تسمي أصل كل شيء الكِرْس، يقال منه: فلان كريم الكِرْس: أي كريم الأصل "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ [آل عمران:96] ذكر معنيين لبكة، الأول: موضع مزدحم الناس للطواف، والثاني: هو اسم من أسماء مكة، ثم اختار المعنى الأول لموافقته أصل الوضع العربي للكلمة فقال: " وأصل البكّ: الزحم، يقال: منه: بكّ فلانٌ فلانًا: إذا زحمه وصدمه فهو يَبُكه بَكًّا، وهم يتباكُّون فيه، يعني به: يتزاحمون ويتصادمون فيه. فكأن بَكَّة فَعْلة من بَكَّ فلان فلانًا: زحمه، سُميت البقعة بفعل المزدحمين بها. فإذا كانت بكة ما وصفنا، وكان موضع ازدحام الناس حَوْل البيت، وكان لا طوافَ يجوز خارج المسجد، كان معلومًا بذلك أن يكون ما حَوْل الكعبة

---

[1] المصدر السابق: مج1/ جز1/ ص133.

[2] المصدر نفسه: مج3/ جز3/ ص17، بتصرف يسير.

من داخل المسجد، وأن ما كان خارجَ المسجد فمكة، لا بكة؛ لأنه لا معنى خارجَه يوجب على الناس التَّباكَّ فيه. وإذْ كان ذلك كذلك، كان بيّنًا بذلك فسادُ قول من قال: بكة اسم لبطن مكة "[1].

المطلب الثالث: اختيار المعاني الموافقة للغالب المعروف والمستفيض من كلام العرب، دون النادر والشاد وقليل الاستعمال[2].

الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.

يجب أن يفسر القرآن ويحمل على أحسن المحامل وأفصح الوجوه، فلا يحمل على معنى ركيك، ولا لفظ ضعيف، وإنما يحمل على المعروف عند العرب من الأوجه المطردة دون الشاذة والضعيفة، ويحمل على الأكثر استعمالا دون القليل والنادر، ويحمل على المعاني والعادات والعرف الذي نزل به القرآن، دون ما حدث واستجدّ بعد التنزيل، وذلك لأن القرآن أفصح كلام، ونزل على أفصح اللغات وأشهرها، فلا ينبغي أن يعدل به عن هذا[3]. وجرت عادة الطبري أن يختم عرضه للأقوال والمعاني المحتملة، برأيه المعلَّل والمدَعم بالحجة، ويبيّن لك المعنى المختار بخروج القول أو المعنى المرجوح عن المتعارف من الكلام العربي، ولعل هذا المسوغ يعتبر من أهم أدلة الاختيار والترجيح في التفسير اللغوي عند ابن جرير[4].

الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.

---

[1] المصدر السابق: مج3/ جز4/ ص15، بتصرف يسير.

[2] ينظر نماذج أخرى من هذا النوع من الاختيار بهذا الاعتبار، جامع البيان: مج4/ جز5/ ص108، ص188، ص245، ص360، مج5/ جز7/ ص140، مج6/ جز10/ ص72، مج7/ جز12/ ص52، ص150، مج8/ جز13/ ص85، جز14/ ص242، مج9/ جز15/ ص111، ص157، جز16/ ص17، ص97، مج10/ جز17/ ص130، ص226، مج13/ جز25/ ص34.

[3] مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين: ص143.

[4] الطبري والمباحث اللغوية من خلال تفسيره سورة النساء: نور الدين صمود، دط، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، دت، ص15-16. وينظر: منهج الإمام ابن جرير الطبري في الترجيح: ص135.

فعند قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة:30] ذكر الطبري أقوالا عدة في أيّ الأسماء علّمها الله آدم، ثم قال رحمة الله عليه: " وأولى هذه الأقوال وأشبهها بما دلّ على صحته ظاهر التلاوة، قول من قال: إنها أسماء ذرّيته وأسماء الملائكة دون أسماء أجناس الخلق، وذلك أن الله تعالى قال (ثم عرضهم على الملائكة) يعني بذلك أعيان المسمين بالأسماء التي علّمها آدم، ولا تكاد العرب تُكني بالهاء والميم إلا عن أسماء بني آدم والملائكة، وأما إذا كنّت عن أسماء البهائم وسائر الخلق سوى من وصفنا فإنها تُكنّي عنها بالهاء والألف أو الهاء والنون فقالت: عرضهن أو عرضها، وكذلك تفعل إذا كنّت عن أصنافٍ من الخلق كالبهائم والطير وسائر أصناف الأمم وفيها أسماء بني آدم والملائكة، فإنها تُكني عنها بما وصفنا من الهاء والنون أو الهاء والألف، وربما كنّت عنها إذا كانت كذلك بالهاء والميم كما قال عزّ وجلّ ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ ﴾ الآية [النور:43] فكنّى عنها بالهاء والميم، وهي أوصاف مختلفة فيها الآدمي وغيره، وذلك وإن كان جائزا فإن الغالب المستفيض في كلام العرب ما وصفنا من إخراجهم كناية أسماء أجناس الأمم إذا اختلطت بالهاء والألف أو الهاء والنون فلذلك قلتُ: أولى بتأويل الآية أن تكون الأسماء التي علمها آدم أسماء أعيان بني آدم وأسماء الملائكة "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [البقرة:63] ذكر رحمه الله ثلاثة معاني في معنى هذا التركيب، فقال: " وهذا وإن كان خطابا لمن كان بين ظهراني مهاجر رسول الله ﷺ من أهل الكتاب أيام رسول الله ﷺ، فإنما هو خبر عن أسلافهم، فأخرج الخبر مخرج المخبر عنهم...لأن القبيلة من العرب تخاطب القبيلة عند الفخار أو غيره بما مضى من فعل أسلاف المخاطب... فتضيف فعل أسلاف المخاطب إلى نفسها، فتقول: فعلنا بكم وفعلنا بكم.... ، وقد زعم بعضهم أن الخطاب في هذه الآيات إنما أخرج بإضافة الفعل إلى المخاطبين به، والفعل لغيرهم؛ لأن المخاطبين بذلك كانوا يتولوْن من كان فعل ذلك من أوائل بني إسرائيل، فصيّرهم الله منهم من أجل ولايتهم لهم، وقال بعضهم: إنما قيل ذلك كذلك؛ لأن سامعيه كانوا عالمين، وإن كان الخطاب خرج

[1] جامع البيان: مج1/ جز1/ ص284-285.

خطابا للأحياء من بني إسرائيل وأهل الكتاب... فاستغنى بعلم السامعين بذلك عن ذكر أسلافهم بأعيانهم....والأول الذي قلنا هو المستفيض من كلام العرب وخطابها "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [آل عمران:39] ذكر معنيين للملائكة، الأول: جماعة منهم عليهم السلام، والثاني: أنه جبريل على وجه الإفراد، ثم اختار الأول كونه الأكثر استعمالا في كلام العرب فقال: " إن الله جل ثناؤه أخبر أنّ الملائكة نادته. والظاهرُ من ذلك، أنها جماعة من الملائكة دون الواحد، وجبريلُ واحد. ولا يجوز أن يحمل تأويل القرآن إلا على الأظهر الأكثر من الكلام المستعمل في ألسن العرب، دون الأقل ما وُجِد إلى ذلك سبيل. ولم تَضطَّرنا حاجةٌ إلى صرف ذلك إلى أنه بمعنى واحد، فيحتاج له إلى طلب المخرج بالخفيّ من الكلام والمعاني "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾ [النساء:104] ذكر معنيين للخيانة التي وصف الله من وصفه بها في هذا الموضع، الأول: سرقة سرقها هذا الخائن، والثاني: جحوده وديعة كان أُودِعها، ثم اختار الإمام الطبري المعنى الثاني بهذا الاعتبار فقال: " وأولى التأويلين في ذلك بما دل عليه ظاهر الآية، قول من قال: كانت خيانته التي وصفه الله بها في هذه الآية، جحودَه ما أودع؛ لأن ذلك هو المعروف من معاني الخيانات في كلام العرب. وتوجيه تأويل القرآن إلى الأشهر من معاني كلام العرب ما وجد إليه سبيل، أولى من غيره "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ﴾ [المائدة:116] ذكر عن أئمة السلف ثلاثة معاني للعيد، الأول: نتخذ يوم نزولها مناسبة نعظمها ونصلي فيها، والثاني: نأكل فيها، والثالث: يكون يوم نزولها عائدة من الله تعالى علينا حجة وبرهانا، ثم اختار المعنى الأول كونه المعروف والمشهور من معاني العيد لغة فقال: " وأولى الأقوال بالصواب، قولُ من قال: معناه: تكون لنا عيدًا، نعبد ربنا في اليوم الذي تنزل فيه، ونصلي له فيه، كما يعبد الناس في أعيادهم؛ لأن المعروف من كلام الناس

[1] المصدر السابق: مج1/ جز1/ ص432.
[2] المصدر نفسه: مج3/جز3/ ص322.
[3] المصدر نفسه: مج4/ جز5/ ص349.

المستعمل بينهم في العيد ما ذكرنا، دون القول الذي قاله من قال: معناه: عائدة من الله علينا. وتوجيه معاني كلام الله إلى المعروف من كلام من خوطب به، أولى من توجيهه إلى المجهول منه، ما وجد إليه السبيل "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ [الأنعام:66] حيث ذكر أن العذاب الذي توعّد الله به هؤلاء هو الرجم من فوقهم، والخسف من تحتهم، وقال ابن عباس وغيره: عنى بالعذاب من فوقهم: أئمة السوء، وبالعذاب من تحت أرجلهم: الخدم وسفلة الناس، ثم اختار الإمام الطبري المعنى الأول كونه يوافق المعنى المستعمل والمشهور لغة فقال: " وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي، قولُ من قال: عنى بالعذاب من فوقهم: الرجمَ أو الطوفان وما أشبه ذلك مما ينزل عليهم من فوق رؤوسهم، ومن تحت أرجلهم: الخسفَ وما أشبهه. وذلك أن المعروف في كلام العرب من معنى فوق وتحت الأرجل هو ذلك، دون غيره. وإن كان لما روي عن ابن عباس في ذلك وجه صحيح، غير أن الكلام إذا تُنُوزع في تأويله، فحمله على الأغلب الأشهر من معناه أحق وأولى من غيره، ما لم تأت حجة مانعة من ذلك يجب التسليم لها "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ [التوبة:3] اختار أن يكون يوم الحج الأكبر: يوم النحر لإجماع الصحابة والتابعين على ذلك، وأورد قولا لمجاهد يفسر فيه يوم الحج الأكبر: بأيامه كلها، ثم عقّب عليه بمضمون هذه القاعدة فقال: " وأما ما قال مجاهد: من أن يوم الحج إنما هو أيامه كلها، فإن ذلك وإن كان جائزًا في كلام العرب، فليس بالأشهر الأعرف في كلام العرب من معانيه، بل أغلبُ على معنى اليوم عندهم أنه من غروب الشمس إلى مثله من الغد. وإنما محمل تأويل كتاب الله على الأشهر الأعرف من كلام من نزل الكتابُ بلسانه "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ [يونس:87] ذكر اختلاف المفسرين في معنى هذا التركيب، فقال بعضهم: معناه: واجعلوا بيوتكم مساجد تصلون فيها (وهذا المعنى صدّر الإمام الطبري

---

[1] المصدر السابق: مج5/ جز7/ ص171.

[2] المصدر نفسه: مج5/ جز7/ ص276-277.

[3] المصدر نفسه: مج6/ جز10/ ص92.

به كلامه عن معنى هذا التركيب واختاره) وقال آخرون: معناه: واجعلوا مساجدكم قِبل الكعبة؟، وقال آخرون: بل معناه: واجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضا، ثم ذكر مسوّغ الاختيار الذي لأجله اختار المعنى الأول لهذا التركيب فقال: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، القول الذي قدمنا بيانه، وذلك أن الأغلب من معاني البيوت – وإن كانت المساجد بيوتًا – البيوت المسكونة إذا ذكرت باسمها المطلق دون المساجد؛ لأن المساجد لها اسم هي به معروفة، خاصٌّ لها، وذلك المساجد. فأمّا البيوت المطلقة بغير وصلها بشيء، ولا إضافتها إلى شيء، فالبيوت المسكونة. وكذلك القبلة الأغلب من استعمال الناس إيّاها في قِبَل المساجد وللصلوات. فإذا كان ذلك كذلك، وكان غير جائز توجيه معاني كلام الله إلا إلى الأغلب من وجوهها المستعمل بين أهل اللسان الذي نزل به، دون الخفيّ المجهول، ما لم تأت دلالة تدل على غير ذلك، ولم يكن على قوله ((واجعلوا بيوتكم قبلة)) دلالةٌ تقطع العذرَ بأن معناه غير الظاهر المستعمل في كلام العرب، لم يجز لنا توجيهه إلى غير الظاهر الذي وصفنا "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ [إبراهيم:12] ذكر عدة معاني لمعنى هذا التركيب، الأول: عضوا على أصابعهم تغيّظا، الثاني: عجبوا من كتاب الله فوضعوا أيديهم في أفواههم، الثالث: كذّبوا بأفواههم، ثم اختار المعنى الأول كونه يوافق المعروف من كلام العرب فقال: " وأشبه هذه الأقوال عندي بالصواب في تأويل هذه الآية، القولُ الذي ذكرناه عن عبد الله بن مسعود: أنهم ردُّوا أيديهم في أفواههم، فعضُّوا عليها، غيظاً على الرسل... فهذا هو الكلام المعروف والمعنى المفهوم من ردِّ اليدِ إلى الفم "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ ﴾ [إبراهيم:45] ذكر ثلاثة معاني للإهطاع، الأول: مسرعين، والثاني: مديمي النظر، والثالث: لا يرفعون رؤوسهم، ثم اختار المعنى لشهرته لغة، واستشهد له من فصيح شعر العرب فقال: " والإهطاع في كلام العرب بمعنى الإسراع أشهر منه بمعنى إدامة النظر، ومن الإهطاع بمعنى الإسراع، قول الشاعر:

---

[1] المصدر السابق: مج7/ جز11/ ص193.

[2] المصدر نفسه: مج8/ جز13/ ص238، بتصرف.

وبِمُهْطِعٍ سُرُحٍ كأنَّ زِمامَهُ *** في رأسِ جذْعٍ مِنْ أوَالٍ مُشَذَّبِ "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل:26] أورد معنيين لهذا التركيب، الأول: خرّ عليهم أعالي بيوتهم من فوقهم، والثاني: أتاهم العذاب من السماء، ثم اختار المعنى الأول قائلا: " وأولى القولين بتأويل الآية، قول من قال: معنى ذلك: تساقطت عليهم سقوف بيوتهم؛ إذ أتى أصولها وقواعدها أمر الله، فائتفكت بهم منازلهم؛ لأن ذلك هو الكلام المعروف من قواعد البنيان، وخرّ السقف، وتوجيه معاني كلام الله إلى الأشهر الأعرف منها، أولى من توجيهها إلى غير ذلك ما وُجِد إليه سبيل "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ [الإسراء:16] أورد عدة معاني لقوله أمرنا، الأول: أمرناهم بالطاعة ففسقوا فيها بالمعصية، والثاني: جعلناهم أمراء ففسقوا، والثالث: بمعنى أكثرناهم، ثم اختار المعروف لغة والمستعمل منطقا فقال: " فأولى التأويلات به تأويل من تأوّله: أمرنا أهلها بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها، فحقّ عليهم القول؛ لأن الأغلب من معنى أمرنا: الأمر، الذي هو خلاف النهي دون غيره، وتوجيه معاني كلام الله جلّ ثناؤه إلى الأشهر الأعرف من معانيه، أولى ما وجد إليه سبيل من غيره "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجاً وَلَآ أَمْتاً ﴾ [طه:104] ذكر اختلاف المتأولين في معنى العوج والأمت، فقال بعضهم: العوج: الأودية، والأمت: الروابي والنشوز، وقال آخرون: العوج: الصدوع، والأمت: الارتفاع من الآكام، وقال آخرون: العوج: الميل، والأمت: الأثر، قال الإمام الطبري مرجعا معنى ذلك إلى المعروف من كلام العرب والمستعمل فيهم: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بالعوج: الميل؛ وذلك أن ذلك هو المعروف في كلام العرب... وأما الأمت فإنه عند العرب: الانثناء والضعف، مسموع منهم، مد حبله حتى ما ترك فيه أمتا: أي انثناء، وملأ سقاءه حتى ما ترك فيه أمتا، ومنه قول الراجز:

---

[1] المصدر السابق: مج8/ جز13/ ص298.

[2] المصدر نفسه: مج8/ جز14/ ص125.

[3] المصدر نفسه: مج9/ جز15/ ص74.

ما فِي انْجِذَابِ سَيْرِهِ مِنْ أَمْتِ

يعني: من وهن وضعف، فالواجب إذا كان ذلك معنى الأمت عندهم أن يكون أصوب الأقوال في تأويله: ولا ارتفاع ولا انخفاض؛ لأن الانخفاض لم يكن إلا عن ارتفاع "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة:16] ذكر عدة معاني لتجافي الجُنوب عن المضاجع، الأول: التجافي للصلاة ما بين المغرب والعشاء، والثاني: التجافي لقيام الليل، والثالث: التجافي لذكر الله عموما، ثم اختار المعنى الثاني كونه المعروف لغة فقال: " والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله وصف هؤلاء القوم بأن جنوبهم تنبو عن مضاجعهم، شغلا منهم بدعاء ربهم وعبادته خوفا وطمعا، وذلك نبوّ جنوبهم عن المضاجع ليلا؛ لأن المعروف من وصف الواصف رجلا بأن جنبه نبا عن مضجعه، إنما هو وصف منه له بأنه جفا عن النوم في وقت منام الناس المعروف، وذلك الليل دون النهار، وكذلك تصف العرب الرجل إذا وصفته بذلك، يدلّ على ذلك قول عبد الله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه في صفة نبيّ الله ﷺ:

يَبِيتُ يُجافِي جَنْبَهُ عَنْ فِراشِهِ *** إذا اسْتَثْقَلَت بالمُشْرِكِينَ المِضَاجِعُ "[2].

المطلب الرابع: اختيار المعنى بالنظر لقاعدة: موافقة القرآن لأوجه كلام العرب ومُخاطباتها.

الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.

سبقت الإشارة إلى أن الطبري افتتح أبواب مقدمة تفسيره بشرح هذه القاعدة، في إشارة صريحة إلى أنه سيصنع من أوجه مخاطبات العرب وأفانينها في الكلام مصدرا مهما في تفسيره وقد فعل[3]، ولم يكتف بالاستعانة بها في فهم معاني القرآن، بل أعملها في مسالك الترجيح والاختيار بين الأقوال والمعاني[4].

الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.

---

[1] المصدر السابق: مج9/ جز16/ ص266، بتصرف.

[2] المصدر نفسه: مج11/ جز21/ ص123.

[3] ينظر: شرح مقدمة تفسير الطبري: ص133.

[4] ينظر: الأساليب العربية الواردة في القرآن الكريم وأثرها في التفسير: ص9.

وعند قوله تعالى ﴿ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة:174] ذكر معنيين لهذا التركيب، أحدهما: أنه بمعنى: فما أجرأهم على العمل الذي يقرّبهم إلى النار، والثاني: أنه بمعنى: فما أعملهم بأعمال أهل النار، ثم قال مختارا المعنى بالنظر للقاعدة السابقة: " وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية من قال: ما أجرأهم على النار ، بمعنى: ما أجرأهم على عذاب النار، وأعملهم بأعمال أهلها؛ وذلك أنه مسموع من العرب: ما أصبر فلان على الله، بمعنى: ما أجرأ فلانا على الله "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾ [الأعراف:10] ذكر أربعة معاني لهذا التركيب، الأول: ولقد خلقناكم في ظهر آدم ثم صورناكم في أرحام النساء، والثاني: ولقد خلقناكم في أصلاب آبائكم ثم صورناكم في بطون أمهاتكم، والثالث: ولقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم في ظهره، والرابع: ولقد خلقناكم في بطون أمهاتكم ثم صورناكم فيها، ثم اختار المعنى إعمالاً لهذه القاعدة فقال: " وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: تأويله: ((ولقد خلقناكم)) ولقد خلقنا آدم ((ثم صورناكم)) بتصويرنا آدم، كما قد بينا فيما مضى من خطاب العرب الرجلَ بالأفعال تضيفها إليه، والمعنيُّ في ذلك سلفه، وكما قال جل ثناؤه لمن بين أظهر المؤمنين من اليهود على عهد رسول الله ﷺ: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ) [البقرة: 63] . وما أشبه ذلك من الخطاب الموجَّه إلى الحيّ الموجود، والمراد به السلف المعدوم، فكذلك ذلك في قوله: ((ولقد خلقناكم ثم صورناكم)) معناه: ولقد خلقنا أباكم آدم ثم صوَّرناه "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ [التوبة:36] أورد احتمالين لعود الهاء والنون التي في (فيهن) إلى الأشهر الاثنى عشر أو إلى الأربعة الحُرم، ثم اختار عودها على الأربعة الحرم مستندا إلى موافقة تراكيب القرآن ومعانيه لأوجه ومخاطبات من نزل بلغتهم، حيث قال: " وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قولُ من قال: فلا تظلموا في الأشهر الأربعة أنفسَكم، باستحلال حرامها، فإن الله عظمها وعظَّم حرمتها. وإنما قلنا: ذلك أولى بالصواب في تأويله، لقوله: ((فلا تظلموا فيهن)) فأخرج الكناية

---

[1] جامع البيان: مج2/ جز2/ ص122.

[2] المصدر نفسه: مج5/ جز8/ ص164.

عنه مَخْرَجَ الكناية عن جمع ما بين الثلاثة إلى العشرة. وذلك أن العرب تقول فيما بين الثلاثة إلى العشرة، إذا كَنَتْ عنه: فعلنا ذلك لثلاث ليال خلون، ولأربعة أيام بقين، وإذا أخبرت عما فوق العشرة إلى العشرين قالت: فعلنا ذلك لثلاث عشرة خلت، ولأربع عشرة مضت، فكان في قوله جل ثناؤه: ((فلا تظلموا فيهن أنفسكم)) وإخراجِه كناية عدد الشهور التي نهى المؤمنين عن ظلم أنفسهم فيهن مخرج عدد الجمع القليل من الثلاثة إلى العشرة، الدليلُ الواضح على أن (الهاء والنون) من ذكر الأشهر الأربعة، دون الاثنى العشر؛ لأن ذلك لو كان كناية عن (الاثنى عشر شهرًا) لكان: فلا تظلموا فيها أنفُسكم "[1].

المطلب الخامس: اختيار المعنى بالنظر لقاعدة: اعتبار عموم اللفظ القرآني أولى من تخصيص بغير مخصص[2].

الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.

إذا اختلفت أقوال المفسرين في معنى آية من كتاب الله، فمنهم من يحملها على عموم ألفاظها، ومنهم من يخصصها ويقصرها على بعض أفراد العام، فالمقدم حملها على العموم، ومتى أمكن حمل الكلمة أو الآية على معنى عام شامل يجمع تفسيرات جزئية – من قبيل التفسير بالمثال أو الجزء أو غير ذلك – فهو أولى، حملاً لها على عموم ألفاظها، ولا داعي لتخصيصها بواحد من المعاني الجزئية إلاّ أن يدل السياق على ذلك أو يقوم دليل على التخصيص[3].

---

[1] المصدر السابق: مج6/ جز10/ ص161.

[2] خشية الإطالة نحيل على مواضع أخرى يختار فيها الطبري المعنى بالنظر إلى هذا الاعتبار، ينظر جامع البيان: مج2/ جز2/ ص98، مج3/ جز4/ ص274، مج4/ جز5/ ص42، ص113، ص196، جز6/ ص64، ص324، مج5/ جز7/ ص38، ص186، ص341، ص363، جز8/ ص22، جز8/ ص136، ص185، ص192، مج6/ جز9/ ص110، ص193، ص248، ص267، جز10/ ص42، ص62، ص177، مج7/ جز11/ ص137، جز12/ ص124، ص188، مج8/ جز14/ ص81، ص117، ص180، مج9/ جز15/ ص93، ص124، ص147، ص188، جز16/ ص50، ص244، مج11/جز21/ ص61، مج10/ جز17/ ص170.

[3] ينظر: مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين: ص200.

والإمام الطبري يسلك هذا المسلك في الاختيار بين معاني الغريب، بل يعتبر الاختيار بالعموم أوسع المسوغات تطبيقا عند الطبري، ويدخل في ذلك تجويز المحتملات[1] الواردة عن مفسري سلف الأمة، وليس هذا ترددا أو توقفا من الإمام الطبري، بل ذلك يمثل دقة عالية في التعامل مع الأقوال والمعاني المحتملة[2].

الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.

وذلك عند قوله تعالى ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ﴾ [البقرة:165] ذكر اختلاف المفسرين في الذين عنى الله تعالى ذكره بقوله (إذ تبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتَّبعوا) فقال بعضهم الجبابرة يتبرؤون من الضعفاء، وقال آخرون: الشياطين يتبرؤون من الإنس، ثم اعتبر عموم اللفظ القرآني واختار المعنى فقال: " والصواب من القول عندي في ذلك أن الله تعالى ذكره أخبر أن المتَّبعين على الشرك بالله يتبرّؤون من أتباعهم حين يعاينون عذاب الله، ولم يخصص بذلك منهم بعضا دون بعض، بل عمّ جميعهم، فدخل في ذلك كل متبوع على الكفر بالله والضلال أنه يتبرأ من أتباعه الذين كانوا يتّبعونه على الضلال في الدنيا "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران:106] ذكر اختلاف المفسرين فيمن ستسودّ وجوههم، فقال بعضهم: هم أهل قبلتنا ممن أحدث وابتدع كالخوارج مثلا، وقال بعضهم: هم المنافقون، وقال آخرون: هم كل من كفر بالله بعد إيمانه يوم أخذ الله من صلب آدم ذريته وأشهدهم على أنفسهم بما بيّن في كتابه، ثم قال مختارا المعنى الأخير بالنظر لهذه القاعدة فقال: " وأولى الأقوال التي ذكرناها في ذلك بالصواب، القولُ الذي ذكرناه عن أبي بن كعب أنه عنى بذلك جميع الكفار،

---

[1] هذه ظاهرة كثيرة في اختيارات الإمام الطبري، ومثالها أن يقول الطبري في معرض الاختيار: وجائز أن يكون كذا وجائز أن يكون هذا....الخ وهذا إذا لم يتضح له وجه الصواب بحجة تقطع العذر، فلا يجزم بقبول الأقوال والمعاني أو ردّها، بل يبقيها في دائرة الاحتمال والتجويز، والمثال على هذا يأتي في التطبيقات، وقد ذكرت بعض الأمثلة في قاعدة المبهمات. ينظر: ص132.

[2] ينظر: شرح مقدمة تفسير الطبري: ص67.

[3] المصدر السابق: مج2/ جز2/ ص94.

وأنّ الإيمان الذي يوبَّخُون على ارتدادهم عنه، هو الإيمان الذي أقروا به يوم قيل لهم: ((أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا)) [سورة الأعراف: 172] . وذلك أن الله جل ثناؤه جعل جميعَ أهل الآخرة فريقين: أحدهما سودًا وجوهه، والآخر بيضًا وجوهه. فمعلوم إذ لم يكن هنالك إلا هذان الفريقان أن جميع الكفار داخلون في فريق من سُوِّد وجهه، وأن جميع المؤمنين داخلون في فريق من بُيِّض وجهه. فلا وجه إذًا لقول قائل: عنى بقوله: (أكفرتم بعد إيمانك) بعض الكفار دون بعض، وقد عمّ الله جل ثناؤه الخبرَ عنهم جميعهم "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾ [آل عمران:200] ذكر ثلاثة معاني للصبر في هذا الموضع، الأول: الصبر على الدين، والثاني: الصبر في الجهاد، والثالث: الصبر في الطاعة، ثم اختار عموم ذلك بنظر لهذه القاعدة فقال: " وأولى التأويلات بتأويل الآية، قول من قال...: اصبروا على دينكم وطاعة ربكم؛ وذلك أنّ الله لم يخصص من معاني الصبر على الدين والطاعة شيئًا، فيجوز إخراجه من ظاهر التنزيل. فلذلك قلنا إنه عني بقوله: اصبروا: الأمرَ بالصبر على جميع معاني طاعة الله فيما أمر ونهى، صعبها وشديدها، وسهلها وخفيفها "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ [النساء:122] ذكر ثلاثة معاني للسوء في هذا الموضع، الأول: كل معصية لله، والثاني: من يعمل سوءًا من أهل الكفر، يجز به، والثالث: معنى السوء في هذا الموضع: الشرك، ثم عمم مدلول السوء في هذا الموضع واختار المعنى الأول بالنظر للقاعدة السابقة فقال: " وأولى التأويلات التي ذكرناها بتأويل الآية، التأويلُ الذي ذكرناه عن أبي بن كعب وعائشة: وهو أن كل من عمل سوءًا صغيرًا أو كبيرًا من مؤمن أو كافر، جوزي به. وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية: لعموم الآية كلَّ عامل سوء، من غير أن يُخَصَّ أو يستثني منهم أحد. فهي على عمومها؛ إذ لم يكن في الآية دلالة على خصوصها، ولا قامت حجة بذلك من خبر عن الرسول ﷺ "[3].

[1] المصدر السابق: مج3/ جز4/ ص54.
[2] المصدر نفسه: مج3/ جز4/ ص278، بتصرف.
[3] المصدر نفسه: مج4/ جز5/ ص377.

وعند قوله تعالى ﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام:39] ذكر عن أئمة السلف معنيين للحشر، الأول: بمعنى الحشر بالموت، الثاني: الجمع لقيام الساعة، ثم اختار عموم معنى الحشر من غير تخصيص؛ إذ اللفظ عامّ يشمل المعنيين فقال عليه رحمة الله: " والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنّ كل دابة وطائر محشورٌ إليه. وجائز أن يكون معنيًّا بذلك حشر القيامة، وجائز أن يكون معنيًّا به حشر الموت، وجائز أن يكون معنيًّا به الحشران جميعًا، ولا دلالة في ظاهر التنزيل، ولا في خبر عن النبي ﷺ أيُّ ذلك المراد بقوله: ((ثم إلى ربهم يحشرون)) إذ كان الحشر في كلام العرب: الجمع، ومن ذلك قول الله تعالى ذكره: ((وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ)) [سورة ص: 19] يعني: مجموعة. فإذ كان الجمع هو الحشر، وكان الله تعالى ذكره جامعًا خلقه إليه يوم القيامة، وجامعهم بالموت، كان أصوبُ القول في ذلك أن يُعَمَّ بمعنى الآية ما عمه الله بظاهرها، وأن يقال: كل دابة وكل طائر محشورٌ إلى الله بعد الفناء وبعد بعث القيامة؛ إذ كان الله تعالى ذكره قد عم بقوله: ((ثم إلى ربهم يحشرون)) ولم يخصص به حشرًا دون حشر "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا ﴾ [الأعراف:189] أورد قولين للسلف في معنى قوله (صالحا) الأول: بمعنى أن يكون غلاما، والثاني: أن يكون بشرا سويا مثلهما لا بهيمة، حيث كانا يجهلان ما ستولد حواء، ثم اختار عموم المعنى الصلاح هنا فقال: " والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن آدم وحواء أنهما دعَوا الله ربهما بحمل حواء، وأقسما لئن أعطاهما ما في بطن حواء، صالحًا ليكونان لله من الشاكرين. والصلاح قد يشمل معاني كثيرة: منها الصلاح في استواء الخلق، ومنها الصلاح في الدين، والصلاح في العقل والتدبير. وإذ كان ذلك كذلك، ولا خبر عن الرسول يوجب الحجة بأن ذلك على بعض معاني الصلاح دون بعض، ولا فيه من العقل دليل، وجب أن يُعَمَّ كما عمَّه الله، فيقال: إنهما قالا ((لئن آتيتنا صالحًا)) بجميع معاني الصلاح "[2].

---

[1] المصدر السابق: مج5/ جز7/ ص238.
[2] المصدر نفسه: مج6/ جز9/ ص181.

وعند قوله تعالى ﴿ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴾ [يونس:64] ذكر الطبري اختلاف المفسرين في البشرى في الحياة الدنيا بعد اتفاقهم على أنها في الآخرة الجنة، فقال بعضهم: هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو تُرى له، وقال بعضهم: هي بشارة المؤمن بالجنة عند الموت، ثم اختار عموم معنى البشرى في الدنيا فقال: " وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنّ لأوليائه المتقين البشرى في الحياة الدنيا، ومن البشارة في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، ومنها بشرى الملائكة إياه عند خروج نفسه برحمة الله... ومنها: بشرى الله إياه ما وعده في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من الثواب الجزيل، كما قال جل ثناؤه: ((وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ)) [البقرة: 25] . وكل هذه المعاني من بشرى الله إياه في الحياة الدنيا بشره بها، ولم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى، فذلك مما عمه جل ثناؤه: أن ((لهم البشرى في الحياة الدنيا)) وأما في الآخرة فالجنة "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ ﴾ [لقمان:5] ذكر في معنى لهو الحديث أقوالا: الأول: الغناء، وهو قول ابن مسعود وجماعة، الثاني: الطبل، وهو قول مجاهد، الثالث: الشرك وهو قول الضحاك وابن زيد، ثم اختار عموم معنى الكلمة فقال: " والصواب من القول في ذلك أن يقال: عنى به كلّ ما كان من الحديث ملهيا عن سبيل الله مما نهى الله عن استماعه أو رسوله؛ لأن الله تعالى عمّ بقوله: ((لَهْوَ الحَدِيثِ)) ولم يخصص بعضا دون بعض، فذلك على عمومه حتى يأتي ما يدلّ على خصوصه، والغناء والشرك من ذلك "[2].

المطلب السادس: اختيار المعنى بالنظر لقاعدة: استبعاد تكرار الكلمات القرآنية من غير زيادة معنى ما أمكن.

---

[1] المصدر السابق: مج7/ جز11/ ص172-173، بتصرف.

[2] المصدر نفسه: مج11/ جز21/ ص78.

الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.

هذا المسوغ يدل على تمتع الإمام الطبري بحس لغوي رهيف، وبذوق تفسيري رفيع، وهو قائم أساسا على أن القرآن أبلغ كلام وفيه أوضح بيان، ويتعالى الله ﷻ عن أن يودع هذا القرآن ما لا فائدة فيه، فإذا دار المعنى في القرآن بين التأكيد وبين التأسيس، فالقول بالتأسيس أولى من القول بالتأكيد، وحمل الآيات على الإفادة خير من الإعادة[1].

الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.

وذلك عند قوله تعالى ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَيٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَ ﴾ [آل عمران:2-3] ذكر معنيين للفرقان الوارد في هذه الآية، أحدهما: الفصل بين الحق والباطل فيما اختلفت فيه الأحزاب في أمر عيسى عليه السلام، إذ ورد أن هذه السورة نزلت في محاجة نصارى نجران الرسول ﷺ في شأن عيسى عليه السلام. وثانيهما: الفرقان هو القرآن، ثم اختار الإمام الطبري المعنى الأول بالنظر لهذه القاعدة فقال: " والتأويل الذي ذكرناه عن محمد بن جعفر بن الزبير في ذلك، أولى بالصحة من التأويل الذي ذكرناه عن قتادة والربيع وأن يكون معنى (الفرقان) في هذا الموضع: فصل الله بين نبيه محمد ﷺ والذين حاجُّوه في أمر عيسى، وفي غير ذلك من أموره، بالحجة البالغة القاطعة عذرَهم وعذرَ نُظرائهم من أهل الكفر بالله. وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب، لأن إخبارَ الله عن تنزيله القرآنَ قبل إخباره عن تنزيله التوراة والإنجيل في هذه الآية قد مضى بقوله: (نزل عليك الكتاب بالحقّ مصدّقًا لما بين يديه) ولا شك أن ذلك الكتاب هو القرآن لا غيره، فلا وجه لتكريره مرة أخرى، إذ لا فائدة في تكريره، ليست في ذكره إياه وخبره عنه ابتداءً "[2].

---

[1] ينظر: مختصر قواعد الترجيح بين المفسرين: ص185.

[2] المصدر السابق: مج3/ جز3/ ص218.

وعند قوله تعالى ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً ﴾ [النساء:30] ذكر ثلاثة احتمالات لعود اسم الإشارة (ذلك) الأول: يشير إلى آخر منهي عنه وهو قوله ((ولا تقتلوا أنفسكم)) والثاني: أنه يشير إلى كل منهي عنه من أول السورة إلى هذه الآية، والثالث: يشير إلى من يأكل مال أخيه المسلم ظلما بغير طيب نفس منه، وقتل أخاه المؤمن ظلما، ثم نظر في المنهيات من أول السورة إلى هذه الآية وفرّق بين ما ذُكر مقرونا بالوعيد وما لم يُقرن بالوعيد، ثم أعمل هذه القاعدة واختار أن يشير اسم الإشارة إلى ما لم يُذكر وعيده من المنهيات فقال: " والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: معناه: ومن يفعل ما حرّم الله عليه، من قوله: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا)) إلى قوله: ((ومن يفعل ذلك)) من نكاح المحرمات، وعضل المحرَّم عضلُها من النساء، وأكل المال بالباطل، وقتل المحرّم قتله من المؤمنين؛ لأنّ كلّ ذلك مما وعد الله عليه أهلَه العقوبة. فإن قال قائل: فما منعك أن تجعل قوله: ((ذلك)) معنيّا به جميع ما أوعدَ الله عليه العقوبة من أول السورة؟، قيل: منعني ذلك أن كلّ فصْل من ذلك قد قُرِن بالوعيد، إلى قوله: ((أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)) ولا ذكر للعقوبة من بعد ذلك على ما حرّم الله في الآي التي بعده إلى قوله: ((فسوف نصليه نارًا)) فكان قوله: ((ومن يفعل ذلك)) معنيًّا به ما قلنا، مما لم يُقرَن بالوعيد... أولى من أن يكون معنيًّا به ما سلف فيه الوعيد بالنهي مقرونًا قبل ذلك "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ ﴾ [المائدة:98] ذكر اختلاف السلف في معنى إحلال طعام البحر للمحرم بعد ذكر إحلال صيده، فقال بعضهم: طعامه : ما قذف به إلى ساحله ميّتا، وقال آخرون: طعامه: المليح من السمك، ثم اختار الإمام الطبري المعنى الأول إعمالا لهذه القاعدة، حيث السمك المليح يدخل في صيد البحر، بخلاف ما قذفه البحر ميّتا فإنه لا يدخل في صيد البحر مع اقتضاء العطف المغايرة، فقال عليه رحمة الله: " وأولى هذه الأقوال بالصواب عندنا، قولُ من قال: طعامه: ما قذفه البحر، أو حَسَر عنه فوُجد ميتًا على ساحله. وذلك أن الله تعالى ذكره ذكر قبله صيدَ الذي يصاد، فقال: ((أحل لكم صيد البحر)) فالذي يجب أن يعطف عليه في المفهوم

[1] المصدر السابق: مج4/ جز5/ ص51، بتصرف يسير.

ما لم يُصَدْ منه، فقال: أحل لكم ما صدتموه من البحر، وما لم تصيدوه منه. وأما المليح: فإنه ما كان منه مُلِّح بعد الاصطياد، فقد دخل في جملة قوله: ((أحل لكم صيد البحر)) فلا وجه لتكريره؛ إذ لا فائدة فيه. وقد أعلم عبادَه تعالى ذكره: إحلالَه ما صيد من البحر بقوله: ((أحل لكم صيد البحر)) فلا فائدة أن يقال لهم بعد ذلك: ومليحه الذي صيد حلال لكم؛ لأن ما صيد منه فقد بُيِّن تحليله، طريًّا كان أو مليحًا، بقوله: ((أحل لكم صيد البحر)) والله يتعالى عن أن يخاطب عباده بما لا يفيدهم به فائدة "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾ [الأنعام:97] ذكر معنيين لقوله (حسبانا) الأول: جعل الله سبحانه الشمس والقمر يجريان بحسب، والثاني: جعل الشمس والقمر ضياء، ثم اختار المعنى الأول كون المعنى الثاني مستفاد قبلُ من قوله تعالى (فالق الإصباح) فقال موضحا اعتبار الاختيار: " وأولى القولين في تأويل ذلك عندي بالصواب، تأويل من تأوَّله: وجعل الشمس والقمرَ يجريان بحساب وعددٍ لبلوغ أمرهما ونهاية آجالهما، ويدوران لمصالح الخلق التي جُعِلا لها. وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية؛ لأن الله تعالى ذكره ذكَر قبلَه أياديه عند خلقه، وعظم سلطانه، بفلقه الإصباح لهم، وإخراج النبات والغِراس من الحب والنوى، وعقّب ذلك بذكره خلق النجوم لهدايتهم في البر والبحر. فكان وصفه إجراءه الشمس والقمرَ لمنافعهم، أشبه بهذا الموضع من ذكر إضاءتهما؛ لأنه قد وصف ذلك قبلُ بقوله: ((فالق الإصباح)) فلا معنى لتكريره مرة أخرى في آية واحدة لغير معنى "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ [الحج:53] ذكر اختلاف المفسرين في هذا اليوم العقيم أيّ يوم هو، فقال: بعضهم: هو يوم القيامة، وقال آخرون: بل هو يوم بدر، ثم اختار القول الثاني إعمالا لهذا المسوّغ فقال: " وهذا القول الثاني أولى بتأويل الآية؛ لأنه لا وجه لأن يقال: لا يزالون في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة، أو

---

[1] المصدر السابق: مج5/ جز7/ ص91.
[2] المصدر نفسه: مج5/ جز7/ ص355.

تأتيهم الساعة. وذلك أن الساعة هي يوم القيامة، فإن كان اليوم العقيم أيضا هو يوم القيامة فإنما معناه ما قلنا من تكرير ذكر الساعة مرّتين باختلاف الألفاظ، وذلك ما لا معنى له "[1].

المطلب السابع: اختيار المعنى الموافق لظاهر النص القرآني.

الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.

ذكر الطبري في آخر تمهيده لمقدمة تفسيره بعد أن أثنى على الله بما هو أهله، فقال في دعائه: " اللهم فوفقنا لإصابة صواب القول في محكمه ومتشابهه، وحلاله وحرامه، وعامه وخاصه، وناسخه ومنسوخه، وظاهره وباطنه... "[2]، فإذا دار المعنى القرآني بين الظاهر المتبادر من التلاوة، وبين باطن لا يتأتّى إلا من تكلف لا دلالة على صحته، كان الأسلم حمله على ظاهره[3].

الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.

فعند قوله تعالى ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ [الأنبياء:90] ذكر معنيين للفرج، أحدهما: عورتها حفظتها من الفاحشة، والثاني: جيب درعها، منعت منه جبريل قبل أن تعلم أنه رسول ربها، ثم اختار ما وافق ظاهر الكلام المفهوم فقال: " والذي هو أولى القولين عندنا بتأويل ذلك قول من قال: أحصنت فرجها من الفاحشة؛ لأن ذلك هو الأغلب من معنييه عليه، والأظهر في ظاهر الكلام"[4].

وعند قوله تعالى ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [الجاثية:22] حيث ذكر قولين عن أئمة السلف، الأول: حمل الإله عن الدين، والثاني: حمل الإله على المعبود، ثم اختار المعنى الموافق للظاهر فقال: " وأولى التأويلين في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: أفرأيت يا محمد من اتخذ معبوده هواه،

---

[1] المصدر السابق: مج10/ جز17/ ص245.

[2] المصدر نفسه: مج1/ ص7.

[3] ينظر: شرح مقدمة تفسير الطبري: ص41-43. وينظر: مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين: ص53.

[4] جامع البيان: مج10/ جز17/ ص110.

فيعبد ما هوي من شيء دون إله الحقّ الذي له الألوهة من كلّ شيء؛ لأن ذلك هو الظاهر من معناه دون غيره "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر:17] اختار المعنى المناسب لكلمة (مدّكر) كونه الأغلب من معاني الظاهر فقال: " قوله (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) يقول: فهل من معتبر متعظ يتذكر فيعتبر بما فيه من العبر والذكر. وقد قال بعضهم في تأويل ذلك: هل من طالب علم أو خير فيُعان عليه، وذلك قريب المعنى مما قلناه، ولكنا اخترنا العبارة التي عبرناها في تأويله؛ لأن ذلك هو الأغلب من معانيه على ظاهره "[2].

وعند قوله تعالى ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ [الواقعة:19] ذكر معنيين للخلود، ثم اختار المعنى الأظهر فقال: " قوله: (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ) يقول تعالى ذكره: يطوف على هؤلاء السابقين الذين قرّبهم الله في جنات النعيم، ولدان على سنّ واحدة، لا يتغيرون ولا يموتون... وقال آخرون: عني بذلك أنهم مقرّطون مسوّرون. والذي هو أولى بالصواب في ذلك قول من قال معناه: إنهم لا يتغيرون، ولا يموتون؛ لأن ذلك أظهر معنييه، والعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يشمط: إنه لمخلد، وإنما هو مفعل من الخلد "[3].

وعند قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَالشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ [الحديد:18] ذكر ثلاثة معاني للشهداء في هذا الموضع، الأول: أن المعنى منفصل من الذي قبله، يعني: الأجر خاص بالشهداء دون المؤمنين، والثاني: أن هذا الأجر للمؤمنين، والكلام متصل بما قبله، والثالث: أن الشهداء بمعنى الأنبياء؛ لأنهم يشهدون على أممهم، ثم اختار المعنى الأول؛ كونه الأظهر فقال: " والذي هو أولى الأقوال عندي في ذلك بالصواب قول من قال: الكلام والخبر عن الذين آمنوا، متناه عند قوله: (أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ) وإن قوله: (وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ) خبر مبتدأ عن الشهداء. وإنما قلنا: إن ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصواب؛ لأن ذلك هو الأغلب من معانيه

---

[1] المصدر السابق: مج13/ جز25/ ص183.

[2] المصدر نفسه: مج13/ جز27/ ص120.

[3] المصدر نفسه: مج13/ جز27/ ص214، بتصرف.

في الظاهر، وأنّ الإيمان غير موجب في المتعارف للمؤمن اسم شهيد لا بمعنى غيره، إلا أن يُراد به شهيد على ما آمن به وصدّقه، فيكون ذلك وجها، وإن كان فيه بعض البعد؛ لأن ذلك ليس بالمعروف من معانيه "[1].

[1] المصدر السابق: مج13/ جز27/ ص285.

المبحث الثالث: الاختيارات المستندة إلى دلالة السياق.

- **المقصود بدلالة السياق في التفسير.**

أما السياق اللغوي: فهو سابق الكلام ولاحقه، فالكلام حين يراعى سياقه؛ يتوصل إلى تعيين المقصود، وتحديد المراد، أو بعبارة أخرى: هو تتابع الكلام وتساوقه وتقاوده في الترتيب[1].

وأما دلالة السياق بمعناها العام: فهي فهم النص بمراعاة ما قبله وما بعده[2].

والمقصود بدلالة السياق في التفسير: " هي بيان معنى اللفظ أو التركيب في الآية بما لا يخرجها عن السابق واللاحق "[3].

- **اهتمام الطبري بدلالة السياق عند اختياره معاني الغريب.**

يشهد لهذا كلام المحقق الشيخ محمود شاكر رحمه الله؛ إذ يقول: " إنه كان مفسرا إماما سبق ففات السابقين. لم يلحقه لاحق في البصر بمعاني كتاب ربه، وفي الحرص على بيان معانيه، وفي الدقة البالغة في ضبط روابط الآيات بعضها ببعض... وأبو جعفر رضي الله عنه لم يغفل قط عن هذا الترابط الدقيق بين معاني الكتاب... فهو يأخذ المعنى في أول الآية من الآيات ثم يسير معه كلمة وحرفًا حرفا ثم جملة جملة غير تارك لشيء منه أو مُتجاوز عن معنى يدل عليه سياقها "[4].

---

[1] دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير – دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير – عبد الحكيم بن عبد الله القاسم، ط:1، دار التدمرية، الرياض، 1433هـ -2012م، 6/1.

[2] المرجع نفسه: 6/1.

[3] ينظر: المرجع نفسه: 6/1، بتصرف.

[4] ينظر: كلام الشيخ في تحقيقه على جامع البيان، وذلك تعليقا على توجيه الطبري معنى (الدرجة) من قوله تعالى من سورة البقرة (وللرجال عليهن درجة) جامع البيان: تح: محمود شاكر: 536/4، بتصرف.

فللإمام الطبري إذن اهتمام بدلالات السياق تصريحا أو تلميحا، فكان رحمه الله يدقق النظر في تتابع الآيات والجمل، والألفاظ والتراكيب، ويلحظ الأقرب للمعنى فيرجحه، ويختار المعنى المناسب على منواله[1].

ومن خلال استقراء اختيارات الطبري في الغريب، والتي استند فيها على دلالة السياق، يمكن تقسيم هذه الاختيارات إلى ما يلي:

المطلب الأول: اختيار معنى الكلمة المشتركة بين عدة معاني بالنظر للسّياق الذي وردت فيه[2].

الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.

يعدّ السياق القرآني محورا مهما تدور حوله الكلمات المتعددة المعاني من حيث اللغة، فالكلمة المشتركة ليست جسدا بلا روح، ولكنها نابضة بالحيوية والنشاط فيتناغم معها السياق ليحدّد المعنى الذي أراده المتكلم منها[3].

وسبيل الطبري هنا الاحتكام للسياق، فإذا كانت الكلمة محتملة معنيين أو أكثر، اختار الإمام الطبري المعنى المراد بحسب دلالة السياق، وأبعد ما سواه من المعاني.

الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.

فعند قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ ﴾ [البقرة:77] ذكر رحمه الله روايات مفادها انصراف التمنّي إلى عدة معاني منها: الكذب والتلاوة والتّشهي، ثم قال مختارا المعنى الأول ومُبعدا المعنيين الأخيرين بالنظر للسّياق: "... والتمني في هذا الموضع: هو تخلّق الكذب وتخرّصه

---

[1] ينظر: دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير: 8/1، بتصرف.

[2] للاستزادة من النماذج على اختار معنى المشترك بحسب السياق، ينظر جامع البيان: معنى (السَكَر) مج8/ جز14/ ص169، مج9/ جز15/ ص200.

[3] ينظر: المشترك اللفظي في الحقل القرآني: عبد العالي سالم مكرم، ط:1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ – 1996م، ص23.

وافتعاله... والذي يدل على صحة ما قلنا في ذلك وأنه أولى بتأويل قوله (إلاّ أمانيّ) من غيره من المعاني. قول الله جلّ ثناؤه (وإنْ هم إلاّ يظنّون) فأخبر عنهم جلّ ثناؤه أنهم يتمنوْن ما يتمنوْن من أكاذيب ظنّا منهم لا يقينا. ولو كان معنى ذلك أنهم يتلونه لم يكونوا ظانّين، وكذلك لو كان معناه: يشتهونه؛ لأن الذي يتلوه إذا تدبّره علمه... وكذلك المتمني الذي هو في معنى المتشهي غير جائز أن يقال: هو ظانّ في تمنيه..."[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾ [البقرة:233] ذكر أن السرّ ينصرف في لغة العرب إلى ثلاثة معاني: أحدها: الزنا، والآخر: ما أخفاه المرء في نفسه، والثالث: الخيار والشرف، ثم اختار الأول كونه المعنى المراد في السياق فقال: " وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك، تأويل من قال: السر في هذا الموضع: الزنا. وذلك أن العرب تسمي الجماع وغشيان الرجل المرأة سرًا؛ لأن ذلك مما يكون بين الرجال والنساء في خفاء غير ظاهر مطلع عليه، فيسمى لخفائه سرا، من ذلك قوله رؤبة بن العجاج:

فعف عن أسرارها بعد العسق *** ولم يضعها بين فرك وعشق

يعني بذلك: عف عن غشيانها بعد طول ملازمته ذلك، ومنه قول الحطيئة:

ويحرم سر جارتهم عليهم *** ويأكل جارهم أنف القصاع

وكذلك يقال لكل ما أخفاه المرء في نفسه: سرا، ويقال: هو في سر قومه: يعني: في خيارهم وشرفهم. فلما كان السر إنما يوجه في كلامها إلى أحد هذه الأوجه الثلاثة، وكان معلوما أن أحدهن غير معني به قوله: (ولكن لا تواعدوهن سرا)، وهو السر الذي هو معنى الخيار والشرف، فلم يبق إلا الوجهان الآخران، وهو السر الذي بمعنى ما أخفته نفس المواعد بين المتواعدين، والسر الذي بمعنى الغشيان والجماع. فلما لم يبق غيرهما، وكانت الدلالة واضحة على أن أحدهما غير معني به، صح أن الآخر هو المعني به "[2].

---

[1] جامع البيان: 1/494-495. بتصرّف يسير.

[2] المصدر نفسه: مج2/ جز2/ ص696.

وعند قوله تعالى ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَيٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ ﴾ [الأعراف:4] قال عليه رحمة الله: " عنى بقوله جل ثناؤه: ((دعواهم)) في هذا الموضع دُعاءَهم. وللدعوى في كلام العرب، وجهان: أحدهما: الدعاء، والآخر: الادعاء للحق. ومن الدعوى التي معناها الدعاء قول الله تبارك وتعالى: ((فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ)) [الأنبياء: 15] ومنه قول الشاعر:

وَإِنْ مَذِلَتْ رِجْلِي دَعَوْتُكِ أَشْتَفِي *** بِدَعْوَاكِ مِنْ مَذْلٍ بِهَا فَيَهُونُ "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾ [هود:8] بيّن أن الأمة تستعمل في معان كثيرة ترجع إلى أصل واحد، وبيّن معناها في هذا الموضع فقال: " يقول تعالى ذكره: ولئن أخرنا عن هؤلاء المشركين من قومك، يا محمد، العذابَ فلم نعجله لهم، وأنسأنا في آجالهم إلى ((أمة معدودة)) ووقت محدود وسنين معلومة. وأصل الأمة...: الجماعة من الناس تجتمع على مذهب ودين، ثم تستعمل في معان كثيرة ترجع إلى معنى الأصل الذي ذكرت. وإنما قيل للسنين المعدودة والحين في هذا الموضع ونحوه: أمة؛ لأن فيها تكون الأمة "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾ [النحل:62] اختار أن يكون معنى الإفراط: التخليف والترك، وليس بمعنى السبق والتقديم، محتكما في ذلك إلى السياق فقال: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب القول الذي اخترناه، وذلك أن الإفراط الذي هو بمعنى التقديم، إنما يقال فيمن قدَم مقدَما لإصلاح ما يقدم إليه إلى وقت ورود من قدمه عليه، وليس بمقدم من قدم إلى النار من أهلها لإصلاح شيء فيها لوارد يرد عليها فيها فيوافقه مصلحا، وإنما تَقَدّم مَن قُدِّم إليها لعذاب يُعجَّل له. فإذا كان معنى ذلك الإفراط الذي هو تأويل التعجيل ففسد أن يكون له وجه في الصحة، صحّ المعنى الآخر، وهو الإفراط الذي بمعنى التخليف والترك. وذلك أنه يُحكى عن العرب: ما أَفْرطتُ ورائي أحدًا: أي ما خَلَّفته؛ وما فرطته: أي لم أخلفه "[3].

---

[1] المصدر السابق: مج5/ جز8/ ص154.
[2] المصدر نفسه: مج7/ جز12/ ص11، بتصرف يسير.
[3] المصدر نفسه: مج8/ جز14/ ص159.

المطلب الثاني: اختيار معنى تركيب أو كلمة بالنظر للسياق الذي ورد فيه[1].

الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.

لقد كان للسياق أثر واضح في تفسير الطبري، كما تعددت استخدامات السياق في جامع البيان، فتارة يختار المعنى على منواله (سابقا كان أم لاحقا أم هما معا) وتارة يضعّف قولا بسببه، ومرة ينبّه القارئ على اتصال الكلام بعضه ببعض حتى يصح فهم القرآن، فبالجملة لقد أحدث الطبري قفزة نوعية في تفسير القرآن بالسياق لم تكن عند من سبقه من اللغويين والمفسرين، فهو ينظر إلى السياق ثم يختار المعنى المناسب للمفردات أو التراكيب[2]. فإذا تنازع المفسرون في معنى آية أو جملة أو كلمة، فمنهم من يخرج بالمعنى عن السياق ويجعل الكلام معترضا، ومنهم من يراعي السياق السابق واللاحق، فإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من إخراجه عنهما إلا بدليل يجب التسليم له[3].

الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.

أولا: اختيار المعنى بالنظر للسياق السابق:

وعند قوله تعالى ﴿ مَا نَنسَخْ مِنَ ـايَةٍ اَوْ نُنسِهَا نَاتِ ﴾ [البقرة:105] قال عليه رحمة الله في معنى (أو نُنْسِها): " فالذي هو أولى بالآية أن يكون إذ قدّم الخبر عما هو صانع إذا هو غيّر وبدّل حكم آية

---

[1] توخيا للاختصار وخشية الإطالة، نحيل على نماذج أخرى اختار فيها الطبري معنى كلمة أو تركيب بالنظر للسياق، ينظر جامع البيان: **مج1**/ جز1/ ص673، ص680، **مج2**/ جز2/ ص125-126، ص422، ص529، ص603، **مج3**/ جز3/ ص82، ص157، ص178، ص403-404، ص437-440، جز4/ ص31، ص128، ص203، ص235، ص260، ص267، ص288-289، ص343، **مج4**/ جز5/ ص69، ص185، ص211، ص337، ص374، جز6/ ص68، ص192، ص222، **مج5**/ جز7/ ص330، ص335، جز8/ ص18، **مج7**/ جز11/ ص15-18، جز12/ ص92، ص177، **مج8**/ جز13/ ص114، جز14/ ص84، ص97، ص140، **مج9**/ جز15/ ص93، ص119.

[2] ينظر: منهج التفسير عند الطبري: عمر محي الدين حوري، دط، دار الفكر، دمشق، 2008م، ص262، بتصرف. وينظر: شرح مقدمة تفسير الطبري: ص39.

[3] ينظر: مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين: ص50.

أن يعقّب ذلك بالخبر عما هو صانع إذا هو لم يبدّل ذلك ولم يغيّر. فالخبر الذي يجب أن يكون عُقيب قوله (ما ننسخ من آية) قوله: أو نترك نسخها؛ إذ كان ذلك المعروف الجاري في كلام الناس...وإنما اخترنا ما اخترنا من التأويل طلب اتساق الكلام على نظام في المعنى "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [البقرة:186] ذكر عدة معاني لقوله (وابتغوا ما كتب الله لكم) الأول: اطلبوا الولد، والثاني: اطلبوا ليلة القدر، والثالث: اطلبوا ما أحلّ الله لكم ورخّصه لكم، ثم قال مختارا ما يوافق السياق من هذه المعاني فقال: "... غير أن أشبه المعاني بظاهر الآية قول من قال: معناه وابتغوا ما كتب الله لكم من الولد؛ لأنه عقيب قوله (فالآن باشروهن) بمعنى: جامعوهن، فلأن يكون قوله (وابتغوا ما كتب الله لكم) بمعنى: وابتغوا ما كتب الله في مباشرتكم إياهن من الولد والنسل أشبه بالآية من غيره من التأويلات التي ليس على صحتها دلالة من ظاهر التنزيل ولا خبر عن الرسول ﷺ "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة:279] ذكر عن السلف معنيين لهذا التركيب، الأول: وأن تصدقوا على الغني والفقير، والثاني: وأن تصدقوا به على المعسر خير لكم، ثم أعمل السياق واختار المعنى الثاني: " وأولى التأويلين بالصواب تأويل من قال معناه: وأن تصدقوا على المعسر برؤوس أموالكم خير لكم؛ لأنه يلي ذكر حكمه في المعنيين[3]، وإلحاقه بالذي يليه أحبّ إليّ من إلحاقه بالذي بعُد منه "[4].

وعند قوله تعالى ﴿ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [النساء:95] ذكر رحمه الله معنيين للدرجات، الأول: درجات في الجهاد والهجرة والأسبقية في الإسلام، والثاني: درجات في الجنة،

---

[1] جامع البيان: 628/1-629، بتصرف يسير.

[2] المصدر نفسه: مج 2/ جز2/ ص225.

[3] يعني أن هذا التركيب جاء في ثنايا آيات الربا، وقد بعُد عنه ذكر الإنفاق على الفقراء والأغنياء في الآيات التي قبل آيات الربا، فإلحاق هذا التركيب بكونه متعلقا بالتصدق عن المعسر أولى بإلحاقه بالتصدق العام المذكور في قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: 273].

[4] المصدر نفسه: مج3/ جز3/ ص147.

ثم اختار المعنى الثاني بالنظر للسياق فقال: " وأولى التأويلات بتأويل قوله: (درجات منه) أن يكون معنيًّا به درجات الجنة، كما قال ابن محيريز[1]؛ لأن قوله تعالى ذكره: (درجات منه): ترجمة وبيان عن قوله: (أجرًا عظيمًا) ومعلوم أن (الأجر) إنما هو الثواب والجزاء. وإذْ كان ذلك كذلك، وكانت الدرجات والمغفرة والرحمة ترجمة عنه، كان معلومًا أن لا وجه لقول من وجَّه معنى قوله: (درجات منه) إلى الأعمال وزيادتها على أعمال القاعدين عن الجهاد، كما قال قتادة وابن زيد "[2].

ثانيا: اختيار المعنى بالنظر للسياق اللاحق.

وعند قوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة:110] قال رحمه الله مختارا معنى (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين): " وهذا الكلام وإن كان ظاهره ظاهر دعاء القائلين (لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصرى) إلى إحضار حجة على دعواهم ما ادّعوا من ذلك، فإنه بمعنى تكذيب من الله لهم في دعواهم وقيلهم؛ لأنهم لم يكونوا قادرين على إحضار برهان على دعواهم تلك أبدا. وقد أبان قوله (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن) على أن الذي ذكرنا من الكلام بمعنى التكذيب لليهود والنصارى في دعواهم ما ذكر الله عنهم "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلآنَ ﴾ [النساء:18] ذكر اختلاف المفسرين في (الذين يعملون السيئات) فقال بعضهم: هم أهل النفاق، وقال آخرون: عنى بهم أهل الإسلام وهو قول سفيان الثوري، ثم اختار المعنى الثاني بالنظر للسياق

---

[1] عبد الله بن محيريز القرشي، مشهور بالعلم والفضل، سكن الشام، وليست له صحبة على الأرجح، يروي عن عبادة بن الصامت وأبي سعيد الخدري ومعاوية، وعنه الزهري ومكحول، مات في ولاية الوليد بن عبد الملك ما بين ستة وثمانين وتسعين. ينظر: الاستيعاب: 985/3.

[2] جامع البيان: مج4/ جز5/ ص300-301، بتصرف.

[3] المصدر السابق: مج1/ جز1/ ص647.

فقال: " وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، ما ذكره الثوري أنه بلغه أنه في الإسلام[1]. وذلك أن المنافقين كفار، فلو كان معنيًّا به أهل النفاق لم يكن لقوله: ((ولا الذين يموتون وهم كفار)) معنًى مفهوم؛ إذْ كانوا والذين قبلهم في معنى واحد: من أن جميعهم كفار. ولا وجه لتفريق أحكامهم، والمعنى الذي من أجله بطل أن تكون لهم توبة واحدٌ. وفي تفرقة الله جل ثناؤه بين أسمائهم وصفاتهم، بأن سمَّى أحد الصنفين كافرًا، ووصف الصنف الآخر بأنهم أهل سيئات، ولم يسمهم كفارًا ما دل على افتراق معانيهم "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الأعراف:35] ذكر اختلاف السلف في معنى النصيب الذي عناه الله ﷻ، فقال بعضهم: هو العذاب الذي أعده لأهل الكفر، وقال بعضهم: الشقاء والسعادة، وقال آخرون: هو ما عملوه في الدنيا من خير أو شرّ، وفريق آخر قال: هو ما كتب الله لهم من الرزق والعمر، ثم أعمل السياق واختار ما يناسبه ووفّق بين هذه الأقوال فقال: " وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، قولُ من قال: معنى ذلك: أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب، مما كتب لهم من خير وشر في الدنيا، ورزق وعمل وأجل. وذلك أن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله: ((حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله)) فأبان بإتباعه ذلك قولَه: ((أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب)) أن الذي ينالهم من ذلك إنما هو ما كان مَقضيًّا عليهم في الدنيا أن ينالهم؛ لأنه قد أخبر أن ذلك ينالهم إلى وقت مجيئهم رسلَه لتقبض أرواحهم... فبيِّنٌ بذلك أن معناه ما اخترنا من القول فيه "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ [هود:17] ذكر عدة أقوال في معنى الشاهد في هذا الموضع، فقال بعضهم: هو محمد ﷺ، وقال بعضهم: هو جبريل، وقال آخرون:

---

[1] يشير الطبري إلى الأثر الذي أخرجه عن سفيان الثوري قال: بلغنا في هذه الآية: ((وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن)) قال: هم المسلمون، ألا ترى أنه قال: ((ولا الذين يموتون وهم كفار)) ينظر المصدر السابق: مج3/ جز4/ ص382.

[2] المصدر نفسه: مج3/ جز4/ ص382.

[3] المصدر نفسه: مج5/ جز8/ ص219، بتصرف.

هو علي بن أبي طالب ﵁، ثم أعمل السياق واختار أن يكون الشاهد جبريل فقال: " وأولى هذه الأقوال التي ذكرناها بالصواب في تأويل قوله: ((ويتلوه شاهد منه)) قولُ من قال: هو جبريل؛ لدلالة قوله: ((ومن قبله كتاب موسى إمامًا ورحمةً)) على صحة ذلك. وذلك أن نبي الله ﷺ لم يتلُ قبل القرآن كتاب موسى، فيكون ذلك دليلا على صحة قول من قال: عنى به لسان محمد ﷺ، أو: محمد نفسه، أو: عليّ على قول من قال: عُنِيَ به عليٌّ. ولا يعلم أنّ أحدًا كان تلا ذلك قبل القرآن... غير جبريل عليه السلام "[1].

ثالثا: اختيار المعنى بالنظر للسياق السابق واللاحق معا.

فعند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً ﴾ [البقرة:25] ذكر الإمام الطبري قولان في معنى هذا التركيب، أحدهما: أن الآية جواب نكير الكفار والمنافقين ما ضرب لهم في هذه السورة من أمثال سابقة، والآخر: جواب نكير منهم لما ضرب لهم من أمثال في سائر السور غير البقرة، ثم قال الإمام الطبري مختارا المعنى الأول وهو قول ابن عباس وابن مسعود: " وأولى ذلك بالصواب وأشبهه بالحق ما ذكرنا من قول ابن مسعود وابن عباس وذلك أن الله جلّ ذكره أخبر عباده أنّه لا يستحيّي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها عُقيب أمثال قد تقدّمت في هذه السورة ضربها للمنافقين، دون الأمثال التي ضربها في سائر السور غيرها، فلأن يكون هذا القول: أعني قوله (إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما) جوابا لنكير الكفار والمنافقين ما ضرب لهم من الأمثال في هذه السورة أحقّ وأولى من أن يكون ذلك جوابا لنكيرهم ما ضرب لهم من الأمثال في غيرها من السور... والدلالة على ذلك بيّنة في قوله الله تعالى ذكره ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾"[2].

وعند تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾ [البقرة:113] ذكر قولين: أحدهما أن النصارى منعوا الناس من بيت المقدس، وثانيهما أن مشركي

---

[1] المصدر السابق: مج7/ جز12/ ص26، بتصرف يسير.

[2] المصدر نفسه: مج1/ جز1/ 232-234.

العرب منعوا الرسول ﷺ من المسجد الحرام، ثم قال مختارا ما يوافق السياق: " إن الآية التي قبل قوله (ومن أظلم ممن منع مساجد الله) مضت بالخبر عن اليهود والنصارى وذمّ أفعالهم، والتي بعدها نبّهت بذمّ النصارى والخبر عن افترائهم على ربهم، ولم يجر لقريش ولا لمشركي العرب ذكر، ولا للمسجد الحرام قبلها، فيوجّه الخبر بقوله الله عزّ وجلّ: (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) إليهم وإلى المسجد الحرام. وإذ كان ذلك كذلك، فالذي هو أولى بالآية أن يوجه تأويلها إليه، هو ما كان نظير قصة الآية قبلها والآية بعدها، إذ كان خبرها لخبرهما نظيرا وشكلاً "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران:31] ذكر رحمه الله اختلاف السلف في الذين أُمر الرسول ﷺ أن يقول لهم هذه المقالة، فقال بعضهم: هم قوم على عهده ﷺ قالوا: إنا نحبّ ربّنا فأمر الله نبيّه أن يقول لهم: إن كنتم تحبون الله فاتّبعوني، وقال آخرون: هم نصارى نجران الذين قدموا عليه يُحاجّونه في شأن عيسى عليه السلام، فأمر ربّه أن يقول لهم: إن كان الذي تقولونه في عيسى من عظيم القول إنما تقولونه تعظيما لله وحبّا له؛ فاتّبعوني يُحببكم الله، ثم اختار الإمام الطبري القول الثاني معملاً السياق فقال: " وأولى القولين بتأويل الآية، قولُ محمد بن جعفر بن الزبير؛ لأنه لم يجر لغير وفد نجرانَ في هذه السورة ولا قبل هذه الآية، ذكرُ قوم ادَّعوا أنهم يحبُّون الله، ولا أنهم يعظمونه، فيكون قوله: (إن كنتم تحبون الله فاتبعوني) جوابًا لقولهم على ما قاله الحسن... فأولى الأمور بنا أن نُلحق تأويله بالذي عليه الدّلالة من آي السورة، وذلك هو ما وصفنا. لأن ما قبل هذه الآية من مبتدأ هذه السورة وما بعدها، خبرٌ عنهم، واحتجاجٌ من الله لنبيه محمد ﷺ،

[1] المصدر السابق: مج1/ جز1/ ص656.

ودليل على بُطول قولهم في المسيح[1]. فالواجب أن تكون هي أيضًا مصروفةَ المعنى إلى نحو ما قبلها ومعنى ما بعدها "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴾ [الحجر:24] ذكر عدة معاني لهذا التركيب، ثم اختار ما يوافق السياق فقال: " اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: ولقد علمنا من مضى من الأمم، فتقدّم هلاكهم، ومن قد خلق وهو حيّ، ومن لم يخلق بعدُ ممن سيخلق... وقال آخرون: عنى بالمستقدمين: الذين قد هلكوا، والمستأخرين: الأحياء الذين لم يهلكوا... وقال آخرون: ولقد علمنا المستقدمين في أوّل الخلق والمستأخرين في آخرهم.. وقال آخرون: ولقد علمنا المستقدمين من الأمم، والمستأخرين من أمة محمد ﷺ... وقال آخرون: ولقد علمنا المستقدمين منكم في الصفوف في الصلاة، والمستأخرين فيها بسبب النساء... وأولى الأقوال عندي في ذلك بالصحة قول من قال: معنى ذلك: ولقد علمنا الأموات منكم يا بني آدم فتقدّم موته، ولقد علمنا المستأخرين الذين استأخر موتهم ممن هو حيّ ومن هو حادث منكم ممن لم يحدث بعدُ، لدلالة ما قبله من الكلام، وهو قوله ((وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ)) وما بعده وهو قوله ((وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ)) على أن ذلك كذلك، إذ كان بين هذين الخبرين، ولم يجر قبل ذلك من الكلام ما يدلّ على خلافه، ولا جاء بعد "[3].

---

[1] ولا نسلم للإمام الطبري رحمه الله بهذا الاختيار، فحتى لو كان الأمر كما قال، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولم يشر الإمام الطبري في هذا الموضع إلى عموم دلالة هذا التركيب لا تلميحا ولا تصريحا، فالصواب ما قاله الحسن البصري ومن وافقه، والله أعلم بالصواب!.

[2] المصدر السابق: مج3/ جز3/ ص300-301، بتصرف يسير.

[3] المصدر نفسه: مج8/ جز14/ ص30-34، بتصرف.

المطلب الثالث: اختيار عود الضمير إلى أقرب مذكور في السياق الذي ورد فيه[1].

الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.

الأصل في العربية أن يرجع الضمير إلى أقرب مذكور، وإذا وقع خلاف بين المفسرين في عود الضمير فإن الإمام الطبري يرجح عوده إلى أقرب مذكور، فإعادته إلى القريب في السياق أولى من إعادته إلى البعيد ما لم يرد دليل على مخالفة هذا الأصل[2].

الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.

فعند قوله تعالى ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ ﴾ [البقرة:40] ذكر رحمه الله ثلاثة احتمالات في عود الضمير في (به) أحدها: بالقرآن، والثني: بمحمد ﷺ، والثالث: بالتوراة، ثم قال مختارا عوده إلى القرآن فقال: " والهاذان القولان (يعني الأخيران) من ظاهر ما تدل عليه التلاوة بعيدان؛ وذلك أن الله جل ثناؤه أمر المخاطبين بهذه الآية في أولها بالإيمان بما أنزل على محمد ﷺ...ومعقول أن الذي أنزله الله في عصره ﷺ القرآن لا محمد...وكذلك لا معنى لقول من زعم أن العائد من الذكر في (به) على (ما) التي في قوله (لما معكم)...فإنه بعيد مما يدل عليه ظاهر التلاوة والتنزيل...وأما أن يكون المأمور بالإيمان به غير المنهي عن الكفر به في كلام واحد وآية واحدة، فذلك غير الأشهر الأظهر في الكلام، هذا مع بُعد معناه في التأويل "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ اِلاَّ عَلَى اَلْخَٰشِعِينَ ﴾ [البقرة:44] اختار عود الهاء والألف التي في (إنها) إلى الصلاة وليس لغيرها من الاحتمالات، فقال: "يعني بقوله جلّ ثناؤه (وإنها) وإن الصلاة. فالهاء والألف عائدان على الصلاة. وقال بعضهم: إن قوله (وإنها)

---

[1] توخيا للاختصار ، ينظر نماذج أخرى من هذا الاختيار بهذا الاعتبار، جامع البيان: مج4/ جز6/ ص340، مج7/ مج12/ ص134، ص210، مج10/ جز17/ ص244.

[2] ينظر: مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين: ص232، وينظر: قواعد التفسير: للسبت، 402/1.

[3] جامع البيان: مج1/ جز1/ ص332-333.

بمعنى: إن إجابة محمد ﷺ. ولم يجر لذلك بلفظ الإجابة ذكر فتجعل الهاء والألف كناية عنه، وغير جائز ترك الظاهر المفهوم من الكلام إلى باطن لا دلالة على صحته "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ ﴾ [النساء:158] ذكر ثلاثة تأويلات لعوْد الهاء التي في (به) والهاء التي في (موته) الأول: يعودان على عيسى عليه السلام والمعنى: إنّ جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال وذلك قبل أن يتوفاه الله تعالى، والثاني: الهاء الأولى تعود على عيسى، والثانية تعود على الكتابيّ، والمعنى: إذا عاين الكتابيّ الموت وعلاماته يؤمن بعيسى عليه السلام، والثالث: الهاء الأولى تعود على محمد ﷺ، والثانية تعود على الكتابيّ، والمعنى: إذا عاين الكتابيّ الموت وعلاماته يؤمن بمحمد ﷺ، ثم اختار الإمام الطبري التأويل الأول بالنظر للسياق فقال: " وأولى الأقوال بالصحة والصواب، قول من قال: تأويل ذلك: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى... وأما الذي قال: عنى بقوله: ((ليؤمنن به قبل موته)): ليؤمنن بمحمد ﷺ قبلَ موت الكتابي، فمما لا وجه له مفهوم، لأنه مع فساده[2]... يزيده فسادًا أنه لم يجر لمحمد عليه السلام في الآيات التي قبلَ ذلك ذكر، فيجوز صرف الهاء التي في قوله: ((ليؤمنن به)) إلى أنها من ذكره. وإنما قوله: ((ليؤمنن به)) في سياق ذكر عيسى وأمه واليهود. فغير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره، إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل، أو خبر عن الرسول تقوم به حُجَّة. فأما الدَّعاوى، فلا تتعذر على أحد "[3].

---

[1] المصدر السابق: 343/1.

[2] ردّ الطبري هذا التأويل الفاسد بمقتضى قاعدة التعامل مع الضمائر: (إذا تعددت الضمائر فالأصل أن يتحد مرجعها) لأن هذا التفسير يسبب تنافرا في النظم، ينزّه عن مثل هذا أفصح الكلام فضلا عن كلام الله تعالى. ينظر: قواعد التفسير: للسبت، 414/1.

[3] المصدر السابق: مج4/ جز6/ ص31-33، بتصرف.

وعند قوله تعالى ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [النحل:69] ذكر قولين في عود الهاء التي من (فيه) الأول: عن القرآن (قول مجاهد)، والثاني: عن العسل (قول قتادة) ثم اختار الأخير فقال: " وهذا القول، أعني قول قتادة، أولى بتأويل الآية؛ لأن قوله: (فِيهِ) في سياق الخبر عن العسل. فأن تكون الهاء من ذكر العسل؛ إذ كانت في سياق الخبر عنه أولى من غيره "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً ﴾ [الإسراء:33] ذكر احتمالين لعود الهاء في (إنه) إما لوليّ المقتول، أو للمقتول نفسه، ثم اختار الاحتمال الأول كونه أقرب مذكور فقال: " وأشبه ذلك بالصواب عندي، قول من قال: عُنِي بها الوليّ، وعليه عادت؛ لأنه هو المظلوم، ووليه المقتول، وهي إلى ذكره أقرب من ذكر المقتول، وهو المنصور أيضا؛ لأن الله جلّ ثناؤه قضى في كتابه المنزل، أنه سلَّطه على قاتل وليه، وحكَّمه فيه، بأن جعل إليه قتله إن شاء، واستبقاءه على الدية إن أحبّ، والعفو عنه إن رأى، وكفى بذلك نُصرة له من الله جلّ ثناؤه، فلذلك قلنا: هو المعنيّ بالهاء التي في قوله ((إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا)) "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت:49] ذكر احتمالين لعود ((هو)) الأول: أن يكون مرادا به القرآن، والثاني: أن يكون معنيا به الرسول ﷺ، ثم اختار الاحتمال الثاني كونه الأقرب ذكرا فقال: " وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: عنى بذلك: بل العلم بأنك ما كنت تتلو من قبل هذا الكتاب كتابا، ولا تخطه بيمينك، آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب[3]. وإنما قلت ذلك أولى التأويلين بالآية؛ لأن قوله: ((بَلْ هُوَ

---

[1] المصدر السابق: مج8/ جز14/ ص173.

[2] المصدر نفسه: مج9/ جز15/ ص107.

[3] والعجب من اختيار ابن جرير لهذا الاحتمال، إغراقا منه في إعمال هذه القاعدة، وقد أجاز ابن عطية الاحتمالين واستشهد لهما بقراءتيْ ابن مسعود ومجاهد، وابن عطية الغرناطي يعتبر من المفسرين الذين ترجموا عن مضامين جامع البيان واستدركوا عن ابن جرير في بعض المواضع، فلعل هذا الموضع من سورة العنكبوت مما يصح فيه عود الضمير إلى أكثر من مذكور والله أعلم. ينظر: المحرر الوجيز: 322/4.

آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ)) بين خبرين من أخبار الله عن رسوله محمد ﷺ، فهو بأن يكون خبرًا عنه، أولى من أن يكون خبرا عن الكتاب الذي قد انقضى الخبر عنه قبل "[1].

[1] جامع البيان: مج11/ جز21/ ص11.

المبحث الرابع: الاختيارات المستندة إلى قرائن أخرى.

- **المقصود بالقرائن في التفسير.**

قال ابن فارس: " القاف والراء والنون أصلان صحيحان، أحدهما يدل على جمع شيء إلى شيء، والآخر: شيء ينتأ بقوة وشدة، فالأول: قارنتُ بين الشيئين... والأصل الآخر: القرن للشاة وغيرها "[1]. وقال في شمس العلوم: "كل شيئين جمعتهما فقد قرنتهما قرنا وقِرانا "[2].

وقال الرافعي معرفا القرائن في الأدب واللغة: " هي تلك الإشارات الرافدة والمصاحبة للنص، تساعد على توجيه الكلام، وتهدي إلى إبراز المعنى فيه "[3].

ولم أعثر على ما يشفي الغليل في تعريف القرائن عند المفسرين – وإن استخدمها المتقدمون والمتأخرون وحتى المعاصرون، وأشار إليها الأصوليون والبلاغيون – ومع ذلك لم أجد ضبطا دقيقا لمصطلح القرائن في التفسير[4]، ويمكن استنتاج مدلولها من خلال المعنى اللغوي وكلام الرافعي فتُعرف بالقول: هي ما يظهر في أفق المفسر من إشارات مساعدة على إبراز معاني القرآن، وتكون هذه الروافد الموجه للمعنى من خارج السياق، فيدخل فيها أسباب النزول وأصول الدين وأحداث السيرة النبوية العطرة، وما علم من الدين بالضرورة وغيرها.

---

[1] معجم مقاييس اللغة: 77/5.

[2] شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم : نشوان بن سعيد الحميري ، ت: حسين بن عبد الله العمري ، ط:1 ، دار الفكر ، بيروت ، 1999م، 5453/8.

[3] تاريخ آداب العرب: 149/1، بتصرف.

[4] لعل هذا يرجع أساسا إلى عدم تبلور علم أصول التفسير، الذي ما زال رغم المحاولات الجادة في المؤتمرات والملتقيات والمؤلفات التي كتبت فيه يحتاج إلى ضبط وتأصيل لمصطلحاته.

- **عناية الطبري باختيار المعنى وفق القرائن.**

يعتبر ابن جرير الطبري من أكثر المفسرين اعتمادا على القرائن في فهم القرآن[1]، فلا تكاد تخلو سورة من تفسيره جامع البيان من إشارة لقرائن تُعمل في اختيارات معاني الغريب، والأمثلة التطبيقية الآتية في المطالب الموالية خير دليل على ذلك.

وسبيل وصول الامام الطبري إلى هذه النوع من الاختيارات النظر والاستنباط، فبعد استقراء اختيارات الإمام الطبري المنبنيةُ على ملاحظة القرائن والأحوال توصلت إلى تقسيمها إلى:

المطلب الأول: اختيار المعنى المناسب للمقام[2].

الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.

المقصود بالمقام هنا: هو ذلك المؤثر التركيبي الذي يُفهم من معنى الكلام، فيمنع إرادة معنى الكلمة حال الإفراد؛ لأن حملها على معناها المعروف يتنافر مع هذا المقام، ويسمى هذا النوع من الغرابة في المعنى: بغرابة المقام، وهذا ما يميّز معنى المفردة القرآنية عن غيرها من مفردات كلام العرب[3].

والإمام الطبري ينظر كثيرا للمقام في اختيار معاني المفردات حال التركيب، وقد يسميه الطبري الحال، وقد يكون هذا المقام مقامَ الألوهية أو النبوّة أو الشرف والرفعة أو مقام التشريع أو مقام الامتنان بالنّعم أو مقام ردّ شبهة...الخ، وهذه نماذج على ذلك:

---

[1] منهج ابن جرير الطبري في القراءات وضوابط اختيارها في تفسيره: زيد بن علي مهدي مهارش، ط:1، دار التدمرية، الرياض، 1433هـ - 2012م، ص483، بتصرف.

[2] ينظر نماذج أخرى من هذا النوع من الاختيار، جامع البيان: مج7/ جز12/ ص160، مج9/ جز15/ ص282.

[3] ينظر: جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير : أحمد ياسوف، ط:1، دار المكتبي، دمشق، 1415هـ، ص291.

الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.

وفي مقدّمة تفسيره حين عرض لذكر أسماء القرآن وبيان معانيها، وحكى قولين في معنى القرآن، أحدهما عن ابن عباس: القرآن من التلاوة والقراءة مصدرٌ من قول القائل: قرأت القرآن...، والآخر عن قتادة: وهو من قول القائل: قرأت الشيء إذا جمعته وضممتُ بعضه إلى بعض، ثم قال أبو جعفر: " وكلا القولين – أعني قول ابن عباس وقول قتادة – الذيْن حكيْناهما وجه صحيح في كلام العرب، غير أنّ أولى قوليْهما بتأويل قوله تعالى﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة:16-17] قول ابن عباس؛ لأن الله جلّ ثناؤه أمر نبيّه في غير آية من تنزيله باتباع ما أوحى إليه، ولم يُرخّص له في ترك اتباع شيء من أمره إلى وقت تأليفه له... ولو وجب أن يكون معنى قوله (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) فإذا ألّفناهُ فاتبع ما ألّفنا لك فيه، لوجب أن لا يكون قد لزمه فرض (اقرأ باسم ربك) ولا فرض (يأيها المدّثر قمْ فأنذر) قبل أن يؤلّف إلى ذلك غيرهُ من القرآن، وذلك إنْ قاله قائل خروج من قول أهل الملة "[1].

فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ ﴾ [البقرة:28] قال أبو جعفر: " الاستواء في كلام العرب متصرف على وجوه منها: انتهاء شباب الرجل وقوّته... ومنها: استقامة ما كان فيه أودٌ... ومنها: الإقبال على الشيء... ومنها: الاحتياز والاستلاء... ومنها: العلو والارتفاع... ثم قال مختارا المعنى الأخير: وأولى المعاني بقول الله جلّ ثناؤه (ثم استوى إلى السماء فسوّاهنّ) علا عليهن وارتفع فدبّرهن بقدرته وخلقهنّ سبع سماوات[2] "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ﴾ [البقرة:56] حكاية عن امتنانه سبحانه وتعالى على بني إسرائيل، حيث ذكر الطبري معنيين للطيّبات، واختار ما يناسب المقام فقال: " وعنى جلّ

---

[1] جامع البيان: مج1/ جز1/ ص52-53.

[2] فكان معنى العلو والارتفاع أنسب بمقام الاستواء في حقه سبحانه وتعالى، وهذا ما يوافق عقيدة السلف رضوان الله عليهم، والطبري رحمه الله يدينُ بهذا، وهذا ظاهر لمن يُمعن النظر في تفسيره لآيات الأسماء والصفات.

[3] المصدر السابق: مج1/ جز1/ ص252.

ذكره بقوله (كلوا من طيّبات ما رزقناكم): كلوا من مشتهيات رزقنا الذي رزقناكموه. وقد قيل: عنى بقوله: (من طيّبات ما رزقناكم): من حلاله الذي أبحْناه لكم، فجعلناه لكم رزقا. والأول من القولين أولى بالتأويل؛ لأنه وصفُ ما كان القوم فيه من هنيء العيش الذي أعطاهم، فوصف ذلك بالطيّب – الذي هو بمعنى اللّذة – أحرى من وصفه بأنه حلال مباح[1] "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ [البقرة:115] ذكر أن للقنوت في كلام العرب ثلاثة معان: أحدها : الطاعة، والآخر: القيام، والثالث: الكفّ عن الكلام والإمساك عنه، ثم قال مختارا ما يناسب مقام الردّ عن شبهة النصارى: "وأولى معاني القنوت في قوله تعالى (كل له قانتون) الطاعة والإقرار لله عزّ وجل بالعبودية بشهادة أجسادهم بما فيها من آثار الصنعة، والدلالة على وحدانية الله عزّ وجل، وأنّ الله تعالى ذكره بارئها وخالقها. وذلك أن الله جلّ ثناؤه أكذب الذين زعموا أن لله ولدا بقوله: بل له ما في السماوات والأرض ملكا وخلقا، وأن الله تعالى بارئها وصانعها... فأنّى يكون لله ولدا وهذه صفته؟ "[3].

وعند تفسير قوله تعالى ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ ﴾ [البقرة:196] حين ذكر اختلاف المفسرين في معنى (الفسوق) إلى أربعة أقوال، الأول: المعاصي كلها، الثاني: ما عصي الله به في الإحرام مما نهى عنه فيه، والثالث: الفسوق في هذا الموضع السباب، والرابع: الذبح للأصنام، ثم اختار ما يناسب حال الإحرام من بين هذه المعاني وإن كان يصدق على جميعها مُسمى الفسوق، فقال: " وأولى الأقوال التي ذكرنا بتأويل الآية في ذلك قول من قال: هو النهي عن معصية الله في إصابة الصيد، وفعل ما نهى الله المحرم عن فعله في حال إحرامه، وذلك أن الله جلّ ثناؤه قال: (فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق) يعني بذلك: ...لا يفعل ما نهاه الله عن فعله في حال إحرامه...، وقد علمنا أن الله جلّ ثناؤه قد حرّم معاصيه على كل أحد محرما كان أو غير محرم،

---

[1] إذ المقام مقام امتنان وليس مقام إباحة وتشريع حتى يسلّم للمعنى الثاني.

[2] المصدر السابق: مج1/ جز1/ ص392.

[3] المصدر نفسه: مج1/ جز1/ ص666.

وكذلك حرم التنابز بالألقاب في حال الإحرام وغيرها... وحرم على المسلم سباب أخيه في كل حال فرض الحج أو لم يفرضه، فإذا كان ذلك كذلك، فلا شك أن الذي نهى الله عنه العبد من الفسوق في حال إحرامه وفرضه الحج، هو ما لم يكن فسوقا في حال إحلاله وقبل إحرامه بحجه "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [آل عمران:23] ذكر قولين في معنى الكتاب المذكور في هذه الآية، الأول: التوراة، والثاني: القرآن، ثم اختار أن يكون التوراة أحرى؛ لأن المقام مقام إقامة للحجة فقال: " وأولى الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله جل ثناؤه أخبر عن طائفة من اليهود الذين كانوا بين ظَهراني مُهاجَر رسول الله ﷺ في عهده، ممن قد أوتي علمًا بالتوراة: أنهم دُعوا إلى كتاب الله الذي كانوا يقرّون أنه من عند الله وهو التوراة... وإنما قلنا إن ذلك الكتاب هو التوراة؛ لأنهم كانوا بالقرآن مكذبين، وبالتوراة بزعمهم مصدّقين، فكانت الحجة عليهم بتكذيبهم بما هم به في زعمهم مقرُّون، أبلغَ، وللعذر أقطعَ "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ ﴾ [آل عمران:48] ذكر عدة معاني للأكمه، أحدها: الذي يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار وهو قول مجاهد، والثاني: الأعمى الذي ولدته أمه كذلك وهو قول قتادة، والثالث: هو الأعمى مطلقا وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما ورواية عن قتادة، والرابع: هو الأعمش وهو قول عكرمة، ثم اختار الإمام الطبري المعنى الثاني؛ لأن المقام مقام تأييد عيسى عليه السلام بالمعجزة المقحمة للخصوم فقال: " والمعروف عند العرب من معنى الكمه: العَمى، يقال منه: كمِهَتْ عينه فهي تَكْمَه كمهًا، وأكمهتُها أنا: إذا أعميتها، كما قال سويد بن أبي كاهل[3]:

كَمَّهَتْ عَيْنَيْهِ حَتَّى ابْيَضَتَا *** فَهْوَ يَلْحَى نَفْسَهُ لَمَّا نزعْ

---

[1] المصدر السابق: مج2/ جز2/ ص360.

[2] المصدر نفسه: مج3/ جز3/ ص282-283، بتصرف .

[3] غطيف بن حارثة الوائلي الغطفاني، شاعر جاهلي مخضرم أدرك زمن الحجاج، ومات بعد 60هـ، ولم تثبت له صحبة في كتب التراجم، له قصيدة كانت تسميها العرب اليتيمة لانفرادها بما ليس في غيرها من الأمثال. ينظر: الإصابة: 222/3.

... فأما ما قال عكرمة من أن الكمه: العمش، وما قاله مجاهد: من أنه سوء البصر بالليل، فلا معنى لهما؛ لأن الله لا يحتج على خلقه بحجة تكون لهم السبيلُ إلى معارضته فيها، ولو كان مما احتجَّ به عيسى على بني إسرائيل في نبوته، أنه يبرئ الأعمش، أو الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل، لقدروا على معارضته بأن يقولوا: وما في هذا لك من الحجة، وفينا خَلقٌ ممن يعالجُ ذلك، وليسوا لله أنبياءَ ولا رسلا، ففي ذلك دلالة بينة على صحة ما قلنا، من أنّ الأكمه: هو الأعمى الذي لا يبصر شيئًا لا ليلا ولا نهارًا. وهو بما قال قتادة: من أنه المولود كذلك أشبهُ، لأن علاجَ مثل ذلك لا يدّعيه أحدٌ من البشر، إلا من أعطاه الله مثل الذي أعطى عيسى "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِى لِلإِيمَـٰنِ ﴾ [آل عمران:193] ذكر في معنى المنادي قولين، الأول: أنه القرآن، والثاني: أنه الرسول ﷺ، ثم اختار المعنى الأول لمناسبته الحال، كون هؤلاء المستمعين لم يدركوا كلهم النبي ﷺ وإنما سمعوا القرآن معجزته الخالدة عبر الزمن فقال الطبري موضحا ذلك: " وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول محمد بن كعب، وهو أن يكون المنادي: القرآن؛ لأن كثيرًا ممن وصفهم الله بهذه الصفة في هذه الآيات، ليسوا ممن رأى النبي ﷺ، ولا عاينه فسمعوا دعاءه إلى الله تبارك وتعالى ونداءه، ولكنه القرآن، وهو نظير قوله جل ثناؤه مخبرًا عن الجن إذ سمعوا كلام الله يتلى عليهم أنهم قالوا: ((إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ)) [سورة الجن: 1، 2] "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء:53] ذكر معنيين للفضل المذكور في هذا الموضع، فقال قتادة وابن جريج: هو النبوة، وقال ابن عباس والضحاك وغيرهما: الفضل النساء التي أباحها الله لرسوله والناس هنا النبي ﷺ، ولما كان المقام مقام تقريظ للرسول ولأصحابه أمام اليهود اختار الطبري المعنى الأول بهذا الاعتبار فقال: " وأولى التأويلين في ذلك بالصواب، قولُ قتادة وابن جريج الذي ذكرناه قبل: أن معنى الفضل في هذا الموضع: النبوّة التي فضل الله بها محمدًا ﷺ، وشرّف بها العرب، إذ آتاها رجلا منهم دون غيرهم لما ذكرنا من أن دلالة ظاهر هذه الآية، تدلّ على

[1] المصدر السابق: مج3/ جز3/ ص355-356، بشيء من التصرف.
[2] المصدر نفسه: مج3/ جز4/ ص265-266.

أنها تقريظٌ للنبي ﷺ وأصحابه رحمة الله عليهم، على ما قد بينا قبل. وليس النكاح وتزويجُ النساء وإن كان من فضْل الله جل ثناؤهُ الذي آتاه عباده بتقريظ لهم ومدح "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ [النساء:161] ذكر عدة أقوال في علة مخالفة إعراب (المقيمين) لما قبلها وما بعدها، نذكر بعضها: الأول: أنها غلط من الكاتب وإنما حقها الرفع، الثاني: أنه منصوب على المدح؛ والثالث: أن المقيمين الصلاة من صفة غير الراسخين في العلم في هذا الموضع – وإن كان الراسخون في العلم من المقيمين الصلاة - وقالوا: هي في موضع خفض معطوفة على (ما) التي في قوله (يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) فيكون معنيا بالمقيمين الصلاة على هذا الاحتمال: الملائكة، وإقامتهم إياها إدامتهم التسبيح والدعاء للمؤمنين، ثم اختار الطبري المعنى الأخير لمناسبته مقام استثناء من آمن من أهل الكتاب وحقق أركان الإيمان والتي منها الإيمان بالملائكة، وهذا بعدما ذُكر في الآية السابقة كفر وإعراض من كفر وأعرض منهم[2]، فقال عليه رحمة الله: " وأولى الأقوال عندي بالصواب، أن يكون المقيمين في موضع خفض، نسَقًا على (ما) التي في قوله: ((بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك)) وأن يوجه معنى ((المقيمين الصلاة)) إلى الملائكة. فيكون تأويل الكلام: والمؤمنون منهم يؤمنون بما أنزل إليك يا محمد، من الكتاب ،وبما أنزل من قبلك

---

[1] المصدر السابق: مج4/ جز5/ ص186.

[2] ناقش الإمام الطبري كل هذه الأوجه وضعفها لغةً وتفسيرا، وإن كان الطبري لم يصرح بمسوّغ الاختيار صراحة؛ حيث اختار ووجّه المعنى بحسب اختياره، ولما كانت هذه الآيات في شأن أهل الكتاب وكفرهم بعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وكانت هذه الآية خصوصا بعد ذكر كفر من كفر منهم وأعرض عن الإيمان والعمل بما أنزل الله، جاءت هذه الآية باستثناء من آمن منهم وحقق أركان الإيمان التي جاءت في القرآن – ما عدا الإيمان بالقدر الذي جاء في السنة – فألحق الطبري المقيمين عطفا على (ما) المجرورة بحرف الجر قبلها، وأوّلها بالإيمان بالملائكة المقيمين للصلاة، إتماما لأركان الإيمان، وهذا التأويل مناسب لمقام استثناء هؤلاء المؤمنين المحققين لأركان الإيمان ممن أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما، بخلاف من كفر منهم ممن أعد الله له عذابا أليما كما أخبر الله تعالى في الآية السابقة. وهذا التحليل تأتّى لي من التدبر والنظر في سبب اختيار الطبري لإعراب المقيمين، وقد يختلف في ذلك معي غيري، وقد يتسع أفق نظر غيري لما لم يتسع له أفق نظري والله تعالى أعلى وأعلم.

من كتبي، وبالملائكة الذين يقيمون الصلاة. ثم يرجع إلى صفة الراسخين في العلم، فيقول: لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون بالكتب والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [الأعراف:2] ذكر احتمالين لمعنى هذا التركيب، الأول: أن يكون خطابا لنبي ﷺ خرج مخرج الخطاب للجماعة؛ إذ المراد أتباعه من أمّته ﷺ، والثاني: أن يكون معناه: قلْ يا محمد ﷺ اتبعوا ما أنزل إليكم، ثم اختار المعنى الثاني؛ لأن المقام مقام إنذار وإبلاغ، مع المعنى الأول غير مُستبعد عنده، حيث قال: " يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: قل: يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك الذين يعبدون الأوثان والأصنام: اتبعوا أيها الناس ما جاءكم من عند ربكم بالبينات والهدى، واعملوا بما أمركم به ربكم... فإن في الكلام دلالة عليه، وذلك قوله: ((فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به)) ففي قوله: لتنذر به، الأمر بالإنذار، وفي الأمر بالإنذار، الأمرُ بالقول؛ لأن الإنذار قول. فكأن معنى الكلام: أنذر القومَ وقل لهم: اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم... وقد كان بعض أهل العربية يقول[2]: قوله: اتبعوا خطاب للنبيّ ﷺ، ومعناه: كتاب أنزل إليك، فلا يكن في صدرك حرج منه، اتبع ما أنزل إليك من ربك ويرى أن ذلك نظير قول الله: ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ)) [سورة الطلاق: 1] ، إذ ابتدأ خطابَ النبي ﷺ، ثم جعل الفعل للجميع؛ إذ كان أمر الله نبيه بأمرٍ أمرًا منه لجميع أمته... وذلك وإن كان وجهًا غير مدفوع، فالقولُ الذي اخترناه أولى بمعنى الكلام "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ ﴾ [هود:6] اختار أن يكون معنى المستقر: هو المأوى الذي تأوي إليه ليلا أو نهارا، والمستودع: مكان موتها أو موضع دفنها، واستبعد أن يكون معنى المستقر: الرحم، والمستودع: الصلب، وهذا لكون المقام في بيان رزق الدواب في معاشها وحياتها؛ فلأن يكون المعنى ما قال الطبري أولى بالمقام؛ لأن الرحم والصلب ليسا من عالم الوجود والمعاش، قال الطبري موضحا مسوّغ هذا الاختيار: " وإنما اخترنا القول الذي اخترناه

---

1 المصدر السابق: مج4/ جز6/ ص37، بتصرف.

2 القول للفراء: ينظر: معاني القرآن: 371/1.

3 المصدر السابق: مج5/ جز8/ ص151، بتصرف.

فيه؛ لأن الله جل ثناؤه أخبر أن ما رزقت الدواب من رزقٍ فمنه، فأولى أن يتبع ذلك أن يعلم مثواها ومستقرها دون الخبر عن علمه بما تضمنته الأصلاب والأرحام "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَاماً ﴾ [الكهف:19] ذكر عن أئمة السلف معنيين للزكاة في هذا الموضع: الأول: بمعنى الأكثر، والثاني: بمعنى الأطهر والأحلّ، ثم اختار المعنى الثاني، كون فتية الكهف في حالٍ يطلبون فيها الطعام الحلال الطيّب، وكانوا يظنون أنفسهم بُعثوا في زمن الملك الجائر، فلم يطلبوا طعاما كثيرا، وإنما طلبوا طعاما طيّبا حلالا، قال الطبري موضحا مقصده من هذا الاختيار: " وأولى الأقوال عندي في ذلك بالصواب: قول من قال: معنى ذلك: أحلّ وأطهر، وذلك أنه لا معنى في اختيار الأكثر طعاما للشراء منه... وإنما وجه من وجه تأويل أزكى إلى الأكثر؛ لأنه وجد العرب تقول: قد زكا مال فلان: إذا كثر، وكما قال الشاعر:

قَبائِلُنا سَبْعٌ وأَنْتُمْ ثَلاثَةٌ *** وَللسَّبْعُ أَزْكَى مِن ثَلاثٍ وأَطْيَبُ

بمعنى: أكثر، وذلك وإن كان كذلك، فإن الحلال الجيد وإن قل، أكثر من الحرام الخبيث وإن كثر[2] "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْماً ﴾ [الكهف:80] ذكر معنيين في كلمة (رُحما) الأول: الرحمة، بمعنى أرحم بهما وأبرّ (قول قتادة)، والثاني: من الرَحِم، بمعنى أقرب منه رحما لهما، ثم اختار المعنى الأول كون حال الوالدين في شقاء وعقوق من ابنهما الكافر، فناسب أن يكون المعنى كذلك، قال الطبري موضحا: " ولا وجه للرَّحِمِ في هذا الموضع؛ لأن المقتول كان الذي أبدل الله منه والديه ولدا لأبويْ المقتول، فقرابتهما من والديه، وقربهما منه في الرَّحم سواء. وإنما معنى ذلك: وأقرب من المقتول أن يرحم والديه فيبرهما كما قال قتادة: وقد يتوجه الكلام إلى أن يكون معناه: وأقرب أن يرحماه، غير أنه لا قائل من أهل تأويل تأوّله كذلك؛ فإذ لم يكن فيه قائل، فالصواب فيه ما قلنا لما بيّنا "[4].

---

[1] المصدر السابق: مج7/ جز12/ ص7.

[2] وهذا مصداقا لقوله تعالى (قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث) [المائدة:102].

[3] المصدر نفسه: مج9/ جز15/ ص275، بتصرف.

[4] المصدر نفسه: مج9/ جز16/ ص14.

وعند قوله تعالى ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ ﴾ [الأنبياء:86] أورد معنيين لهذا التركيب، الأول: فظن يونس أن لن نحبسه عقوبة له على مغاضبته ربه، والثاني: فظن أنه يعجز ربه فلا يقدر عليه، ثم اختار ما يناسب مقام النبوة فقال: " وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب، قول من قال: عَنَى به: فظنّ يونس أن لن نحبسه ونضيق عليه، عقوبة له على مغاضبته ربه. وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الكلمة؛ لأنه لا يجوز أن ينسب إلى الكفر وقد اختاره لنبوته، ووصفه بأن ظنّ أن ربه يعجز عما أراد به ولا يقدر عليه، ووصف له بأنه جهل قدرة الله، وذلك وصف له بالكفر، وغير جائز لأحد وصفه بذلك "[1].

المطلب الثاني: اختيار المعنى المناسب لقرينة سبب النزول[2].

الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.

قرر الأئمة الأعلام أنّ من أهم فوائد معرفة أسباب النزول، كونها تعين على فهم الآية على وجه صحيح[3]. فإذا تنازع المفسرون في معنى آية من كتاب الله وتعدّدت أقوالهم فيها، فأولى الأقوال بتفسير الآية ما وافق سبب النزول الصحيح الصريح في السّببية[4].

والإمام الطبري عالم بالآثار المسندة في أسباب النزول، بل له مرويات كثيرة في بيانها، لذلك أعمل أسباب النزول في اختياراته اللغوية للمفردات والتراكيب.

الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.

وذلك عند قوله تعالى ﴿ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥ﴾ [البقرة:195] حين ذكر اختلاف المفسرين في معنى المحِل الذي متى بلغه الهدي كان للمُحرم الإحلال من إحرامه، فقال بعضهم: هو مكان الإحصار حيث ما حُبس وهو قول جمهور المفسرين من السلف، وقال آخرون:

---

[1] المصدر السابق: مج10/ جز17/ ص104.

[2] خشية الإطالة نحيل على نماذج أخرى من هذا النوع من الاختيار بهذا الاعتبار، ينظر جامع البيان: مج4/ جز5/ ص128، ص294، مج5/ جز7/ ص145، مج9/ جز15/ ص177، مج10/ جز17/ ص126.

[3] ينظر: مقدمة في أصول التفسير: ص25.

[4] مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين: ص94.

محل الهدي الحرم لا محل له غيره وهو قول ابن مسعود ومن وافقه، ثم اختار المعنى الأول لتلائمه مع سبب النزول: " وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل هذه الآية قول من جعل محل الهدي الموضع الذي أحصر فيه المحرم...وذلك لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه صُدّ عام الحديبية عن البيت وهو مُحرم وأصحابه بعمرة، فنحر هو وأصحابه بأمره الهدي، وحلوا من إحرامهم قبل وصولهم إلى البيت؛...إذ كانت هذه الآية لا يتدافع أهل العلم أنها يومئذ نزلت، وفي حكم صدّ المشركين إياه عن البيت أُوحيت "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ [البقرة:266] حيث اختار معنى الخبيث إستنادا إلى سبب نزول الآية والذي هو الرديء وليس هو بمعنى الحرام كما قال ابن زيد، فقال رحمه الله: " يعني جل ثناؤه بالخبيث: الرديء، غير الجيد، يقول: لا تعمدوا الرديء من أموالكم في صدقاتكم فتصدقوا منه، ولكن تصدقوا من الطيب الجيد. وذلك أن هذه الآية نزلت في سبب رجل من الأنصار علق قنوا من حشف في الموضع الذي كان المسلمون يعلقون صدقة ثمارهم صدقةً من تمره[2]... قال ابن زيد: الخبيث الحرام، لا تتيمّمه تنفق منه، فإن الله عز وجل لا يقبله. قال أبو جعفر: وتأويل الآية هو التأويل الذي حكيناه عمن حكينا من أصحاب رسول الله ﷺ واتفاق أهل التأويل في ذلك دون ما قاله ابن زيد "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ [آل عمران:113] ذكر أربعة معاني لآناء الليل، الأول: ساعات الليل، والثاني: يتلون القرآن في صلاة العشاء الآخرة، والثالث: يقرأون القرآن في جوف الليل، والرابع: يصلون فيما بين المغرب والعشاء، ثم اختار المعنى الثاني الموافق لمدلول

---

[1] المصدر السابق: مج2/ جز2/ ص300، بتصرف يسير

[2] أخرج ابن جرير عن البراء بن عازب ﷺ قال: كانوا يجيئون في الصدقة بأردأ تمرهم وأردأ طعامهم، فنزلت: (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم) الآية. ينظر جامع البيان: مج3/ جز3/ ص107.

[3] المصدر نفسه: مج3/ جز3/ ص106-109، بتصرف يسير.

الأثر الذي فيه التصريح بسبب نزول الآية[1] فقال: " غير أن أولى الأقوال بتأويل الآية، قولُ من قال: عني بذلك تلاوة القرآن في صلاة العشاء؛ لأنها صلاة لا يصلِّيها أحد من أهل الكتاب، فوصف الله أمة محمد ﷺ بأنهم يصلونها دون أهل الكتاب الذين كفروا بالله ورسوله "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ﴾ [النساء:127] ذكر معنيين لهذا التركيب، الأول: وأحضرت أنفس النساء الشحّ على أنصبائهن من أنفس أزواجهن وأموالهم، والثاني: وأحضرت نفس كل واحد من الرجل والمرأة الشحّ بحقه قبل صاحبه، ثم اختار المعنى الأول لقرينة سبب النزول فقال: " وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: عنى بذلك: أحضرت أنفس النساء الشحَّ بأنصبائهن من أزواجهن في الأيام والنفقة. والشحّ: الإفراط في الحرص على الشيء، وهو في هذا الموضع: إفراط حرصِ المرأة على نصيبها من أيامها من زوجها ونفقتها... وقد أبان الخبر الذي ذكرناه عن سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار أنّ قوله: ((وإن امرأة خافت من بعلها نشوزًا أو إعراضًا)) الآية: نزلت في أمر رافع بن خديج وزوجته؛ إذ تزوج عليها شابة، فآثر الشابَّة عليها، فأبت الكبيرة أن تَقِرَّ على الأثرة، فطلقها تطليقة وتركها. فلما قارب انقضاء عِدَّتها خيَّرها بين الفراق والرجعة والصبر على الأثرة، فاختارت الرجعة والصبر على الأثرة. فراجعها وآثر عليها، فلم تصبر، فطلقها. ففي ذلك دليل واضحٌ على أن قوله: ((وأحضرت الأنفس الشح)) إنما عُني به: وأحضرت أنفس النساء الشحَّ بحقوقهن من أزواجهن، على ما وصفنا "[3].

---

[1] إشارة إلى حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن ننتظر العشاء يريد العَتَمة فقال لنا: ما على الأرض أحدٌ من أهل الأديان ينتظر هذه الصلاة في هذا الوقت غيركم قال: فنزلت: (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون ...) الآية، ينظر الأثر بسنده وتعليق الشيخ أحمد شاكر عليه: جامع البيان: تح: أحمد شاكر، ط:1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ – 2000م، مج7/ ص128.

[2] المصدر نفسه: مج3/ جز4/ ص72، بتصرف.

[3] المصدر نفسه: مج4/ جز5/ ص400-401، بتصرف.

وعند قوله تعالى ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد:40] أورد أقوالا عديدة عن السلف في معنى هذا التركيب، واختار قول الحسن ومجاهد الموافق لمدلول سبب النزول[1]، حيث قال: " اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك. فقال بعضهم: يمحو الله ما يشاء من أمور عبادِه، فيغيّره، إلا الشقاء والسعادة، فإنهما لا يُغيَّران... وقال آخرون: معنى ذلك: أنّ الله يمحو ما يشاء ويثبت من كتابٍ سوى أمّ الكتاب الذي لا يُغيَّرُ منه شيء... وقال آخرون: بل معنى ذلك أنه يمحو كل ما يشاء، ويثبت كل ما أراد... وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنّ الله ينسخ ما يشاء من أحكام كِتَابه، ويثبت ما يشاء منها فلا ينسَخُه... وقال آخرون: معنى ذلك أنه يمحو من قد حان أجله، ويثبت من لم يجئ أجله إلى أجله (القول المختار)... وأولى الأقوال التي ذكرت في ذلك بتأويل الآية وأشبهُها بالصّواب، القولُ الذي ذكرناه عن الحسن ومجاهد، وذلك أن الله تعالى ذكره توعَّد المشركين الذين سألوا رسولَ الله ﷺ الآياتِ بالعقوبة، وتهدَّدهم بها، وقال لهم: ((وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إلا بِإِذْنِ الله لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ)) يعلمهم بذلك أن لقضائه فيهم أجلا مُثْبَتًا في كتاب، هم مؤخَّرون إلى وقت مجيء ذلك الأجل "[2].

المطلب الثالث: اختيار المعنى بالنظر لتشريع متفق عليه أو أصل من أصول الإسلام.

الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.

هذا المسوّغ قائم أساسا على أن القرآن جاء لتقرير أصول الاعتقاد، وتثبيت دعائم الإسلام وقواعده الكلية في القلوب[3]، فالقول الذي يتعارض مع أصل من أصول الدين، أو يتنافر مع ما عُلم

---

[1] أسند الإمام الطبري عن مجاهد في قول الله: ((يمحو الله ما يشاء ويثبت)): قالت قريش حين أنزل: ((وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إلا بِإِذْنِ اللهِ)) [الرعد:38] : ما نراك، يا محمد تملك من شيء، ولقد فُرِغ من الأمر! فأنزلت هذه الآية تخويفًا ووعيدًا لهم: إنا إن شئنا أحدَثْنا له من أمرنا ما شئنا، ونُحْدِث في كل رمضان، فنمحو ونثبتُ ما نشاء من أرزاق الناس ومَصَائبهم، وما نعطيهم، وما نقسم لهم. ينظر جامع البيان: مج8/ جز13/ ص213.

[2] المصدر نفسه: مج8/ جز13/ ص208-213، بتصرف.

[3] المحاور الخمسة للقرآن الكريم: محمد الغزالي، دط، دار الشروق، القاهرة، دت، ص46-50.

من الدين بالضرورة فهو مردود ومرجوح، والمعنى الذي يتعارض مع هذه القاعدة غير مقبول حمل كتاب الله عليه[1]، وإذا لم يراع هذا الأمر وقع الخطأ والانحراف في فهم القرآن[2].

والإمام الطبري عالم بأصول الإسلام وقواعده الكلية، وقد بنى اختياراته على هذا المبدأ[3]، والأمثلة المرفقة في العنصر الموالي تدل على ذلك.

الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.

وذلك عند قوله تعالى ﴿ وَالْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ [البقرة:226] حين ذكر اختلاف المفسرين في معنى القرء سببه وضع هذا اللفظ عند العرب على معنيين متضادين، فيطلق ويراد به الطهر، ويطلق ويراد به الحيض، ثم اختار معنى القروء المذكورة في الآية : الأطهار وليس الحيضات؛ وأستند في اختياره إلى أمر النبي ﷺ أمته بتطليق النساء وهن طاهرات لسن مُجامَعات في ذلك الطهر، ولا حائضات، فقال: "...فإذا كان الله تعالى ذكره قد أمرَ المريدَ طلاقَ امرأته أن لا يطلقها إلا طاهرًا غير مُجامعة، وحرَّم عليه طلاقها حائضًا[4]، كان اللازمُ المطلقةَ المدخولَ بها إذا كانت ذات أقراء تربُّص أوقات محدودة المبلغ بنفسها عقيب طلاق زوجها إياها، أن تنظرَ إلى ثلاثة قروء بين طهريْ كل قرءٍ منهنّ قرءٌ، هو خلاف ما احتسبته لنفسها قروءًا تتربصهنّ. فإذا انقضين فقد حلت للأزواج، وانقضت عدّتها، وذلك أنها إذا فعلت ذلك، فقد دخلت في عداد من تربَّصُ من المطلقات

---

[1] جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية: محمد أحمد لوح، ط:1، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، القاهرة، 1424هـ – 2003م، ص4.

[2] الأقوال الشاذة في التفسير – نشأتها وأسبابها وآثارها -: عبد الرحمن بن صالح الدّهش، ط:1، سلسلة إصدارات مجلة الحكمة، مانشتر، (رقم: 19) 1425هـ – 2004م، ص225.

[3] ينظر: دراسات نقدية في التفسير والحديث: كاصد الزيدي، ط:1، دار المشرق الثقافي، الأردن، 2006م، ص51.

[4] رجح الإمام الطبري أن يكون معنى القرء: الطهر، وأستند إلى أمر الله المريد طلاق امرأته ألاّ يطلقها إلاّ طاهرا كما في الأحاديث الصحاح عن ابن عمر، وهو بذلك يعطي للقرء في هذا الموضع معنًى شرعيا استنادا لهذا الحكم. ينظر: أصول النظرية النقدية القديمة من خلال قضية اللفظ والمعنى في خطاب التفسير – نموذج الطبري -: أحمد الودرني، ط:1، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2006م، ص78.

بنفسها ثلاثةَ قروء، بين طُهريْ كل قرءٍ منهن قرءٌ له مخالفٌ. وإذا فعلت ذلك، كانت مؤدية ما ألزمها ربها تعالى ذكره بظاهر تنزيله. فقد تبيَّن إذًا... أنّ القرءَ الثالثَ من أقرائها على ما بينا، الطهرُ الثالث، وأنّ بانقضائه ومجيء قرءِ الحيض الذي يتلوه، انقضاءُ عدّتها "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [آل عمران:54] حيث ذكر اختلاف مفسري السلف في معنى الوفاة، بين من أوّلها بوفاة النوم، ومن فسرها بالقبض من الأرض، ومن وجهها إلى الموت الحقيقي، ومن جعلها من المقدم الذي معناه التأخير، وكأن المعنى بحسب هذا المتأول: إني رافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد إنزالي إياك إلى الدنيا، ثم اختار المعنى الثاني لتظافر الأخبار بنزوله عليه السلام في آخر الزمان فقال: " وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا، قولُ من قال: معنى ذلك: إني قابضك من الأرض ورافعك إليّ؛ لتواتر الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال))[2] ثم يمكث في الأرض مدة ذكَرها، اختلفت الرواية في مبلغها، ثم يموت فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه... ومعلوم أنه لو كان قد أماته الله عز وجل لم يكن بالذي يميته مِيتةً أخرى، فيجمع عليه ميتتين "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة:107] ذكر عدة معاني لهذه الآية عن سلف الأمة، أحدها: أن العبد إذا عمل بطاعة الله لم يضره من ضلّ بعده (وكأن قائلي هذا القول لا يرون بأسا بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) والثاني: إذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فلم يُستجبْ لكم لا شيء عليكم وهو قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم اختار المعنى الثاني بالنظر لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكونه من أصول الإسلام فقال عليه رحمة الله: " وأولى هذه الأقوال وأصحّ التأويلات عندنا بتأويل هذه الآية، ما روي

---

[1] المصدر السابق: مج2/ جز2/ ص590-591.

[2] أخرجه البزار برقم (9642) وابن أبي حاتم في تفسيره برقم (6249)، كلاهما من حديث أبي هريرة بألفاظ متباينة. ينظر: مسند البزار: أحمد بن عمرو البزار، تح: جماعة من الدكاترة وطلاب العلم، ط:1، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 2009م، 96/17. وينظر: تفسير ابن أبي حاتم: 1113/4.

[3] المصدر السابق: مج3/ جز3/ ص372-373، بتصرف يسير.

عن أبي بكر الصديق ﷺ فيها، وهو: ((يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم)) الزموا العملَ بطاعة الله وبما أمركم به، وانتهوا عما نهاكم الله عنه ((لا يضركم من ضل إذا اهتديتم)) يقول: فإنه لا يضركم ضلال من ضل إذا أنتم لزمتم العمل بطاعة الله، وأدَّيتم فيمن ضل من الناس ما ألزمكم الله به فيه، من فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يركبه أو يحاول ركوبه، والأخذ على يديه إذا رام ظلمًا لمسلم أو معاهد ومنعه منه فأبى النزوع عن ذلك، ولا ضير عليكم في تماديه في غيِّه وضلاله، إذا أنتم اهتديتم وأديتم حق الله تعالى ذكره فيه. وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات في ذلك بالصواب؛ لأن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين أن يقوموا بالقسط، ويتعاونوا على البر والتقوى. ومن القيام بالقسط، الأخذ على يد الظالم. ومن التعاون على البر والتقوى، الأمر بالمعروف. وهذا مع ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من أمره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولو كان للناس تركُ ذلك، لم يكن للأمر به معنًى، إلا في الحال التي رخَّص فيه رسول الله ﷺ تركَ ذلك، وهي حال العجز عن القيام به بالجوارح الظاهرة، فيكون مرخصًا له تركه، إذا قام حينئذ بأداء فرض الله عليه في ذلك بقلبه "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة:117] حيث ذكر تضارب الروايات عن السلف هل نزلت المائدة حقيقة، أم أن القوم هابوا لما عُرض عليهم العذاب إن هم كفروا بها بعد إنزالها، وممن قال بالقول الثاني الحسن ومجاهد في رواية عنه، ثم قال الإمام الطبري محتكما إلى أن قول الله نافذ ووعده حاصل لا شك في ذلك، وأن المائدة نزل لا شك في نزولها ولا وجه لقول من قال أنها لم تنزل: " والصواب من القول عندنا في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أنزل المائدة على الذين سألوا عيسى مسألتَه ذلك ربَّه. وإنما قلنا ذلك، للخبر الذي روينا بذلك عن رسول الله ﷺ وأصحابه وأهل التأويل من بعدهم، غير من انفرد بما ذكرنا عنه. فإن الله تعالى ذكره لا يخلف وعدَه، ولا يقع في خبره الخُلْف، وقد قال تعالى ذكره مخبرًا في كتابه عن إجابة نبيه عيسى ﷺ حين سأله ما سأله من ذلك: ((إني منزلها عليكم)) وغير جائز أن يقول

---

[1] المصدر السابق: مج5/ جز7/ ص130، بتصرف.

تعالى ذكره: ((إني منزلها عليكم)) ثم لا ينزله؛ لأن ذلك منه تعالى ذكره خبر، ولا يكون منه خلاف ما يخبر. ولو جاز أن يقول: ((إني منزلها عليكم)) ثم لا ينزلها عليهم، جاز أن يقول: ((فمن يكفر بعد منكم فإنّي أعذبه عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين)) ثم يكفر منهم بعد ذلك، فلا يعذّبه، فلا يكون لوعده ولا لوعيده حقيقة ولا صحة. وغير جائز أن يوصف ربنا تعالى ذكره بذلك "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ ﴾ [الأنفال:39] استند إلى المحكم في التشريع الإسلامي، من أن المسلين واجب عليهم مقاتلة الكفار حتى يسلموا أو يعطوا الجزية كما قال ﷺ: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله...)) الحديث[2]، واختار أن يكون الانتهاء المقصود في قوله (فإن انتهوْا): انتهوْا عن الفتنة وليس عن القتال، حيث قال: " وأما قوله: ((فإن انتهوا)) فإن معناه: فإن انتهوا عن الفتنة، وهي الشرك بالله، وصارُوا إلى الدين الحق معكم ((فإن الله بما يعملون بصير))... وقد قال بعضهم: معنى ذلك، فإن انتهوا عن القتال. قال أبو جعفر: والذي قلنا في ذلك أولى بالصواب؛ لأن المشركين وإن انتهوا عن القتال، فإنه كان فرضًا على المؤمنين قتالهم حتى يسلموا "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَۖ ﴾ [هود:46] ذكر اختلاف المفسرين في معنى نفي أن يكون الولد الهالك غرقا من أهل نوح ﷺ، فقال بعضهم: لم يكن ولده لصلبه...، وقال آخرون: بل كان ولده لصلبه، ولكن لم يكن من أهله الناجين، ثم اختار المعنى الثاني كون كلام الله لا يعتريه التناقض والخلل؛ إذ أخبر الله عن نوح فقال ((ونادى نوح ابنه))، قال الطبري موضحا ذلك: " وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: تأويل ذلك: إنه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم؛ لأنه كان لدينك مخالفًا، وبي كافرًا، وكان ابنه؛ لأن الله تعالى ذكره قد أخبر نبيه محمدًا ﷺ أنه ابنه فقال: ((ونادى نوح ابنه)) وغير جائز أن يخبر أنه ابنه فيكون بخلاف ما أخبر. وليس في قوله: (إنه

[1] المصدر السابق: مج5/ جز7/ ص174.

[2] حديث متواتر اتفق عليه الشيخان وخرجه علماء الإسلام في دواوين السنن والآثار. ينظر: السلسلة الصحيحة: ناصر الدين الألباني، ط:1، مكتبة المعارف، الرياض، 1415هـ – 1995م، 764/1.

[3] المصدر السابق: مج6/ جز9/ ص312.

ليس من أهلك) ، دلالةٌ على أنه ليس بابنه؛ إذ كان قوله: ((ليس من أهلك)) محتملا من المعنى ما ذكرنا، ومحتملا أنه ليس من أهل دينك، ثم يحذف الدين فيقال: ((إنه ليس من أهلك)) كما قيل: ((واسأل القرية التي كنا فيها)) [يوسف: 82] "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ ﴾ [إبراهيم:27] ذكر عدة معاني للحين في هذا الموضع، الأول: كل غداة وعشية، والثاني: كل سنة، والثالث: كل ستة أشهر، والرابع: كل شهرين، ولما كانت هذه الشجرة الطيّبة التي تؤتي أكلها كل حين مثلا لإيمان المؤمن وعمله الدائم الغير محصور بزمن، اختار الإمام الطبري ما يوافق هذا الأصل فقال: " وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قولُ من قال: عنى بالحين، في هذا الموضع، غدوةً وعشيةً، وكلَّ ساعة؛ لأن الله تعالى ذكره ضَرَب ما تؤتي هذه الشجرة كلَّ حين من الأكل لعمل المؤمن وكلامِه مثلا ولا شك أن المؤمن يُرفع لهُ إلى الله في كلّ يوم صالحٌ من العمل والقول، لا في كل سنة، أو في كل ستة أشهر، أو في كل شهرين. فإذا كان ذلك كذلك، فلا شك أن المثَل لا يكون خِلافًا للمُمَثَّل به في المعنى. وإذا كان ذلك كذلك، كان بَيّنًا صحةُ ما قلنا "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴾ [النحل:99-100] ذكر عن مجاهد إرجاعه الضمير في (به) على الله، وذكر عن الربيع إرجاعه الضمير إلى الشيطان (إعمالا لقاعدة عود الضمير لأقرب مذكور) ثم احتكم الإمام الطبري إلى أصول الاعتقاد، وعرف لغة القرآن في تخصيص الإشراك إلا بالله، فإن الشيطان أهون وأدحر من أن يسند إليه هذا الفعل الخاص بالله سبحانه وتعالى، قال الطبري موضّحا ذلك[3]: " والقول الأوّل، أعني قول مجاهد، أولى القولين في ذلك بالصواب، وذلك أن الذين يتولون الشيطان إنما يشركونه بالله في عبادتهم وذبائحهم ومطاعمهم ومشاربهم، لا أنهم يشركون بالشيطان.

---

[1] المصدر السابق: مج7/ جز12/ ص67.

[2] المصدر نفسه: مج8/ جز13/ ص263.

[3] هذا المثال يتعذر فيه إرجاع الضمير لأقرب مذكور للقرينة الواردة في الآية، وهي أصل الاعتقاد في أن الشرك لا يكون إلا بالله، وكذلك عرف لغة القرآن في استعمال هذا الإسناد.

ولو كان معنى الكلام ما قاله الربيع، لكان التنزيل: الذين هم مشركوه، ولم يكن في الكلام به، فكان يكون لو كان التنزيل كذلك: والذين هم مشركوه في أعمالهم... وذلك أن الله تعالى وصف المشركين في سائر سور القرآن أنهم أشركوا بالله ما لم ينزل به عليهم سلطانا، وقال في كلّ موضع تقدّم إليهم بالزجر عن ذلك: لا تشركوا بالله شيئا، ولم نجد في شيء من التنزيل: لا تشركوا الله بشيء، ولا في شيء من القرآن خبرا من الله عنهم أنهم أشركوا الله بشيء فيجوز لنا توجيه معنى قوله ((وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ)) إلى: والذين هم بالشيطان مشركو الله. فبين إذًا إذ كان ذلك كذلك، أن الهاء في قوله ((وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ)) عائدة على الربّ في قوله ((وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ))"[1].

وعند قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [السجدة:6] وجه المعنى على قراءة فتح اللام، وبيّن احتمال القراءة كذلك معنيان: الأول: الإحكام والإتقان، والثاني: بمعنى التحسين، ولما كان خلق الله لا يوصف بالقبح، اختار المعنى الأول فقال: " وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب على قراءة من قرأه: ((الَّذِين أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ)) بفتح اللام قول من قال: معناه أحكم وأتقن؛ لأنه لا معنى لذلك إذ قرئ كذلك إلا أحد وجهين: إما هذا الذي قلنا من معنى الإحكام والإتقان، أو معنى التحسين الذي هو في معنى الجمال والحُسن، فلما كان في خلقه ما لا يشكّ في قُبحه وسماحته، علم أنه لم يُعن به أنه أحسن كلّ ما خلق، ولكن معناه أنه أحكمه وأتقن صنعته"[2].

وعند قوله تعالى ﴿ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗا ﴾ [الأحزاب:6] ذكر ثلاثة معاني لهذا الاستثناء، الأول: إلا أن توصوا لذوي قرابتكم من غير أهل الإيمان والهجرة، والثاني: إلا أن تمسكوا بالمعروف بينكم بحق الإيمان والهجرة والحلف، والثالث: إلا أن توصوا إلى أوليائكم من المهاجرين وصيةً، ثم اختار المعنى الأخير بالنظر لعقيدة الولاء والبراء في الدين، فقال: " وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: معنى ذلك إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم الذين كان رسول الله ﷺ آخى بينهم وبينكم من المهاجرين والأنصار، معروفا من الوصية لهم، والنصرة والعقل عنهم، وما أشبه ذلك؛ لأن كلّ ذلك من المعروف الذي قد حثّ الله عليه عباده. وإنما اخترت هذا القول، وقلت: هو أولى

---

[1] المصدر السابق: مج8/ جز14/ ص214-215، بتصرف.

[2] المصدر نفسه: مج11/جز21/ ص115.

بالصواب من قيل من قال: عنى بذلك الوصية للقرابة من أهل الشرك، لأن القريب من المشرك، وإن كان ذا نسب فليس بالمولى، وذلك أن الشرك يقطع ولاية ما بين المؤمن والمشرك، وقد نهى الله المؤمنين أن يتخذوا منهم وليا بقوله: ((لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ)) وغير جائز أن ينهاهم عن اتخاذهم أولياء، ثم يصفهم جلّ ثناؤه بأنهم لهم أولياء "[1].

المطلب الرابع: اختيار المعنى المناسب لما صح من أحداث الأمم الماضية ووقائع سيرة المصطفى ﷺ[2].

الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.

الطبري مؤرخ عالم بأحداث الماضي[3]، وله كتابه المشهور: تاريخ الأمم والملوك، وقد أفاده علمه بالتاريخ في عرضه للأقوال والمعاني والترجيح بينها، يضاف إلى ذلك علمه بصحيح سيرة المصطفى ﷺ، وإن القارئ لتفسيره يلحظ استخداما واسعا لأحداث التاريخ والسيرة العطرة في معرض الاختيار والموازنة بين الأقوال والمعاني، ولقد تبعه في هذا غير واحد من المفسرين كابن كثير والثعالبي[4].

الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.

فعند قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران:173] ذكر اختلاف المفسرين في الوقت الذي قال من قال

---

[1] المصدر السابق: مج11/ جز21/ ص151.

[2] للاستزادة من هذا النوع من الاختيارات، ينظر جامع البيان: مج5/ جز7/ ص326، مج9/ جز15/ ص132.

[3] يدخل في أحداث الماضي الإسرائيليات المروية في قصص الأنبياء مما علمنا صدقه بما بين أيدينا من نصوص وقواعد، وهذا النوع من الإسرائيليات أعمله الطبري كثيرا في اختياراته المعنوية، وأما ما علمنا كذبه أو توقفنا في الحكم عليه، فقد أوخذ الطبري روايتها خاصة التي تتعارض ومقام عصمة الأنبياء والتأدب معهم. ينظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: محمد أبو شهبة، ط:4، مكتبة السنة، القاهرة، 1408هـ، ص123.

[4] ينظر: السيرة النبوية من خلال أهم كتب التفسير: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دط، دن، دت، ص43. وينظر مقدمة تحقيق الجواهر الحسان: عبد الرحمن الثعالبي، تح: محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط:1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ، 96/1.

لأصحاب رسول الله ﷺ: ((إن الناس قد جمعوا لكم)) فقال بعضهم: قيل ذلك لهم في وجههم الذين خرجوا فيه مع رسول الله ﷺ من أحد إلى حمراء الأسد، في طلب أبي سفيان ومن معه من المشركين... وقال آخرون: بل قال ذلك لرسول الله ﷺ وأصحابه من قال ذلك له، في غزوة بدر الصغرى، وذلك في مسير النبي ﷺ عامَ قابلٍ من وقعة أحد للقاء عدوّه أبي سفيان وأصحابه، للموعد الذي كان واعده الالتقاءَ بها... وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: إن الذي قيل لرسول الله ﷺ وأصحابه من أنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، كان في حال خروج رسول الله ﷺ وخروج من خرج معه في أثر أبي سفيان ومن كان معه من مشركي قريش، مُنْصَرَفهم عن أحد إلى حمراء الأسد؛ لأن الله تعالى ذكره إنما مدح الذين وصفهم بقيلهم: ((حسبنا الله ونعم الوكيل)) لما قيل لهم: ((إنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم)) بعد الذي قد كان نالهم من القروح والكلوم بقوله: ((الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح)) ولم تكن هذه الصفة إلا صفة من تبع رسول الله ﷺ من جرحى أصحابه بأحد إلى حمراء الأسد. وأما الذين خرجوا معه إلى غزوة بدر الصغرى، فإنه لم يكن فيهم جريح إلا جريح قد تقادم اندمال جرحه وبرأ كلمُه. وذلك أن رسول الله ﷺ إنما خرج إلى بدر الخرجة الثانية إليها، لموعد أبي سفيان الذي كان واعده اللقاء بها، بعد سنة من غزوة أحد، في شعبان سنة أربع من الهجرة. وذلك أن وقعة أحد كانت في النصف من شوال من سنة ثلاث، وخروج النبي ﷺ لغزوة بدر الصغرى إليها في شعبان من سنة أربع، ولم يكن للنبيّ ﷺ بين ذلك وقعة مع المشركين كانت بينهم فيها حرب جرح فيها أصحابه، ولكن قد كان قتل في وقعة الرَّجيع من أصحابه جماعة لم يشهد أحَد منهم غزوة بدر الصغرى. وكانت وقعة الرَّجيع فيما بين وقعة أحد وغزوة النبي ﷺ بدرًا الصغرى "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء:154] ذكر احتمالين لمعنى هذه الآية في تعلّقها بما قبلها، فقال بعضهم: هو منفصل مما قبله، وهو قول قتادة، وقال آخرون: بل هو مواصل لما قبله، والآية تفسير لسبب أخذهم بالصاعقة لما سألوا موسى ما سألوا، ثم اختار الإمام الطبري قول

[1] المصدر السابق: مج3/ جز4/ ص224-228، بتصرف.

قتادة مُعمِلا علمه بتاريخ الأمم السابقة فقال: " والصواب من القول في ذلك أن قوله: ((فبما نقضهم ميثاقهم)) وما بعده، منفصل معناه من معنى ما قبله... وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب؛ لأن الذين أخذتهم الصاعقة، إنما كانوا على عهد موسى والذين قتلوا الأنبياء، والذين رموا مريم بالبهتان العظيم، وقالوا: قتلنا المسيح، كانوا بعد موسى بدهر طويل. ولم يدرك الذين رموا مريم بالبهتان العظيم زمان موسى، ولا من صُعق من قومه. وإذ كان ذلك كذلك، فمعلوم أنّ الذين أخذتهم الصاعقة، لم تأخذهم عقوبةً لرميهم مريم بالبهتان العظيم، ولا لقولهم: ((إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم)) وإذ كان ذلك كذلك، فبيِّنٌ أن القوم الذين قالوا هذه المقالة، غير الذين عوقبوا بالصاعقة. وإذ كان ذلك كذلك، كان بيِّنًا انفصال معنى قوله: ((فبما نقضهم ميثاقهم)) من معنى قوله: ((فأخذتهم الصاعقة بظلمهم)) "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف:143] ذكر معنيين لهذا التركيب، الأول: وأنا أول المؤمنين بأن لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة، والثاني: وأنا أول المؤمنين بك من بني إسرائيل، ثم اختار المعنى الأول ذاكرا المسوّغ الذي لأجله اختاره فقال: " وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في قوله: ((وأنا أول المؤمنين)) على قول من قال: معناه: أنا أول المؤمنين من بني إسرائيل؛ لأنه قد كان قبله في بني إسرائيل مؤمنون وأنبياء، منهم ولدُ إسرائيل لصُلْبه، وكانوا مؤمنين وأنبياء. فلذلك اخترنا القول الذي قلناه قبل "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [مريم:30] ذكر معنيين للزكاة في هذا الموضع، واختار أن تكون بمعنى زكاة النفس وليس زكاة المال، مستندا في ذلك إلى وصف عيسى عليه السلام: أنه لا يدّخر شيئا لغدٍ فتجب عليه زكاة المال، قال الطبري موضحا مسوّغ الاختيار: " وفي الزكاة معنيان: أحدهما: زكاة الأموال أن يؤدّيها. والآخر: تطهير الجسد من دنس الذنوب، فيكون معناه: وأوصاني بترك الذنوب واجتناب المعاصي. وقوله ((مَا دُمْتُ حَيًّا)) يقول: ما كنت حيا في الدنيا موجودا، وهذا يبين عن أن معنى الزكاة في هذا الموضع: تطهير البدن من الذنوب؛ لأن الذي

---

[1] المصدر السابق: مج4/ جز6/ ص18، بتصرف.
[2] المصدر نفسه: مج6/ جز9/ ص72.

يوصف به عيسى صلوات الله وسلامه عليه أنه كان لا يدّخر شيئا لغد فتجب عليه زكاة المال، إلا أن تكون الزكاة التي كانت فرضت عليه الصدقة بكلّ ما فضل عن قوته، فيكون ذلك وجهًا صحيحًا "[1].

وبعدما تعرّفنا على اختيارات الطبري في معاني الغريب، وذلك بشرح مسوّغاتها وتمثيل لها، نأتي على ذكر أثر هذه الاختيارات في بناء شخصية الإمام الطبري التفسيرية، فإلى الفصل الأخير من هذه الدراسة.

[1] المصدر نفسه: مج9/ جز16/ ص109.

الفصل الخامس: أثر اختيارات الطبري في معاني الغريب على شخصيته التفسيرية.

- أثر اختياراته في الغريب على آرائه النقدية.
- أثر اختياراته في الغريب في حكمه على أقوال المفسرين والرّواة.
- أثر اختياراته في الغريب على تفسيره الفقهي.
- أثر اختياراته في الغريب على موقفه من القراءات.

هذا الفصل تظهر فيه ثمرة اختيارات الطبري في الغريب على شخصيته التفسيرية؛ إذ بتتبع أغلب اختياراته اللغوية وقفتُ على الأثر العملي لها، والمتمثل أساسا في تمتّع الإمام الطبري بحسّ نقدي عال مكّنه من إبراز آرائه التفسيرية في عديد الأبواب، والمنطلق في كلّ هذا اختياراته في معاني الغريب، وحصرتها في المباحث الموالية التي فيها مزيد تفصيل وتوضيح وتمثيل.

المبحث الأول: أثر اختياراته في الغريب على آرائه النقدية.

لم يكن الطبري مجرّد ناقل عمن قبله، ولم يكن كما اشتهر عن بعض المتأخرين حاطب ليل، بل كان يتعقبّ وينقد ويناقش بما يظهر لديه من ملاحظات، وبما يلوح عنده من مرجحات[1]، وبعد تتبعي لاختياراته اللغوية في الغريب، رأيتُ لاختياراته في الغريب أثرا كبيرا على اتجاهه اللغوي، وكذا ردوده على بعض الفرق، وهذا تفصيل ذلك:

المطلب الأول: أثر اختياراته في الغريب على اتجاهه اللغوي.

ما اشتهر به الطبري في عرف الدارسين والباحثين في مجال تاريخ اللغة ومدارسها أنه كوفيّ النزعة؛ إذ تبنى كثير من مناهج وطرائق الكوفيين في أخذ اللغة وروايتها، إضافة إلى استعماله مصطلحات المدرسة الكوفية في النحو: كالجحد مكان النفي، والكناية مكان الضمير، والترجمة مكان البدل، والتفسير مكان التمييز...الخ[2]، والحق أن الإمام الطبري وإن كان محسوبا على مدرسة الكوفة لغةً، إلاّ أنه خرج عنها بما ظهر عنده من حجج وبراهين، وبعد تتبعي لاختياراته في الغريب رأيتُ لها أثرا في هذا الجانب أوجزه فيما يلي بذكر نماذج على ذلك.

الفرع الأول: انتقاده أئمة البصرة على وجه العموم.

فعند قوله تعالى ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾ [البقرة:49] قال منتقدا إياهم: " وقد قال بعض نحويي البصرة: معنى قوله (وإذ فرقنا بكم البحر) فرقنا بينكم وبين الماء، يريد بذلك: فصلنا بينكم وبينه

---

[1] ينظر: المنهج النقدي في تفسير الطبري أصوله ومقوماته: أحمد نصري، ط:1، دار ابن حزم، بيروت، 1433هـ – 2012م، ص167-168.

[2] ينظر: المرجع نفسه: ص214.

وحجزناه حيث مررتم به. وذلك خلاف ما في ظاهر التلاوة؛ لأن الله جل ثناؤه إنما أخبر أنه فرق البحر بالقوم، ولم يخبر أنه فرق بين القوم وبين البحر فيكون التأويل ما قاله قائلو هذه المقالة "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ [النساء:123] ذكر أن حرف (من) مراد لمعنى في هذا الموضع، إما لتخصيص الفرائض، أو لعمل ما يستطيع العبد، ثم ردّ ادعاء نحاة البصرة أن تكون (من) حرف زائد فقال: " وقد تقوّل قوم من أهل العربية، أنها أدخلت في هذا الموضع بمعنى الحذف، ويتأوّله: ومن يعمل الصالحاتِ من ذكر أو أنثى وهو مؤمن. وذلك عندي غير جائز؛ لأن دخولها لمعنًى، فغير جائز أن يكون معناها الحذف "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ [هود:73] ردّ على بعض أهل البصرة زعمهم أن يجادلنا بمعنى يكلّمنا لمنافاة مقام النبوة حمل الجدال على الحقيقة، وقال في الكلام محذوف اكتُفيَ بما ذُكر عن اجتزائه، قال موضحا رده: " وزعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أن معنى قوله: ((يجادلنا)): يكلمنا. وقال: لأن إبراهيم لا يجادل الله، إنما يسأله ويطلب منه. قال أبو جعفر: وهذا من الكلام جهلٌ، لأن الله تعالى ذكره أخبرنا في كتابه أنه يجادل في قوم لوط، فقول القائل: إبراهيم لا يجادل... جهلٌ من الكلام، وإنما كان جدالُه الرسلَ على وجه المحاجّة لهم. ومعنى ذلك: وجاءته البشرى يجادل رسلنا، ولكنه لما عرف المراد من الكلام حذف الرسل. وكان جدالُه إيَّاهُم "[3].

الفرع الثاني: انتقاده أبا عبيدة على وجه الخصوص[4].

وذلك في كثير من مسائل النحو واللغة التي كان ينحو أبو عبيدة فيها منحى نحاة البصرة، ونمثّل لذلك بأمثلة: فعند قوله تعالى ﴿ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ ﴾ [البقرة:99] أسند قولاً لبعض نحاة البصرة

---

[1] جامع البيان: مج1/ جز1/ ص362.

[2] المصدر نفسه: مج4/ جز5/ ص381.

[3] المصدر نفسه: مج7/ جز12/ ص98، بتصرف يسير.

[4] ينظر انتقادات أخرى لأبي عبيدة، جامع البيان: مج3/ جز3/ ص39، مج4/ جز6/ ص129، مج5/ جز8/ ص167، مج8/ جز13/ ص234.

(يقصد أبا عبيدة) أنّ الواو في (أو كلما)) زائدة[1]، ثم اختار أنها واو عطف وردّ هذا القول فقال: " والصواب في ذلك عندي من القول، أنها واو عطف أدخلت عليها ألف الاستفهام... وغير جائز أن يكون في كتاب الله حرف لا معنى له "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ [آل عمران:18] ذكر الطبري عن أبي عبيدة ((ولم يصرح باسمه بل قال : وكان بعض البصريين)) أنه يقول: شهد بمعنى قضى[3]، ثم ردّ قوله قائلا: " وكان بعض البصريين يتأوّل قوله: (شهد الله): قضى الله... فأما ما قال الذي وصفنا قوله: من أنه عنى بقوله: (شهد): قضى، فمما لا يعرف في لغة العرب ولا العجم؛ لأن الشهادة معنًى، والقضاء غيرها "[4].

ونعته الإمام الطبري بكونه يفسر القرآن برأيه حين فسر قوله تعالى ﴿ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران:39] حكاية عن يحيى؛ إذ فسّر (بكلمة من الله): بكتاب من الله خارجا بذلك عن قول جميع أهل التأويل الذين يؤولونها بعيسى بن مريم، فقال رادّا عليه قوله: " وقد زعم بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل البصرة، أنّ معنى قوله: (مصدقًا بكلمة من الله): بكتاب من الله، من قول العرب: (أنشدني فلانٌ كلمة كذا) يراد به: قصيدة كذا[5]، جهلا منه بتأويل (الكلمة) واجتراءً على تَرجمة القرآن برأيه "[6].

---

[1] يعدّ أبا عبيدة من أقدم النحويين البصريين قولا بالزيادة في القرآن، فقال بزيادة بعض الأدوات في القرآن كمثال المبيّن في المتن: ينظر: دراسا نقدية في التفسير والحديث: كاصد الزيدي، ص78.

[2] جامع البيان: مج1/ جز1/ ص580.

[3] ينظر: مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى، 1/89.

[4] جامع البيان: مج3/ جز3/ ص270-273، بتصرف.

[5] ينظر: مجاز القرآن: 1/91.

[6] جامع البيان: مج3/ جز3/ ص327.

الفرع الثالث: انتقاده بعض الكوفيين.

مع أن الإمام الطبري كوفي في النحو واللغة، إلاّ أننا نراه ينقد بعض رواد هذه المدرسة، ومن أمثلة ذلك انتقاده معاذ الكوفي[1] حين فرّق بين من قرأ (يُبشّرهم) ومن قرأ (يَبْشُرهم) من قوله تعالى ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾ [آل عمران:39] فجعل الأولى من البشارة، وجعل الثانية من البشر والسرور، فقال الإمام الطبري منتقدا هذا التوجيه: " وأما ما رُوي عن معاذ الكوفي من الفرق بين معنى التخفيف والتشديد في ذلك، فلم نجدْ أهل العلم بكلام العرب يعرفونه من وجه صحيح، فلا معنى لما حُكي من ذلك عنه، وقد قال جرير بن عطية:

يَا بِشْرُ حُقَّ لِوَجْهِكَ التَّبْشِيرُ *** هَلا غَضِبْتَ لَنَا وَأَنْتَ أَمِيرُ

فقد عُلم أنه أراد بقوله التبشير: الجمال والنضارة والسرور، فقال: التبشير ولم يقل البِشْر، فقد بيَّن ذلك أن معنى التخفيف والتثقيل في ذلك واحدٌ "[2].

الفرع الرابع: وقوف الإمام الطبري حكما بين المتقدمين من أهل التفسير واللغة.

فعند قوله تعالى ﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا ﴾ [يوسف:31] أورد الإمام الطبري تفسير السلف لكلمة (متكأ) بمعنى: أترجا، ثم ذكر إبطال أبي عبيدة معمر بن المثنى لهذا التفسير من حيث اللغة وتوجيهه له، ثم أورد تعقب أبي عبيد القاسم بن سلام على إبطال أبي عبيدة تفسير المتكأ: بالأترج لغة، وقال: لعله من كلام العرب المندرس بذهاب أهله، ثم أنصف الإمام الطبري أبا عبيدة ووافقه إلى ما ذهب إليه فقال: " وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: المتكأ: هو النُّمْرُق يتكأ عليه. وقال: زعم قوم أنه الأترج. قال: وهذا أبطل باطل في الأرض، ولكن عسى أن يكون مع المتكأ أترج يأكلونه[3]. وحكى أبو عبيد القاسم بن سلام قول أبي عبيدة، ثم قال: والفقهاء[4] أعلم بالتأويل

---

[1] معاذ بن مسلم الهرّاء، لقّب الهرّاء؛ لأنه كان يبيع الهرويّ من الثياب، من الطبقة الأولى لنحاة الكوفة، والكسائي من الثانية، مات سنة 187هـ، ينظر: طبقات النحويين واللغويين: 125/1، وينظر: إنباه الرواة: 289/3.

[2] المصدر السابق: مج3/ جز3/ ص324.

[3] مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى، ت: محمد فؤاد زكين، دط، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1381هـ، مج1/ ص309.

[4] يقصد أبو عبيد بقوله: الفقهاء: أهل العلم بالتفسير من المتقدمين من الصحابة والتابعين.

منه. ثم قال: ولعله بعضُ ما ذهب من كلام العرب، فإنّ الكسائي كان يقول: قد ذهب من كلام العرب شيء كثير انقرض أهله[1]. قال أبو جعفر: والقول في أن الفقهاء أعلم بالتأويل من أبي عبيدة، كما قال أبو عبيد لا شك فيه، غير أن أبا عبيدة لم يُبْعد من الصواب في هذا القول، بل القول كما قال: مِن أن مَن قال للمتكأ: هو الأترج، إنما بيَّن المعدَّ في المجلس الذي فيه المتكأ، والذي من أجله أعطين السكاكين... ومما يبين صحة ذلك، قول ابن عباس، حيث قال: أعطتهن أترجًّا، وأعطت كل واحدة منهن سكّينًا. فبيّن ابن عباس... ما أعطت النسوة وأعرض عن ذكر بيان معنى المتكأ؛ إذ كان معلومًا معناه "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعاً ﴾ [الرعد:32] وقف الإمام الطبري حكما، بين أبي عبيدة البصري لغويا، وبين الفراء المنتمي إلى نفس مدرسة الطبري الكوفية، وذلك حين أورد أبو عبيدة شواهد شعرية تثبت استعمال العرب ليئستُ: بمعنى علمتُ، في حين أنكر الفراء سماع ذلك منهم مع أنها في السياق القرآني تُشير إلى هذا المعنى بحسبه، وأحتكم الإمام الطبري إلى تفسير ابن عباس وقتادة وابن زيد لهذه الكلمة، وأنصف أبا عبيدة معمر بن المثنى مع أنه يخالفه في المدرسة فقال: " اختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى قوله ((أفلم ييأس)) فكان بعض أهل البصرة يزعم أن معناه: ألم يعلمْ ويتبيَّن، ويستشهد لقيله ذلك ببيت سُحَيْم بن وَثيلٍ الرِّياحيّ[3]:

أَقُولُ لَهُمْ بالشِّعْبِ إِذْ يَأْسِرُونَنِي *** أَلَمْ تَيْأَسُوا أَنِّي ابْنُ فَارِسِ زَهْدَمِ

ويروى: يَيْسِرُونَني، فمن رواه: ييسرونني، فإنه أراد: يقتسمونني، من الميسر كما يقسم الجزور. ومن رواه: يأسرونني، فإنه أراد الأسر، وقال: عنى بقوله: ألم تيأسوا: ألم تعلموا. وأنشدوا أيضًا في ذلك:

---

[1] لم أجد هذا الكلام في أي مصنف من مصنفات أبي عبيد المطبوعة، وحتى الشيخ محمود شاكر لم يعلق عليه في تحقيقه لتفسير ابن جرير، وربما يكون في إحدى مصنفات أبي عبيد المفقودة، ولكن وصل كلامه إلى لأبي جعفر مشافهة ورواية فذكره في هذا الموضع.

[2] المصدر السابق: مج7/ جز12/ ص252، بتصرف.

[3] سحيم بن وثيل الرياحي التميمي، شاعر جاهلي مخضرم، قال ابن دريد: عاش في الجاهلية أربعين وفي الإسلام ستين، وكان جيد الشعر حسن النظم. ينظر: الإصابة: 207/3.

أَلَمْ يَيْأَسِ الأَقْوَامُ أَنِّي أَنَا ابْنُهُ *** وَإِنْ كُنْتُ عَنْ أَرْضِ العَشِيرَةِ نَائِيَا

وفسروا قوله: ألم ييأس: ألم يعلَم ويتبيَّن؟.... وأما بعض الكوفيين فكان ينكر ذلك، ويزعم أنه لم يسمع أحدًا من العرب يقول: يئست: بمعنى: علمت. ويقول: هو في المعنى وإن لم يكن مسموعًا: يئست بمعنى: علمت يتوجَّهُ إلى ذلك؛ إذ أنه قد أوقع إلى المؤمنين، أنه لو شاء لهدى الناس جميعا... وأما أهل التأويل فإنهم تأولوا ذلك بمعنى: أفلم يعلَم ويتبيَّن.... والصواب من القول في ذلك ما قاله أهل التأويل: إن تأويل ذلك: أفلم يتبين ويعلم؛ لإجماع أهل التأويل على ذلك، والأبيات التي أنشدناها فيه "[1].

المطلب الثاني: أثر اختياراته في الغريب على انتقاده أهل الفرق.

يعد الإمام الطبري إماما من أئمة السنة في القرنيين الثالث والرابع الهجريين، فلا يفوّت فرصة استدلال الفرقة المنحرفة عن منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين، إلا ويفنّده ويظهر بطلانه[2]، وسأقتصر على بعض الأمثلة الموضحة لمنهج الطبري في انتقاد بعض الفرق بمرجحات لغوية.

الفرع الأول: مسلك الفرق المنحرفة في فهم معاني القرآن في منظور الإمام الطبري.

بيّن الإمام الطبري أن أصحاب الفرق المنحرفة يتبعون المتشابه من القرآن، ولا يُلقون بالاً لما صح عن رسول الله ﷺ من أخبار، وذلك حين ردّ عن المعتزلة إنكارهم رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة في معرض تأويل قوله تعالى ﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [الأنعام:104] حيث قال: " وقد ذكرنا شيئا من تمويهاتهم ليعلم الناظرُ في كتابنا هذا أنهم لا يرجعون من قولهم إلا إلى ما لبَّس عليهم الشيطان، مما يسهل على أهل الحق البيانُ عن فساده، وأنهم لا يرجعون في قولهم إلى آية من التنزيل محكمة، ولا رواية عن رسول الله ﷺ صحيحة ولا سقيمة، فهم في الظلمات يخبطون، وفي العمياء يتردّدون، نعوذ بالله من الحيرة والضلالة "[3].

[1] جامع البيان: مج8/ جز13/ ص193-195، بتصرف.
[2] ينظر: المنهج النقدي في تفسير الطبري: ص251-252.
[3] جامع البيان: مج5/ جز7/ ص378، بتصرف يسير.

الفرع الثاني: انتقاده للقائلين بالجهة.

وذلك عندما اختار معنى (استوى) بمعنى علا وارتفع، فقال رادّا وناقما على المخالفين: " والعجب ممن أنكر هذا المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قوله تعالى (ثم استوى إلى السماء) الذي هو بمعنى العلو والارتفاع هربا عند نفسه من أن يلزمه بزعمه إذا تأوّله بمعناه المفهوم كذلك أن يكون إنما علا وارتفع بعد أنْ كان تحتها إلى أنْ تأوّله بالمجهول من تأويله المستنكر، ثم لم ينجُ مما هرب منه، فيقال له: زعمت أن تأويل قوله (استوى) أقبل، أفكان مُدبرا عن السماء فأقبل إليها؟، فإن زعم أنّ ذلك ليس بإقبال فعل ولكنه إقبال تدبير، قيل له: فكذلك فقلْ: علا عليها علوّ ملك وسلطان لا علوّ انتقال وزوال، ثم لن يقول في شيء من ذلك قولا إلاّ أُلزم في الآخر مثله"[1].

الفرع الثالث: ردّه على القائلين بتخليد صاحب الكبيرة في النّار (المعتزلة).

وذلك عند قوله تعالى ﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [البقرة89] استشكل قول قائلا يقول: أهناك عذاب غير مهين حتى يوصف عذاب الكافرين بالمهين، بعد تفسيره المهين: بالمذل صاحبه المخزي مُلبسَه هوانا وذلّة، ثم قسّم العذاب إلى مهين وغير مهين جاعلا غير المهين لأصحاب الكبائر الذين لا يخلّدون في النار فقال رحمة الله عليه: " العذاب المهين الذي يورّث صاحبه ذلة وهوانا، الذي يُخلَّد في صاحبه لا ينتقل من هوانه إلى عزّ وكرامة أبدا، وهو الذي خصّ الله به أهل الكفر به وبرسله، وأما الذي هو غير مهين صاحبه: فهو ما كان تمحيصا لصاحبه...كأهل الكبائر من أهل الإسلام الذين يعذّبون في الآخرة بمقادير أجرامهم التي ارتكبوها ، ليُمحّصوا من ذنوبهم ثم يدخلون الجنّة، فإن ذلك وإن كان عذابا فغير مهين من عُذّب به "[2].

---

[1] المصدر السابق: مج1/ جز1/ ص252.

[2] المصدر نفسه: مج1/ جز1/ ص549، بتصرف يسير.

الفرع الرابع: ردّه على أهل القدر (المعتزلة) في مسألة الإرادة وخلق أفعال العباد.

وذلك في مواضع عدة من تفسيره، من ذلك عند قوله تعالى ﴿ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ اِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:231] فسر الوُسع بمعنى السعة والقدرة، من قول القائل: هذا الذي أعطيتك وُسعي أي ما يتسع لي أن أعطيك فلا يضيق عليّ إعطاؤكه، ثم ردّ على أصحاب القدر فريتهم فقال: " فمعنى قوله: (لا تُكلف نفس إلا وسعها)... أي لا تكلف إلا ما يتسع لها بذل ما كلفت بذله، فلا يضيق عليها ولا يجهدها، لا ما ظنه جهلة أهل القدر من أن معناه: لا تكلف نفس إلا ما قد أعطيت عليه القدرة من الطاعات. لأن ذلك لو كان كما زعمت، لكان قوله تعالى ذكره: (انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلا) [سورة الإسراء: 48 وسورة الفرقان: 9] - إذا كان دالا على أنهم غير مستطيعي السبيل إلى ما كلفوه - واجبا أن يكون القوم في حال واحدة، قد أعطوا الاستطاعة على ما منعوها عليه. وذلك من قائله إن قاله، إحالة في كلامه، ودعوى باطل لا يخيل بطوله. وإذ كان بينا فساد هذا القول، فمعلوم أن الذي أخبر تعالى ذكره أنه كلف النفوس من وسعها، غير الذي أخبر أنه كلفها مما لا تستطيع إليه السبيل "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ [آل عمران:8] وبعد إقراره أن هذا مدح من الله تعالى ذكره لهؤلاء الذين دعَوْه، ردّ على القدرية مقالتهم في أصل العدل الذي يعتقدونه.... فقال: " وفي مدح الله جل ثناؤه هؤلاء القوم بما مدحهم به من رغبتهم إليه في أن لا يزيغ قلوبهم، وأن يعطيهم رحمةً منه معونة لهم للثبات على ما هُم عليه من حسن البصيرة بالحق الذي هم عليه مقيمون، ما أبان عن خطأ قول الجهَلة من القدَرية: أن إزاغة الله قلب من أزاغ قلبه من عباده عن طاعته وإمالته له عنها جَوْرٌ؛ لأن ذلك لو كان كما قالوا، لكان الذين قالوا: (ربنا لا تزغ قلوبنا بعدَ إذ هدَيتنا) بالذم أولى منهم بالمدح. لأن القول لو كان كما قالوا، لكان القوم إنما سألوا ربَّهم بمسألتهم إياه أن لا يزيغ قلوبهم: أن لا يظلمهم ولا يجورَ عليهم. وذلك من السائل جهلٌ؛ لأن الله جل ثناؤه لا يظلم عبادَه ولا يجور عليهم. وقد أعلم عبادَه ذلك ونَفاه عن نفسه بقوله: (وَمَا رَبُّكَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ) [سورة

---

[1] المصدر السابق: مج1/ جز2/ ص758 بتصرف يسير.

فصلت: 46] ولا وجه لمسألته أن يكون بالصفة التي قد أخبرهم أنه بها. وفي فساد ما قالوا من ذلك، الدليلُ الواضح على أن عدلا من الله عز وجل: إزاغةُ من أزاغَ قلبه من عباده عن طاعته، فلذلك استحقّ المدحَ مَنْ رغب إليه في أن لا يزيغه، لتوجيهه الرغبة إلى أهلها، ووضعه مسألته موضعها، مع تظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ برغبته إلى ربه في ذلك، مع محله منه وكرامته عليه "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي ﴾ [الأعراف:15] ردّ على المعتزلة ما يعتقدونه في مسألة خلق أفعال العباد، وأن العبد يخلق أفعاله بنفسه، وفي إسناد إبليس الإغواء إلى الله أكبر الدليل على فرية القدرية وضلالهم، قال الطبري موضحا ذلك: " وفي هذا بيان واضح على فساد ما يقول القدرية، من أن كل من كفر أو آمن فبتفويض الله أسبابَ ذلك إليه، وأن السبب الذي به يصل المؤمن إلى الإيمان، هو السبب الذي به يصل الكافر إلى الكفر. وذلك أنّ ذلك لو كان كما قالوا: لكان الخبيث قد قال بقوله: ((فبما أغويتني)): فبما أصلحتني؛ إذ كان سبب الإغواء هو سبب الإصلاح، وكان في إخباره عن الإغواء إخبارٌ عن الإصلاح، ولكن لما كان سبباهما مختلفين، وكان السبب الذي به غوى وهلك من عند الله. أضاف ذلك إليه فقال: ((فبما أغويتني)) وكذلك قال محمد بن كعب القرظي: قاتل الله القدريّة، لإبليس أعلمُ بالله منهم! "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال:17] حيث تحدث عن نفي القتل والرمي عن النبي ﷺ وإثباتهما لله تعالى وردّ على المعتزلة ما يعتقدونه باطلا في أفعال العباد فقال: " ففي ذلك أدلُّ الدليل على فساد قول المنكرين أن يكون لله في أفعال خلقه صُنْعٌ به وَصَلوا إليها. وكذلك قوله لنبيه عليه السلام: ((وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى)) فأضاف الرميَّ إلى نبي الله، ثم نفاه عنه، وأخبر عن نفسه أنه هو الرامي؛ إذ كان جل ثناؤه هو الموصل المرميَّ به إلى الذين رُمُوا به من المشركين، والمسبِّب الرمية لرسوله. فيقال للمنكرين ما ذكرنا: قد علمتم إضافة الله رَمْي نبيه ﷺ المشركين إلى نفسه، بعد وصفه نبيَّه به، وإضافته إليه، وذلك فعلٌ واحد، كان من الله

---

[1] المصدر السابق: مج3/ جز3/ ص243.

[2] المصدر نفسه: مج5/ جز8/ ص172، بتصرف.

تسبيبه وتسديده، ومن رسول الله ﷺ الحذفُ والإرسال، فما تنكرون أن يكون كذلك سائر أفعال الخلق المكتسبة: من الله الإنشاء والإنجاز بالتسبيب، ومن الخلق الاكتسابُ بالقُوى؟ فلن يقولوا في أحدهما قولا إلا ألزموا في الآخر مثله "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ ﴾ [إبراهيم:1-2] كان لتوجيهه إضافة إخراج الناس من الظلمات إلى النور للنبي ﷺ، وتعليقها بإذن الله، أثر في رده على المعتزلة القائلين بخلق أفعال العباد، حيث قال: " وأضاف تعالى ذكره إخراجَ الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربِّهم لهم بذلك، إلى نبيه ﷺ، وهو الهادي خَلْقَه، والموفقُ من أحبَّ منهم للإيمان؛ إذ كان منه دعاؤهم إليه، وتعريفُهُم ما لهم فيه وعليهم. فبيّنٌ بذلك صِحة قولِ أهل الإثبات الذين أضافوا أفعال العباد إليهم كَسبًا، وإلى الله جل ثناؤه إنشاءً وتدبيرًا، وفسادُ قول أهل القَدر الذين أنكرُوا أن يكون لله في ذلك صُنْعٌ "[2].

الفرع الخامس: رده على أهل التأويل في باب الصفات.

وكمثال على ذلك عند قوله تعالى ﴿ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ ﴾ [المائدة:66] ردّ ردا قويا على القائلين بتأويل اليد بمعنى النعمة، وانتصر لمذهب السلف القائلين بأن اليد هنا صفة للخالق ﷻ، واستخدم ضلوعه في العلم بلغة العرب مستبعدا أن يكون المثنى يدل على الجنس في اللغة، فلو كان الكلام كما قال هؤلاء لكان التركيب: بل يده مبسوطة؛ لأن المفرد يدل على جنس النعمة، لكن لما جاء التعبير القرآني بالتثنية، والعرب لا تكاد تكني على الجنس بالمثنى مع موافقة القرآن أساليب العرب في الخطاب وأفانينهم في الكلام، عُلم بُعد قول هؤلاء عن الصواب، قال الإمام الطبري مفنّدا هذا القول: " فإن ظن ظانٌّ أن النعمتين بمعنى النعم الكثيرة، فذلك منه خطأ، وذلك أنّ العرب قد تخرج الجميع بلفظ الواحد لأداء الواحد عن جميع جنسه، وذلك كقول الله تعالى ذكره: ((وَالْعَصْرِ إِنَّ الإنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ)) [سورة العصر: 1، 2]... كما تقول العرب: ما أكثر الدرهم في أيدي الناس...

[1] المصدر السابق: مج6/ جز9/ ص254.

[2] المصدر نفسه: مج8/ جز13/ ص225.

فأما إذا ثُنِّي الاسم، فلا يؤدي عن الجنس، ولا يؤدّي إلا عن اثنين بأعيانهما دون الجميع ودون غيرهما. وخطأ في كلام العرب أن يقال: ما أكثر الدرهمين في أيدي الناس، بمعنى: ما أكثر الدراهم في أيديهم. وذلك أن الدرهم إذا ثنِّي لا يؤدي في كلامها إلا عن اثنين بأعيانهما... ففي قول الله تعالى: ((بل يداه مبسوطتان)) مع إعلامه عبادَه أن نعمه لا تحصى، مع ما وصفنا من أنه غير معقول في كلام العرب أن اثنين يؤدّيان عن الجميع ما ينبئ عن خطأ قول من قال: معنى اليد في هذا الموضع: النعمة، وصحةِ قول من قال: إن يد الله هي له صفة. وبذلك تظاهرت الأخبار عن رسول الله ﷺ، وقال به العلماء وأهل التأويل "[1].

[1] المصدر السابق: مج4/ جز6/ ص388-389، بتصرف.

المبحث الثاني: أثر اختياراته في الغريب في حكمه على أقوال المفسرين والرّواة.

يعتبر الاحتكام للغة مسلكا من مسالك كشف العلل في الروايات التفسيرية في حال تعدد طرقها، فالرواية المخالفة والشاذة تعتبر معلولة في نظر الطبري، وأما في حال عدم تعدد الطرق والروايات، فإن خالف قول المفسر قولَ أغلب السلف ولم يكن له أصل في اللغة، حكم الطبري عنه بالشذوذ والخطأ[1]، والأمثلة المرفقة تبيّنُ ذلك:

المطلب الأول: أثر اختياراته في الغريب في الحكم على الروايات وتغليط الرواة.

فقد كان لاختياره معنى تركيب (بسم الله) أقرأُ بسم الله، أثر في الحكم على رواية أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: أن عيسى بن مريم عليه السلام أسلمته أمه إلى الكتّاب ليُعلّمه فقال له المعلّم: اكتب (بسم) فقال له عيسى: وما (بسم)؟ فقال له المعلم: ما أدري، فقال عيسى: الباء بهاء الله، والسين سناؤه، والميم مَمْلكتُه، حيث قال رحمه الله: " فأخشى أن يكون غلطا من المحدّث، وأن يكون أراد (بـ س م) على سبيل ما يُعلَّم المبتدئ من الصبيان في الكتّاب حروف أبي جاد، فغلط بذلك فوصله فقال: (بسم)؛ لأنه لا معنى لهذا التأويل إذا تلي (بسم الله الرحمن الرحيم) على ما يتلوه القارئ في كتاب الله لاستحالة معناه عن المفهوم به عند جميع العرب وأهل لسانها إذا حُمل تأويله على ذلك "[2].

ولقد خطأ قول الحسين الجعفي[3] وهو أحد رواة اللغة وتلميذ القارئ حمزة الزيات، وذلك حين فرق بين كسر الحِجّ وفتحها الحَجّ فجعل الكسر من العمل والفتحُ اسم، وحكم الإمام الطبري أنهما لغتان

---

[1] ينظر: المنهج النقدي في تفسير الطبري: ص175-191.

[2] جامع البيان: مج1/ جز1/ ص68.

[3] هو الحسين بن علي الجعفي الكوفي المقرئ، روى عن حمزة الزيات والأعمش والفضيل بن عياض، وعنه أحمد بن حنبل وسفيان بن عيينة ويحيى بن معين وآخرون، قال عنه الذهبي: الإمام القدرة الحافظ المقرئ المجوّد. مات سنة 203هـ، ينظر: تهذيب الكمال: 449/6-454، وينظر: سير أعلام النبلاء: 121/8-122.

بمعنى واحد، فقال الإمام الطبري معتمدا على إجماع أهل المعرفة بلغة العرب: " وهما لغتان معروفتان للعرب، فالكسر لغة أهل نجد، والفتح لغة أهل العالية. ولم نر أحدًا من أهل العربية ادّعى فرقًا بينهما في معنى ولا غيره... وهذا قولٌ (يشير إلى قول الجعفي) لم أرَ أهل المعرفة بلغات العرب ومعاني كلامهم يعرفونه، بل رأيتهم مجمعين على ما وصفت، من أنهما لغتان بمعنى واحد "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴾ [يوسف:49] أورد عدة طرق عن ابن عباس يفسر فيها يعصرون: بمعنى يعصرون الأعناب والزيت، وهذا من طريق ابن جريج، ومن رواية علي بن أبي طلحة عن معاوية به، وأورد معنًى آخر عن ابن عباس من طريق عليّ من رواية الفرج بن فضالة، يفسّر فيها يعصرون: بمعنى يحلبون، ثم علّق الطبري على شذوذ الفرج ومخالفته الرواة الثقات عن ابن عباس فقال: " وأما القول الذي رَوَى الفرج بن فضالة، عن علي بن أبي طلحة، فقولٌ لا معنى له؛ لأنه خلاف المعروف من كلام العرب، وخلاف ما يعرف من قول ابن عباس "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ ﴾ [الكهف:89] أسند إلى عكرمة قولا يفرّق فيه بين الفتح والضمّ في السُّد، وبعد اختياره أنهما لغتان بمعنى واحد، أعلّ رواية عكرمة في هارون الراوي عن أيوب تلميذ عكرمة؛ كون هارون لم يتابع من رواية الثقات عن أيوب، قال الطبري موضحا: " ورُوي عن عكرمة في ذلك، ما حدثنا به أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا حجاج، عن هارون، عن أيوب، عن عكرمة قال: ما كان من صنعة بني آدم فهو السَّدُّ، يعني بالفتح، وما كان من صنع الله فهو السُّد... وأما ما ذُكر عن عكرِمة في ذلك، فإن الذي نقل ذلك عن أيوب هارون، وفي نقله نظر، ولا نعرف ذلك عن أيوب من رواية ثقات أصحابه. والسَّد والسُّد جميعا: الحاجز بين الشيئين، وهما هنا فيما ذُكر جبلان "[3].

---

[1] جامع البيان: مج3/ جز4/ ص28، بتصرف يسير.
[2] المصدر نفسه: مج7/ جز12/ ص291.
[3] المصدر نفسه: مج9/ جز16/ ص28، بتصرف.

المطلب الثاني: أثر اختياراته في الغريب في تضعيف أقوال المفسرين وتخطئتهم[1].

وعند قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:29] قال رحمه الله تعالى: " الخليفة: الفعيلة من قولك: خلف فلان فلانا في هذا الأمر إذا قام مقامه فيه بعده... ومن ذلك قيل للسلطان الأعظم: خليفة؛ لأنه خلف الذي قبله فقام بالأمر مقامه، ثمّ أسند لابن إسحاق أنه قال: خليفة: أي ساكنا وعامرا يسكنها ويعمرها خلقا ليس منكم (خطاب من الله للملائكة) ثمّ عقّب قائلاً: وليس الذي قال ابن اسحاق في معنى الخليفة بتأويلها، وإن كان الله جلّ ثناؤه إنما أخبر ملائكته أنه جاعل في الأرض خليفة يسكنها، ولكن معناها ما وصفتُ قبل "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ [البقرة:48] وبعد ذكره تفسير جمهور الصحابة والتابعين يستحيون بمعنى يُبقون البنات عند ولادتهن، وجوازه تسمية الصبايا الصغار وهنّ أطفال: نساء، ما عدا ابن جريج الذي لم يجدْهنّ يلزمهن اسم النساء وهن صغار، ففسّر (يستحْيون) بمعنى يسترقّون من الاسترقاق والاستعباد، ثم علّق الطبري على تفسيره قائلا: " فحاد ابن جريج بقوله هذا عما قاله من ذكرنا قوله... إذ لم يجدهن يلزمهن اسم النساء، ثم دخل فيما هو أعظم مما أنكر بتأويله (يستحيون) يسترقّون، وذلك تأويل غير موجود في لغة عربية ولا عجمية، وذلك أن الاستحياء إنما هو استفعال من الحياة، نظير الاستبقاء من البقاء والاستسقاء من السقي، وهو من معنى الاسترقاق بمعزل "[3].

ولقد ضعّف قول السّدي عند قوله تعالى﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة:55] إذ تأولّه: ثم بعثناكم أنبياء بينما قول جمهور المفسرين: ثم أحييناكم، قال الطبري معلقا على قول السّدي: " وتأويل الكلام على ما تأوّله السدي: فأخذتكم الصاعقة، ثم أحييناكم من بعد موتكم وأنتم تنظرون إلى إحيائنا إياكم من بعد موتكم، ثم بعثناكم أنبياء لعلكم تشكرون، وزعم

[1] للاستزادة ينظر نماذج تطبيقية أخرى عن هذه المسألة من جامع البيان: مج3/ جز3/ ص126، جز4/ ص83، مج6/ جز9/ ص263، مج7/ جز12/ ص245، مج8/ جز13/ ص85، مج9/ جز15/ ص297.

[2] المصدر نفسه: مج1/ جز1/ ص262.

[3] المصدر نفسه: مج1/ جز1/ ص360.

السّدي أن ذلك من المقدم الذي معناه التأخير والمؤخر الذي معناه التقديم[1]... وهذا تأويل يدل ظاهر التلاوة على خلافه، مع إجماع أهل التأويل على تخطئته "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [البقرة:64] ذكر روايات عن جمهور المفسرين من الصحابة والتابعين أنهم مُسخوا حقيقة، وذكر رواية عن مجاهد مفادها: أن الله مسخ قلوبهم ولم يمسخ صورهم، ثم قال معلّقا: " ... وهذا القول الذي قاله مجاهد لظاهر ما دلّ عليه كتاب مُخالف... ثمّ يُسأل منكر ذلك عن مصدر من خبر مستفيض أو أثر صحيح. هذا مع خلاف قول مجاهد قول جميع الحجة التي لا يجوز عليها الخطأ والكذب فيما نقلته مُجمعةً عليه، وكفى دليلا على فساد قولٍ إجماعها على تخطئته "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ﴾ [البقرة:68] ذكر رحمه الله قولا عن الحسن البصري يفسر فيه (صفراء فاقع لونها) بمعنى سوداء شديدة سوادها، ثم قال معلقا: " وأحسب أن الذي قال في قوله (صفراء) يعني به سوداء، ذهب إلى قولهم في نعت الإبل السُود: هذه إبل صفر، وهذه ناقة صفراء؛ يعني به سوداء؛ وإنما قيل ذلك في الإبل لأن سوادها يضرب إلى الصفرة...وذلك إن وُصفت الإبل به فليس مما توصف به البقر، مع أن العرب لا تصف السواد بالفقوع، وإنما تصف السواد – إذا وصفته بالشدة – بالحلوكة ونحوها... فوصفه إياه بالفقوع من الدليل البيّن على خلاف التأويل الذي تأوّل قوله (إنها بقرة صفراء فاقع) المتأول بأن معناه: سوداء شديدة السواد "[4].

وضعف قول مجاهد في معنى (الشعائر) بالنظر لاختياره في معناها، وذلك عند قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:157] فقال عليه رحمة الله: " وأما قوله (من شعائر الله) فإنه يعني: من معالم الله التي جعلها تعالى ذكره لعباده معلما ومشعرا يعبدونه عندها... وكان مجاهد يقول في الشعائر...يعني: من الخبر الذي أخبركم عنه... وكأن مجاهدا كان يرى أن الشعائر إنما هو جمع

---

[1] يقصد زعم السّدي تأخير (وأنتم تنظرون) في الآية التي قبل وتقديم (ثم بعثناكم).
[2] المصدر نفسه: مج1/ جز1/ ص383.
[3] المصدر نفسه: مج1/ جز1/ ص437 بتصرف يسير.
[4] المصدر نفسه: مج1/ جز1/ ص455.

(شعيرة) من إشعار الله عباده أمر الصفا والمروة، وما عليهم في الطواف بهما، فمعناه: إعلامهم ذلك، وذلك تأويل من المفهوم بعيد "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ [آل عمران:28] اختار أن يكون معنى التّقاة: إظهار الولاية باللسان وإضمار العداوة للكفار مع عدم مشايعتهم وإعانتهم على المسلمين، ثم أسند قولا لقتادة يقول فيه: التقاة أن يكون بينك وبينه قرابة (الكافر) فتصله لذلك، ثم ضعف المعنى الذي جاء به قتادة في تفسير التّقاة فقال: " وهذا الذي قاله قتادة تأويلٌ له وجه، وليس بالوجه الذي يدل عليه ظاهر الآية... فالأغلب من معاني هذا الكلام: إلا أن تخافوا منهم مخافةً. فالتقية التي ذكرها الله في هذه الآية. إنما هي تقية من الكفار لا من غيرهم. ووجَّهه قتادة إلى أن تأويله: إلا أن تتقوا الله من أجل القرابة التي بينكم وبينهم تقاة، فتصلون رحمها. وليس ذلك الغالب على معنى الكلام. والتأويلُ في القرآن على الأغلب الظاهر من معروف كلام العرب المستعمَل فيهم "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران:185] ذكر قولا مسندا إلى عبد الرحمن بن سابط يفسر فيه متاع الغرور: كزاد الراعي يتزود الكف من التمر أو الشيء من الدقيق أو الشيء يشرب عليه اللبن، ثم علّق الطبري مضعفا قول ابن سابط فقال: " فكأن ابن سابط ذهب في تأويله هذا، إلى أن معنى الآية: وما الحياة الدنيا إلا متاعٌ قليلٌ، لا يُبلِّغ مَنْ تمتعه ولا يكفيه لسفره. وهذا التأويل، وإن كان وجهًا من وجوه التأويل، فإن الصحيح من القول فيه غير ذلك؛ لأن الغرور إنما هو الخداع في كلام العرب. وإذ كان ذلك كذلك، فلا وجه لصرفه إلى معنى القلة؛ لأن الشيء قد يكون قليلا وصاحبه منه في غير خداع ولا غرور "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ﴾ [النساء:5] أورد قولا لمجاهد يفسر فيه السفهاء بالنساء خاصة، ثم علق الطبري على ذلك مضعفا قول مجاهد فقال: " وأما قول من قال: عنى

---

[1] المصدر السابق: مج2/ جز2/ ص59.
[2] المصدر نفسه: مج3/ جز3/ ص296، بتصرف يسير.
[3] المصدر نفسه: مج3/ جز4/ ص249-250، بتصرف يسير.

بالسفهاء النساء خاصة – يشير لقول مجاهد المسند قبلُ – فإنه جعل اللغة على غير وجهها. وذلك أن العرب لا تكاد تجمع فعيلا على فُعَلاء إلا في جمع الذكور، أو الذكور والإناث. وأما إذا أرادوا جمع الإناث خاصة لا ذكران معهم، جمعوه على: فعائل وفعيلات مثل: غريبة، تجمع غرائب وغريبات، فأما الغُرَباء، فجمع غريب[1] "[2].

وعند قوله تعالى﴿ وَالْجارِ ذِے اِلْقُرْبِىٰ ﴾ [النساء:36] أورد الإمام الطبري قولا لميمون بن مهران يفسر فيه الجار ذي القربى: الرجل يتوسل إليك بجوار ذي قرابتك، ثم ضعّف الإمام الطبري هذا التفسير بالنظر للعربية فقال: " وهذا القول قولٌ مخالفٌ المعروفَ من كلام العرب. وذلك أن الموصوف بأنه ذو القرابة في قوله: ((والجار ذي القربى)) الجار دون غيره. فجعله قائل هذه المقالة جار ذي القرابة. ولو كان معنى الكلام كما قال ميمون بن مهران لقيل: ((وجار ذي القربى)) ولم يُقَل: ((والجار ذي القربى)) فكان يكون حينئذ إذا أضيف الجار إلى ذي القرابة الوصية ببرّ جار ذي القرابة، دون الجار ذي القربى. وأما والجار بالألف واللام، فغير جائز أن يكون ((ذي القربى)) إلا من صفة الجار. وإذا كان ذلك كذلك، كانت الوصية من الله في قوله: ((والجار ذي القربى)) ببرّ الجار ذي القربى، دون جار ذي القرابة. وكان بينًا خطأ ما قال ميمون بن مهران في ذلك "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ اَلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ ﴾ [المائدة:50] أورد قولا لمجاهد يرجع معنى المهيمن على النبي ﷺ، وأنه مؤتمن على القرآن، ثم علّق عن تفسير مجاهد هذا واصفا إياه بالخطأ فقال: " وهذا التأويل بعيد من المفهوم في كلام العرب، بل هو خطأ. وذلك أنّ المهيمن عطفٌ على

---

[1] علق الشيخ أحمد شاكر على تعقب الإمام الطبري على الإمام مجاهد مع أسبقيته وأفضليته وإمامته فقال: " هذه الحجة من حسن النظر في العربية ومعاني أبنيتها. والذي استنكره أبو جعفر من جعل اللغة على غير وجهها، وتحميل العربية ما لا سبيل إليه في بنائها وتركيبها، وتأويل كتاب الله خاصة بالانتزاع الشديد والجرأة على اللغة، كأنه قد أصبح في زماننا هذا، هو القاعدة التي يركب فسادها كل مبتدع في الدين برأيه، وكل متورك في طلب الصوت في الناس بما يقول في دين ربه الذي ائتمن عليه من أنزل إليهم كتابه، ليعلمهم ويهديهم، فخالفوا طريق العلم، وجاروا عن سنن الهداية " ينظر جامع البيان: تح: أحمد شاكر، مج7/ ص566.

[2] المصدر نفسه: مج3/ جز4/ ص310.

[3] المصدر نفسه: مج4/ جز5/ ص107.

المصدق، فلا يكون إلا من صفة ما كان المصدِّق صفةً له. ولو كان معنى الكلام ما روي عن مجاهد، لقيل: وأنزلنا إليك الكتاب مصدِّقًا لما بين يديه من الكتاب مهيمنًا عليه؛ لأنه لم يتقدم من صفة الكاف التي في إليك بعدَها شيءٌ يكون ((مهيمنًا عليه)) عطفًا عليه، وإنما عُطف به على المصدق؛ لأنه من صفة الكتاب الذي من صفته المصدق "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ﴾ [الأنعام:96] أورد قولا للضحاك يقول: فالق بمعنى خالق، وبعد أن بيّن معنى فالق الحب: بمعنى شق الحب من كل ما ينبت من نبات، فأخرج منه الزرع والنوى من كل ما يغرس مما له نواة، فأخرج منه الشجر، ثم ضعّف قول الضحاك من ناحية اللغة فقال: " وأما القول الذي حكي عن الضحاك في معنى فالق: أنه خالق، فقولٌ إن لم يكن أراد به أنّه خالق منه النبات والغُروس بفلقه إياه، لا أعرف له وجهًا؛ لأنه لا يعرف في كلام العرب فلق الله الشيء بمعنى: خلق "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا ﴾ [الأعراف:94] أورد قولا لقتادة يفسّر فيه عفو: بمعنى سُروا، وبعد أن بيّن معنى الكلمة لغة، فمعناها عنده: حتى كثروا وكثرت أموالهم، ضعّف قول قتادة من ناحية اللغة فقال: " وهذا الذي قاله قتادة في معنى: عفوا، تأويلٌ لا وجه له في كلام العرب؛ لأنه لا يعرف العفو بمعنى السرور في شيء من كلامها، إلا أن يكون أراد: حتى سُرُّوا بكثرتهم وكثرةِ أموالهم، فيكون ذلك وجهًا، وإن بَعُد "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف:42] اختار الإمام الطبري حمل معنى الظن على اليقين، ولأجل ذلك تعقّب قتادة رحمه الله في حمله الظن على معناه الحقيقي الظاهر، والحامل للقتادة على هذا التأويل كما قال: إنما عِبارة الرؤيا ظنٌّ، فيحق الله ما يشاء ويبطل ما يشاء، قال الطبري معلقا على توجيه قتادة: " وهذا الذي قاله قتادة، من أن عبارة الرؤيا

---

[1] المصدر السابق: مج4/ جز6/ ص347.
[2] المصدر نفسه: مج5/ جز7/ ص350.
[3] المصدر نفسه: مج6/ جز9/ ص13.

ظن، فإن ذلك كذلك من غير الأنبياء. فأما الأنبياء فغير جائز منها أن تخبر بخبر عن أمرٍ أنه كائنٌ ثم لا يكون، أو أنه غير كائن ثم يكون، مع شهادتها على حقيقة ما أخبرت عنه أنه كائن أو غير كائن، لأن ذلك لو جاز عليها في أخبارها، لم يُؤمَن مثل ذلك في كل أخبارها. وإذا لم يؤمن ذلك في أخبارها، سقطت حُجَّتها على من أُرسلت إليه. فإذا كان ذلك كذلك، كان غير جائزٍ عليها أن تخبر بخبرٍ إلا وهو حق وصدق. فمعلومٌ – إذ كان الأمر على ما وصفت – أن يوسف لم يقطع الشهادة على ما أخبر الفتيين اللذين استعبراه أنه كائن، فيقول لأحدهما: ((أما أحدكما فيسقي ربه خمرًا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه)) ثم يؤكد ذلك بقوله: ((قضي الأمر الذي فيه تستفتيان)) عند قولهما: (لم نر شيئا) إلا وهو على يقين أن ما أخبرهما بحدوثه وكونه، أنه كائن لا محالة لا شك فيه. وليقينه بكون ذلك، قال للناجي منهما: ((اذكرني عند ربك)) فبيِّنٌ إذًا بذلك فسادُ القول الذي قاله قتادة في معنى الظن المذكور"[1].

وعند قوله تعالى ﴿ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ﴾ [يوسف:88] كان لحمله التصدق على معناه الشرعي المفهوم أثر في نقده ابن جريج الذي فسّر التصدق هنا بمعنى قول إخوة يوسف له: ردّ إلينا أخانا، ثم علق على هذا التفسير قائلا: " وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن جريج، وإن كان قولا له وجه، فليس بالقول المختار في تأويل قوله: ((وتصدَّق علينا)) لأن الصدقة في متعارف العرب، إنما هي إعطاء الرجل ذا حاجةٍ بعض أملاكه ابتغاءَ ثواب الله عليه. وإن كان كلّ معروف صدقةً، فتوجيه تأويل كلام الله إلى الأغلب من معناه في كلام من نزل القرآن بلسانه أولى وأحرى "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه:6] وبعد ذكره لمعنيين لقوله (وأخفى) الأول: يعنى : وأخفى من السّر (قول جمهور المفسرين)، والثاني: يعني: وأخفى سره فلا يعلم (قول ابن زيد) واختار الطبري المعنى الأول كونه الظاهر من الكلام، وكان لذلك أثر في نقده تفسير ابن زيد، حيث قال: " والصواب من القول في ذلك، قول من قال: معناه: يعلم السرّ وأخفى من السرّ؛ لأن ذلك هو الظاهر

[1] المصدر السابق: مج7/ جز12/ ص278، بتصرف يسير.
[2] المصدر نفسه: مج8/ جز13/ ص69.

من الكلام، ولو كان معنى ذلك ما تأوّله ابن زيد، لكان الكلام: وأخفى الله سرّه؛ لأن أخفى: فعل واقع متعدّ؛ إذ كان بمعنى فعل على ما تأوّله ابن زيد، وفي انفراد أخفى من مفعوله، والذي يعمل فيه لو كان بمعنى فعل الدليل الواضح على أنه بمعنى أفعل. وأن تأويل الكلام: فإنه يعلم السرّ وأخفى منه "[1].

[1] المصدر السابق: مج9/ جز16/ ص180-181، بتصرف.

المبحث الثالث: أثر اختياراته في الغريب على اتجاهه الفقهي.

سبق وأشرنا في ترجمة الطبري أنه مجتهد مطلق لا يقلد في أصول الدين وفروعه أحد، وإليه ينسبُ المذهب الجريري الذي كان معروفا معمولا به إلى حدود المئة الخامسة ثم اندثر بعد ذلك شأنه شأن المذاهب الكثيرة المندثرة، وبعد استقرائي لاختيارات الطبري في الغريب ألفيتُ لها أثرا في استنباطاته الفقهية وترجيحاته بين أقوال فقهاء السلف والخلف، بل ولها أثر في التفسير الفقهي الخاص بالإمام الطبري[1]، والأمثلة المرفقة تبيّنُ هذا:

المطلب الأول: أثر اختياراته في الغريب على ترجيحاته الفقهية[2].

وكمثال على ترجيحاته الفقهية، وذلك حين سلّم الإمام الطبري أن (بسم الله الرحمن الرحيم) آية من الفاتحة، ثم استشكل تكرار (الرحمن الرحيم) في الفاتحة، وقد ذكرت في البسملة (أعني الآية الأولى من الفاتحة) وهذا مع قرب مكان إحدى الآيتين من الأخرى ومجاورتها لصاحبتها ثمّ قال رحمه الله: " بل ذلك لنا حجّة على خطأ دعوى من ادّعى أنّ (بسم الله الرحمن الرحيم) من فاتحة الكتاب آية بمعنى واحد ولفظ واحد مرتين من غير فصل يفصل بينهما؛ إذ (الرحمن الرحيم) مؤخر حقه التقديم، والتقدير يصبح: (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الرحمن الرحيم).... ففي ذلك دليل شاهد على صحة قول من أنكر أن تكون (بسم الله الرحمن الرحيم) من فاتحة الكتاب آية[3] "[4].

---

[1] ينظر: المنهج النقدي في تفسير الطبري: ص245-246.

[2] للاستزادة من النماذج التطبيقية على أثر اختيارات الطبري في معاني الغريب على ترجيحاته الفقهية، ينظر جامع البيان: مج4/ جز6/ ص117، ص 125، ص149، مج6/ جز9/ ص206.

[3] فعلى هذا فالإمام الطبري يقول بصحة صلاة من حذف البسملة من الفاتحة ولا يرى بطلان الصلاة مع حذفها كما يرى الشافعية ذلك، وهو بهذا يوافق الإمام مالك الذي منع قراءة البسملة في الفاتحة وغيرها من السور في الفرائض، وأجاز قراءتها في النوافل. ينظر للتوسع آراء الفقهاء في قراءة البسملة في أم الكتاب: بداية المجتهد ونهاية المقتصد: لابن رشد، تح: أبو الزهراء حازم القاضي، ط:1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1424هـ – 2003م، 235/1.

[4] جامع البيان: مج1/ جز1/ ص81-82.

وعند قوله تعالى ﴿ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة:176] حين استشكل قول سائل يسأل: وهل من حقّ يجب في المال إيتاؤه فرضا غير الزكاة؟، ثم أجاب يحكي عن أهل العلم من الصحابة والتابعين أنهم قالوا: فيه حقوق سوى الزكاة، واعتلوا لقولهم ذلك بهذه الآية، وقالوا: لما قال الله تبارك وتعالى (وآتى المال على حبه ذوي القربى) ومن سمى الله معهم، ثم قال بعد: (وأقام الصلاة وآتى الزكاة) علمنا أن المال الذي وصف المؤمنين به أنهم يؤتونه ذوي القربى ومن سمى معهم غير الزكاة التي ذكر أنهم يؤتونها؛ لأن ذلك لو كان مالا واحدا، لم يكن لتكريره معنًى مفهوم، وقالوا: فلما كان غير جائز أن يقول تعالى ذكره قولا لا معنى له، علمنا أن حكم المال الأول غير الزكاة، وأن الزكاة التي ذكرها بعدُ غيره... وقد أبان تأويل أهل التأويل صحة ما قلنا في ذلك[1].

وعند قوله تعالى ﴿ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَـٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:224-225] ذكر عدة آراء لفقهاء السلف في حكم إيلاء الزوج من زوجته وتربصه أربعة أشهر، فقال بعضهم: معناه فإن رجعوا إلى زوجاتهم أو طلقوهن في الأشهر الأربعة، وقال آخرون: بل معناه: فإن رجعوا إلى زوجاتهم أو طلقوهن بعد انقضاء الأربعة أشهر، ثم رجح القول الثاني بالنظر لمعاني ودلالات ألفاظ الآية وما يقتضيه سياقها فقال: " وأشبه هذه الأقوال بما دلّ عليه ظاهر كتاب الله تعالى ذكره، قولُ عمر بن الخطاب وعثمان وعلي رضي الله عنهم ومن قال بقولهم في الطلاق: أن قوله: (فإن فاءوا فإنّ الله غفور رحيم وإن عزموا الطلاق فإنّ الله سميع عليم) إنما معناه: فإن فاءوا بعد وَقف الإمام إياهم من بعد انقضاء الأشهر الأربعة، فرجعوا إلى أداء حق الله عليهم لنسائهم اللائي آلوا منهن، فإن الله لهم غفور رحيم (وإن عزموا الطلاق) فطلَّقوهن: (فإن الله سميع) لطلاقهم إذا طلَّقوا: (عليم) بما أتوا إليهن. وإنما قلنا ذلك أشبه بتأويل الآية؛ لأن الله تعالى ذكره ذكر حين قال: (وإن عزموا الطلاق) (فإن الله سميع عليم) ومعلوم أنّ انقضاء الأشهر الأربعة غير مسموع، وإنما هو معلوم، فلو كان (عزم الطلاق) انقضاء الأشهر الأربعة لم تكن الآية مختومة بذكر الله الخبر عن الله تعالى ذكره أنه (سميع عليم) كما أنه لم يختم الآية التي ذكر فيها الفيء إلى طاعته في مراجعة المولي

[1] المصدر السابق: مج2/ جز2/ ص129-130.

زوجته التي آلى منها، وأداء حقها إليها بذكر الخبر عن أنه (شديد العقاب) إذْ لم يكن موضعَ وعيد على معصية، ولكنه ختم ذلك بذكر الخبر عن وصفه نفسه تعالى ذكره بأنه (غفور رحيم) إذْ كان موضعَ وَعد المنيب على إنابته إلى طاعته، فكذلك ختم الآية التي فيها ذكر القول، والكلام بصفة نفسه بأنه للكلام (سميع) وبالفعل (عليم) "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ ﴾ [البقرة: 234] ذكر رأيين لفقهاء السلف في قدر متعة المطلقة، فقال جمهورهم: أعلاه الخادم ودون ذلك الوَرِق ودونه الكسوة، وقال أبو حنيفة وأصحابه: قدر المتعة نصف صداق مثيلاتها، ثم احتكم الطبري للسياق ورجّح قول الجمهور فقال: " والصواب من القول في ذلك ما قال ابن عباس ومن قال بقوله: من أن الواجب من ذلك للمرأة المطلقة على الرجل على قدر عسره ويسره، كما قال الله تعالى ذكره: (على الموسع قدره وعلى المقتر قدره) لا على قدر المرأة. ولو كان ذلك واجبا للمرأة على قدر صداق مثلها إلى قدر نصفه، لم يكن لقيله تعالى ذكره: (على الموسع قدره وعلى المقتر قدره) معنى مفهوم ولكان الكلام: ومتعوهن على قدرهن وقدر نصف صداق أمثالهن. وفي إعلام الله تعالى ذكره عباده أن ذلك على قدر الرجل في عسره ويسره، لا على قدرها وقدر نصف صداق مثلها، ما يُبين عن صحة ما قلنا، وفساد ما خالفه "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾ [المائدة:4] بعدما ذكر اختلاف المفسرين في الاستثناء، حيث جاء بعد الإشارة إلى أصناف المحرمات من الأنعام، فقال بعضهم: هو متصل بالمحرمات، والمعنى: إلا ما أدركتم ذكاته من المنخنقة والموقوذة والمتردّية والنطيحة...الخ فهو حلال لكم، وقال آخرون: هو منقطع من المحرمات، والمعنى: كل الأصناف المذكورة محرمة عليكم لكن ما ذكّيتموه وذبحتموه فحلال أكله، ثم اختار اتصال الاستثناء بما قبله وكان لذلك أثر في ترجيحه بين فقهاء السلف فقال: " قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك عندنا بالصواب، القول الأول، وهو أن قوله: ((إلا ما ذكيتم))

---

[1] المصدر السابق: مج2/ جز2/ ص581.
[2] المصدر نفسه: مج2/ جز2/ ص704-705.

استثناء من قوله: ((وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع)) لأن كل ذلك مستحق الصفة التي هو بها قبل حال موته فيقال لما قرّب المشركون لآلهتهم فسموه لهم: ((هو ما أهل لغير الله به)) بمعنى سمى قربانًا لغير الله. وكذلك المنخنقة: إذا انخنقت وإن لم تمت، فهي منخنقة. وكذلك سائر ما حرمه الله جل وعز بعد قوله: ((وما أهل لغير الله به)) إلا بالتذكية، فإنه يوصف بالصفة التي هو بها قبل موته، فحرمه الله على عباده إلا بالتذكية المحللة، دون الموت بالسبب الذي كان به موصوفًا. فإذ كان ذلك كذلك، فتأويل الآية: وحرم عليكم ما أهل لغير الله به والمنخنقة وكذا وكذا، إلا ما ذكيتم من ذلك... وإذ كان الأمر على ما وصفنا، فكل ما أدركت ذكاتُه من طائر أو بهيمة قبل خروج نفسه، ومفارقة روحه جسدَه، فحلال أكله، إذا كان مما أحلَّه الله لعباده "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ فَاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ﴾ [المائدة:7] ذكر اختلاف الفقهاء هل المرافق مما يغسل مع اليدين؟، فقال مالك والشافعي بوجوب غسل المرفقين؛ لأنه مأمورٌ ببلوغهما في حال غسل اليدين، وقال زفر بن الهذيل[2] بعدم غسلهما؛ لأنهما غاية لما أوجب الله غسله من آخر اليد، والغاية غير داخلة في الحدّ، ثم رجع الطبري إلى معنى الغاية المحدّدة بـ (إلى) في اللغة وحكم باستحباب غسلهما للقرينة الصارفة للوجوب وهي الخبر الذي استشهد به عن النبي ﷺ، فقال: " قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا: أن غسل اليدين إلى المرفقين من الفرض الذي إن تركه أو شيئا منه تارك، لم تجزه الصلاة مع تركه غسلَه. فأما المرفقان وما وراءهما، فإن غسل ذلك من الندب الذي ندبَ إليه ﷺ أمته بقوله: ((أمتي الغرُّ المحجلون من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن

---

[1] المصدر السابق: مج4/ جز6/ ص96، بتصرف يسير.

[2] زفر بن الهذيل العنبري الفقيه صاحب أبي حنيفة، كان من أهل الحديث وروى عن الأعمش وجماعة، ثم غلب عليه الرأي، وثقه يحيى بن معين، ومات في سن الكهولة سنة 151هـ. ينظر: تاريخ الإسلام: 51/4.

يُطيل غُرَّته فليفعل))[1] فلا تفسد صلاة تاركِ غسلِهما وغسل ما وراءهما، لما قد بينا... من أن كل غاية حُدَّت بـ (إلى) فقد تحتمل في كلام العرب دخول الغاية في الحدّ وخروجها منه. وإذا احتمل الكلام ذلك لم يجز لأحد القضاء بأنها داخلة فيه، إلا لمن لا يجوز خلافه فيما بيَّن وحَكم، ولا حُكم بأن المرافق داخلة فيما يجب غسله عندنا ممن يجب التسليم بحكمه "[2].

المطلب الثاني: أثر اختياراته في الغريب على تفسيره لآيات الأحكام[3].

وعند قوله تعالى ﴿ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِۚ ﴾ [البقرة:266] حيث كان لاختياره خصوصية الآية بالزكاة الواجبة أثر في قوله بجواز التصدق بغير الجيد من المال في صدقة التطوع، حيث قال: " فأما إذا تطوع الرجل بصدقة غير مفروضة، فإني وإن كرهت له أن يعطي فيها إلا أجود ماله وأطيبه؛ لأن الله عز وجل أحق من تُقرب إليه بأكرم الأموال وأطيبها، والصدقة قربان المؤمن فلست أحرم عليه أن يعطي فيها غير الجيد؛ لأن ما دون الجيد ربما كان أعم نفعا لكثرته، أو لعظم خطره، وأحسن موقعا من المسكين، وممن أعطيه قربة إلى الله عز وجل من الجيد، لقلته أو لصغر خطره وقلة جدوى نفعه على من أعطيه "[4].

وعند قوله تعالى ﴿ وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ﴾ [النساء:5] كان لاختياره عموم لفظ السفيه وشموليته (وقد ذكر خلاف المفسرين فيه) أثر في التفسير الفقهي لهذه الآية، وراعى سياق الآية فقال: " والصواب من القول في تأويل ذلك عندنا، أن الله جل ثناؤه عم بقوله: ((ولا تؤتوا السفهاء أموالكم)) فلم يخصص سفيهًا دون سفيه. فغير جائز لأحد أن يؤتي سفيهًا ماله، صبيًا صغيرًا كان أو رجلا كبيرًا، ذكرًا كان أو أنثى. والسفيه الذي لا يجوز لوليه أن يؤتِّيه ماله، هو المستحقُّ الحجرَ بتضييعه

---

[1] أخرجه الطبراني في الأوسط بهذا اللفظ تقريبا من حديث أبي هريرة برقم (9214) ينظر: المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد الطبراني، تح: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دط، دار الحرمين، القاهرة، دت، 88/9.

[2] المصدر السابق: مج4/ جز6/ ص162، بتصرف يسير.

[3] ينظر نماذج أخرى تبين أثر اختيارات الطبري في الغريب على تفسيره لآيات الأحكام، جامع البيان: مج3/ جز4/ ص327، مج4/ جز5/ ص153، جز6/ ص161، مج9/ جز15/ ص282.

[4] المصدر نفسه: مج3/ جز3/ ص112.

مالَه وفسادِه وإفسادِه وسوء تدبيره ذلك. وإنما قلنا ما قلنا، من أن المعنيَّ بقوله: ((ولا تؤتوا السفهاء)) هو من وصفنا دون غيره؛ لأن الله جل ثناؤه قال في الآية التي تتلوها: ((وابْتَلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدًا فادفعوا إليهم أموالهم)) فأمر أولياء اليتامى بدفع أموالهم إليهم إذا بلغوا النكاح وأونس منهم الرشد، وقد يدخل في اليتامى الذكور والإناث، فلم يخصص بالأمر بدفع ما لَهُم من الأموال، الذكورَ دون الإناث، ولا الإناث دون الذكور... فتبيّن أن السفهاء الذين نهى الله المؤمنين أن يؤتوهم أموالهم، هم المستحقون الحجرَ والمستوجبون أن يُولى عليهم أموالهم، وهم من وصفنا صفتهم قبل، وأن من عدا ذلك فغير سفيه؛ لأن الحجر لا يستحقه من قد بلغ وأونس رشده "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔا ﴾ [النساء:20] كان لاختياره معنى القنطار أثر في قوله بعدم جواز أخذ الزوج المطلّق من مهر زوجته شيئا مهما بلغت كثرته فقال: " يعني جل ثناؤه بقوله: ((وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج)) وإن أردتم أيها المؤمنون نكاح امرأة مكان امرأة لكم تطلقونها ((وآتيتم إحداهن)) يقول: وقد أعطيتم التي تريدون طلاقها من المهر قنطارًا، والقنطار: المال الكثير. وقد ذكرنا فيما مضى اختلاف أهل التأويل في مبلغه، والصوابَ من القول في ذلك عندنا[2]. ((فلا تأخذوا منه شيئًا)) يقول: فلا تضرُّوا بهن إذا أردتم طلاقهن ليفتدين منكم بما آتيتموهن "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْ ﴾ [النساء:43] ذكر معنيين عن السلف في حكم هذه الآية، فقال بعضهم: معناه لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ولا في حالة جنابة إلا أن تكونوا مسافرين حتى تغتسلوا، وقال آخرون: معناه لا تقربوا المصلى للصلاة وأنتم سكارى أو جنبا إلا أن تكونوا مجتازي طريق للخروج من المسجد (وقالوا أقيمت الصلاة مقام المصلى والمسجد) ثم رجح الإمام الطبري المعنى الثاني قائلا بعدم

---

[1] المصدر السابق: مج3/ جز4/ ص310، بتصرف يسير.

[2] ينظر: يشير لاختياره في معنى القنطار عند قوله تعالى ((والقناطير المقنطرة)) من سورة آل عمران، وقد أورته في الفصل الاختيارات ص219.

[3] المصدر نفسه: مج3/ جز4/ ص394.

جواز دخول الجنب المسجد إلا عابر طريق للخروج منه فقال: " وأولى القولين بالتأويل لذلك، تأويل من تأوَّله: ولا جنبًا إلا عابري سبيل: إلا مجتازي طريق فيه. وذلك أنه قد بيَّن حكم المسافر إذا عَدِم الماء وهو جنب في قوله: ((وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا)) فكان معلومًا بذلك أن قوله ((ولا جنبًا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا)) لو كان معنيًّا به المسافر، لم يكن لإعادة ذكره في قوله: ((وإن كنتم مرضى أو على سفر)) معنى مفهوم، وقد مضى ذكر حكمه قبل ذلك. وإذ كان ذلك كذلك، فتأويل الآية: يا أيها الذين آمنوا، لا تقربوا المساجد للصلاة مصلِّين فيها وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون، ولا تقربوها أيضًا جنبًا حتى تغتسلوا، إلا عابري سبيل "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [المائدة:35] كان لاختياره مجيء الحرف (أو) بمعنى التعقيب (وقد ذكر اختلافهم في معنى الآية بسبب توجيههم للحرف أو) أثر في بيان الحكم الدالة عليه هذه الآية فقال: " فأما ما اعتلّ به القائلون: إنّ الإمام فيه بالخيار، من أن (أو) في العطف تأتي بمعنى التخيير في الفرض، فقولٌ لا معنى له، لأن (أو) في كلام العرب قد تأتي بضروب من المعاني... وهي في هذا الموضع، بمعنى التعقيب، وذلك نظير قول القائل: إن جزاء المؤمنين عند الله يوم القيامة أن يدخلهم الجنة، أو يرفع منازلهم في علِّيين، أو يسكنهم مع الأنبياء والصديقين، فمعلوم أن قائل ذلك غير قاصد بقيله إلى أن جزاء كل مؤمن آمن بالله ورسوله، فهو في مرتبة واحدة من هذه المراتب، ومنزلة واحدة من هذه المنازل بإيمانه، بل المعقول عنه أن معناه: أن جزاء المؤمن لن يخلُو عند الله عز ذكره من بعض هذه المنازل. فالمقتصد منزلته دون منزلة السابق بالخيرات، والسابق بالخيرات أعلى منه منزلة، والظالم لنفسه دونهما، وكلٌّ في الجنة كما قال جل ثناؤه: ((جنات عدن يدخلونها)) [سورة فاطر: 33] . فكذلك معنى العطوف بأوْ في قوله: ((نما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله)) الآية، إنما هو التعقيب. فتأويله: إن الذي يحارب الله ورسوله ويسعى في الأرض فسادًا، لن يخلو من أن يستحق الجزاءَ بإحدى هذه الخلال الأربع التي

[1] المصدر السابق: مج4/ جز5/ ص130.

ذكرها الله عز ذكره لا أن الإمام محكم فيه ومخيَّرٌ في أمره، كائنةً ما كانت حالته، عظمت جريرته أو خفَّتْ "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَالذِينَ يَكْنِزُونَ اَلذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اِللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ اَلِيمٍ ﴾ [التوبة:34] رجع إلى معنى الكنز في اللغة، وكان لذلك أثر في حمل الآية على العموم؛ إذ خصصها بيان الرسول ﷺ من أن كل مال لم تؤد زكاته كان لصاحبه من الوعيد ما ذكر في الآية، قال الطبري موضحا ذلك: " الكنز في كلام العرب: كل شيء مجموع بعضُه على بعضٍ، في بطن الأرض كان أو على ظهرها، يدلُّ على ذلك قول الشاعر:

لا دَرَّ دَرِّيَ إنْ أَطْعَمْتُ نَازِلَهُمْ   قَرْفَ الحَتِيِّ وعِنْدِي الْبُرُّ مَكْنُوزُ

يعني بذلك: وعندي البرُّ مجموع بعضه على بعض. وكذلك تقول العرب للبدن المجتمع: مكتنز؛ لانضمام بعضه إلى بعض. وإذا كان ذلك معنى الكنز عندهم، وكان قوله: ((والذين يكنزون الذهب والفضة)) معناه: والذين يجمعون الذهب والفضة بعضَها إلى بعض ولا ينفقونها في سبيل الله، وهو عامٌّ في التلاوة، ولم يكن في الآية بيانُ كم ذلك القدر من الذهب والفضّة الذي إذا جمع بعضُه إلى بعض، استحقَّ الوعيدَ كان معلومًا أن خصوص ذلك إنما أُدرك، لوقْف الرسول عليه، وذلك كما بينا من أنه المال الذي لم يودَّ حق الله منه من الزكاة دون غيره "[2].

---

[1] المصدر السابق: مج4/ جز6/ ص279-280، بتصرف يسير.

[2] المصدر نفسه: مج6/ جز10/ ص153، بتصرف يسير.

المبحث الرابع: أثر اختياراته في الغريب على موقفه من القراءات.

المطلب الأول: شروط قبول القراءة عند الإمام الطبري.

على الرغم من تقدم الإمام الطبري وظهور علم القراءات وقواعده وشروطه من بعده، إلاّ أنه ومن خلال استقراء تفسيره يتبيّن أنّ له منهجه وله شروطه التي اشترطها قبل تأصيل وتقعيد العلامة ابن الجزري في القرن التاسع الهجري، ولا تخرج الشروط التي وضعها لقبول القراءة عن الشروط التي وضعها ابن الجزري[1] وهي مجملة في ما يلي:

الفرع الأول: اشتراطه موافقة رسم المصحف.

موافقة وجه القراءة مرسوم الخط العثماني للمصحف شرط من شروط قبول القراءة عند الطبري، والأمثلة الآتية توضح هذا:

فعند نقده لقراءة النصب في قوله تعالى ﴿ صُمٌّ بُكۡمٌ عُمۡيٌ ﴾ [البقرة:17] حيث قال: "... والقراءة التي هي القراءة: الرفع دون النصب؛ لأنه ليس لأحد خلاف رسوم مصاحف المسلمين، وإذا قرئ نصبا (صما بكما عميا) كانت قراءة مخالفة رسم مصاحفهم "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ﴾ [البقرة:157] ذكر هذا الشرط حين أورد وجه القراءة (فلا جناح عليه أن لا يطوّف بهما) فقال: " ذلك خلاف ما في مصاحف المسلمين، وغير جائز لأحد أن يزيد في مصاحفهم ما ليس فيها...ولو قرأه اليوم قارئ كان مستحقا العقوبة؛ لزيادته في كتاب الله عز وجلّ ما ليس منه "[3].

---

[1] ينظر: النشر في القراءات العشر: شمس الدين بن الجزري: تح: علي محمد الضباع، دط، المطبعة التجارية الكبرى، القاهرة، دت، 9/1.

[2] جامع البيان: مج1/ جز1/ ص191.

[3] المصدر نفسه: مج2/ جز2/ ص68-69.

وعند قوله تعالى ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾ [مريم:18] وذلك حين ضعّف قراءة أبي عمرو بن العلا بالياء الخالص في (ليَهب) بحجة أنها ليست كذلك في مصاحف المسلمين، قال الطبري مشترطا هذا الشرط: " وقرأ ذلك أبو عمرو بن العلاء (ليهب لك غلامًا زكيا) بمعنى: إنما أنا رسول ربك أرسلني إليك ليهب الله لك غلاما زكيا. قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك، ما عليه قرّاء الأمصار، وهو (لأهَبَ لَكِ) بالألف دون الياء، لأن ذلك كذلك في مصاحف المسلمين، وعليه قراءة قديمهم وحديثهم، غير أبي عمرو، وغير جائز خلافهم فيما أجمعوا عليه، ولا سائغ لأحد خلاف مصاحفهم "[1].

الفرع الثاني: اشتراطه التواتر.

وذلك حين نقد قراءة النّصب (غيرَ) في قوله تعالى ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة:7] حين قال: " وقد يجوز نصب غيرَ... وإن كنت للقراءة بها كارها لشذوذها عن قراءة القراء، وإنّ ما شذّ من القراءات عما جاءت به الأمة نقلا مستفيضا فرأي للحق مخالف، وعن سبيل الله وسبيل رسوله وسبيل المسلمين متجانف، وإن كان له – لو كانت القراءة جائزة به – في الصواب مخرج[2] "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ ﴾ [الأعراف:19] حيث ذكر قراءة ابن عباس لهذه الآية بكسر اللام من مَلِكَيْن، ثم قدّم قراءة الفتح لتواترها وأبعد قراءة الكسر لشذوذها فقال: " والقراءة التي لا أستجيز القراءة في ذلك بغيرها، القراءةُ التي عليها قرَأَة الأمصار وهي، فتح اللام من: مَلَكَيْنِ بمعنى: مَلَكين، من الملائكة، لما قد تقدم من بياننا في أن كل ما كان مستفيضًا في قَرَأة الإسلام من القراءة، فهو الصواب الذي لا يجوزُ خلافه "[4].

---

[1] المصدر السابق: مج9/ جز16/ ص85.

[2] يريد: وإن كان له وجه في اللغة، وتوجيه ذلك نحويا في حال نصب (غيرَ) أن تكون صفةً لمحل نصب الضمير (هم) الذي في (عليهم) العائدة على الذين في الآية التي قبل، ينظر جامع البيان: مج1/ جز1/ ص100.

[3] المصدر نفسه: مج1/ جز1/ ص100.

[4] المصدر نفسه: مج5/ جز8/ ص180.

الفرع الثالث: اشتراطه عدم خروج القراءة عن الوجه الصحيح الفصيح من كلام العرب[1].

وهذا الشرط تشدّد فيه الطبري، وهو مجتهد في ذلك مأجور على اجتهاده[2]، وخالف في ذلك ابن الجزري فقال شارحا هذا الضابط: " وَقَوْلُنَا فِي الضَّابِطِ وَلَوْ بِوَجْهٍ نُرِيدُ بِهِ وَجْهًا مِنْ وُجُوهِ النَّحْوِ، سَوَاءٌ كَانَ أَفْصَحَ أَمْ فَصِيحًا مُجْمَعًا عَلَيْهِ، أَمْ مُخْتَلَفًا فِيهِ اخْتِلَافًا لَا يَضُرُّ مِثْلُهُ إِذَا كَانَتِ الْقِرَاءَةُ مِمَّا شَاعَ وَذَاعَ وَتَلَقَّاهُ الْأَئِمَّةُ بِالْإِسْنَادِ الصَّحِيحِ؛ إِذْ هُوَ الْأَصْلُ الْأَعْظَمُ وَالرُّكْنُ الْأَقْوَمُ، وَهَذَا هُوَ الْمُخْتَارُ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ فِي رُكْنِ مُوَافَقَةِ الْعَرَبِيَّةِ، فَكَمْ مِنْ قِرَاءَةٍ أَنْكَرَهَا بَعْضُ أَهْلِ النَّحْوِ أَوْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَلَمْ يُعْتَبَرْ إِنْكَارُهُمْ، بَلْ أَجْمَعَ الْأَئِمَّةُ الْمُقْتَدَى بِهِمْ مِنَ السَّلَفِ عَلَى قَبُولِهَا كَإِسْكَانِ (بَارِئْكُمْ) وَ (يَأْمُرْكُمْ) وَنَحْوِهِ "[3].

فعند قوله تعالى ﴿ وَانظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ﴾ [البقرة:258] ذكر ثلاثة أوجه لقراءة (نُنشِزُها) الأول: نُنْشِزُها، والثاني: نُنْشِرُها، والثالث: نَنْشُرُها، ثم صحح الوجهين الأولَيْن لاستفاضتهما لغة ورواية، وحكم على الوجه الثالث بالشذوذ لعدم موافقته الصحيح الفصيح من كلام العرب فقال: " وقرأ ذلك بعضهم: (وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نَنْشُرُهَا) بفتح النون من أوله وبالراء. كأنّه وجّه ذلك إلى مثل معنى: نَشْرِ الشيء وطيّه. وذلك قراءة غير محمودة، لأن العرب لا تقول: نشر الموتى، وإنما تقول: أنشر الله الموتى، فنشروا هم، بمعنى: أحياهم فحيُوا هم. ويدل على ذلك قوله: (ثُمَّ

---

[1] لعل هذا الشرط هو الذي يفرق بين منهج الطبري في قبول القراءة، وطريقة المتأخرين في الحكم على القراءات، فالمتأخرون يشترطون موافقة الوجه المقروء للغة ولو من وجه واحد غير مستفيض بشرط ثبوته لغة، في حين نجد الطبري يشترط في القراءة موافقة المشهور المستفيض من كلام العرب، فالقراءة المختارة عند الطبري هي القراءة الفصيحة الشائعة المعروفة، وهذا الذي حمل الطبري على كثرة الاختيار والترجيح بين القراءات. ينظر: منهج الإمام الطبري في القراءات وضوابط اختيارها في تفسيره:ص343.

[2] أورد الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي في معرض تبرئة ابن جرير مما نسب إليه في موقفه من القراءات المتواترة، أن من أسباب وقوع الطبري في ذلك: اشتراطه حمل معاني القرآن على الوجه الأفصح والأشهر لغة فأثّر هذا الشرط في موقفه من القراءات، إضافة إلى اختلاف مفهوم التواتر بين الطبري ومن جاء بعده. ينظر: الاختيار في القراءات منشؤه ومشروعيته: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مطبوعات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1417هـ – 1996م، ص37-40.

[3] ينظر: النشر في القراءات العشر: 10/1.

إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ [عبس:22] وقوله: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ [الأنبياء: 21] وعلى أنه إذا أريد به حَيِي الميت وعاش بعد مماته، قيل: نَشَر، ومنه قول أعشى بني ثعلبة:

حَتَّى يَقُولَ النَّاسَ مِمَّا رَأَوْا *** يَا عَجَبًا لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ

وروي سماعًا من العرب: كان به جَرَبٌ فنَشَر، إذا عاد وَحَيِيَ... وأما القراءة الثالثة، فغير جائزةٍ القراءةُ بها عندي، وهي قراءة من قرأ: ﴿كَيْفَ نَنْشُرُهَا﴾ بفتح النون وبالراء، لشذوذها عن قراءة المسلمين، وخروجها عن الصحيح الفصيح من كلام العرب "[1].

المطلب الثاني: دواعي وقوع الإمام الطبري في المفاضلة بين القراءات.

مسلك المفاضلة بين القراءات عند الإمام الطبري معروف لدى المتقدمين والمتأخرين، وهذا لكونه ينفرد بمنهج خاص في قبول القراءات وردّها، أو المفاضلة بينها لدواعي معنوية أو مسوّغات لغوية، وهذا قبل تسبيع مجاهد للقراءات وقبل تعشير ابن الجزري لها، وبعد استقراء المواضع التي ذكر فيها اختلاف القراء في أوجه قراءتها، يتبيّن لنا دواعي وقوعه في المفاضلة بين القراءات حتى لو كانت متواترة على اصطلاح المتأخرين، ويمكن إجمال ذلك في النقاط التالية:

الفرع الأول: طلبه أجود المعاني وأبلغها وأكملها في الأحرف المُختلف في قراءتها (زيادة المعنى)[2].

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم بقراءاته المتعددة أفصح وأسلم وأبلغ ما نطقت به العرب؛ لأن ألفاظه لبّ كلامها وزبدته، وكان من الطبيعي أن بعض القراءات أفصح من بعض، وبعضها أبلغ في المعنى من بعض؛ لأن العرب الذين نزل القرآن بلغاتهم منهم الفصيح ومنهم الأفصح، ومنهم البليغ ومنهم الأبلغ، وعلى هذا الأساس استند ابن جرير في اختيار بعض أوجه القراءة على بعض آخر[3]، والأمثلة الآتية توضح ذلك:

---

[1] المصدر السابق: مج3/ جز3/ ص60-61، بتصرف يسير.

[2] للاستزادة من النماذج التطبيقية على هذا الداعي للوقوع في المفاضلة بين القراءات، ينظر جامع البيان: مج6/ جز9/ ص257، مج8/ جز14/ ص98، مج9/ جز15/ ص198.

[3] ينظر: ينظر منهج الإمام الطبري في القراءات وضوابط اختيارها في تفسيره: ص342.

وقد صرّح بهذا المسوغ حين ذكر اختلاف القراء في قراءة قوله تعالى ﴿ تَظَّـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [البقرة:84] فقرأ بعضهم: تظاهرون بالتخفيف، وبعضهم: تظّاهرون بالتشديد، ثم قال مبيّنا مسلكه في الاختيار بين القراءات: " وهاتان القراءتان وإن اختلفت ألفاظهما فإنهما متفقتا المعنى...؛ لأنهما جميعا لغتان معروفتان وقراءتان مستفيضتان في أمصار الإسلام بمعنى واحد، ليس في إحداهما معنى تستحق به اختيارها على الأخرى، إلا أن يختار مختار (تظّاهرون) المشددة طلبا منه تتمة الكلمة "[1].

وبيّن هذا المقصد في الاختيار بين القراءات حين ذكر اختلاف القراء في موضع ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ ﴾ [البقرة:172] فقرأه بعضهم بتخفيف الياء ميتة وقرأه آخرون بالتشديد ميّتة ، ثم قال مخبرا عن مقصده من الاختيار بين القراءات: " والصواب من القول في ذلك عندي أن التخفيف والتشديد في ياء (الميتة) لغتان معروفتان في القراءة وفي كلام العرب، فبأيّهما قرأ ذلك القارئ فمصيب؛ لأنه لا اختلاف في معنييْهما "[2].

وبين هذا المقصود عن ذكره اختلاف القراء في قوله تعالى ﴿ مَالَمْ تَمَسُّوهُنَّ ﴾ [البقرة:234] فقرأه بعضهم (تمسُّوهن) وبعضهم (تُماسُّهن) ثم قال مصححا القراءتين ومبيّنا مقصده في المفاضلة بين القراءات: " والذي نرى في ذلك، أنهما قراءتان صحيحتا المعنى، متفقتا التأويل، وإن كان في إحداهما زيادة معنى، غير موجبة اختلافا في الحكم والمفهوم. وذلك أنه لا يجهل ذو فهم إذا قيل له: مسست زوجتي، أن الممسوسة قد لاقى من بدنها بدن الماس، ما لاقاه مثله من بدن الماس. فكل واحد منهما وإن أفرد الخبر عنه بأنه الذي ماس صاحبه معقول بذلك الخبر نفسه أن صاحبه المسوس قد ماسه، فلا وجه للحكم لإحدى القراءتين مع اتفاق معانيهما، وكثرة القرأة بكل واحدة منهما بأنها أولى بالصواب من الأخرى، بل الواجب أن يكون القارئ، بأيتهما قرأ، مصيب الحق في قراءته "[3].

---

1 المصدر السابق: مج1/ جز1/ ص523.
2 المصدر نفسه: مج2/ جز2/ ص112.
3 المصدر نفسه: مج2/ جز2/ ص701.

وعند قوله تعالى ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدْرُهُۥ ﴾ [البقرة:234] ذكر اختلاف القراء في دال (قدره) بين من أسكنها توجيها منهم إلى المصدر، وبين من فتحها توجيها منهم إلى الاسم، ثم قال مبيّنا مقصده من الاختيار بين القراءات: " والقول في ذلك عندي أنهما جميعا قراءتان قد جاءت بهما الأمة، ولا تحيل القراءة بإحداهما معنى في الأخرى، بل هما متفقتا المعنى. فبأي القراءتين قرأ القارئ ذلك، فهو للصواب مصيب. وإنما يجوز اختيار بعض القراءات على بعض لبينونة المختارة على غيرها بزيادة معنى أوجبت لها الصحة دون غيرها. وأما إذا كانت المعاني في جميعها متفقة، فلا وجه للحكم لبعضها بأنه أولى أن يكون مقروءا به من غيره "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾ [آل عمران:27] ذكر قراءتين في حرف (الميّت) فقرأه بعضهم بالتشديد الميّت، وبعضهم بالتخفيف من الياء الميْت، ثم وجّه المعنى وصوّب الأولى كونها الأجود والأبلغ فقال: " وذلك أن الميِّت مثقل الياء عند العرب: ما لم يَمتْ وسيموت، وما قد مات. وأما الميْت مخففًا: فهو الذي قد مات... فإذا كان ذلك كذلك، فأولى القراءتين في هذه الآية بالصواب، قراءةُ من شدّد الياء من الميِّت؛ لأن الله جل ثناؤه يخرج الحي من النطفة التي قد فارقت الرجلَ فصارت ميِّتة، وسيخرجه منها بعد أن تُفارقه وهي في صلب الرجل، ويخرج الميِّت من الحيّ النطفةَ التي تصير بخروجها من الرجل الحيّ ميِّتًا، وهي قبل خروجها منه حيَّة. فالتشديد أبلغ في المدح وأكملُ في الثناء "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَةً ﴾ [المائدة:14] أورد القراءتين في (قاسية) قراءة الجمهور بالألف، وقراءة حمزة والكسائي بحذف الألف وتشديد الياء (قسيّة) ثم اختار الحرف الثاني على الأول كونه الأبلغ في الذّم فقال: " وأعجبُ القراءتين إليّ في ذلك، قراءة من قرأ: ((وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَّةً)) على فعيلة؛ لأنها أبلغ في ذم القوم من قاسية "[3].

---

[1] المصدر السابق: مج2/ جز2/ ص713.
[2] المصدر نفسه: مج3/ جز3/ ص292-293، بتصرف يسير.
[3] المصدر نفسه: مج4/ جز6/ ص202.

وعند قوله تعالى ﴿ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قِبَلًا ﴾ [الأنعام:112] ذكر اختلاف القراء في حرف قِبَلاً، فقرأه أهل المدينة بكسر القاف وفتح الباء، وقرأه الباقون بضمّهما، ثم اختار القراءة بضم الحرفين كون القراءة الأخرى ترجع إليها في المعنى، ولاحتمال الأولى من المعاني ما لا تحتمل الأخرى فقال: وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندنا، قراءةُ من قرأ: ((وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلا)) بضم القاف والباء، لما ذكرنا من احتمال ذلك الأوجهَ التي بينّا من المعاني[1]، وأن معنى القِبَل داخلٌ فيه، وغير داخل في القُبُل معاني القِبَل "[2].

الفرع الثاني: اختياره القراءة التي لها وجه أفصح ومستفيض في اللغة[3].

يعد هذا الداعي من أكبر الأسباب التي جعلت الطبري ينحو منحى الاختيار في القراءات، فأبو جعفر يرى أن لغة القرآن يجب أن تحمل على أفصح كلام العرب وأشهره وأصحه مخرجا، فمن هذا المنطلق يقرر أن الأخذ بالقراءة الفصحى أحق وأولى[4]، والنماذج الموردة بعدُ خير مثال على هذا:

وذلك حين ذكر اختلاف القراء في قوله تعالى ﴿ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ ﴾ [البقرة:84] فصرّح بهذا المسلك في الاختيار بعد إيراده، قراءة: أسْرى وقراءة أُسارى، وبعد توجيه بناء الكلمتين صرفيا، قال مختارا حرف أسْرى لاستفاضته في لغة العرب، وتضعيفه حرف أُسارى لعدم شهرته لغة[5]: " وأولى بالصواب في ذلك قراءة من قرأ (وإنْ يأتوكم أسْرى) لأن (فُعالى) في جميع (فَعيل) غير مستفيض في

---

[1] ينظر هذه الأوجه في الفصل الأول ص32.

[2] المصدر السابق: مج5/ جز8/ ص7.

[3] للاستزادة من الأمثلة التطبيقية على هذه المسألة ينظر جامع البيان: مج3/ جز3/ ص93، ص324، جز4/ ص238، ص312، مج4/ جز5/ ص64، ص398، جز6/ ص83، مج5/ جز8/ ص143، ص162، ص211، ص238، مج6/ جز9/ ص23، ص168، جز10/ ص142، مج7/ جز11/ ص146، مج8/ جز14/ ص131، مج9/ جز15/ ص83، ص258، جز16/ ص40، ص226.

[4] ينظر: منهج الإمام الطبري في القراءات وضوابط اختيارها: ص333.

[5] ولا نسلّم له بهذا؛ لأن من شروط القراءة الصحيحة: أن يكون لها وجه واحد صحيح في لغة العرب، والإمام الطبري أقرّ بوجود وجه لها في اللغة ولكنه بحسبه نادر الاستعمال لأجل هذا فاضل بين القراءتين العشريّين، ينظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: عبد الفتاح القاضي، دار السلام، القاهرة، ط:7، 1436هـ – 2015م، 79/1.

كلام العرب، فإذا كان ذلك غير مستفيض في كلامهم، وكان مستفيضا فاشيا فيهم جمعها على (فَعْلى)... ذلك اخترنا ما اخترنا من القراءة لأجل هذا "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافاً كَثِيرَةًۭ ﴾ [البقرة:243] ذكر اختلاف القراء في قراءة: (يُضاعفه) فقرأه بعضهم بالألف مع رفعه (يُضاعفُه) وقرأه آخرون بالتشديد من غير ألف (فيُضعِّفُه) وقرأه آخرون بالألف مع النصب (فيُضاعفَه) ثم اختار القراءة الأولى لموافقتها الفصيح المستفيض فقال: " وأولى هذه القراءات عندنا بالصواب، قراءة من قرأ: (فيضاعفُه له) بإثبات الألف. ورفع (يضاعفُ)؛ لأن في قوله (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) معنى الجزاء. والجزاء إذا دخل في جوابه الفاء، لم يكن جوابه بالفاء إلا رفعا. فلذلك كان الرفع في (يضاعفُه) أولى بالصواب عندنا من النصب. وإنما اخترنا الألف في (يضاعف) من حذفها وتشديد العين، لأن ذلك أفصح اللغتين وأكثرهما على ألسنة العرب "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ [البقرة:259] ذكر قراءتين لحرف (فصرهن) ضم الصاد وكسرها، ثم قال مختارا القراءة بالنظر لهذا الاعتبار: " ... فسواءٌ قرأ القارئ ذلك بضم الصاد (فصُرْهن إليك) أو كسرها (فصِرْهن) إذ كانت لغتين معروفتين بمعنى واحد. غير أن الأمر وإن كان كذلك، فإن أحبّهما إليّ أن أقرأ به (فصُرْهن إليك) بضم الصاد؛ لأنها أعلى اللغتين وأشهرهما، وأكثرهما في إحياء العرب "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ [البقرة:282] ذكر اختلاف القراء في حرف (فرهان) إذ قرأه جمهورهم (فرِهانٌ) وقرأه ابن كثير وأبو عمرو (فرُهُنٌ) ثم ردّ هذه القراءة العشرية الأخيرة[4]؛ لأن جمع رَهْن قليل على رُهُن كثير على رِهَان فقال رحمه الله: " والذي هو أولى بالصواب في ذلك قراءة من قرأه: (فرِهان مقبوضة)؛ لأن ذلك الجمعُ المعروفُ لما كان من اسم على (فَعْل)، كما يقال: (حَبْلٌ

---

[1] المصدر السابق: مج1/ جز1/ ص526، بتصرف يسير.
[2] المصدر نفسه: مج2/ جز2/ ص787.
[3] المصدر نفسه: مج3/ جز3/ ص73.
[4] ينظر البدور الزاهرة: مج1/ ص137.

وحِبال) و (كَعْب وكِعاب) ونحو ذلك من الأسماء. فأما جمع (الفَعْل) على (الفُعُل) فشاذّ قليل، إنما جاء في أحرف يسيرة، وقيل: (سَقْف وسُقُفٌ) (وقلْبٌ وقُلُب) من: قلب النخيل "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ ﴾ [النحل:66] أورد قراءتي فتح النون وضمها من (نَسقيكم) ووجههما بما يوافق الغالب المستفيض من كلام العرب في السُقيا الدائمة، ثم اختار قراءة الضم كونها هي الأفشى في كلام العرب – وإن كان للأخرى وجها – فقال: " واختلفت القرّاء في قراءة قوله (نُسْقِيكُمْ) فقرأته عامة أهل مكة والعراق والكوفة والبصرة، سوى عاصم؛ ومن أهل المدينة أبو جعفر (نُسْقِيكُمْ) بضمّ النون. بمعنى: أنه أسقاهم شرابًا دائمًا. وكان الكسائيّ يقول: العرب تقول: أسقيناهم نَهْرا، وأسقيناهم لبنا: إذا جعلته شِرْبا دائما، فإذا أرادوا أنهم أعطوه شربة قالوا: سقيناهم فنحن نَسْقِيهم بغير ألف؛ وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة سوى أبي جعفر، ومن أهل العراق عاصم (نَسْقِيكم) بفتح النون من سَقاه الله، فهو يَسْقيه. والعرب قد تدخل الألف فيما كان من السَّقي غير دائم، وتنزعها فيما كان دائمًا، وإن كان أشهر الكلامين عندها ما قال الكسائيّ، يدلّ على ما قلنا من ذلك، قول لَبيد في صفة سحاب:

سَقَى قَوْمي بَنِي مَجْدٍ وأسْقَى *** نُمَيْرًا والقَبائِلَ مِنْ هِلالِ

فجمع اللغتين كلتيهما في معنى واحد، فإذا كان ذلك كذلك، فبأية القراءتين قرأ القارئ فمصيب، غير أن أعجب القراءتين إليّ قراءة ضمّ النون لما ذكرت من أن أكثر الكلامين عند العرب فيما كان دائما من السقي أسقى بالألف فهو يُسْقِي، وما أسقى الله عباده من بطون الأنعام فدائم لهم غير منقطع عنهم "[2].

---

[1] المصدر السابق: مج3/ جز3/ ص181، بتصرف يسير.

[2] المصدر نفسه: مج8/ جز14/ ص161.

الفرع الثالث: تحسينه قراءة على أخرى طلبا لانتظام الكلام على نسق واحد، مع أن القراءتين صحيحتين من حيث الاصطلاح[1].

وأوضّح هذا الداعي لاختياره قراءة على أخرى بكلامه الذي وجّه به اختلاف القراء في قوله تعالى ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: 84] حيث ذكر اختلافهم في حرف (يعملون) فقرأه بعضهم بالياء وبعضهم بالتاء، ثم قال موجّها ومستحسنا القراءة بالياء: " وأعجب القراءتين إليّ قراءة من قرأ بالياء إتباعًا لقوله (فما جزاء من يفعل ذلك منكم ولقوله (ويوم القيامة يُردون) لأن قوله (وما الله بغافل عما يعملون) إلى ذلك أقرب منه إلى قوله (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) فإتباعه الأقرب إليه أولى من إلحاقه بالأبعد منه. والوجه الآخر غير بعيد من الصواب "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ [البقرة:217] بيّن مقصده من تصويب قراءة جمهور القراء (كبير) بدل قراءة (كثير) مع أن الثانية قراءة عشرية لحمزة والكسائي[3]، إلا أن الإمام الطبري صوب القراءة بالباء طلبا لانتظام الكلام مع ما بعده فقال: " وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأ بالباء (قل فيهما إثم كبير) لإجماع جميعهم على قوله (وإثمهما أكبر من نفعهما) وقراءته بالباء، وفي ذلك دلالة بيّنة على أن الذي وُصف به الإثم الأول من ذلك هو العظم والكبر، لا كثرة في العدد. ولو كان الذي وُصف به من ذلك الكثرة، لقيل: وإثمهما أكثر من نفعهما "[4].

---

[1] توخيا للاختصار، ينظر نماذج أخرى وقع فيها الطبري في المفاضلة بين القراءات بهذا الاعتبار، جامع البيان: مج3/ جز3/ ص248، ص353، ص429، جز4/ ص73-74، ص247، ص255، ص353، مج5/ جز8/ ص20، مج6/ جز9/ ص242، مج8/ جز13/ ص131، مج9/ جز15/ ص68.

[2] المصدر نفسه: مج1/ جز1/ ص528.

[3] ينظر البدور الزاهرة: عبد الفتاح القاضي، 114/1.

[4] جامع البيان: مج2/ جز2/ ص478.

وعند قوله تعالى ﴿ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:258] ذكر رحمه الله وجهين لقراءة (أعلمُ) أحدهما: (قال اعلمْ) على وجه الأمر بجزم الميم، وهي قراءة حمزه والكسائي، وثانيهما: قراءة الباقين[1]: (قال أعلمُ) على وجه الإخبار من المتكلم، ثم اختار الإمام الطبري الوجه الأول من القراءة معتمدا على هذا المسوّغ فقال: " وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ: اعْلَمْ بوصل الألف وجزم الميم... وإنما اخترنا قراءة ذلك كذلك وحكمنا له بالصواب دون غيره؛ لأن ما قبله من الكلام أمرٌ من الله تعالى ذكره: قولا للذي أحياه الله بعد مماته، وخطابًا له به، وذلك قوله: (فانظر إلى طعامك وشرَابك لم يتسنَّه وانظر إلى حمارك...وانظر إلى العظام كيف ننشزها) فلما تبين له ذلك جوابًا عن مسألته ربَّه: (أنى يحيي هذه الله بعد موتها)! قال الله له: اِعلمْ أن الله الذي فعل هذه الأشياء على ما رأيت، على غير ذلك من الأشياء قديرٌ كقدرته على ما رأيت وأمثاله، كما قال تعالى ذكره لخليله إبراهيم ﷺ بعد أن أجابه عن مسألته إياه في قوله: (رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى) (وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) فأمر إبراهيم بأن يعلم، بعد أن أراه كيفية إحيائه الموتى، أنه عزيز حكيم. فكذلك أمر الذي سأل فقال: (أنّ يحيّي هذه الله بعد موتها)؟ بعد أن أراه كيفية إحيائه إياها أن يعلم أنّ الله على كل شيء قدير "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [البقرة:284] ذكر قراءتين في (وكُتُبه) قراءة جمهور القراء بهذا الحرف، وقراءة ابن عباس (وكتابه) ثم اختار الوجه الأول بهذا الاعتبار وعلّق على الوجه الثاني فقال: " وقد روي عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك: (وكتابه) ويقول: الكتاب أكثر من الكتب. وكأن ابن عباس يوجه تأويل ذلك إلى نحو قوله: (وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ) [العصر: 1-2] ، بمعنى جنس الناس وجنس الكتاب... وذلك وإن كان مذهبا من المذاهب معروفا، فإن الذي هو أعجب إلي من القراءة في ذلك أن يقرأ بلفظ الجمع. لأن الذي قبله جمع، والذي بعده كذلك، أعني بذلك: (وملائكته وكتبه ورسله) فإلحاق (الكتب) في الجمع لفظا به، أعجب إلي من

[1] ينظر البدور الزاهرة: 1/ ص128.

[2] جامع البيان: مج3/ جز3/ ص63، بتصرف يسير.

توحيده وإخراجه في اللفظ به بلفظ الواحد، ليكون لاحقا في اللفظ والمعنى بلفظ ما قبله وما بعده، وبمعناه "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ [الأنعام:99] ذكر وجهين في قراءة حرف (مستقَر) فتح القاف وهي قراءة الجمهور، وكسر القاف وهي قراءة أبو عمرو بن العلا البصري وابن كثير المكي[2]، ثم اختار القراءة الأولى على صيغة اسم المفعول لموافقة فتح الدال المجمع على فتحها في (مستودَع) وهذا لطلبه اتساق وانتظام الكلام على نفس النسق، حيث قال: " وأولى القراءتين بالصواب عندي، وإن كان لكليهما عندي وجه صحيح: ((فَمُسْتَقَرٌّ)) بمعنى: استقرّه الله في مستقَرِّه؛ ليأتلف المعنى فيه وفي المستودَع، في أن كل واحد منهما لم يسمَّ فاعله، وفي إضافة الخبر بذلك إلى الله في أنه المستقِرُّ هذا، والمستودِع هذا. وذلك أن الجميع مجمعون على قراءة قوله: ومستودَع بفتح الدال على وجه ما لم يسمَّ فاعله، فإجراء الأوّل أعني قوله: فمستقَر عليه، أشبه من عُدُوله عنه "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكَـٰفِرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد:43] أورد قراءتي الإفراد والجمع في (الكافر) واختار قراءة الجمع لإيثاره اتحاد النسق في النظم فقال: " والصوابُ من القراءة في ذلك، القراءةُ على الجميع: ((وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ))؛ لأن الخبر جرى قبل ذلك عن جماعتهم، وأتبع بعَده الخبر عنهم، وذلك قوله: ((وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ)) وبعده قوله: ((وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلا)). وقد ذُكر أنها في قراءة ابن مسعود: (وَسَيَعْلَمُ الكَافِرُونَ) وفى قراءة أبيّ: (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) .وذلك كله دليلٌ على صحة ما اخترنا من القراءة في ذلك "[4].

---

[1] المصدر السابق: مج3/ جز3/ ص197-198، بتصرف يسير.

[2] ينظر البدور الزاهرة: 274/1، بتصرف.

[3] جامع البيان: مج5/ جز7/ ص363.

[4] المصدر نفسه: مج8/ جز13/ ص220.

الفرع الرابع: اختياره القراءة التي يؤمن معها اللبس عن فهم سامعها.

وذلك عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ [البقرة:220] أورد قراءتي (يَطْهُرن، ويطَّهَّرن) ثم اختار القراءة الثانية مبيّنا مقصده من المفاضلة فقال: " فإذ كان إجماع من الجميع أنها لا تحل لزوجها بانقطاع الدم حتى تطّهر، كان بيّنا أن أولى القراءتين بالصواب أنفاهما للبس عن فهم سامعها، وذلك هو الذي اخترنا، إذ كان في قراءة قارئها بتخفيف الهاء وضمها ما لا يؤمن معه اللبس على سامعها من الخطأ في تأويلها، فيرى أن لزوج الحائض غشيانها بعد انقطاع دم حيضها عنها وقبل اغتسالها وتطهرها "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴾ [الأنعام:58] ذكر قراءتين لحرف (يقصُّ) فقرأه قراء المدينة ومكة والبصرة وعاصم من أهل الكوفة (يقُصُّ) وقرأه الباقون (يقْضِي)[2]، ثم اختار القراءة الثانية كونها مناسبة لمعنى الفصل؛ إذ الفصل بالقضاء وليس بالقصص، وهذا ما يفهم في نظر الإمام الطبري لدى السامعين ويزيل اللبس عن المتبادر إلى أفهامهم، حيث قال ما نصه: " وقرأ ذلك جماعة من قرأة الكوفة والبصرة: ((إنِ الْحُكْمُ إلا لِلهِ يَقْضِي الْحَقَّ)) بالضاد، من القضاء، بمعنى الحكم والفصل بالقَضَاء، واعتبروا صحة ذلك بقوله: ((وهو خير الفاصلين)) وأن الفصل بين المختلفين إنما يكون بالقضاء لا بالقَصَص. وهذه القراءة عندنا أولى القراءَتين بالصواب، لما ذكرنا لأهلِها من العلّة "[3].

المطلب الثالث: ردّه لبعض القراءات القرآنية لمسوّغات لغوية وسياقية.

لقد أدت هذه المسوغات السابقة، وهذه الدواعي المذكورة إلى ترجيح بعض القراءات على بعض، واستحسان بعضها على بعض، بل وإلى حدّ ردّ بعضها الآخر اعتبارا بالضوابط السابقة والمسوغات الآنفة، والأمثلة الآتية توضح هذا.

---

[1] المصدر السابق: مج2/ جز2/ ص511.

[2] ينظر البدور الزاهرة: عبد الفتاح القاضي، 263/1.

[3] جامع البيان: مج5/ جز7/ ص265-266.

فعند قوله تعالى ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة:3] صحّح أبو جعفر قراءة (مَلِكِ يوم الدين) وضعّف قراءة (مالك) بالنظر للسياق والتركيب، كونه يستبعد وقوع التكرار في القرآن، فالله تعالى وصف نفسه بأنه (ربّ العالمين) وربُّ الشيء مالكه كما هو واضح لدى أهل المعرفة بلغة العرب، فاستبعد الإمام الطبري تكرار (مالك) بنفس المعنى فقال: " ففي إعادة ذلك تكرار ألفاظ مختلفة بمعانٍ متّفقة لا تُفيد السامع... فائدة به إليها حاجة، والذي لم يحْوِه من صفاته جلّ ذكره ما قبل قوله (مالك يوم الدين) المعنى الذي في قوله (مَلِك يوم الدين) وهو وصفه بأنه المِلك، فبيّن إذًا أن أولى القراءتين بالصواب وأحق التأويلين بالكتاب قراءة من قرأه (مَلِكِ يوم الدين) "[1].

ولما كان الإمام الطبري من المضيّقين للترادف في القرآن الكريم[2]، وأورد قراءتين في قوله تعالى ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ ﴾ [البقرة:35] فقال: " اختلفت القَرَأةُ في قراءة ذلك فقرأته عامّتهم (فأزلّهما) بتشديد اللام بمعنى استزلّهما من قولك: زلّ الرجل في دينه، إذا هفا فيه وأخطأ...وقرأه آخرون (فأزالهما) بمعنى إزالة الشيء عن الشيء، وذلك تنحيته عنه...وأولى القراءتين بالصواب قراءة (فأزلّهما)؛ لأن الله جلّ ثناؤه قد أخبر في الحرف الذي يتلوه بأن إبليس أخرجهما مما كانا فيه، وذلك هو معنى قوله (فأزالهما) فلا وجه إذ كان معنى الإزالة معنى التنحية والإخراج أنْ يقال: فأزالهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه "[3].

وعند قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً ﴾ [البقرة:206] ذكر معنيين لـ (السِّلم) الأول: الإسلام، والثاني: المسالمة بمعنى الصلح، ثم اختار أن يكون معناه الإسلام؛ لأن الآية خطاب للمؤمنين، وكان لهذا الاختيار أثر في تصويبه قراءة الكسر على الفتح؛ لأن السِّلم بالكسر يحتمل معنيين الإسلام والصلح، وأما السَّلم بالفتح ينصرف معناه إلى الصلح دون الإسلام، قال

---

[1] المصدر السابق: مج1/ جز1/ ص84.

[2] ولكن يقول بوقوعه في اللغة؛ إذ يقول في تفسيره لقوله تعالى ﴿ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴾ [آل عمران:59]: " والمرية والشك والريب واحد سواء، كهيئة ما تقول: أعطني وناولني وهلمّ، فهذا مختلف في الكلام وهو واحد" المرجع السابق: مج3/ جز3/ ص380.

[3] جامع البيان: مج1/ جز1/ ص309.

موضحا موقفه من القراءتين بعدما اختار المعنى الأنسب لكلمة السّلم: " وأولى التأويلات بقوله (ادخلوا في السّلم) قول من قال: معناه: ادخلوا في الإسلام كافة. وأما الذي هو أولى القراءتين بالصواب في قراءة ذلك، فقراءة من قرأ بكسر السين؛ لأن ذلك إذا قرئ كذلك وإن كان يحتمل معنى الصلح، فإن معنى الإسلام ودوام الأمر الصالح عند العرب أغلب عليه من الصلح والمسالمة، وينشد ببيت أبي كندة[1]:

دعوتُ عشيرتي للسِّلم لما *** رأيتهم تولَّوْا مُدْبِرينا

بكسر السين، بمعنى: دعوتهم للإسلام لما ارتدوا، وكان ذلك حين ارتدت كندة مع الأشعث بعد وفاة رسول الله ﷺ. وقد كان أبو عمرو بن العلا يقرأ سائر ما في القرآن من ذكر السّلم بالفتح سوى هذه التي في سورة البقرة، فإنه كان يخصها بكسر سينها توجيها منه لمعناها إلى الإسلام دون ما سواه "[2].

وعند قوله تعالى ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الكهف: 43] ذكر قراءتيْ الكسر والفتح في الوَلاية ووجههما من حيث المعنى، واختار قراءة الكسر بالنظر للسياق فقال: " واختلفت القرّاء في قراءة قوله الوَلاية، فقرأ بعض أهل المدينة والبصرة والكوفة (هُنَالِكَ الْوَلايَةُ) بفتح الواو من الولاية، يعنون بذلك هنالك الموالاة لله، كقول الله: ((اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا)) [البقرة:257] وكقوله: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا) [محمد:11] يذهبون بها إلى الوَلاية في الدين. وقرأ ذلك عامَّة قراء الكوفة ((هُنالِك الوِلايَةُ)) بكسر الواو: من الملك والسلطان، من قول القائل: وَلِيتُ عمل كذا، أو بلدة كذا أليه وِلاية. وأولى القراءتين في ذلك بالصواب، قراءة من قرأ بكسر الواو، وذلك أن الله عقب ذلك خبره عن مُلكه وسلطانه، وأن من أحلّ به نقمته يوم القيامة فلا ناصر له يومئذ، فإتباع ذلك الخبر عن انفراده بالمملكة والسلطان أولى من الخبر عن الموالاة التي لم يجر لها ذكر "[3].

---

[1] كنية امرئ القيس بن عابس الكندي، أبو كندة، والبيت المذكور هو مطلع قصيدة مشهورة حين دعا قومه بعد ردتهم عن الإسلام بعيد وفاة الرسول ﷺ. ينظر: المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء: 9/1.

[2] جامع البيان: مج2/ جز2/ ص431.

[3] المصدر نفسه: مج9/ جز15/ ص307.

وعند قوله تعالى ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمُهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف:58] أورد قراءة جمهور القراء (لِمُهْلَكهم) وانفراد الإمام عاصم بحرف (لمَهْلِكهم) ووجه ذلك من حيث المعنى، واختار قراءة الجمهور لمسوّغ سياقي فقال:" واختلفت القرّاء في قراءة قوله (لِمَهْلِكِهِمْ) فقرأ ذلك عامَّة قرّاء الحجاز والعراق: (لِمُهْلَكِهِمْ) بضمّ الميم وفتح اللام على توجيه ذلك إلى أنه مصدر من أُهْلكوا إهلاكا، وقرأه عاصم: (لِمَهْلَكِهِمْ) بفتح الميم واللام على توجيهه إلى المصدر من هَلكوا هَلاكا ومَهْلَكا. وأولى القراءتين بالصواب عندي في ذلك قراءة من قرأه: (لِمُهْلَكِهِمْ) بضمّ الميم وفتح اللام لإجماع الحجة من القرّاء عليه، واستدلالا بقوله: (وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ) فأنْ يكون المصدر من أهلكنا؛ إذ كان قد تقدّم قبله أولى "[1].

وعند قوله تعالى ﴿ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [الجاثية:13] ردّ قراءة أبي جعفر القارئ ليُجزى على البناء للمجهول؛ وذلك في نظره بعيد قليل في استعمال العرب أن يأتي نائب الفاعل مضمرا، قال موضحا مسوّغ ردّ القراءة: " وذُكر عن أبي جعفر القارئ أنه كان يقرأه (لِيُجْزَى قَوْمًا) على مذهب ما لم يسمّ فاعله، وهو على مذهب كلام العرب لحن، إلا أن يكون أراد: ليجزى الجزاءُ قوما، بإضمار الجزاء، وجعله مرفوعا (لِيُجْزِي) فيكون وجها من القراءة، وإن كان بعيدا... فأما قراءته على ما ذكرت عن أبي جعفر، فغير جائزة عندي لمعنيين: أحدهما: أنه خلاف لما عليه الحجة من القرّاء، وغير جائز عندي خلاف ما جاءت به مستفيضا فيهم. والثاني: بُعدها من الصحة في العربية إلا على استكراه الكلام على غير المعروف من وجهه "[2].

---

[1] المصدر السابق: مج9/ جز15/ ص329.
[2] المصدر نفسه: مج13/ جز25/ ص176.

خاتمـــــــة

وبعد العيش مع جامع البيان مدة لا تقل عن أربعة سنوات، مُقلّبا لصفحاته ومتنقّلا بين مجلّداته، ومتأمّلا لمحتوياته، ومُستقرئًا لأغلب اختياراته في معاني الغريب، ها هي خاتمة البحث متضمّنة خلاصة أفكاره، وعصارة مُهِمّاته، وزبدة نتائجه، وبعض توصياته، فأقول وبالله التوفيق:

أهم نتائج البحث:

- ما ميّز التفسير اللغوي للغريب عند الإمام الطبري: اشتراطه عدم خروج التفسير اللغوي عن أقوال الصحابة والتابعين، وكذا موافقته للمشهور المستفيض المستعمل من كلام العرب.
- تميّز تفسير الطبري بمعجم لغوي فريد، عرض فيه مادة الغريب عرضا لا يوجد حتى في المعاجم اللغوية المشهورة، كما جمع في تناوله لمعاني الغريب بين أقوال أئمة اللغة من جهة ومرويات أئمة السلف من جهة ثانية.
- يعتبر كلام العرب المحتج به لغة (الشعر – المسموع – القياس) أهم مصادر الطبري في بيان معاني الغريب.
- استفاد الإمام الطبري من قوانين الرواية الحديثية، وأعملها في الرواية اللغوية، فكان متثبتا في قبول الشواهد الشعرية في الاحتجاج لمعاني الغريب، مشترطا السماع في روايتها، عالما بألفاظها واختلافاتها ودلالاتها.
- لقد ازدحم جامع البيان بقواعد مهمة في تفسير الغريب، استُفيدت من مناقشات الطبري وتحليلاته، تنوعت بين قواعد المفردات – وقواعد التراكيب – وقواعد السياق والنظم.
- مازج الإمام الطبري في اختياراته للغريب بين قوعد التفسير اللغوي، وبين أصول التفسير، فتبيّن بذلك أنه صاحب منهج فريد في اختيارات معاني الكلمات والتراكيب القرآنية.
- احتكم الإمام الطبري للسياق في الاختيار بين المعاني المتعددة للغريب؛ كون السياق موجّها في تحديد المعنى.
- كان لاختيارات الطبري اللغوية في الغريب أثر في إبراز معالم شخصيته التفسيرية، فظهر ذلك في انتقاده أئمة البصرة والكوفة، وبرز في ردوده على بعض الفرق كالمعتزلة والمؤوّلة، كما تجلى ذلك في تخطئته بعض المفسرين لخروجهم عن المألوف لغة، وقد رجع في اختياراته الفقهية إلى دلالات الألفاظ، وكان لاختياراته في الغريب أثر في مفاضلته بين القراءات لمسوّغات لغوية.

بعض التوصيات: كما أوصي نخبة الباحثين المشتغلين بالدراسات القرآنية بما يلي:

- بدا لي من خلال قراءة تفسير الطبري أن أوصي بضرورة دراسة اختيارات الطبري في أبواب علوم القرآن الأخرى، كاختياراته في باب النسخ فهي مهمة جدا.
- ضرورة استخراج معجم غريب القرآن من تفسير جامع البيان، فيكون موسوعة مستقلة في معاني مفردات القرآن، وهذا جهد يتطلب إنجازه التعاون بين فرق البحث بإشراف أساتذة التخصص.
- تميّز جامع البيان بكثرة إيراد القراءات الشاذة المندثرة، وقد لاحظت ثراء هذه الأحرف الشاذة من حيث المعنى، فدراسة أهمية القراءات الشاذة في إثراء المعجم اللغوي العربي مهمة من هذه الزاوية البحثية.
- كما أوصي طلبة الدكتوراه بدراسة استدراكات الإمام الطبري على من سبقه من أئمة اللغة والتفسير، فهي جديرة بالبحث والدراسة، وتلقي نظرة على مسالك النقد اللغوي والتفسيري في القرنين الثاني والثالث الهجريين.

هذا وبالله التوفيق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

ملخص البحث

ملخص:

يتناول هذا البحث جانبا من جوانب التفسير اللغوي في تفسير جامع البيان؛ إذ يسلط الضوء على اختيارات الإمام الطبري في معاني الغريب من خلال تفسيره، وتبيّن من خلال فصول هذه الدراسة:

عناية الإمام الطبري بغريب القرآن من خلال السمات التي رسمت منهجه في تناول الغريب؛ حيث جمع بين أقوال أئمة السلف وعلماء اللغة، وكان لا يرى صحة تفسير الغريب إذا خرج عن أقوال السلف أو خالف المشهور المستعمل لغة، كما تميّز الشرح المعجمي للغريب عنده بلغة قلّ أن توجد في المعاجم اللغوية.

بنى الإمام الطبري اختياراته في معاني الغريب على عدة مسوّغات، بين اختيارات مستندة إلى أصول التفسير، وأخرى معتمدة على قواعد التفسير اللغوي، كما كان السياق محدّدا للمعنى المختار للمفردات والتراكيب القرآنية، دون أن نغفل تلك الاختيارات المستندة على قرائن أخرى متنوعة منها: أسباب النزول، وأصول الدين وقواعده الكلية، وأحداث السيرة النبوية العطرة.

ليخلص البحث إلى الأثر العملي لاختيارات الطبري في الغريب على آرائه التفسيرية، فأثّرت اختياراته في اتجاهه اللغوي، وفي موقفه من أهل الزيغ والانحراف، وبرز أثر اختياراته في اتجاهه الفقهي، وكذا انعكس على موقفه من القراءات القرآنية.

وختاما تبيّن من خلال هذا البحث انفراد الإمام الطبري بمنهج في الاختيار اللغوي ومسلك في الترجيح المعنوي مكّنه من أن يكون حكما على من سبقه من أئمة التفسير واللغة.

Résumé :

Cette recherche aborde un angle de l'explication linguistique de l'explication du livre de « Djamaa Al bayane », elle met l'accent sur les choix de l'Imam TABARI dans les significations de l'Etranger « Algharib » dans son explication ; les parties de cette étude nous éclairent.

L'Imam TABARI s'intéréssait de Gharib du Coran à partir des caractéristiques qui caractérisent son courant dans le traitement d'Algharib, il rassemblait les paroles des Imams Salafis et les linguistes. Selon lui, l'explication ne soit pas juste, si elle quitte ces normes. Cette explication se caractérise par son éloquence.

L'Imam TABARI construisait ses choix sur des pistes appartiennent aux origines de l'explication « Ousoul Etafsir », et des autres tirent leur origine des règles de l'explication linguistique. Cette recherche se conclut par l'effet opérationnel des choix de TABARI dans « ALGHARIB » sur ses oints de vue explicatifs, ils influencent son orientation linguistique, sa position vis-à-vis les falsificateurs et les lectures coraniques.

Enfin, cette recherche nous indique que l'Imam TABARI se caractérise par son courant dans le choix linguistique, qui lui permet d'être un juge sur les Imams précédents de l'explication et de la langue.

Abstract:

This research deals with one of the different aspects of linguistic interpretation in Djama Al Bayan; It sheds light on the choices of Imam al- al-Tabari in the meanings of the strange through his interpretation. This study shows that Imam al-Tabari took care of the strange in the Qur'an through the characteristics of his method that is concerned with the strange words. He collected the sayings of the predecessor's Imams and the scholars of the language. He did not see the correct interpretation of the strange if it departed from the sayings of the predecessor's Imams or contradicted the famous used in the language. His lexical explanation of the strange is also characterized by the distinguished style that is rarely found with others.

Imam al-Tabari built his choices in the meanings of the strange on several rationales, between choices based on the origins of interpretation, and others relied on the rules of linguistic interpretation, in addition to that, the context was specific to the meaning of the selected vocabulary and Quranic structures, without forgetting those choices based on other various evidence, including: reason for revelation, the fundamentals of religion and its general rules, and the events of the Prophet's biography.

Thus, the research concludes the practical effect of his choices in the strange on his interpretive views. His choices influenced his linguistic direction and his attitude towards the people of deviation. The impact of his choices emerged in his jurisprudential direction, and position on Quranic readings.

In conclusion, it is clear from this research the uniqueness of Imam al-Tabari in the method of linguistic selection and the method of moral weighting that enabled him to be a judge over the previous imams of interpretation and language.

فهارس البحث

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث والآثار
- فهرس الأعلام المترجم لهم
- فهرس الأبيات الشعرية
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــة	رقمها	الصفحة

سورة الفاتحة

ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ	1	182
ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ	2	162-78
مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ	3	323
إِيَّاكَ نَعْبُدُ	4	222
ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ	5	98
صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ	6	182
غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ	7	311-81

سورة البقرة

ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ	2	232-129
خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ	6	205
فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ	9	182
وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ	14	196
فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ	15	173
صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ	17	311

يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْۖ	19	81
وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً	21	110
وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ	22	208
بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَاۚ	25	251-208
وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ	26	78
كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْۖ	27	217
ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ	28	259
وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ	29	117
إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ	29	295
قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ	29	155
وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا	30	225
فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ	30	78-51
وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ	32	166
وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ	34	132
فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ	35	323
وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ	35	130
وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦۖ	40	254
أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ	43	143
وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ	44	254-157

وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى اَلْعَٰلَمِينَ	46	166
يُغْفَرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ	47	55
وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ	48	295
وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ اُلْبَحْرَ	49	282
ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ	55	295-110
كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ	56	259
وَلَا تَعْثَوْاْ فِي اِلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ	59	57
قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ اَلذِے هُوَ أَدْنَىٰ	60	117
إِنَّ اَلذِينَ ءَامَنُواْ وَالذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَٰرَىٰ	61	54
فَلَوْلَا فَضْلُ اُللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ اَلْخَٰسِرِينَ	63	237
فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا	65-64	307-168
صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا	68	296
مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا	70	178
فَقُلْنَا اَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا	72	133
وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اِللَّهِ	73	160
وَمِنْهُمُۥٓ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ اَلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ	77	245-84
تَّظَّٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِالِاثْمِ وَاِن	84	314
وَإِن يَّاتُوكُمُۥٓ أُسَٰرَىٰ	84	316

أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ	84	319
وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ	86	179
وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ	89	288
قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ	90	168
وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ	92	217
فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ	93	85
وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ	95	164
وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ	97	85
مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ	97	189
أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ	99	284
وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ	101	162
فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ	101	185
وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ	101	206
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا	103	89
مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ	105	248

وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ	110	249
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ	113	251
فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ	114	99
وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُ بَل لَّهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَٰنِتُونَ	115	260
وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ	116	106
يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ	120	210
وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ	123	76
وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ	127	135
وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ	142	55
إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ	142	57
وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ	154	223-206
إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ	157	296
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا	157	310
إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ	165	234
وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ	167	45
إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ	172	314

أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ	173	78
فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ	174	231-183
وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ	176	169
وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ	176	303
وَالصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ	176	145
كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ	177	111
فَالْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ	186	248
وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ	194	213
وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُ	195	266
فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ	196	260-130
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً	206	323
هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ	208	201
كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ	214	60
يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ	217	106
قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ	217	319
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ	218	45
وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ	220	322
فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ	-224 225	303

وَالْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ	226	270
تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ	227	64
فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ	228	99
لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ	231	289
وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ	233	61
مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ	234	314
وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ	234	315-304
وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ	236	89
فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ	237	58
أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ	241	210
فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ	243	317
تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ	246	136
مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ	252	166
لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ	254	111
أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا	258	133
وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا	258	312

فَالَ أَعْلَمُ أَنَّ أَللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ	258	320
فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ	259	317
وَلاَ تَيَمَّمُواْ أَلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ	266	306-267
تَعْرِفُهُم بِسِيمٰهُمْ	272	58
وَأَن تَصَّدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ	279	248
يَٰأَيُّهَا أَلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ اِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ	281	180
فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ	282	317
كُلٌّ ـامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ	284	320
رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْراً	285	47

سورة آل عمران

وَأَنزَلَ أَلتَّوْرِيٰةَ وَالاِنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ أَلْفُرْقَانَ	3-2	237
ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً	7	107
رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا	8	289
وَالْقَنَٰطِيرِ اِلْمُقَنطَرَةِ	14	218
وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالاَسْحَارِ	17	214
شَهِدَ أَللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ أَلْعِلْمِ قَآئِماَۢ بِالْقِسْطِ	18	284
أَلَمْ تَرَ إِلَى أَلذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ أَلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ اِللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ	23	261
وَتُخْرِجُ أَلْحَيَّ مِنَ أَلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ أَلْمَيِّتَ مِنَ أَلْحَيِّ	27	-136 315-196

اِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَيٰةً	28	293
قُلِ اِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اَ۬للَّهَ فَاتَّبِعُونِے يُحْبِبْكُمُ اُ۬للَّهُ	31	253
فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ	37	170-118
ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً	38	76
فَنَادَتْهُ اُ۬لْمَلَٰٓئِكَةُ	39	227
مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اَ۬للَّهِ	39	286
قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ اَ۬لنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ اِلَّا رَمْزاًۖ	41	47
وَجِيهاً فِے اِ۬لدُّنْيا وَالَاخِرَةِ	45	118
وَأُبْرِئُ اُ۬لَاكْمَهَ وَالَابْرَصَ	48	263
إِذْ قَالَ اَ۬للَّهُ يَٰعِيسَيٰٓ إِنِّے مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ	54	273
ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اَ۬للَّهِ عَلَى اَ۬لْكَٰذِبِينَ	60	112
إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلذِے بِبَكَّةَ مُبَٰرَكاً	96	225
وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اِ۬للَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُواْۖ	103	82
وَ لَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً	104	227
يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٞ	106	235
كُنتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ	110	206
مِّنَ اَهْلِ اِ۬لْكِتَٰبِ اُمَّةٞ قَآئِمَةٞ	113	46
يَتْلُونَ ءَايَٰتِ اِ۬للَّهِ ءَانَآءَ اَ۬ليْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ	113	270

كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ	117	64
وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ	118	42
تُبَوِّئُ ٱلْمُومِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ	121	118
وَيَاتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ	125	42
وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ	134	55
فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ	159	79
وَلِيَعْلَمَ ٱلذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ إِدْفَعُواْ	167	48
ٱلذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ	173	278-107
وَلَا يَحْسِبَنَّ ٱلذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِے لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ	178	112
وَلَا يَحْسِبَنَّ ٱلذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتِيٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْراً لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ	180	202
وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ	185	299
رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدَ اَخْزَيْتَهُ	192	219
رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِے لِلْايمَٰنِ	193	264
يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ إِصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ	200	237-136

سورة النساء

وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً	3	108
وَلَا تُوتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ امْوَٰلَكُمُ	5	308-299

وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيباً	6	119
وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً	10	56-76
فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُۥ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ	11	153-146
وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً	12	207
وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ	18	251
وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَيٰهُنَّ قِنطَاراً	20	309-82
وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ	23	210
وَالْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ الاَّ مَا مَلَكَتَ اَيْمَٰنُكُمْ	24	130
فَـَٔاتُوهُنَّ اُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ	24	211-197
وَمَنْ يَّفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰناً وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً	30	239
فَالصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ	34	82
وَالْجارِ ذِے اِلْقُرْبَىٰ	36	290
وَالذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلاَ يُومِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ اِلاَخِرِ	38	137
يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُباً اِلاَّ عَابِرِے سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ	43	309
اَوْ جَآءَ اَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ	43	93

203	43	أَوْ لَٰمَسْتُمُ اُ۬لنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ
90	45	وَلَوَ اَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراٗ لَّهُمْ وَأَقْوَمَ
139	48	وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا
264	53	اَمْ يَحْسُدُونَ اَ۬لنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتِيٰهُمُ اُ۬للَّهُ مِن فَضْلِهِۦ
42	77	وَلَوْ كُنتُمْ فِے بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ
251	95	دَرَجَٰتٖ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةٗ وَرَحْمَةٗ وَكَانَ اَ۬للَّهُ غَفُوراٗ رَّحِيماٗ
59-90	107	إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ اَ۬لْقَوْلِ
198	118	وَءَلَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اَ۬للَّهِ
79	119	يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ اُ۬لشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُوراً
86	120	وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاٗ
237	122	مَنْ يَّعْمَلْ سُوٓءاٗ يُجْزَ بِهِۦ
285	123	وَمَنْ يَّعْمَلْ مِنَ اَ۬لصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ اَوُ اُنثَىٰ وَهُوَ مُومِنٞ
270	127	وَاُحْضِرَتِ اِ۬لَانفُسُ اُ۬لشُّحَّ
150	140	أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ اَ۬لْمُومِنِينَ
279	154	فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ اِ۬للَّهِ وَقَتْلِهِمُ اُ۬لَانْبِيَٓاءَ بِغَيْرِ حَقّٖ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٞ بَلْ طَبَعَ اَ۬للَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُومِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا
155	158	وَإِن مِّنَ اَهْلِ اِ۬لْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُومِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ
265	161	لَّٰكِنِ اِ۬لرَّٰسِخُونَ فِے اِ۬لْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُومِنُونَ يُومِنُونَ بِمَآ اُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ اُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ اَ۬لصَّلَوٰةَ وَالْمُوتُونَ اَ۬لزَّكَوٰةَ وَالْمُومِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ اِ۬لَاخِرِ
46	170	وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقِيٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٞ مِّنْهُ

سورة المائدة

وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ	3	208
إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ	4	306
وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ	5	112
وَمَنْ يَّكْفُرْ بِالإِيمَنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلاَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَسِرِينَ	6	142
وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ	7	137
أَوْ لَمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ	7	180
فَاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ	7	307
وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً	13	170
فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَالِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ	14-13	183
وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً	14	317
فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَآءَ	15	185
وَجَعَلَكُم مُّلُوكاً	22	42
يَقَوْمِ اِدْخُلُواْ ٱلاَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ	23	211
وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْنَيَ ءَادَمَ بِالْحَقِّ	29	158
لَئِنۢ بَسَطتَّ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ	30	155
فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ	32	133

لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ	33	213
مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ	34	198
أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ	35	310
وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ	50	-143 300
بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ	66	293
لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ	68	52
وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ	75	
أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ	98	241
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ	107	273
فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا	109	187
تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ	116	228
قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ	117	273
إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ	112	179
أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا	115-114	134

سورة الأنعام

وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ	26	61
وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ	28	119
وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ	32	101
ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ	39	236
وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ	39	164
فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ	44	183
أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ	45	140
فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ	45	190
وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ	53	40
إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ	58	324
قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ	66	227
وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ	75	213
وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ	85	185
ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ	94	61
إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ	96	301
وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ	97	240
وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ	99	323
وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ	100	174

سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ	101	91
لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ	104	289
وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا	112	318-43
وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ	114	66
وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا	126	86
كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ	126	202
وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا	143	219
ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ	144	67

سورة الأعراف

كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ	1	91
ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ	2	266
وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا	3	161
فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ	4	248
فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ	6	203
وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأدَمَ	10	231-138
قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي	15	292
ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ	16	191
قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا	17	67
وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ	19	313

وَرِيشاً وَلِبَاسَ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ	25	214-67
أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ	35	250
وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ	39	62
وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُم بِالْآخِرَةِ كَٰفِرُونَ	44	62
رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ	88	87
ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا	94	300
قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ	110	59
إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ	139	93
قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ	143	279
وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ	149	56
وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفاً	150	48
إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا	152	158
فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ	169	65
وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ	171	67
فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحاً	189	237
جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا	190	212-167
وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ	198	174

سورة الأنفال

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ	17	290

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ	24	178
وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ	39	273

سورة التوبة

وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ	3	229
حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ	29	43
وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ	34	300
فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْۚ	36	233
وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْۗ	47	220
وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ	55	68
ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ	80	59
إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ	84	140
عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ	103	151
لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ	109	203
ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ	113	131-87
وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا	121	63
أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ	127	40

سورة يونس

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ	2	220
لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ	64	237
هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ	67	175
ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ	71	49
فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ	71	183-83
قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا	78	208
وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ	78	144
فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ	83	186
وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ	87	228
فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ	94	175

سورة هود

كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ	5	113
وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ	6	265
وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ	8	247
أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ	17	251
فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ	28	175
إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ	34	119
وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ	40	134

فَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ	46	274
مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ	55	164
فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٍ	68	71
وَهَـٰذَا بَعۡلِي شَيۡخاً	71	68
يُجَـٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ	73	284
قَالَ يَـٰقَوۡمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡ	77	151
وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ	81	199
بِيسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ	99	63
وَجَآءَكَ فِي هَـٰذِهِ ٱلۡحَقُّ	119	212

سورة يوسف

وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَـٰنَ رَبِّهِۦ	24	41
وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔاً وَءَاتَتۡ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنۡهُنَّ سِكِّيناً	31	286-92
فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ	31	102
نَبِّئۡنَا بِتَاوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَيٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ	36	209
وَقَالَ لِلذِے ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِے عِندَ رَبِّكَ	42	301
ثُمَّ يَاتِے مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٌ شِدَادٌ يَاكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ	48	176
ثُمَّ يَاتِے مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ	49	295-52
إِنَّ رَبِّے بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٌ	50	43
قَالَتِ إِمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ	51	121
ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّے لَمۡ أَخُنۡهُ بِالۡغَيۡبِ	52	191
هَـٰذِهِۦ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّتِ إِلَيۡنَا وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٍ	65	113

قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ	72	88
قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ	80	220
وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا	82	169
قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ	86	68
فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ	88	301

سورة الرعد

ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ	2	122
وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ تُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ	4	65
وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ	7	69
إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ	8	41
وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ	11	44
وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ	11	146
وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ	14	109
لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ	15	165
فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ	19	77
فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ	19	117
أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ	32	288

أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ	34	92
يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ	40	269-60
وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ	43	323

سورة إبراهيم

كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ	2-1	292
وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ	7	103
وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ	8	83
فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ	12	229
وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ	19-18	94-49
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ	26	204
تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا	27	276
وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ	36	72
مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ	45	230
وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ	51	69

سورة الحجر

وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ	19	212
وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ	24	255
وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ	26	200
ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ	91	140

سورة النحل

وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ	14	70
وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ	18	184
فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ	26	230
لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ	32	247
إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَيٰهُمْ	37	60
أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ	47	88
أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ	48	215
وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا	52	70
وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ	66	321
يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ	69	258
وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا	80	117-57
وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ	81	172
إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ	100-99	276

سورة الإسراء

فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ	5	141
وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا	8	221
وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ	13	166-148

وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً اَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا	16	230
وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ اَلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً	29	77
وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰناً فَلاَ يُسْرِف فِّي اِ۬لْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُوراً	33	256
فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ	51	113
لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥ إِلاَّ قَلِيلاً	62	145
ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعاً	69	122
اَقِمِ اِ۬لصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ اِ۬لشَّمْسِ	78	85
عَسىٰٓ أَن يَّبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً	79	204
عَسىٰٓ أَن يَّبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً	79	151
فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسىٰ مَسْحُوراً	101	172
وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُوراً	102	17
وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا	109	216

سورة الكهف

اِ۬لْحَمْدُ لِلهِ اِ۬لذِے أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ اِ۬لْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجاً قَيِّماً	2-1	164-78
وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً	8	94
هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا اُ۪تَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلاَ يَاتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنِۢ بَيِّنٍ	15	185
وَكَلْبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ	18	201
فَلْيَنظُرَ اَيُّهَآ أَزْكىٰ طَعَاماً	19	267
وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَداً	27	92

وَلا تُطِعْ مَنَ اَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوِيٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطاً	28	222
وَإِنْ يَّسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِے اِ۬لْوُجُوهَۖ	29	116
لَّٰكِنَّا هُوَ أَللَّهُ رَبِّے	37	121
هُنَالِكَ أَلْوَلَٰيَةُ لِلهِ اِ۬لْحَقِّۖ	43	327
وَتِلْكَ أَلْقُرِيٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمُهْلَكِهِم مَّوْعِداً	58	328
فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا	60	168
فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَّنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ	76	177
فَأَرَدْنَآ أَنْ يُّبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْماً	80	267
حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ أَلسُّدَّيْنِ	89	-104-91 296

سورة مريم

قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ أَلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيّاً	9	50
قَالَ إِنَّمَآ أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰماً زَكِيّاً	18	314
قَالَتْ يَٰلَيْتَنِے مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نِسْياً مَّنسِيّاً	22	109
وَأَوْصَٰنِے بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيّاً	30	280
إِذَا تُتْلَيٰ عَلَيْهِمُۥٓ ءَايَٰتُ أَلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّداً وَبُكِيّاً	58	152
وَكَمَ اَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمُۥٓ أَحْسَنُ أَثَٰثاً وَرِءْياً	74	109
وَنَسُوقُ أَلْمُجْرِمِينَ إِلَيٰ جَهَنَّمَ وِرْداً	87	88

سورة طه

فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ أَلسِّرَّ وَأَخْفَى	6	303

لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ	7	172
إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا	14	102
فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى	57	94
وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ	62	53
فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖ	60	71
قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا	86	145
فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ	86	213
وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي	92	89
وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا	100	44
لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا	104	231

سورة الأنبياء

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا	14	172
وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ	18	94
وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ	70	99
وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡ	79	149
فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ	86	267
وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا	90	241

سورة الحج

وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ	27	206

وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ	53	242

سورة النور

وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ	43	226

سورة العنكبوت

بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ	49	257
يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ	56	160

سورة الروم

فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ	47	95

سورة لقمان

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ	5	238
إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ	18	222
وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ	31	114

سورة السجدة

ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ	6	276
تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ	16	231

سورة الأحزاب

إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ	6	276

سورة الشورى

وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ	42	149

سورة الزخرف

فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ	53	119
وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ	63	105

سورة الدخان

ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ	46	192-190

سورة الجاثية

لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ	13	328
أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ	22	243

سورة محمد

فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ	23	78

سورة الطور

أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ	35	216

سورة النجم

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ	1	150

سورة القمر

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ	17	242
ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ	48	161
وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ	52	142

الواقعة

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ	19	242

سورة الحديد

وَالذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ	18	243

سورة القيامة

إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ	17-16	261

سورة المطففين

كَلَّاۖ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ	14	205

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
أمتي الغرُّ المحجلون من آثار الوضوء	أبو هريرة	308-307
أمرت أن أقاتل الناس حتى	عمر بن الخطاب	275
إنّ بني إسرائيل افترقت	أبو هريرة	82
أنتم تتمُّون سبعين أمة	أبو هريرة	207
إن شجرةً من الشجر	ابن عمر	204
أعربوا القرآن	أبو هريرة	28
إن كرسيه وسع السموات والأرض	عمر بن الخطاب	206
ألا إني أتيت القرآن ومثله	المقداد بن معد يكرب	80
إِنَّمَا سُمِّيَ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ	ابن الزبير	205
إنما يرثني كلالة، فكيف بالميراث	جابر	206
البعوضة أضعف ما خلق الله	قتادة	208
بلغنا في هذه الآية: ((وليست التوبة للذين))	سفيان الثوري	251
ونحن ننتظر العشاءﷺخرج علينا رسول الله	عبد الله بن مسعود	270
خيرُ النساء امرأةٌ	أبو هريرة	83
سألهم عن هذه الآية ((أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ))	عمر بن الخطاب	88
سياحةُ هذه الأمة	عائشة	87
العنيد عن الحق	ابن زيد	99

اقْتُلُوا شُيوخَ المشركين	سمرة بن جندب	84
قالت قريش حين أنزل: ((وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ))	مجاهد	271
كذلك قلبُ المنافق	عمر بن الخطاب	87
كل حجر يتفجر منه الماء	مجاهد	160
كل شيء في القرآن ((السائحون))	ابن عباس	87
كان من فضة مثل المكوك	ابن عباس	88
كانوا يجيئون في الصدقة بأردأ تمرهم	البراء بن عازب	269
لمَ صار الأخوان	ابن أبي ذئب	148
اللهُمّ إنّي أعوذ بك من الرجْس النِّجْس	أبو أمامة	203-202
ما سمعت كلمة	علي بن أبي طالب	70
المسجد الذي أسس على التقوى	أبو سعيد الخدري	204
المغضوب عليهم	عدي بن حاتم	81
ما كنت أدري ما قوله: ((ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق))	ابن عباس	87
ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه	عدي بن حاتم	203
من لم يُجْمِع على الصوم من الليل	أم المؤمنين حفصة	83
متوارﷺنزلت هذه الآية ورسول الله	ابن عباس	215
هو المكوك الفارسيّ	سعيد بن جبير	88
((وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا)) قال: عطاشا	أبو هريرة	89
ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال	أبو هريرة	263

فهرس الأعلام المترجم لهم

اسم العلم	الصفحة
الأسود بن عامر	59
أوس بن حجر	55
تميم بن مقبل	112
جؤية بن عائذ	48
جندل بن المثنى	61
حرثان بن حارثة	62
حرملة بن المنذر	53
الحسين بن علي التميمي النيسابوري	22
الحسين بن علي الجعفي الكوفي المقرئ	295
حمد بن محمد بن إبراهيم البستي الخطّابي	24
خويلد بن محرث الهذلي	106
داود بن علي بن خلف	20
رُكانة بن يزيد بن هاشم	72
زفر بن الهذيل العنبري الفقيه	308
سحيم بن وثيل الرياحي التميمي	288
ظالم بن عمرو بن سفيان	70
عبد الحميد الأخفش الأكبر	103
عبد الرحمن بن زيد	31
عبد الله بن أحمد بن جعفر	24
عبد الله بن محيريز القرشي	251

عدي بن زيد بن الرقاع	111
علقمة بن عبدة بن قيس	110
علي بن المغيرة، أبو الحسن الأثرم	109
عمرو بن معد يكرب	114
غطيف بن حارثة الوائلي الغطفاني	262
قيس بن الخطيم	44
قيس بن عبد الله العامري	111
محمد بن أحمد بن عبد الهادي	98
محمد بن إسحاق	24
محمد بن داود بن علي الظاهري	23
محمد بن عبد الواحد	24
محمد بن مكرم بن على جمال الدين بن منظور	26
مسعود بن مالك الكوفي	90
معاذ بن مسلم الهرّاء	287
المنتجع بن نبهان	116
نافع بن الأزرق	30
الوليد بن عقبة	57

فهرس الأبيات الشعرية

البيت بحسب القافية والحرف الذي قبلها وهكذا	الصفحة
قِفَا نَسْأَلْ مَنَازِلَ آلِ لَيْلَى *** عَلَى عِوَجٍ إِلَيْهَا وَانْثِنَاءِ	63
عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ تَأَوُّلُ حُبِّهَا *** تَأَوُّلَ رِبْعِيِّ السِّقَابِ فَأَصْحَبَا	107
فَآبُوا بالنِّهابِ وبالسَّبايا *** وأُبْنا بالمُلُوكِ مُصَفَّدِينا	69
أَنَّى سَرَيْتِ وَكُنْتِ غَيْرَ سَرُوبِ *** وَتُقَرِّبُ الأَحْلامُ غَيْرَ قَرِيب	44
وبِمُهْطِعٍ سُرُحٍ كأنَّ زِمامَهُ *** في رأسِ جذْعٍ مِنْ أوال مُشَذَّبِ	230
لا أبْتَغِي الحَمْدَ القَلِيلَ بَقاؤُهُ *** يَوْما بِذَمِّ الدَّهْرِ أجْمَعَ وَاصِبا	70
غَيَّرَتْهُ الرِّيحُ تَسْفِي بِهِ *** وهَزِيمٌ رَعْدُهُ وَاصِبٌ	70
وبِمُهْطِعٍ سُرُحٍ كأنَّ زِمامَهُ *** في رأسِ جذْعٍ مِنْ أوال مُشَذَّبِ	230
وَفِيهِمَا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ قَوْمٌ *** مَلائِك ذُلِّلوا وهُمُ صِعَابُ	118
كُمَيْتٌ كَلَوْنِ الأَرْجُوَانِ نَشَرْتهُ *** لِبَيْعِ الرَّئِي فِي الصِّوَانِ المُكَعَّبِ	110
كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبِ *** وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ	104
يحف بهم بيض الوجوه وعصبة *** كراسي بالأحداث حين تنوب	223
قَبائِلُنا سَبْعٌ وأَنْتُمْ ثَلاثَةٌ *** وَلَلسَّبْعُ أزْكَى مِن ثَلاثٍ وأطْيَبُ	266
كأنَّ لَهَا فِي الأَرْضِ نِسْيا تَقُصُّهُ *** إذَا ما غَدَتْ وإنْ تُحَدِّثْكَ تَبْلَتِ	109
وَذِي كُرْبَةٍ رَاخَى ابْنُ عَمْرٍو خِنَاقَه *** وَغُمَّتَهُ عَنْ وَجْهِهِ فَتَجَلَّتِ	49
وعاث فينا مُستحلٌّ عائثُ *** مُصَدِّق أو تاجر مُقاعِثُ	57
بَعَثْتُكَ مَائِرًا فَمَكَثْتَ حَوْلا *** مَتَى يَأْتِي غِيَاثُكَ مَنْ تُغِيثُ	113

إذَا نَظَرْتَ بِلادَ بَنِي تَمِيمٍ *** بِعَيْنٍ أَوْ بِلادَ بَنِي صُبَاحِ	175
ذات حَدٍّ مُنْضِجٍ مِيسَمُهَا *** تُذْكِرَ الجَارِحَ مَا كَانَ اجْتَرَحْ	113
هَذَا مَقامُ قَدَميْ رَباحِ *** غُدْوَةَ حتى دَلَكَتْ بِرَاحِ	86
فأبعثها وهيَّ صنيعُ حَوْلٍ *** كرُكْنِ الرَّعنِ، ذِعْلِبَةً وَقاحا	111
وَرَأَيْتِ زَوْجَكِ فِي الْوَغَى *** مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا	183
تَضَيَّفْتُهُ يَوْما فأكْرَمَ مَجْلِسي *** وأصْفَدَنِي عِنْدَ الزَّمانَةِ قائِدَا	69
تُباري عِتاقًا ناحياتٍ وأتْبَعَتْ *** وظيفًا وظيفًا فوق مَوْرٍ مُعبَّدٍ	224
نَفَرَتْ قَلُوصي عَنْ خُيولِ مُحَمَّدٍ *** وَعَجْوَةٍ مَنْثُورَةٍ كَالعُنْجُدِ	108
غَنِيتُ بِذَلِكَ إِذْ هُمُ لِي جِيرَةٌ *** مِنْهَا بِعَطْفِ رِسَالَةٍ وتَوَدُّدِ	113
صَادِيًا يَسْتَغِيثُ غَيْرَ مُغَاثٍ *** وَلَقَدْ كَانَ عُصْرَةَ المَنْجُودِ	53
وَخَيِّسِ الجِنَّ إِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ *** يَبْنُون تَدْمُرَ بِالصُّفَّاحِ وَالعَمَدِ	122
فإنْ تُدْفِنُوا الدَّاءَ لا نُخْفِهِ *** وإنْ تَبْعَثُوا الحَرْبَ لا نَقْعُدِ	146-103
هَذَا الثَّناءُ فإنْ تَسْمَعْ لِقَائِلِهِ *** فَمَا عَرَضْتُ أَبَيْتَ اللَّعْنَ بالصَّفَدِ	70
وَبَيَّتَّ قَوْلِي عَبْدَ الْمَلِيكِ *** قاتلَكَ اللهُ عَبْدًا كَنُودَا	59
فَأَصْبَحْتُ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وبَيْنَها *** مِنَ الوُدِّ مِثْلَ القَابِضِ المَاءَ بِاليَدِ	166
إِذْ أُجارِي الشَّيْطانَ في سَنَنِ الغَيِّ *** ومَنْ مالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ	71
نَأْتِي النِّسَاءَ عَلَى أَطْهَارِهِنَّ وَلا *** نَأْتِي النِّسَاءَ إِذَا أَكْبَرْنَ إِكْبَارَا	102
وَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ أَبا عُمَيْرٍ *** مَلأْتَ يَدَيْكَ مِنْ غَدْرٍ وَخَتْرِ	114
فِي لامِعِ العِقْبَانِ لا يَأْتِي الخَمْرَ *** يُوَجِّهُ الأَرْضَ وَيَسْتَاقُ الشَّجَرْ	106
وَكَانَ تَكَلُّمُ الأَبْطَالِ رَمْزًا *** وَهَمْهَمَةً لَهُمْ مِثْلَ الهَدِيرِ	48

وأعلمُ أنني سأكون رمسًا *** إذا سار النواعجُ لا يسيرُ	182
حَتَّى يَقُولَ النَّاسَ مِمَّا رَأَوْا *** يَا عَجَبًا لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ	315
غُلامٌ رَمَاهُ اللهُ بالحُسْنِ يَافِعًا *** لَهُ سِيمِيَاءٌ لا تَشُقُّ عَلَى البَصَرْ	58
فَبَاتَ وَأَسْرَى الْقَوْمُ آخِرَ لَيْلِهِمْ *** وَمَا كَانَ وَقّافًا بِغَيْرِ مُعَصَّرِ	53
لا يغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أيْنٍ ولا وَصَبٍ *** ولا يعَضُّ على شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ	70
يا لهف نفسي كان جِدَّةُ خالدٍ *** وبياض وجهك للتُّراب الأعفرِ	168
وَمِنَّا الَّذِي لاقَى بسَيْفِ مُحَمَّدٍ *** فَجاسَ بِهِ الأَعْدَاءَ عُرْضَ العَساكِرِ	141
يَا بِشْرُ حُقَّ لِوَجْهِكَ التَّبْشِيرُ *** هَلا غَضِبْتَ لَنَا وَأَنْتَ أَمِيرُ	287
وَسَوْفَ يُعْقِبُنِيه إنْ ظَفِرْتَ بِهِ *** رَبٌّ غَفُورٌ وَبِيضٌ ذاتُ أطْهارِ	171
باسلةُ الوقعِ سرابيلها *** بيض إلى دانِئِها الظاهر	117
لا دَرَّ دَرِّيَ إنْ أَطْعَمْتُ نَازِلَهُمْ قِرْفَ الحَتِيِّ وعِنْدِي الْبُرُّ مَكْنُوزُ	312
يَا صَاحِ هَلْ تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسَا *** قَالَ: نَعَمْ! أَعْرِفُه! وَأَبْلَسَا	140
وَحَاصِنٍ مِنْ حَاصِنَاتٍ مُلْسِ *** عَنِ الأَذَى وَعَنْ قِرَافِ الْوَقْسِ	131
فأحييت لي ذكري وما كنتُ خاملاً *** ولكنّ بعض الذكر أنْبهُ من بعضِ	217
لَنَا القَدَمُ العُلْيَا إِلَيْكَ وَخَلْفُنَا *** لِأَوّلِنَا فِي طَاعَةِ اللهِ تَابِعُ	220
وعليهما مسرودتان قضاهما *** داود أو صَنَعَ السوابغِ تُبَّعُ	106
يَبِيتُ يُجافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ *** إذا اسْتَثْقَلَت بالمشْرِكِينَ المضَاجِعُ	231
كَمَّهَتْ عَيْنَيْهِ حَتَّى ابْيَضّتَا *** فَهْوَ يَلْحَى نَفْسَهُ لَمَّا نزعْ	262
ويحرم سر جارتهم عليهم *** ويأكل جارهم أنف القصاع	246
ثلاث من ثلاث قداميات *** من اللائي تَكُنُّ من الصقيع	61

بِمَا فِي فُؤَادَيْنَا مِنَ الشَّوْقِ وَالْهَوَى *** فَيَبْرَأُ مُنْهَاضُ الْفُؤَادِ الْمُشَعَّفُ	153
أَعْيَا اقْتِرَافُ الكَذِبِ المِقْرُوفِ *** تَقْوَى التَّقِي وعِفَّةَ العَفِيفِ	66
وَعَضُّ زَمانٍ يا بنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ *** مِنَ المَالِ إلا مُسْحَتا أَوْ مُجَلَّفُ	71
وَقَاتَلَ كَلْبُ الحَيِّ عَنْ نَارِ أَهْلِهِ *** لِيَرْبِضَ فِيهَا وَالصَّلَا مُتَكَنَّفُ	56
قضيت أمورا ثم غادرت بعدها *** بَوائِقَ في أكمامها لم تَفَتَّقِ	106
فعف عن أسرارها بعد العسق *** ولم يضعها بين فرك وعشق	246
بِمِيزَانِ قِسْطٍ لا يُخِسُّ شَعِيرَةً *** وَوَازِنِ صِدْقٍ وَزْنُهُ غَيْرُ عَائِلِ	108
رُبَّ رَفْدٍ هَرَقْتَهُ ذَلِكَ الْيَوْ *** مَ وَأَسْرَى مِنْ مَعْشَرٍ أَقْتَالِ	63
فَرْعُ نَبْعٍ يَهْتَزُّ فِي غُصُنِ المجْ *** دِ غَزِيرُ النَّدَى شَدِيدُ المِحَالِ	109
فِي مَهْمَةٍ قَلِقَتْ بِهِ هاماتُها *** قَلَقَ الفُؤوسِ إِذَا أَرَدْنَ نُصُولا	176
وَمَعِي لَبُوسٌ لِلَّبِيسِ كَأَنَّهُ *** رَوقٌ بِجَبْهَةِ ذِي نِعاجٍ مُجْفِلِ	148
كُتِبَ القَتْلُ وَالقِتَالُ عَلَيْنَا *** وَعَلَى المحْصَنَاتِ جَرُّ الذُّيُولِ	111
باكرتها الأغراب في سنة النو *** م فتجري خلال شوك السِّيالِ	112
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللهُ *** وَإِنِّي بِحَرِّهَا اليَوْمَ صَالِي	56
يَا بِنْتَ عَمِّي، كِتَابُ اللهِ أَخْرَجَنِي *** عَنْكُم، فَهَلْ أَمْنَعَنَّ اللهَ مَا فَعَلا	111
سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ وأَسْقَى *** نُمَيْرًا والقَبَائِلَ مِنْ هِلالِ	320
فلا أعتِبُ ابن العم إن كان جاهلا *** وأغفر عنه الجهل إن كان أجْهَلَا	55
إِذَا اجْتَمَعَتْ وَأَحْوَذَ جَانِبَيْهَا *** وَأَوْرَدَها عَلَى عُوجٍ طِوَالِ	150
وسنان أقصده النعاس فرنقت *** في عينه سنة وليس بنائم	111
لَقَدْ لُمْتِنَا يَا أُمَّ غَيْلانَ فِي السُّرَى *** وَنِمتِ، وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمِ	176

أَقُولُ لَهُمْ بالشِّعْبِ إِذْ يَأْسِرُونَنِي *** أَلَمْ تَيْأَسُوا أَنِّي ابْنُ فَارِسِ زَهْدَمِ	287
وَشرُّ الطالِبِينَ وَلا تَكُنْهُ *** بقَاتِلِ عَمِّه، الرَّؤُفُ الرَّحِيم	57
سَمَتْ لِي نَظْرَةٌ، فَرَأيتُ مِنْهَا *** تُحَيْتَ الخِدْرِ وَاضِعَةَ الْقِرَامِ	110
نَهَارُكَ يَا مَغْرُورُ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ *** وَلَيْلُكَ نَوْمٌ والرَّدَى لَكَ لازِمُ	176
طال الخيال – وأين منك – لِمَامَا *** فارْجعْ لزَوْرِكَ بالسلامِ سَلاَمَا.	162
بَلْ لَوْ شَهِدْتِ النَّاسَ إِذْ تُكُمُّوا *** بِغُمّةٍ لَوْ لَمْ تُفَرَّجْ غُمُّوا	49
كمِثْلِ هَيْلِ النَّقا طافَ المشاةُ بِهِ *** يَنْهالُ حِينا ويَنْهاهُ الثَّرَى حِينا	176
أَتُوعِدُنِي وَرَاءَ بَنِي رِيَاحٍ ***كَذَبْتَ لَتَقْصُرَنَّ يَدَاكَ دُونِي	49
وَأَيَّامٍ لَنَا غُرٍّ طِوَالٍ *** عَصَيْنَا الْمَلْكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا	104
دعوتُ عشيرتي للسِّلم لما *** رأيتهم تولَّوْا مُدْبِرينا	327
تعاطى الضجيع إذا أقبلت *** بعيد النعاس وقبل الوسن	111
كأنك من جمال بني أُقَيشٍ *** يُقعْقَعُ خلفَ رجليْهِ بشَنِّ	182
قد رفع العَجَّاجُ ذكري فادْعُني *** باسمي إذا الأنساب طالت يكفِني	15
اذْهَبْ إِلَيْكَ فَمَا أُمِّي بِرَاعِيَةٍ *** تَرْعَى الْمَخاضَ وَلا أُغْضِي عَلَى الهُونِ	62
وَإِنْ مَذِلَتْ رِجْلِي دَعَوْتُكِ أَشْتَفِي *** بِدَعْوَاكِ مِنْ مَذْلٍ بِهَا فَيَهُونُ	247
أَلا يَا دِيَارَ الحَيِّ بِالسَّبُعَانِ *** أَمَلَّ عَلَيْهَا بِالبِلَى المِلَوَانِ	112
وَنَقْضَ أَيَامٍ نَقَضْنَ أَسْرَهُ *** هَوْنًا وَأَلْقَى كُلَّ شَيْخٍ فَخرَهُ	62
فإِنِّي وإِيَّاكُمْ وَشَوْقًا إِلَيْكُمُ ***كَقَابِضِ مَاءٍ لَمْ تَسِقْهُ أَنَامِلُه	166
سَمَوْنَا لِنَجْرَانَ الْيَمَانِي وَأَهْلِهِ *** وَنَجْرَانُ أَرْضٌ لَمْ تُدَيَّثْ مَقَاوِلُهْ	110
يُهِينُ النفوسَ، وَهَوْنُ النُّفو *** سِ عِنْدَ الكَرِيهَةِ أَغْلَى لَهَا	62

سَأَلْتُ رَبِيعَةَ مَنْ خَيْرُهَا *** أَبًا ثُمَّ أُمًّا فَقَالَتْ لِمَهْ	138
صَحِبْتُكَ إِذْ عَيْنِي عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ *** فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَّعْتُ نَفْسِي أَذِيمُهَا	67
تَرَّاكُ أَمْكِنَةٍ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا *** أَوْ يَعْتَلِقْ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُهَا	105
فَنَفَّسْتُ عَنْ سَمَّيْهِ حَتَّى تَنَفَّسَا *** وَقُلْتُ لَهُ لا تَخْشَ شَيْئًا وَرَائِيَا	62
أَلَمْ يَيْأَسِ الأَقْوَامُ أَنِّي أَنَا ابْنُهُ *** وَإِنْ كُنْتُ عَنْ أَرْضِ العَشِيرَةِ نَائِيَا	289
عليَّ إذا أبصرتُ ليلى بخلوة *** أنَ ازدار بيت الله رجْلان حافيا	58

فهرس المصادر والمراجع:

1- المصحف الإلكتروني بالرسم العثماني برواية ورش عن الإمام نافع.

2- الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي، تح: فواز أحمد زمرلي،ط:3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1419هـ.

3- الاختيار في القراءات منشؤه ومشروعيته: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مطبوعات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1417هـ – 1996م.

4- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: محمد أبو شهبة، ط:4، مكتبة السنة، القاهرة، 1408هـ.

5- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: محمد بن علي الشوكاني، تح: أحمد عزو عناية، ط:1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1419هـ – 1999م.

6- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البرّ، ت: محمد علي البجاوي، ط:1، دار الجيل، بيروت، دت.

7- أسد الغابة في معرفة الصحابة: علي بن أبي الكرم بن الأثير، تح: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ – 1994م.

8- الأساليب العربية الواردة في القرآن وأثرها في التفسير من خلال جامع البيان للطبري: فواز بن منصر سالم الشاووش، ط:1، مطبوعات مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، 1436هـ – 2015م.

9- الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.

10- أصول التفسير وقواعده: خالد عبد الرحمن العك، ط:2، دار النفائس، بيروت، 1406هـ – 1986م.

11- أصول النظرية النقدية القديمة من خلال قضية اللفظ والمعنى في خطاب التفسير – نموذج الطبري –: أحمد الودرني، ط:1، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2006م.

12- الأعلام: خير الدين الزركلي، ط:15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م.

13- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، دط، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، دت.

14- الأقوال الشاذة في التفسير – نشأتها وأسبابها وآثارها –: عبد الرحمن بن صالح الدّهش، ط:1، سلسلة إصدارات مجلة الحكمة، مانشتر، (رقم: 19) 1425هـ – 2004م.

15- الإمام الطبري – شيخ المفسرين وعمدة المؤرخين ومقدّم الفقهاء والمحدثين – صاحب المذهب الجريري: محمد الزحيلي، ط:2، دار القلم، دمشق، 1420هـ – 1999م.

16- الإيمان: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تح: صدقي جميل العطار، ط:2، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، 1419هـ – 2001م.

17- إنباه الرواة عن أنباه النحاة: جمال الدين القفطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط:1، دار الفكر العربي، القاهرة، دت.

18- بحوث في أصول التفسير وقواعده: علي البودخاني، ط:1، مطبعة آنفو، فاس، 2006م.

19- بدائع الفوائد: ابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت، دط، دت.

20- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن علي الشوكاني، دط، دار المعرفة، بيروت، دت.

21- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: عبد الفتاح القاضي، دار السلام، القاهرة، ط:7، 1436هـ – 2015م.

22- البداية والنهاية: إسماعيل بن كثير، تح: عبد بن عبد المحسن التركي، ط:1، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، 1418هـ – 1997م.

23- بداية المجتهد ونهاية المقتصد: لابن رشد، تح: أبو الزهراء حازم القاضي، ط:1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1424هـ – 2003م.

24- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي، تح: أبو الفضل الدمياطي، ط:1، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ – 2006م.

25- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دط، المكتبة العصرية، صيدا، دت.

26- تأويل مشكل القرآن: عبد بن مسلم بن قتيبة، تح: أحمد صقر، ط:2، دار التراث، القاهرة، 1393هـ – 1973م.

27- التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول: صديق حسن خان القنوجي، دط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1428هـ – 2007م.

28- التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل البخاري، دط، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، دت.

29- تاريخ آداب العرب: للرّافعي، ت:محمد سعيد العريان، دار الكتاب العربي، بيروت، 1394هـ.

30- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين الذهبي، تح: عمر عبد السلام التدمري، ط:2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1413هـ – 1993م.

31- تاريخ بغداد: أبو بكر الخطيب البغدادي، تح: بشار عواد معروف، ط:1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1422هـ – 2002م.

32- تاريخ ابن معين: يحيى بن معين، تح: أحمد يوسف نور سيف، ط:1، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، 1399هـ – 1979م.

33- تاريخ دمشق: علي بن الحسن الحافظ بن عساكر، تح: عمرو بن غرامة العمروي، دط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1415هـ – 1995م.

34- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دط، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

35- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب : أبو حيان الأندلسي، تح: سمير مجذوب،ط:1، المكتب الإسلامي،1403هـ.

36- تذكرة الحفاظ: شمس الدين الذهبي، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ – 1998م.

37- التعريفات الفقهية: محمد عميم الإحسان، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ – 2003م.

38- التفسير اللغوي للقرآن الكريم: مساعد الطيار، ط:1، دار ابن الجوزي، الرياض، 1422هـ.

39- التفسير اللغوي لغريب القرآن بالشعر العربي عند ابن عباس: حمدي الشيخ، ط:1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1428هـ – 2007م.

40- تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير، ط:2، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ – 1999م.

41- تفسير التابعين عرض ودراسة مقارنة: محمد الخضيري، دط، دار الوطن، الرياض، دت.

42- تفسير عبد الرزاق: عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تح: محمود محمد عبده، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ.

43- تفسير القرآن العظيم: عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم الرازي، تح: أسعد محمد الطيّب، ط:3، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، 1419هـ.

44- تفسير غريب القرآن: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تح: السيد أحمد صقر، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1398هـ – 1978م.

45- تقريب التهذيب: ابن حجر العسقلاني، تح: صلاح الدين بن عبد الموجود، ط:1، دار ابن رجب، المنصورة، 1425هـ – 2004م.

46- تهذيب الأسماء واللغات: يحي بن شرف النووي، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.

47- تهذيب اللغة: أبو منصور الأزهري، تح: محمد عوض مرعب، ط:1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م.

48- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: الحافظ يوسف بن عبد الرحمن المزي، تح: عواد معروف، ط:1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1400هـ – 1980م.

49- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي: تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط: 2، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ – 1964م.
50- الجامع الكبير: السيوطي، تح: مختار إبراهيم الهائج وفريقه، ط: 2، منشورات الأزهر الشريف، القاهرة، 1426هـ – 2005م.
51- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري، دط، دار ابن حزم، بيروت، 1434هـ – 2013م.
52- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر الطبري، تح: محمود شاكر، ط:1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ – 2000م.
53- جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير : أحمد ياسوف، ط:1، دار المكتبي، دمشق، 1415هـ.
54- جمهرة اللغة: أبو بكر بن دريد، تح: رمزي منير بعلبكي، ط:1، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م.
55- جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية: محمد أحمد لوح، ط:1، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، القاهرة، 1424هـ – 2003م.
56- جهود الإمام الطبري في دراسة أسلوب الحذف: شمس الضحى مراكشي، ط:1، منشورات شعبة الآداب واللغات بجامعة سيدي محمد بن عبد الله، تازة، المغرب، 2014م.
57- جهود الطبري في دراسة الشواهد الشعرية: محمد المالكي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1994م.
58- الجواهر الحسان: عبد الرحمن الثعالبي، تح: محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط:1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ.
59- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القاهر البغدادي، تح: عبدالسلام محمد هارون، ط:4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1418هـ – 1997م.

60- الخطاب القرآني بين إشكالية الفهم ودلالة النص: أيوب جرجيس العطية، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1433هـ – 2012م.

61- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: برهان الدين ابن فرحون، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دط، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، دت.

62- الدرر الكامنة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تح: محمد عبد المعيد ضان، ط:2، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، 1372هـ – 1972م.

63- دراسة الطبري للمعنى: محمد المالكي، دط، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1417هـ – 1996م.

64- دراسات نقدية في التفسير والحديث: كاصد الزيدي، ط:1، دار المشرق الثقافي، الأردن، 2006م.

65- دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير – دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير – عبد الحكيم بن عبد الله القاسم، ط:1، دار التدمرية، الرياض، 1433هـ -2012م.

66- السلسلة الصحيحة: ناصر الدين الألباني، ط:1، مكتبة المعارف، الرياض، 1415هـ – 1995م.

67- السنن الكبرى: أبو بكر البيهقي، تح: محمد عبد القادر عطا، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ – 2003م.

68- السنن الكبرى: أحمد بن شعيب النسائي، تح: حسن عبد المنعم شلبي، ط:1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421هـ- 2001م.

69- سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث المعروف بأبي داود، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دط، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، دت.

70- سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر، ط:2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1395هـ – 1975م.

71- سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني، تح: شعيب الأرناؤوط، ط:1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1430هـ – 2009م.

72- السيرة النبوية من خلال أهم كتب التفسير: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دط، دن، دت.

73- سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي، تح: شعيب الأرناؤوط، ط:3، مؤسسة الرسالة، 1405هـ – 1985م.

74- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد بن العماد الحنبلي، تح: محمود الأرناؤوط، ط:1، دار ابن كثير، دمشق، 1406هـ – 1986م.

75- شرح القصائد السبع الطوال: أبو بكر ابن الأنباري، ت: عبد السلام محمد هارون، ط:5، دار المعارف، دت.

76- شرح القصائد العشر: يحيى بن علي التبريزي، دط، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، 1352هـ.

77- شرح مقدمة تفسير الطبري: مساعد بن سليمان الطيار، ط:1، إصدارات مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، 1438هـ – 2017م.

78- الشعر والشعراء: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، دط، دار الحديث، القاهرة، 1424هـ.

79- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم : نشوان بن سعيد الحميري ، ت: حسين بن عبد الله العمري ، ط:1 ، دار الفكر ، بيروت ، 1999م.

80- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: أحمد بن علي الفزاري، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.

81- الصّاحبي في فقه اللغة: ابن فارس، ط:1، مكتبة المعارف، بيروت، 1414هـ.

82- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط:4، دار العلم للملايين، بيروت، 1407هـ – 1986م.

83- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل، تح: محمد زهير بن ناصر، ط: 1، دار طوق النجاة، 1422هـ.

84- صحيح ابن حبان: محمد بن حبان، تح: شعيب الأرناؤوط، ط:2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ – 1993م.

85- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت.

86- الصارم المنكي في الرد على السبكي: محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي، تح: عقيل المقطري، ط:1، مؤسسة الريان، بيروت، 1424هـ – 2003م.

87- الصناعتين: الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دط، المكتبة العصرية، بيروت، 1419هـ.

88- الطبري النحوي من خلال تفسيره: زكي فهمي الآلوسي، ط:1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2002م.

89- الطبري والمباحث اللغوية من خلال تفسيره سورة النساء: نور الدين صمود، دط، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، دت.

90- طبقات الشافعية: لابن القاضي شهبة، تح: الحافظ عبد العليم خان، ط:1، عالم الكتب، بيروت، 1407هـ.

91- طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين السبكي، تح: محمود محمد الطناحي، ط:2، دار هجر، القاهرة، 1413هـ.

92- طبقات الشافعيين: إسماعيل بن كثير، تح: أحمد عمر هاشم، دط، مكتبة الثقافة الدينية، 1413هـ – 1993م.

93- طبقات المفسرين: الداوودي، تح: لجنة من الباحثين، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ – 1983م.

94- طبقات النحويين واللغويين: محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط:2، دار المعارف، دت.

95- علم أصول التفسير مصطلحا ومفهوما الواقع والمتوقع: فريدة زمرد، ضمن بحوث المؤتمر العالمي الثالث للباحثين في القرآن وعلومه - بناء علم أصول التفسير الواقع والآفاق – الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، قصر المؤتمرات، فاس، أفريل 2015م.

96- عيون الأنباء في طبقات الأطباء: أحمد بن القاسم الخزرجي، تح: نزار رضا، دط، دار مكتبة الحياة، بيروت، دت.

97- غريب الحديث: ابن قتيبة الدينوري، تح: عبد الله الجبوري، ط:1، مطبعة العاني: بغداد، 1397هـ.

98- غريب الحديث: الخطابي، تح: عبد الكريم إبراهيم، دط، دار الفكر، دمشق، 1402هـ – 1982م.

99- غريب القرآن في عصر الرسول ﷺ والصحابة والتبعين: عبد العال سالم مكرم، ط:1، علم الكتب، القاهرة، 143هـ – 2009م.

100-غريب القرآن: مصطفى بن حنفي الذهبي، تح: عادل السيد الزعبي، ط:1، دار اليقين للنشر والتوزيع، المنصورة، 1428هـ – 2007م.

101- فتح القدير الجامع بين فنيْ الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي الشوكاني، تح: عبد الرحمن عميرة، ط:3، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، 1426هـ – 2005م.

102-الفروق اللغوية: الحسن أبو هلال العسكري، تح: بيت الله بيات، ط:1، مؤسسة النشر الإسلامي، بيروت، 1412هـ.

103- الفروق اللغوية وأثرها في التفسير: محمد الشائع، ط:1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1993م.

104- الفهرست: ابن النديم، تح: إبراهيم رمضان، ط:2، دار المعرفة، بيروت، 1417هـ – 1997م.

105- القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تح: محمد نعيم العرقسوسي، ط:8، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1426هـ – 2005م.

106- القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ط:1، دار الآثار للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1424هـ – 2003م.

107- قواعد التّدبر الأمثل: عبد الرحمن الميداني، ط:3، دار القلم، دمشق، 2004م.

108- قواعد التفسير جمعا ودراسة: خالد بن عثمان السبت، ط:1، دار ابن عفان، القاهرة، 1421هـ.

109- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله المعروف بحاجي خليفة، دط، دار إحياء التراث، بيروت، 1941م.

110- الكليات: أيوب بن موسى أبو البقاء الكفوري، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، ط:2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ – 1998م.

111- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: المتقي الهندي، تح: بكري حياتي – صفوة السقا، ط:5، مؤسسة الرسالة، 1401هـ – 1981م.

112- لسان العرب : ابن منظور، ط:3، دار صادر، بيروت، 1414هـ.

113- لسان الميزان: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تح: عبد الفتاح أبو غدة، ط:1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 2002م.

114- المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء: الحسن بن بشر الآمدي، تح: الدكتور كرنكو، ط:1، دار الجيل، بيروت، 1411هـ – 1991م.

115- مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى، تح: محمد فؤاد سزكين، ط:1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1381هـ.

116- مجموع الفتاوى: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تح: عبد الرحمن بن محمد بن القاسم، دط، مجمع الملك الفهد لطباعة المصحف، المدينة المنورة، 1416هـ - 1995م.

117- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ.

118- محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي، تح: محمد باسل عيون السود، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ.

119- المحاور الخمسة للقرآن الكريم: محمد الغزالي، دط، دار الشروق، القاهرة، دت.

120- مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي، تح: حمزه فتح الله، ط:1، دار ابن حزم، بيروت، 1436هـ – 2015م.

121- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: محمد بن محمد البعلي الموصلي، ط:1، دار الحديث، القاهرة، 1422هـ – 2001م.

122- مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين: حسين بن علي الحربي، ط:2، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1433هـ.

123- المزهر في علوم اللغة وأنواعها: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ – 1998م.

124- المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ – 1990م.

125- المسند: أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرناؤوط وجماعة، ط:1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421هـ - 2001م.

126- مسند البزار: أحمد بن عمرو البزار، تح: جماعة من الدكاترة وطلاب العلم، ط:1، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 2009م.

127- المشترك اللفظي في الحقل القرآني: عبد العالي سالم مكرم، ط:1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ – 1996م.

128- مصادر الشعر الجاهلي: ناصر الدين الأسد، ط:7، دار المعارف، مصر، 1988م.

129- المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر بن أبي شيبة، تح: كمل يوسف الحوت، ط: 1، مكتبة الرشد، الرياض، 1409هـ.

130- معجم الأدباء: ياقوت الحموي، تح: إحسان عباس، ط:1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دت.

131- المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد الطبراني، تح: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دط، دار الحرمين، القاهرة، دت.

132- معجم البلدان: ياقوت الحموي، ط:2، دار صادر، بيروت، 1995م.

133- المعجم الكبير: سليمان بن أحمد الطبراني، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط:1، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، دت.

134- معجم مقاييس اللغة : أحود بن فارس القزويني، تح: عبد السلام محمد هارون، ط:1، دار الفكر، بيروت، 1399هـ – 1979م.

135- معاني القرآن: أحمد بن محمد أبو جعفر النحاس، تح: محمد علي الصابوني، دط، منشورات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1409هـ.

136- معاني القرآن: سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، تح: هدى محمود قراعة، ط:1، مطبعة المدني، القاهرة، 1411هـ – 1990م.

137- معاني القرآن: الفراء، تح: أحمد يوسف النجاتي وزملاؤه، ط:1، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، دت.

138- المفردات: عبد الحميد الفراهي، تح: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، ط: 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دت.

139- المقدمة في أصول التفسير : لابن تيمية، تح: فواز أحمد زمرلي، ط:2، دار ابن حزم، بيروت، 1418هـ.

140- مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير : للدكتور مساعد الطّيار، ط:1، دار المحدّث، الرياض، 1425هـ.

141- منهج الإمام بن جرير الطبري في الترجيح: حسين بن علي الحربي، ط:1، دار الجنادرية للنشر والتوزيع، عمان، 1429هـ – 2008م.

142- منهج ابن جرير الطبري في القراءات وضوابط اختيارها في تفسيره: زيد بن علي مهدي مهارش، ط:1، دار التدمرية، الرياض، 1433هـ - 2012م.

143- منهج التفسير عند الطبري: عمر محي الدين حوري، دط، دار الفكر، دمشق، 2008م.

144- المنهج النقدي في تفسير الطبري أصوله ومقوماته: أحمد نصري، ط:1، دار ابن حزم، بيروت، 1433هـ – 2012م.

145- الموطأ: مالك بن أنس، تح: محمد مصطفى الأعظمي، ط:1، مؤسسة زايد، أبو ظبي، 1425هـ – 2004م.

146- الموافقات: إبراهيم بن موسى المعروف بالشاطبي، تح: مشهور بن حسن آل سلمان، ط:1، دار ابن عفان، القاهرة، 1417هـ – 1997م.

147- النشر في القراءات العشر: شمس الدين بن الجزري: تح: علي محمد الضباع، دط، المطبعة التجارية الكبرى، القاهرة، دت.

148- النقد اللغوي عند الطبري إمام المفسرين – لمسات لغوية نقدية من فكر المفسر – جنان محمد مهدي، ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012م.

149- النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين ابن الأثر، تح: طاهر أحمد الزاوي – محمد محمود الطناحي، دط، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ – 1979م.

150- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: شمس الدين أحمد بن خلكان، تح: إحسان عباس، ط:1، دار صادر، بيروت، دت.

151- الوافي في الوفيات: صلاح الدين خليل الصفدي، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط:1، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ – 2000م.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	مقدمـــــــــــــة
12	**الفصل الأول: عناية الإمام الطبري بغريب القرآن.**
14	• **المبحث الأول: الإمام الطبري مفسرا.**
14	**المطلب الأول: اسمه ومولده ونشأته.**
14	الفرع الأول: اسمه ومولده.
15	الفرع الثاني: نشأته.
16	**المطلب الثاني: رحلاته العلمية وشيوخه وتلامذته.**
18	**المطلب الثالث: مذهبه وعقيدته.**
18	الفرع الأول: مذهبه الفقهي.
19	الفرع الثاني: عقيدته.
19	**المطلب الرابع: آثاره العلمية وثناء أهل العلم عليه.**
19	الفرع الأول: آثاره العلمية:
21	الفرع الثاني: ثناء أهل العلم عليه.
22	**المطلب الخامس: محنته ووفاته.**
23	**المطلب السادس: قيمة تفسيره عند العلماء.**
26	• **المبحث الثاني: غريب القرآن حتى عصر الإمام الطبري.**

المطلب الأول: تعريف الغريب.	26
الفرع الأول: الغريب لغة.	26
الفرع الثاني: الغريب في اصطلاح علماء القرآن.	27
الفرع الثالث: تعريف التفسير اللغوي.	28
المطلب الثاني: غريب القرآن قبل عصر الإمام الطبري.	28
الفرع الأول: الغريب في حياة الرسول ﷺ.	29
الفرع الثاني: الغريب في زمن الصحابة ﷺ والتابعين لهم بإحسان.	30
الفرع الثالث: الغريب في عصر التدوين.	31
المطلب الثالث: عناية الإمام الطبري بالاختيار في معاني الغريب.	33
الفرع الأول: تعريف الاختيار لغة واصطلاحا.	34
أولاً: لغةً.	34
ثانيا: اصطلاحا.	34
ثالثا: الفرق بين الاختيار والترجيح.	35
الفرع الثاني: ألفاظ الاختيار عند الإمام الطبري.	36
أولا: التصريح بتصويب أو تصحيح أحد الأقوال، أو بكونه أولى بالصواب	36
ثانيا: وصف المعنى المختار بكونه الأغلب في معنى اللفظ، أو الظاهر أو المعروف من معنى الخطاب	37
ثالثا: التصريح باختيار أحد الأقوال، أو بكونه أحبّ الأقوال إليه	37
رابعا: وصف القول بأنه أشبه بمعنى الآية، أو أشبه بمذاهب العربية	37

خامسا: وصف أحد الأقوال بكونه له وجها معروفا أو مذهبا صحيحا، أو بكونه غير بعيد من الصواب، وإن كان غيره أولى منه بتفسير الآية.	38
سادسا: وصف القول بأنه مخالف لظاهر كتاب الله، أو لإجماع الحجة من أهل التأويل، أو للغة العرب.	38
سابعا: وصف القول بأنه لا معنى له، أو لا وجه له.	38
ثامنا: التصريح بعدم اختيار القول، أو بكون غيره أولى بالصواب منه	39
تاسعا: تصدير القول بـ "زعم" الدالة على تضعيف المعنى، واختيار المعنى الآخر.	39
الفرع الثالث: مراتب الاختيار عند الإمام الطبري.	39
أولا: التوقّف في معنى الغريب	40
ثانيا: ذكر المعاني المحتَمَلة في الغريب والسكوت عنها وعدم الاختيار	41
ثالثا: المرتبة الثالثة: إعمال كل المعاني المحتمَلة في معنى الغريب.	44
رابعا: ذكر المعنى المختار صدرا في أول الكلام وإيراد باقي المعاني والسكوت عنها.	47
خامسا: التصريح بالاختيار بعد ذكر كلّ المعاني	50
• **المبحث الثالث: سمات تفسير الغريب عند الإمام الطبري.**	51
المطلب الأول: اشتراطه عدم خروج التفسير اللغوي عن أقوال الصحابة والتابعين	51
المطلب الثاني: اشتراطه رجحان تفسير الغريب بالمشهور المستفيض من كلام العرب.	54
المطلب الثالث: رجوعه إلى أصل الوضع العربي للكلمة الغريبة	54
المطلب الرابع: عنايته باختلاف لغات العرب في الغريب	57

المطلب الخامس: اهتمامه بفقه معاني الكلمات الغريبة واستعمالات العرب لها.	6à
المطلب السادس: إجمال الإمام الطبري معنى الكلمة أو التركيب القرآني من المرويات التفسيرية.	64
المطلب السابع: تميّز الإمام الطبري بمعجم لغوي للغريب	66
المطلب الثامن: جمعه في تفسير الغريب بين أقوال أهل اللغة وأقوال أئمة السلف.	71
الفصل الثاني: مصادر الإمام الطبري في تفسير الغريب.	74
• **المبحث الأول: تفسير الغريب بأحسن طرق التفسير (القرآن – أقوال الرسول – أقوال السلف)**	76
المطلب الأول: تفسير الغريب بالقرآن.	76
الفرع الأول: تفسير الكلمة الغريبة بالقرآن.	76
الفرع الثاني: تفسير تركيب قرآني بالقرآن.	78
المطلب الثاني: تفسير الغريب بأقوال الرسول ﷺ	80
المطلب الثالث: تفسير الغريب بأقوال السّلف.	84
الفرع الأول: تفسير الغريب بأقوال الصحابة عند الإمام الطبري.	85
أولا: حجية تفسير الصحابة للغريب عند الإمام الطبري.	85
ثانيا: نماذج مختارة من تفسير الطبري.	87
الفرع الثاني: تفسير الغريب بأقوال التابعين.	90

أولا: حجية تفسير التابعين للغريب عند الإمام الطبري.	90
ثانيا: افتنان السلف في التعبير عن معاني الغريب وبيان الطبري لمسلكهم.	92
ثالثا: نماذج مختارة من تفسير الطبري.	94
• **المبحث الثاني: تفسير الغريب بإجماع الحجّة من أهل التأويل.**	96
• **المقصود بإجماع الحجة عند الإمام الطبري.**	96
المطلب الأول: ألفاظ حكاية الإجماع عند الإمام الطبري.	96
الفرع الأول: إذا وجُد مخالف يصرح به عادة	96
الفرع الثاني: إذا وجُد مخالف لا يصرح به	97
الفرع الثالث: التصريح بحكاية الإجماع الذي ليس له مخالف	97
المطلب الثاني: حكم إحداث معنىً جديد في القرآن بعد زمن السلف.	97
المطلب الثالث: نماذج مختارة من تفسير الطبري.	98
• **المبحث الثالث: تفسير الغريب بكلام العرب.**	100
المطلب الأول: تفسير الغريب بالشعر.	100
الفرع الأول: تأثر الرواية الشعرية بالرواية الحديثية عند ابن جرير الطبري.	101
أولاً: تحري الإمام الطبري الدقة والصحة فيما يورد من شواهد شعرية على معاني الغريب	101
ثانيا: اشتراط الإمام الطبري دلالة الشاهد الشعري على معنى الغريب صراحة.	103
ثالثا: اهتمامه باختلاف روايات الشعر وألفاظه وشرح بعض معانيه.	105
الفرع الثاني: أمثلة مختارة من تفسير الطبري.	110
المطلب الثاني: تفسير الغريب بالمسموع من كلام العرب	114

الفرع الأول: مفهوم السماع عند اللغويين.	114
الفرع الثاني: حدود دائرة السماع عند أئمة اللغة.	115
الفرع الثالث: السماع بين الكوفيين والبصريين.	115
الفرع الرابع: موقف الإمام الطبري من السماع.	116
أولا: اهتمامه بالتصريح بالرواية سماعا عن العرب.	116
ثانيا: اعتماده على الأئمة الأثبات في نقل اللغة.	116
الفرع الخامس: نماذج مختارة من تفسير الطبري.	117
المطلب الثالث: استعماله القياس اللغوي في تفسير الغريب.	120
الفرع الأول: مسلك الإمام الطبري في القياس اللغوي.	120
الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.	121
• **المبحث الرابع: اعتماده على ما سبقه من كتب الغريب.**	123
المطلب الأول: اعتماده على كتب الغريب المفقودة.	123
المطلب الثاني: اعتماده على ما طُبع من كتب الغريب.	123
الفرع الأول: اعتماده على الفراء	124
الفرع الثاني: اعتماده على أبي عبيدة	124
الفرع الثالث: اعتماده على الأخفش سعيد بن مسعدة	125
الفرع الرابع: اعتماده على ابن قتيبة	125
الفصل الثالث: قواعد تفسير الغريب عند الإمام الطبري.	127

• المبحث الأول: القواعد المتعلقة بالمفردة القرآنية.	129
المطلب الأول: قاعدة: الأصل اعتبار عموم معنى المفردة ما لم يرد ما يخصصه	129
الفرع الأول: شرح القاعدة.	129
الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.	129
المطلب الثاني: قاعدة: ينبغي عدم البحث في معنى الكلمة المبهمة التي لا فائدة في العلم بمعناها، مع أن العبرة حاصلة عُلم معناها أم جُهل	132
الفرع الأول: شرح القاعدة.	132
الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.	132
المطلب الثالث: قاعدة: ضرورة حمل معاني الكلمات القرآنية على الغالب والأشهر المستعمل لغةً لا على المنكر والنادر والشاذ وقليل الاستعمال	135
الفرع الأول: شرح القاعدة.	135
الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.	135
المطلب الرابع: قاعدة: إذا احتمل اللّفظ معان عدّة ولم يمتنع إرادة الجميع حُمل عليها.	138
الفرع الأول: شرح القاعدة.	138
الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.	139
المطلب الخامس: قاعدة: اختلاف السلف في معاني الكلمات القرآنية اختلاف تنوّع لا اختلاف تضاد	142
الفرع الأول: شرح القاعدة.	142

الفرع الثاني: منشأ اختلاف السلف في معاني الغريب في نظر الطبري:	142
الفرع الثالث: نماذج مختارة من تفسير الطبري.	143
المطلب السادس: قاعدة: ينبغي تقديم تفسير السلف للغريب على ما تقتضيه معاني اللغة.	145
الفرع الأول: شرح القاعدة.	145
الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.	145
المطلب السابع: قاعدة: مخالفة لغة القرآن لأقيسة اللغة وقواعدها ومعاني ألفاظها.	149
الفرع الأول: شرح القاعدة.	149
الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.	150
المطلب الثامن: قاعدة: مجيء القرآن على الأفصح من كلام العرب لا الفصيح فحسب	152
الفرع الأول: شرح القاعدة.	152
الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.	153
• **المبحث الثاني: القواعد المتعلّقة بالتراكيب القرآنية.**	155
المطلب الأول: قاعدة: ينبغي عدم تحميل تراكيب القرآن ما لا تحتمل من المعاني.	155
الفرع الأول: شرح القاعدة.	155
الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.	155

المطلب الثاني: قاعدة: ينبغي حمل تراكيب القرآن على المعاني المتبادرة من الظاهر المفهوم لا على معاني مستندة إلى باطن لا دلالة على صحته	156
الفرع الأول: شرح القاعدة.	156
الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.	156
المطلب الثالث: قاعدة: الأولى حمل تراكيب القرآن على الحقيقة الظاهرة وعدم القول بالمجاز إلا بحجة يجب التسليم لها	159
الفرع الأول: شرح القاعدة.	159
الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.	160
المطلب الرابع: قاعدة: المؤخر الذي معناه التقديم، والمُقدم الذي معناه التأخير.	161
الفرع الأول: شرح القاعدة.	161
الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.	162
المطلب الخامس: قاعدة: موافقة تراكيب القرآن كلام العرب وأوجه مُخاطباتها	163
الفرع الأول: شرح القاعدة.	163
الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.	164
أولا: إخراج الخطاب مخرج العموم والمراد الخصوص.	166
ثانيا: الإخبار عن الجماعة والمراد المفرد:	166
ثالثا: إخراج الكلام مخرج الخبر عن المخاطبين والمراد الإخبار عن الغائبين (الالتفات)	168
رابعا: وضع الأسماء مواضع الأفعال المعروفة بها:	159
خامسا: إخراج المصادر على غير بناء أفعالها:	159

سادسا: إخراج صيغة مفعول مكان صيغة فاعل:	171
سابعا: إخراج أوصاف الجموع مفردة:	171
المطلب السادس: قاعدة: ينبغي أن تفسر تراكيب القرآن على معهود الأميّين في الخطاب.	171
الفرع الأول: شرح القاعدة.	171
الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.	172
المطلب السابع: قاعدة: ينبغي أن يسلك في فهم معاني تراكيب القرآن الكريم مسلك العرب في تقرير معانيها.	173
الفرع الأول: شرح القاعدة.	173
الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.	173
المطلب الثامن: قاعدة: كل كلمة في القرآن الكريم ترد لمعنىً غير معنى مُجاورتها التي يُظن بها الترادف	177
الفرع الأول: شرح القاعدة.	177
الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.	178
المطلب التاسع: قاعدة : استبعاد تكرار الكلمات القرآنية من غير زيادة معنى ما أمكن	179
الفرع الأول: شرح القاعدة.	179
الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.	179
• **المبحث الثالث: القواعد المتعلقة بالسياق القرآني.**	181

المطلب الأول: قاعدة: الاجتزاء والاختصار اكتفاء بما ذُكر في السياق	181
الفرع الأول: شرح القاعدة.	181
الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.	181
المطلب الثاني: قاعدة: ينبغي إرجاع الضمير إلى أقرب مذكور في السياق ما وجد إلى ذلك من سبيل	184
الفرع الأول: شرح القاعدة.	184
الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.	185
المطلب الثالث: قاعدة: ينبغي الاحتكام إلى السياق لفهم معاني المفردات الغريبة حال التركيب.	186
الفرع الأول: شرح القاعدة.	187
الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.	187
المطلب الرابع: الإظهار في محل الإضمار لا يكون إلاّ لنكتة مرادة في السياق.	188
الفرع الأول: شرح القاعدة.	188
الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.	189
المطلب الخامس: قاعدة: ينبغي أن لا تُفهم التراكيب القرآنية بمعزل عن سياقها.	189
الفرع الأول: شرح القاعدة.	190
الفرع الثاني: نماذج مختارة من تفسير الطبري.	190
الفصل الرابع: الأسس التي بنى عليها الإمام الطبري اختياراته في معاني الغريب.	194

• **المبحث الأول: الاختيارات المستندة على أصول التفسير.**	196
* **المقصود بأصول التفسير التي بنى عليها الطبري اختياراته في الغريب.**	196
المطلب الأول: اختيار معنى كلمة أو تركيب بالنظر لمعنى نظائرهما في القرآن الكريم (تفسير القرآن بالقرآن)	197
الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.	197
الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.	197
المطلب الثاني: اختيار المعنى الموافق لمدلول الحديث النبوي الصحيح سواء أكان نصا في التفسير أو شاهدا على المعنى المختار	201
الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.	201
الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.	201
أولا: ورود التفسير النبوي نصا في التفسير.	201
ثانيا: ورود التفسير النبوي كشاهد على المعنى.	206
المطلب الثالث: اختيار المعنى الموافق لتفسير السلف من الصحابة والتابعين المحمود علمهم بالتفسير.	208
الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.	208
الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.	209
المطلب الرابع: اختيار المعنى المجمع عليه بين الحجة من أهل التأويل	210
الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.	210
الفرع الأول: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري	211

المطلب الخامس: اختيار المعنى الأشهر أو الأغلب عند جمهور السلف.	213
الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.	213
الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.	214
المطلب السادس: اختيار تفسير الصحابة وفهمهم على تفسير غيرهم.	215
الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.	215
الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.	215
• **المبحث الثاني: الاختيارات المستندة على قواعد التفسير اللغوي**	218
المطلب الأول: اختيار المعنى الموافق للمعنى العربي الثابت من حيث اللغة	218
الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.	218
الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.	218
المطلب الثاني: اختيار المعنى الموافق لأصل الوضع العربي للكلمة	223
الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.	223
الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.	224
المطلب الثالث: اختيار المعاني الموافقة للغالب المعروف والمستفيض من كلام العرب، دون النادر والشاذ وقليل الاستعمال	226
الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.	226
الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.	226
المطلب الرابع: اختيار المعنى بالنظر لقاعدة: موافقة القرآن لأوجه كلام العرب ومُخاطباتها.	232

الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.	232
الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.	232
المطلب الخامس: اختيار المعنى بالنظر لقاعدة: اعتبار عموم اللفظ القرآني أولى من تخصيص بغير مخصص	234
الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.	234
الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.	234
المطلب السادس: اختيار المعنى بالنظر لقاعدة: استبعاد تكرار الكلمات القرآنية من غير زيادة معنى ما أمكن.	238
الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.	139
الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.	239
المطلب السابع: اختيار المعنى الموافق لظاهر النص القرآني.	242
الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.	242
الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.	242
• **المبحث الثالث: الاختيارات المستندة إلى دلالة السياق.**	245
• **المقصود بدلالة السياق في التفسير.**	232
• **اهتمام الطبري بدلالة السياق عند اختياره معاني الغريب.**	245
المطلب الأول اختيار معنى الكلمة المشتركة بين عدة معاني بالنظر للسّياق الذي وردت فيه	246
الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.	246

الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.	246
المطلب الثاني: اختيار معنى تركيب أو كلمة بالنظر للسياق الذي ورد فيه	249
الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.	249
الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.	249
أولا: اختيار المعنى بالنظر للسياق السابق:	249
ثانيا: اختيار المعنى بالنظر للسياق اللاحق.	251
ثالثا: اختيار المعنى بالنظر للسياق السابق واللاحق معا.	253
المطلب الثالث: اختيار عود الضمير إلى أقرب مذكور في السياق الذي ورد فيه	256
الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.	256
الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.	256
• **المبحث الرابع: الاختيارات المستندة إلى قرائن أخرى.**	260
• **المقصود بالقرائن في التفسير.**	260
• **عناية الطبري باختيار المعنى وفق القرائن.**	261
المطلب الأول: اختيار المعنى المناسب للمقام	261
الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.	261
الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.	262
المطلب الثاني: اختيار المعنى المناسب لقرينة سبب النزول	269
الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.	269
الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.	269

المطلب الثالث: اختيار المعنى بالنظر لتشريع متفق عليه أو أصل من أصول الإسلام.	272
الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.	272
الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.	273
المطلب الرابع: اختيار المعنى المناسب لما صح من أحداث الأمم الماضية ووقائع سيرة المصطفى ﷺ	279
الفرع الأول: شرح مسوغ الاختيار.	279
الفرع الثاني: نماذج تطبيقية من تفسير الطبري.	279
الفصل الخامس: أثر اختيارات الطبري في معاني الغريب على شخصيته التفسيرية.	283
• **المبحث الأول: أثر اختياراته في الغريب على آرائه النقدية.**	285
المطلب الأول: أثر اختياراته في الغريب على اتجاهه اللغوي.	285
الفرع الأول: انتقاده أئمة البصرة على وجه العموم.	285
الفرع الثاني: انتقاده أبا عبيدة على وجه الخصوص	286
الفرع الثالث: انتقاده بعض الكوفيين.	288
الفرع الرابع: وقوف الإمام الطبري حكما بين المتقدمين من أهل التفسير واللغة.	288
المطلب الثاني: أثر اختياراته في الغريب على انتقاده أهل الفرق.	290
الفرع الأول: مسلك الفرق المنحرفة في فهم معاني القرآن في منظور الإمام الطبري.	290

الفرع الثاني: انتقاده للقائلين بالجهة.	291
الفرع الثالث: ردّه على القائلين بتخليد صاحب الكبيرة في النّار (المعتزلة).	291
الفرع الرابع: ردّه على أهل القدر (المعتزلة) في مسألة الإرادة وخلق أفعال العباد.	292
الفرع الخامس: رده على أهل التأويل في باب الصفات.	294
• **المبحث الثاني: أثر اختياراته في الغريب في حكمه على أقوال المفسرين والرّواة.**	296
المطلب الأول: أثر اختياراته في الغريب في الحكم على الروايات وتغليط الرواة.	296
المطلب الثاني: أثر اختياراته في الغريب في تضعيف أقوال المفسرين وتخطئتهم.	298
• **المبحث الثالث: أثر اختياراته في الغريب على اتجاهه الفقهي.**	305
المطلب الأول: أثر اختياراته في الغريب على ترجيحاته الفقهية	305
المطلب الثاني: أثر اختياراته في الغريب على تفسيره لآيات الأحكام	309
• **المبحث الرابع: أثر اختياراته في الغريب على موقفه من القراءات.**	313
المطلب الأول: شروط قبول القراءة عند الإمام الطبري.	313
الفرع الأول: اشتراطه موافقة رسم المصحف.	313
الفرع الثاني: اشتراطه التواتر.	314
الفرع الثالث: اشتراطه عدم خروج القراءة عن الوجه الصحيح الفصيح من كلام العرب	315
المطلب الثاني: دواعي وقوع الإمام الطبري في المفاضلة بين القراءات.	316
الفرع الأول: طلبه أجود المعاني وأبلغها وأكملها في الأحرف المختلف في قراءتها.	316
الفرع الثاني: اختياره القراءة التي لها وجه أفصح ومستفيض في اللغة	319
الفرع الثالث: تحسينه قراءة على أخرى طلبا لانتظام الكلام على نسق واحد، مع أن	322

القراءتين صحيحتين من حيث الاصطلاح	
الفرع الرابع: اختياره القراءة التي يؤمن معها اللبس عن فهم سامعها.	325
المطلب الثالث: ردّه لبعض القراءات القرآنية لمسوّغات لغوية وسياقية.	325
خاتمـــــــــــــــــة	328
ملخص البحث	331
فهارس البحث	335
فهرس الآيات القرآنية	336
فهرس الأحاديث والآثار	365
فهرس الأعلام المترجم لهم	367
فهرس الأبيات الشعرية	369
فهرس المصادر والمراجع	375
فهرس الموضوعات	388

بحمد الله تم